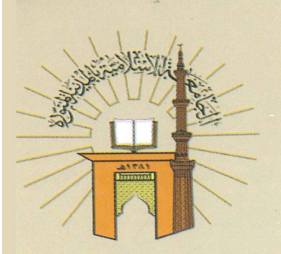


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار « ٢٠٤ »

سلسلة الرسائل الجامعية (١٦١)

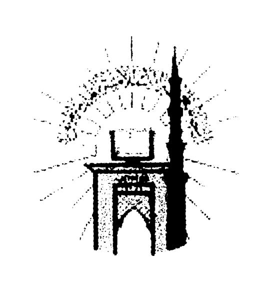
مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية

من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري



تأليف
الدكتور / علي مصطفى غي

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٣٢
عمادة البحث العلمي

رقم الإصدار: (٢٠٤)

سلسلة الكتب والرسائل الجامعية (١٦١)

مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري

تأليف

الدكتور/ علي مصطفى غِيْ

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

ح الجامعة الإسلاميّة ١٤٣٧هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

غي ، علي مصطفى

مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري، / علي مصطفى غي، - المدينة المنورة، ١٤٣٧هـ

ص، سم

ردمك: ١ - ٩٢٧ - ٠٢ - ٩٩٦٠

١- التربية الاسلامية ٢- الأدب الاسلامية ا. العنوان

ديوي ٣٧٧،١ ١٤٣٧/١١٩٦

رقم الإيداع: ١٤٣٧/١١٩٦

ردمك: ١ - ٩٢٧ - ٠٢ - ٩٩٦٠

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وحصلت على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

الحمد لله وليّ كل نعمة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. وبعد:

فتأصيلًا للدور العلميّ الذي تقوم به الجامعة الإسلاميّة، وتحقيقًا لرؤيتها بأن تكون منارة إسلاميّة عالميّة رائدة في المعرفة والتنمية؛ تتوالى هذه الإصدارات العلميّة من رسائل وبحوث، لتكون مبادرات معرفيّة متميِّزة، تُثري التميّز البحثيّ، وتُسهم في بناء مجتمع المعرفة المتجدد في كافّة الميادين.

ويبقى الدعاء لهذه الجهود بالتوفيق في الارتقاء بمستوى مخرجات البحث العلميّ بالجامعة كمًّا ونوعًا، وتوفير بيئة بحثيّة محفّزة؛ تكون رافدًا ومنهلًا لنشر العلم النافع، بما يتوافق مع شرف المكان والمكانة لهذه الجامعة الرائدة.

مدير الجامعة الإسلاميَّة

د/ حاتم بن حسن المرزوقي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله حده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وسلك سبيله إلى يوم الدين.

أما بعد: "فمن المعروف أنه لا يمكن لأي تربية أن تنطلق وتنبثق من فراغ، وإنما تنبع وتتوجه من خلال مصادر مرجعية تستمد منها أهدافها، وأفكارها ومعتقداتها. والأصول المرجعية للتربية الإسلامية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة الصحابة ومنهجهم التربوي، وكذلك جهود علماء المسلمين"(١) في الماضي والحاضر.

وإن العلوم المتعلقة بالسنة النبوية لم تزل من قديم الزمان محكمة الأساس قوية البنيان، وهي أشرف العلوم وأجلها بعد كتاب الله تعالى، وقد عُنيت الأمة الإسلامية من لدُن عصر الرسول ﷺ بحفظ الأحاديث وروايتها والالتزام بها علما وعملا وسلوكا وأخلاقا، ثم عُنيت بتدوينها في كتب الأحاديث والسنن المعروفة.

وانبرى العلماء بخدمة السنة النبوية بشتى الصور، فشرحوا الأحاديث وأظهروا معانيها، واستنبطوا منها الأحكام الفقهية، والحكم النبوية، والقيم السلوكية،

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، (ص: ٢١٧).

والمبادئ التربوية التي تبني المجتمع الإسلامي على الأساس الديني القويم، وما زالت الحاجة ماسة إلى دراسة الأحاديث النبوية من الناحية التربوية لغرس الفضائل الأخلاقية في النفوس[1].

وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تحث على اتباع السنة وتحذر من مخالفتها قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[4]

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه))**[5]

---

(١) الندوي، محمد لقمان الأعظمي، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، ص: ٥.

(٢) سورة الأحزاب (الآية: ٣٦).

(٣) سورة النور (الآية: ٦٣).

(٤) سورة الأحزاب (الآية: ٢١).

(٥) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث: (٤٦٠٤) واللفظ له، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم الحديث: (٢٦٦٣)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، رقم الحديث: (١٢)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود: ١١٨/٣.

وقال ﷺ: ((**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه**))[١]

"وإذا كان من الواجب علينا شرعا الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في تشريعاتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا وفي كل شأن من شؤون حياتنا قدر الاستطاعة، فإن اقتداءنا بالسنة في تربية ناشئتنا منذ الصغر أوكد وأوجب، لكونها غنية بالأسس والتضمينات التربوية الإيجابية، وزاخرة بالتوجيهات والإرشادات البناءة، وثرية بالحكمة والوعي والتبصر في فهم النفس البشرية بمركباتها وتفاعلاتها ودوافعها وعواطفها وانفعالاتها المختلفة"[٢]

ويعد الجانب الاجتماعي في التربية الإسلامية أحد الجوانب الهامة التي تعمل على تشكيل الإنسان المسلم، وإعداده الإعداد المتوازن ليكون إنسانا صالحا عابدا لله تعالى عاملا بما يرضي الله ورسوله منتجا، نافعا لنفسه ولمجتمعه من خلال تربيته وغرس الفضائل الاجتماعية فيه.

وبالرجوع إلى الأحاديث النبوية يجد الباحث أن السنة النبوية قد تكفلت بتقديم بناء متكامل للنظم الاجتماعية - أسرية واقتصادية وسياسية وإدارية وعقلية وتربوية...إلخ، الذي يحقق النمو الروحي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي للإنسان، كما يحقق التقدم والنمو الاقتصادي والسياسي

---

(١) مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ: ٢/٨٩٨. واللفظ له والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: (١/١٧٢). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة (٤/٣٦١)

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (ص: ٩).

والعلمي والتكنولوجي للمجتمع الإسلامي، حتى تكتمل له أسباب القوة التي تمكنه من أداء رسالته الدينية القائمة على التوحيد والعدل والأخوة والمساواة، والدعوة إلى الله ﷻ[١].

واستنادا إلى ما سبق ذكره من أهمية الرجوع إلى السنة باعتبارها مصدرا من مصادر التربية الإسلامية، ومن أهمية التربية الاجتماعية بحسبانها جانبا أساسيا من جوانب التربية الإسلامية، رأيت تناول موضوع [مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله]، وذلك بالقيام على استنباط تلك المضامين، واستخراج الأسس والقواعد والمبادئ التربوية التي تزخر بها، والتي تكفل لنا إن طبقناها على وجهها الصحيح تكوين مجتمع إسلامي بإذن الله تعالى.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة مما يلي:

١. أن موضوع الدراسة يتعلق بالسنة النبوية التي هي أشرف العلوم وأجلها بعد كتاب الله تعالى، وإن الرجوع إلى السنة النبوية ودراسة مضامينها التربوية، وبيان الأسس التربوية الكامنة فيها، يعد أمرا بالغ الأهمية والضرورة، باعتبار السنة النبوية الصحيحة المصدر الثاني - بعد كتاب الله تعالى - للتربية الإسلامية القويمة للفرد والجماعة.

٢. من أهم كتب الحديث التي احتوت على عدد كبير من المضامين والأسس والقواعد التربوية النبوية، كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري،

---

(١) السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، ص: ٨.

والذي نحن في أمس الحاجة إلى دراسته دراسة تربوية للاستفادة من بعض كنوزه - وما أكثرها وأعظمها- في مجال التربية، مما يدل على أهمية هذه الدراسة التي تسعى لا ستنباط مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال هذا الكتاب المهم، يقول الشيخ المحدث عبد الرحمن بن يحيي المعلمي رحمه الله[١]: "ومن أبسط مجموعات كتب السنة في الأدب النبوي كتاب الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله، والإمام البخاري كالشمس في رابعة النهار شهرة، وإلى مؤلفاته المنتهى في الجودة والصحة. وكتابه هذا - أعني الأدب المفرد- هو بعد كتابه الجامع الصحيح أولى كتبه بأن يعتنى به من يريد اتباع السنة، فإنه جمع فأوعى، مع التحري والتوقي والتنبيه على الدقائق".

٣. أن المجتمعات المعاصرة - وهي تعيش في عصر التقدم المادي المليء بالمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية...- لا يمكنها أن تهتدي إلى سواء السبيل إلا على أساس إقامة حياتها على دعائم التربية الاجتماعية السليمة، وهذا لا يستقيم لها إلا بالرجوع إلى منهل السنة النبوية الصحيحة إلى جوار كتاب الله تعالى لأنهما المصدران الأساسيان للتوازن والاعتدال والانسجام الحقيقي في تربية قوى النفس البشرية وتزكيتها وترقيتها[٢].

---

(١) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، (ص: ١٧-١٨).

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (ص: ١٣).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس التالي:

استنباط مضامين التربية الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري.

وتتفرع عن هذا الهدف الأهداف التالية:

١. التعرف على المبادئ العامة للتربية الاجتماعية في الإسلام.

٢. الوقوف على العلاقات الاجتماعية في الأحاديث الواردة في كتاب الأدب المفرد.

٣. بيان الآداب الاجتماعية التي تضمنها كتاب الأدب المفرد.

٤. إيضاح وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي من خلال كتاب الأدب المفرد.

تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيس التالي:

ما مضامين التربية الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري؟

وتتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة التالية:

١. ما المبادئ العامة للتربية الاجتماعية في الإسلام؟

٢. ما العلاقات الاجتماعية في الأحاديث الواردة في كتاب الأدب المفرد؟

٣. ما الآداب الاجتماعية التي تضمنها كتاب الأدب المفرد؟

٤. ما وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي في كتاب الأدب المفرد؟

حدود الدراسة الموضوعية:

تقتصر هذه الدراسة على استخراج وتحليل مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتاب " الأدب المفرد" للإمام البخاري.

مصطلحات الدراسة:

التربية الاجتماعية:

إعداد الفرد المسلم إعدادا متوازنا ليكون قادرا على التكيف مع الآخرين، والتفاعل معهم ومشاركتهم في نشاطاتهم الاجتماعية المختلفة، في ضوء المبادئ والقيم، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام.

المضامين التربوية في السنة النبوية:

يقصد بها ما تضمنته السنة النبوية من مفاهيم وأسس وأساليب في مجال التربية الاجتماعية.

السنة النبوية:

يقصد بها: "ما أضيف إلى النبي ﷺ قيل[١]: أو إلى صحابي فمن دونه، قولا أو فعلا أو هما أو تقريرا أو صفة"[٢] فهي مرادفة للحديث عند علماء الأصول[٣].

---

(١) هذا اصطلاح درج عليه كثير من المحدّثين، ولم يقف الباحث على من أنكر هذا الإطلاق مما يدل على صحته، والله أعلم. وممن ذهب إلى ذلك: الطيبي، الحسين بن عبد الله، الخلاصة في أصول الحديث، (ص: ٣٠). والدمشقي، طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر: (٤٠/١).

(٢) الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الحسني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: ٦/١.

(٣) الدمشقي، طاهر الجزائري، المرجع السابق، نفس المكان.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي تبين للباحث أنه ليست هناك دراسة مباشرة تناولت مضامين التربية الاجتماعية في كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري، – على حد علم الباحث –، ومع ذلك فهناك:

أولا: دراسة بعنوان: (**مبادئ التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتابي الأدب والآداب في صحيحي البخاري ومسلم**)(١)

هدفت الدراسة إلى محاولة التعرف على مبادئ التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتابي الأدب والآداب في صحيحي البخاري ومسلم.

وقد أمكن للباحث باستخدام أسلوب تحليل المحتوى استنباط مبادئ التربية الاجتماعية المتضمنة من كتابي الأدب والآداب في صحيحي البخاري ومسلم، كما أمكنه تصنيف هذه المبادئ في ثلاثة محاور هي: القيم الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، والآداب الاجتماعية. واستطاع الباحث في ضوء هذه المحاور أن يبرز الدلالات السلوكية لمبادئ التربية الاجتماعية المتضمنة فيها.

واستطاع الباحث أن يقدم بعض التوصيات التي تتعلق بالتربية الاجتماعية:

(فيما يتعلق بالمناخ الأسري، فيما يتعلق بالمناخ المدرسي، فيما يتعلق بالبيئة الخارجية).

---

(١) للباحث: حكيم، باسم جعفر أحمد، وهي أطروحة الماجستير تقدم بها الباحث إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية – بالمدينة المنورة، عام ١٤١٦هـ.

ثانيا: دراسة بعنوان (**المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البرّ والصلة والآداب من كتاب الإمام مسلم يرحمه الله**)[1]

وقد هدفت الدراسة إلى ما يلي:

١) إبراز مكانة الإمام مسلم وصحيحه من السنة.

٢) استنباط أهم المبادئ التربوية التي تضمنتها أحاديث كتاب البرّ والصلة والآداب من صحيح الإمام مسلم.

٣) إيضاح المبادئ التربوية المستنبطة وبيان كيفية الاستفادة منها تربويا في تربية الفرد والأسرة والمجتمع.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١) أن تعليم الطفل القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض علومها في سن مبكرة يقوي صلته بخالقه، ويتمم مكارم أخلاقه، ويوسع مدارك عقله ويحسن ألفاظه ويقوم لسانه، وهذا ما حرص عليه سلفنا الصالح.

٢) أن مبادئ برّ الوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار والأخوة الإسلامية، حلقات اجتماعية مهمة في تكوين المجتمع وتماسكه.

٣) أن كلا من مبادئ الصدق والصبر والحلم والعدل خلق يمكن أن يكتسبه المرء من خلال أساليب تربوية متعددة أهمها: القدوة الحسنة، والجليس الصالح والتربية الفاضلة.

---

(١) للباحث: الحارثي، عائد بن محمد، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة غير منشور" مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٣هـ.

ويشير الباحث إلى أن هناك دراست أخرى تناولت التربية الإسلامية في السنة النبوية بصفة عامة دون تحديدها على جانب واحد، أو كتاب معين من كتب الحديث، ومنها:

أولا: دراسة بعنوان: (**أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**)[1]

ثانيا: دراسة بعنوان: (**فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف**)[2]

التعليق على الدراسات السابقة:

ويمكن الإفادة من الدارسات السابقة في الدراسة الحالية من حيث اهتمامها بالتربية الاجتماعية في السنة النبوية، وخاصة كتاب الأدب في صحيح البخاري وكيفية استنباط مبادئ التربية الاجتماعية منه، وإبراز دور السنة النبوية في بناء الشخصية المسلمة والمجتمع الإسلامي.

وتختلف الدراسة السابقة عن الدراسة الحالية في أن الأولى تركز على المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البر والصلة من صحيح الإمام مسلم، بينما تركز الثانية على مبادئ التربية الاجتماعية في كتابي الأدب والآداب في صحيحي البخاري ومسلم. أما الدراسة الحالية فهي تركز على مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري وهناك فرق جلي بين كتاب "الأدب" في صحيح البخاري

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٤م.

(٢) بكر، عبد الجواد سيد، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، (د. ت).

وكتابه "الأدب المفرد" يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: "وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما في الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة، وهو كثير الفائدة"

ويقول الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: "من المعروف عند أهل العلم أن كتاب البخاري هذا (أي الأدب المفرد) هو غير كتابه الذي ضمن كتابه "المسند الصحيح" بعنوان "كتاب الأدب"...فقوله "المفرد" صفة كاشفة مميزة له عن "أدب صحيحه" لغزارة مادته، فقد بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة (١٣٢٢) بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بينما بلغ عدد أحاديث "أدب صحيحه" (٢٥٦) بترقيمه أيضا، وبعضها مكرر...وعدد أبواب الأدب المفرد (٦٤٤) بابا"

بالإضافة إلى أن الدراسة الحالية تناولت قضايا من التربية الاجتماعية في السنة النبوية لم تتطرق إليها الدراسات السابقة كإيضاح وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي في السنة النبوية من خلال كتاب الأدب المفرد وقد خُصص لها فصل خاص في هذه الدراسة.

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٤٩١/١٠).

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، (ص: ٧).

خطة البحث:

ويشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وهي كالآتي:

المقدمة: وتشتمل على ما يلي:

- أهمية الدراسة
- أهداف الدراسة
- تساؤلات الدراسة
- حدود الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- الدراسات السابقة
- خطة الدراسة
- منهج الدراسة

الفصل التمهيدي وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام البخاري وتحته سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المطلب الثاني: ولادته وأسرته.

المطلب الثالث: عصر الإمام البخاري.

المطلب الرابع: صفاته وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: نشأته العلمية وفوائدها التربوية.

المطلب السادس: جهوده العلمية والتعليمية.

المطلب السابع: وفاته.

المبحث الثاني: كتاب الأدب المفرد وقيمته التربوية وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الكتاب واعتناء العلماء به.

المطلب الثاني: الفرق بينه وبين "كتاب الأدب" في الصحيح.

المطلب الثالث: منهج البخاري في تصنيف الكتاب.

المطلب الرابع: محتويات الكتاب وقيمتها التربوية.

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية في الإسلام وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التربية الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية التربية الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الثالث: أهداف التربية الاجتماعية في الإسلام.

الفصل الأول: العلاقات الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم العلاقات الاجتماعية وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العلاقات الاجتماعية.

المطلب الثاني: أهمية العلاقات الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: الأصول التي يقوم عليها بناء العلاقات الاجتماعية السليمة.

المبحث الثاني: مجالات العلاقات الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد وتحته اثنا عشر مطلبا:

المطلب الأول: العلاقة بالوالدين.

المطلب الثاني: العلاقة بالأولاد.

المطلب الثالث: العلاقة بالزوج.

المطلب الرابع: العلاقة بالأقارب.

المطلب الخامس: العلاقة بالجيران.

المطلب السادس: العلاقة باليتامى.

المطلب السابع: العلاقة بالفقراء والمساكين.

المطلب الثامن: العلاقة بالخدم.

المطلب التاسع: العلاقة بكبار السن.

المطلب العاشر: العلاقة بالصبيان.

المطلب الحادي عشر: العلاقة بالمسلمين عامة.

المطلب الثاني عشر: العلاقة بغير المسلمين.

الفصل الثاني: الآداب الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الآداب الاجتماعية وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الآداب الاجتماعية.

المطلب الثاني: أهمية الآداب الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: الآداب الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد وتحته اثنا عشر مطلبا:

المطلب الأول: آداب التحية والسلام.

المطلب الثاني: آداب الاستئذان.

المطلب الثالث: آداب الأكل والشرب.

المطلب الرابع: آداب اللباس والزينة.

المطلب الخامس: آداب النوم.

المطلب السادس: آداب الزيارة.

المطلب السابع: آداب عيادة المريض.

المطلب الثامن: آداب المشي.

المطلب التاسع: آداب المجالس.

المطلب العاشر: آداب الحديث والكلام.

المطلب الحادي عشر: آداب المشاورة.

المطلب الثاني عشر: آداب الضيافة.

الفصل الثالث: وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي من خلال كتاب الأدب المفرد وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الترابط الاجتماعي وأهميته.

المبحث الثاني: وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي من خلال كتاب الأدب المفرد وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق المسؤولية الاجتماعية.

المطلب الثاني: الحث على التكافل الاجتماعي.

المطلب الثالث: إرساء العدل الاجتماعي.

المطلب الرابع: غرس القيم الاجتماعية لبناء المجتمع السليم.

المطلب الخامس: الحرص على سلامة المجتمع:

- التخلص من الأمراض الاجتماعية الباطنة.
- التخلص من الأمراض الاجتماعية الظاهرة.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات والمقترحات:

- النتائج
- التوصيات والمقترحات

الفهارس:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج الاستنباطي: وهو "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي نفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"[١].

وهذا المنهج يساعد على استنباط واستخراج مضامين التربية الاجتماعية في كتاب "الأدب المفرد"، ومن ثم صياغتها على نسق تربوي للاستفادة منها في مجال العملية التربوية.

---

(١) عبد الله، عبد الرحمن صالح، وحلمي محمد فودة، المرشد في كتابة البحوث التربوية، (ص: ٤٣).

وإضافة إلى ما سبق سوف يسير الباحث في هذه الدراسة وفق المنهج الآتي:

١) عزو الآيات إلى مواضعها في كتاب الله تعالى بذكر السورة ورقم الآية.

٢) تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما أو أحدهما، وإلا أخرجه من المصادر الأخرى مع بيان درجته من حيث الصحة أو الضعف من خلال أقوال العلماء.

٣) إذا ورد في الدراسة حديث مخرج في كتاب "الأدب المفرد" أعتمد لفظ البخاري، وإلا أحدد اللفظ المعتمد من المصادر الأخرى التي أخرج الحديث منها.

٤) إحالة المادة العلمية إلى مصادرها الأصلية ما أمكن ذلك.

٥) الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٦) عمل الفهارس اللازمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تمهيد في التعريف بأهم مفردات العنوان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام البخاري.

المبحث الثاني: كتاب الأدب المفرد وقيمته التربوية.

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية في الإسلام.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام البخاري

وتحته سبعة مطالب:

المطلب الأول:عصر الإمام البخاري.

المطلب الثاني: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المطلب الثالث: ولادته وأسرته.

المطلب الرابع: صفاته وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: نشأته العلمية وفوائدها التربوية.

المطلب السادس: جهوده العلمية والتعليمية.

المطلب السابع: وفاته

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ[١] الجعفي البخاري[٢].

وقيل له الجعفي لأن المغيرة أبا جدّه كان مجوسيا فأسلم على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنسب إليه طبقا لمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له[٣].

ولقبه: إمام المحدثين، أو أمير المؤمنين في الحديث[٤].

---

(١) معناه بالعربية: الزارع. النووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ٦٧).

(٢) مصادر ترجمته:

أ- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أومدينة السلام: (٢/ ٤-٣٤).

ب-الحنبلي، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، طبقات فقهاء الحنابلة: (١/ ٣١٦- ٣٨٥).

ج- النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: (١/٦٨).

د- السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى: (٢/٢١٢-٢٤١).

هـ- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية: (١٤/ ٥٢٦ — ٥٣٤).

و- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري: (ص ٦٦٩).

ز- المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري (سيد الفقهاء وإمام النحدّثين).

ح- الحسيني، عبد الحميد هاشم، الإمام البخاري محدثا وفقيها.

ط- الحمداني، نزار بن عبد الكريم بن سليمان، الإمام البخاري فقيه المحدّثين ومحدّث الفقهاء: سيرته "صحيحه" فقهه.

ي-وغير ذلك كثير

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق (ص: ٦٦٩).

(٤) المباركفوري، عبد السلام، المرجع السابق: (١/ ٥١).

المطلب الثاني: ولادته وأسرته:

ولد الإمام البخاري في بيت علم وفضل وصلاح ببخارا يوم الجمعة بعد صلاتها لثلاث عشرة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة[١]. وهذا تاريخ متفق عليه بين العلماء[٢].

ونشأ الإمام البخاري يتيما حيث مات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه[٣].

والده:

والد الإمام البخاري هو إسماعيل وكنيته أبو الحسن كان من كبار المحدّثين، من تلاميذ وأصحاب الإمام مالك رحمه الله، وقد ترجم له ابنه في التاريخ الكبير فقال[٤]: "إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن، رأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكا."

وكذا ترجم له ابن حبان رحمه الله في (الثقات) فقال[٥]: "إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد ومالك."

وقد بلغ إسماعيل درجة في الورع تدعو إلى الإجلال والإكبار، إذ كان يتعد عن الشبهات، روى عنه أحمد بن حفص رحمه الله وقال: دخلت عليه عند موته،

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد علي، المرجع السابق: (٦/٢). وابن الأثير، محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ: (٢٤٠/٧).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: (٦٧/١).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص:٦٦٩).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير: (٣٤٢/١).

(٥) ابن حبان، محمد بن حبان البستي، كتاب الثقات: (٩٨/٨).

فقال: لا أعلم في جميع مالي درهما من شبهة. قال أحمد بن حفص: فتصاغرت إليّ نفسي عند ذلك[١].

والدته:

ولئن فقد الإمام البخاري والده في سن مبكر فقد عوضه الله ذلك بأم صالحة تقية قامت بتربيته ورعايته أحسن رعاية، فوالدته كانت عابدة صاحبة الكرامات[٢].

وكانت ذات حظ وافر في الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، وكان الإمام البخاري قد فقد بصره في صغره فعجز الأطباء عن علاجه، فرأت أمه في المنام إبراهيم عليه السلام يقول لها: "يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك." فقامت من ليلتها التي رأت فيها الرؤيا فإذا ببصر محمد قد عاد ورجع فيه نوره[٣].

بل صار بصره أقوى مما كان لدرجة أنه ألف مسودة (التاريخ الكبير) في الليالي المقمرة[٤].

جدّه:

وأما جد الإمام البخاري إبراهيم، فقد قال عنه الحافظ في مقدمة الفتح[٥]: "لم نقف على شيء من أخباره".

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص: ٦٧١).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، نفس المكان.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق: (ص: ٦٦٩)، والمباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري، (ص: ١/٦١).

(٤) المباركفوري، عبد السلام، المرجع السابق، (ص: ١/٦٢).

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٦٩).

المطلب الثالث: عصر الإمام البخاري.

ولد الإمام البخاري أواخر عهد الأمين، وعاش في عهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز، وبذلك استغرقت حياته النصف الثاني من العصر العباسي الأول، وأوائل العصر العباسي الثاني، وكلاهما كانا من أرقى وأعظم عصور بني العباس.

وقد امتاز العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢) بقوة سلطان الخلفاء وانتشار نفوذهم، فقد كانت لهم الكلمة العليا والسيادة التامة على جميع العالم الإسلامي عدا بلاد الأندلس، وكانت الدولة الإسلامية قوية الشوكة، مهابة الجانب، عزيزة كريمة[1].

غير أن الدولة العباسية آلت إلى الضعف والانحدار في آخر حياة الإمام البخاري حيث لم يعد للخليفة نفوذ يذكر، ولم تعد له كلمة مسموعة بل كانت الأمور بيد الأتراك.

ولعل في تلك المحاورة التي جرت بين بعض المقربين للمعتز ما يظهر وضع الخليفة والخلافة في ظل نفوذ الأتراك، قال ابن طباطبا[2]: "لما جلس المعتز على سرير الخليفة قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا: فكم تقول إنه يعيش وكم يملك؟ قال مهما أراد الأتراك فلم يبق في المجلس إلا من ضحك".

---

(١) الكتاني، يوسف، رباعيات الإمام البخاري، (ص: ١٦).

(٢) ابن الطقطقي، علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (ص: ٢٢٠).

أما فيما يتعلق بأحوال المشرق من الدولة العباسية، وبالأخص بلاد خراسان موطن الإمام البخاري، فإن هذه البلاد قد خضعت خلال هذه الفترة لأسرة قوية تتمتع بنفوذ كبير وهي الأسرة الطاهرية. وتنتسب هذه الأسرة لطاهر بن الحسين الذي كان من كبار قادة الدولة العباسية في خراسان. ولما تفاقم النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون، كان طاهر بن الحسين القائد الأول في جيش المأمون، وتمكن من قتل علي بن عيسى قائد الأمين سنة ١٩٥هـ.

وتقدم طاهر إلى بغداد، وكان المأمون قد كافأه بعد أن استقر في الخلافة بأن أسند إليه ولاية الجزيرة وولاية شرطة بغداد. ثم بعد ذلك أسند إليه ولاية خراسان سنة ٢٠٥هـ، واتخذ نيسابور حاضرة لدولته، وبعد ذلك استطاع طاهر أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية[١].

وأما من الناحية العلمية: فقد عاش الإمام البخاري عصرا علميا رائعا جليلا، نمت فيه العلوم والمعارف الإسلامية نموا عظيما، وأصبح للعلم فيه حواضر كثيرة في كافة أرجاء العالم الإسلامي لاسيما بغداد.

"فلقد نمت المذاهب الفقهية الأربعة، ودونت وأصبح معظم الناس أتباعا لها. ونمت علوم القرآن لاسيما التفسير، وألفت الكتب الكثيرة في السيرة النبوية والمغازي والتاريخ، والطبقات، وأسست علوم العربية خدمة للقرآن الكريم، كما أن سيول الثقافة الأجنبية قد انصبت على المجتمع المسلم، ووجدت تشجيعا عظيما، لاسيما في عهد الخليفة المأمون، وترجمت الكثير من الكتب إلى اللغة العربية "[٢].

---

(١) العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، (ص: ١٤٠).

(٢) الندوي، تقي الدين، الإمام البخاري، (ص: ١٨).

ويعتبر هذا العصر عصر ازدهار بالنسبة للحديث وعلومه، حيث أفرد الحديث بالجمع والتدوين والتأليف وحده دون ما سواه من فتاوى وأقوال الصحابة والتابعين، وأصبح للحديث كتب يستقل بها، وظهر محدِّثون أئمة كبار، كالإمام البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، حتى إنَّ هذا العصر يمكن أن يسمى عصر ازدهار الحديث والمحدِّثين، وعصر تدوين الحديث وظهور المحّدثين وكتبهم كالصحاح والمسانيد والسنن[١].

وتجدر الإشارة إلى أن الازدهار العلمي في هذا العصر رافقه ظهور البدع والفرق، وتأثر بعض الخلفاء بآراء المعتزلة في القول بخلق القرآن وانتصروا لهم ودعوا العلماء إلى القول بذلك، فحصلت الفتنة وأوذي فيها خلق كثير، وعلى رأسهم الإمام أحمد ابن حنبل ثم الإمام البخاري فيما بعد[٢].

في هذا العصر الذي تصادمت فيه الملل والنحل، وتكاثرت المذاهب والآراء، وتصارعت الأفكار والمبادئ، وظهر إلى جانب أهل الخير والصلاح في الدين، جماعات من أهل الشر والفساد والإلحاد تحاول الكيد للدين بوضع الأحاديث المختلقة تأكيدا لمذهب أو انتصارا لفريق في هذا العصر بالذات ولد الإمام البخاري وعاش.

---

(١) الكتاني، يوسف، رباعيات الإمام البخاري،(ص ١٩).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: (٨/٦٣١).

المطلب الرابع: صفاته وثناء العلماء عليه:

١. صفاته:

أ- صفاته الخِلْقية:

روى الخطيب بسنده عمن رأى البخاري قال: " رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير"[١]. يميل إلى السمرة[٢].

ب- صفاته الخُلُقِيّة:

كان الإمام البخاري يهتم بحديث رسول الله ﷺ وتعاليمه، وتعاليم الرسول ﷺ كلها فياضة بالدعوة إلى التقوى ومكارم الأخلاق.

ولا يكون مبالِغا من يقول بأن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتخذ الرسول ﷺ قدوته. وطبق تعاليمه على نفسه فاجتمعت فيه جلُّ المعاني الكريمة، والأخلاق السامية.

وقد تمثلت في شخصية الإمام البخاري صفات جليلة، ويمكن عرض بعض هذه الصفات التي تفيد في توضيح القدوة وصفاتها الفعلية كأسلوب من أساليب التربية:

١. الخوف من الله وعبادته وطاعته:

- كان الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وثيق الصلة بالله تعالى لدوام إخلاصه له وصدقه معه وعبادته إياه.

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي، تاريخ بغداد: ٦/٢، والنووي، يحي بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٦٨/١).

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ: (٥٥٥/٢).

فقد حُكِي عنه: أنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية وكذلك إلى أن يختم القرآن. وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال[1].

٢. العدل والأمانة والعفة، وصدق اللهجة:

وكان الإمام البخاري مضرب المثل في الأمانة والعفة والعدل والصدق، فقد روي أنه كان حمل إليه بضاعة فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم انصرفوا الليلة، فجاء من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردَّهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى الذين طلبوا أمس بما طلبوا أول مرة فدفعها إلى الذين طلبوها بالأمس بربح خمسة آلاف درهم وقال: لا أحب أن أنقض نيتي[2].

ومن ذلك - أيضا - ما حكاه ورّاقه من أنهم ركبوا إلى الرمي فخرجوا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة[3] فجعلوا يرمون فأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر فانشق الوتد فلما رأى ذلك نزل عن دابته

---

(١) الخطيب البغدادي،، أبو بكر بن علي، المرجع السابق: (١٢/٢)، السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى:(٢٢٤/٢).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (١١/٢- ١٢)، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٧١).

(٣) فرضة النهر: الثلمة التي ينحدر منها الماء وتصعد منها السفن. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، (٣٨١).

فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي وقال لهم: ارجعوا. فرجعوا فقال لوراقه: يا أبا جعفر لي إليك حاجة - وهو يتنفس الصعداء - فقال وراقه: نعم. قال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول: إنا أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا. فقال صاحب القنطرة: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له أنت في حل مما كان منك فإن جميع ملكي لك الفداء. يقول وراقه: فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم[1].

٣. الورع والتقوى:

- ومن ورعه رحمه الله أنه كان شديد الحفظ للسانه حتى قال: إني أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا[2].

٤. الشجاعة والنجدة:

- وكان رحمه الله أبِيّا عزيز النفس، شجاعا ماهرا في صنعة القتال ممارسا حاذقا في استعمال آلته، فإنه كان يركب إلى الرمي فكان لا يسبق ولا يكاد سهمه يخطئ الهدف[3]، وكان بعيدا كل البعد عن مخالطة الأمراء والتزلف إليهم. كان خالد بن أحمد الذهلي أميرا على بخارا من قبل الطاهريين،

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٢).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (١٣/٢)، والنووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٦٨/١)، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق: (ص: ٦٧٣).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٢).

ولما جلس الإمام البخاري في بخارا واتجه إليه طلبة الحديث أفواجا طالبين الاستفادة من ينابيعه، وطار صيته في أرجاء العالم، طلب منه خالد بن أحمد الذهلي أن يأتي إليه في قصره لكي يدرسه وأبناءه صحيح البخاري والتاريخ، ولكن الإمام البخاري رفض هذا الطلب وأثبت للعالم أنه ما زال هناك من يعطي العلم قيمته ويقدره حق قدره كأمثال هؤلاء الأئمة، الذين لا يبالون بعداء الناس، ولا يغترون بالدراهم والدنانير، ولا يخدعون بالجاه والمال.

فقال للرسول: "إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإذا كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة"[١].

والشجاعة والنجدة صفتان أساسيتان في القدوة؛ لأنها إذا توفرت فيه، كان قادرا على ترجمة القيم إلى سلوك، واعتراض ما يواجهه من صعاب في تأدية مهامه، إنهما أساسيتان لأي قدوة[٢].

٥. التواضع وحسن العشرة والأدب، وبسط الخلق مع أصناف الخلق:

– وكان رَحِمَهُ اللهُ متواضعا كريم الخصال، وقد حُكِي أن إنسانا كان في مجلس البخاري فرفع ذلك الإنسان من لحيته قذاة[٣] فطرحها على الأرض.

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٢/٣٣)، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري: (ص:٦٨٧).

(٢) أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، (ص: ١٣٤).

(٣) وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب: (١٥/١٧٢).

قال الراوي: فرأيت محمد ابن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مدّ يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض(١).

٦. الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة، والصبر على المكروه:

ومن كريم خلق الإمام البخاري وعلو مقامه أنه كان يصبر على إساءة الضعيف ويكظم غيظه ويعفو عنه بل ويحسن إليه، فقد رُوي: أن جاريته جاءته وأرادت دخول المنزل فعثرت في محبرة بين يديه فقال لها: كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريق كيف أمشي؟ فبسط يديه، وقال: اذهبي فقد أعتقتك. قيل له: يا أبا عبد الله أغضبتْكَ. قال: فقد أرضيت نفسي بما فعلت(٢).

وما ذكره الباحث من صفات هذا الرجل العظيم ما هي إلا غيض من فيض سجاياه الكريمة وأخلاقه النبيلة، قال النووي: "ومناقبه لا تستقصى لخروجه عن أن تحصى، ومنقسمة إلى حفظ ودراية، واجتهاد في التحصيل ورواية، ونسك وإفادة، وورع وزهادة، وتحقيق وإتقان، وتمكن وعرفان، وأحوال وكرامات من أنواع المكرمات"(٣).

فالإمام البخاري يمثل قدوة تربوية في الأخلاق والسلوك، ولذا يجب العناية بذكر صفاته وسيرته لكي يقتدي به المتربون على مرّ العصور والدهور،

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (١٣/٢)، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٣).
(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص ٦٧٢).
(٣) النووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٧٦/١).

فالقدوة السلوكية أمر لازم للتربية وتنمية القيم وصبغها بالفعالية لتكون موجها حقيقيا، وما امتازت التربية الإسلامية عبر عهودها التي عاشتها إلا بتلك القدوة، ويوم أن فقدت القدوة فقدت فعاليتها في حياة الناس، ولذا فإن واجب التربية الإسلامية توفير هذه القدوة حتى تعاود التأثير والإبداع، وفي هدي رسول الله ﷺ والسلف الصالح من بعده رضي الله عنهم بمن فيهم هذا الإمام الجليل- زاد كبير ومدد وفير تستمد منه في إعداد المربين القدوة، وكذا الآباء والأمهات وسائر أفراد المجتمع الإسلامي هم في أمس الحاجة إلى القيم الإسلامية مجسدة في أفراده[1].

٢. ثناء العلماء عليه رحمه الله:

لقد تضافرت الروايات على ذكر نباهة شأن الإمام البخاري وتقدمه والشهادة له بالإمامة في العلم. والشاهدون بفضله هم الأعلام أئمة المسلمين أولوا الورع والدين، والحفاظ النقاد المتقنون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحررونها ويراعون فيها الدقة في التعبير.

وسيذكر الباحث نماذج من أقوال الأئمة رحمهم الله عن الإمام البخاري لكي تقدم فكرة واضحة عن مكانة هذا الإمام وجلالة قدره.

قال الإمام أحمد بن حنبل[2]: "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل".

---

(١) أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، (ص: ١٤٢).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٢/٢١)، والنووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (١/٦٨).

وعند ما ذُكر لعلي بن المديني قول البخاري: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني قال[١]: "ذروا قوله هو ما رأى مثل نفسه".

وقال أبو بكر بن أبي شيبة. ومحمد بن عبد الله بن نمير[٢]: "ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل".

وقال سليم بن مجاهد[٣]: "ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل".

وقال الترمذي[٤]: "كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن مُنَير، فلما قام من عنده قال: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له".

وقال مسلم بن الحجاج للإمام البخاري[٥]: "لا يبغضنك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك".

وقد شوهد الإمام مسلم بن الحجاج يأتي إلى البخاري فيقبّل ما بين عينيه، ويقول[٦]: "دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيِّد المحدّثين، وطبيب الحديث في علله".

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (١٧/٢)، والنووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: (٦٩/١).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (١٩/٢).

(٣) السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى: (٢٢٧/٢).

(٤) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (٢٢/٢و٢٣). السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، المرجع السابق: (٢١١/٢).

(٥) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٢٩/٢)، والنووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٧٠/١).

(٦) النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: (٧٠/١)، والسبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى: (٢٢٣/٢).

وقال الذهبي[١]: "كان رأسا في الذكاء، رأسا في العلم، ورأسا في الورع والعبادة".

وقال الحافظ ابن حجر[٢]: "وقد رأيت الإمام أبا عبد الله في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارهما (أي الكتاب والسنة) البهية تقريرا واستنباطا، وكرع[٣] من مناهلهما الروية انتزاعا[٤] وانتشاطا[٥]، ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق، وتلقى كلامه في التصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق".

وما ذكره العلماء من مدح وثناء لهذا الإمام الجليل، إنما هو اعتراف بالفضل لأهل الفضل، وتشجيع للمتربين على الاقتداء به، والسير على نهجه.

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ: (٢/٥٥٥).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري:، (ص: ٦).

(٣) كَرَعَ في الماء (كُرْعاً) من باب نفع، و (كُرُوعاً): شرب بفيه من موضعه، فإن شرب بكفيه أو بشيء آخر فليس (بِكَرْعٍ). و(كَرِعَ ◌ كرْعاً) من باب تعب، لغة. و (كَرَعَ) في الإناء: أمال عنقه إليه فشرب منه، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، (ص: ٤٣٢).

(٤) انْتَزَعَ الشيء فانتزع أي: اقتلعه فاقتلع، الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، (ص: ٥٦٣).

(٥) يقال: نشَطْتُ وانْتَشَطْت أَي: انتزعت. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب: (٧/٤١٣).

المطلب الخامس: نشأته العلمية وفوائدها التربوية.

الحديث عن نشأة إمام من أئمة الإسلام وعالم من علمائها البارزين يتطلب من الباحث الكشف عن عوامل بروز شخصيته العلمية، والظروف التي أحاطت بنشأته العلمية، وكيف يمكن الاستفادة منها في المجال التربوي.

١. النشأة العلمية:

إن اهتمام سلفنا الصالح بتربية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة صالحة، وتوجيههم الوجهة السليمة أمر بات معلوما بالضرورة لكل من يتأمل في سيرهم. ومعرفتهم بأهمية التربية والتعليم والانضباط؛ جعلهم يدفعون أبناءهم من قبل السابعة للكتاتيب والمساجد، لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحساب، ثم الانضمام إلى حلق العلم.

وقد ذكر القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولا جامعا يوضح بجلاء النشأة العلمية للإمام البخاري إذ قال[١]: "فقد رُبِّيَ في حجر العلم حتى ربا وارتضع ثدي الفضل فكان فطامه على هذا اللبأ[٢]".

والإمام البخاري نشأ يتيما –كما سبق – وقد تولت والدته تربيته، فوجهته إلى الكتّاب ليدرس مع أقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف.

---

(١) القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد، إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري: (٤٦/١).

(٢) اللِّبَأ مهموز وِزان عِنَب: أول اللَّبَن عند الولادة...وجمعه ألباء، مثل: عِنَب وأعناب. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ص: ٤٤٧.

وما إن شب الوليد وبلغ العاشرة من عمره حتى ظهرت بوادر النبوغ ومخايل الذكاء والنجابة فيه بصورة واضحة، فألهمه الله حفظ الحديث في سن مبكرة.

يحدّث محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب قال: كم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل[١].

ومن هذه السن المبكرة بدأ يشترك في حلقات المدرِّسين.

وقد حدث في بداية طلبه أن العلامة الداخلي، الذي كان من كبار المحدّثين في بخارا في ذلك العصر، وكانت له حلقة مشهورة، كان يدرس ذات مرة حسب عادته، وكان البخاري ممن حضر مجلس الدرس فقال الداخلي في إسناد حديث: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم فقال البخاري: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهره الداخلي فقال له البخاري بكل أدب واحترام: ارجع إلى الأصل إن كان عندك".

فدخل الداخلي ونظر فيه ثم خرج فقال: كيف هو يا غلام؟ فقال البخاري: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال: صدقت فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة[٢].

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٦/٢). ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٦٩).

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ: (٥٥٥/٢)، السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى: (٢١٦/٢).

ومما يمكن استفادته تربويا من دراسة النشأة العلمية للإمام البخاري ما يلي:

أ- أهمية دور الوالدين أو أحدهما في تربية الولد منذ نعومة أظفاره وتوجيهه التوجيه السليم، وأن هذا الدور لا يمكن أن تقوم به المؤسسات التربوية الأخرى نيابة عنهما، وإنما تقوم هذه المؤسسات بدور تكميلي لدور الأسرة التي تعتبر البيئة التربوية الأولى للطفل.

ب- أن البيئة الأسرية السليمة التي يهتم فيها الوالدان بالعلم والعمل تؤثر إيجابا على الأولاد الذين يعيشون في كنفها، "فالطفل في أيام نشأته الأولى ميّال إلى محاكاة ما يراه في بيئته العائلية، ولما كان ذلك الوالد من المشهورين بالورع والأمانة والعلم، وكانت تلك الوالدة من الصالحات القانتات، لم يكن غريبا أن ينشأ بينهما طفل يميل إلى حب الحديث والسعي في طريق تحصيله"[1]. وهكذا نشأ البخاري في بيئة علمية مناسبة أهلته لأن يكون شخصية لامعة يشاد بصفاتها في جميع المحافل العلمية.

ج- أهمية اكتشاف الموهوبين ورعايتهم، فالأطفال الذين يظهر فيهم نبوغ في سن مبكرة يجب رعايتهم والاهتمام بشأنهم للاستفادة من مواهبهم فيما ينفع الأمة. فالبخاري كان من هذا الطراز، وفي قصته مع شيخه الداخلي ما يدل على رعاية العلماء لهؤلاء الموهوبين واحتفائهم بهم، حيث رجع الداخلي عن خطئه بعد ما نبهه هذا الغلام الذي لم يتجاوز الحادية عشرة سنة من عمره بل شجعه على ذلك بقوله له: صدقت.

---

(١) لوح، محمد أحمد، الكتب الستة مناهجها وجهود العلماء في خدمتها، (ص: ٤).

د- الالتزام بآداب طالب العلم لاسيما عند المناظرة وتنبيه الشيوخ على الأخطاء، والبعد عن التكبر والاستعلاء على المدرّسين.

٢. النبوغ العلمي وقوة الحفظ وسعة الإدراك:

كان الإمام البخاري يتمتع بقوة حافظة واسعة، وهذه نعمة من الله تعالى للعبد، ومن النقول والوقائع الدالة على سعة حفظ الإمام البخاري رحمه الله ما يلي:

- ذات مرة كان البخاري في مجلس الفريابي — شيخ أهل زمانه — فذكر الفريابي حديثا سنده: (سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أبي حمزة).

فلم يعرف أحد في المجلس من فوق سفيان، لأنهم ذكروا بكناهم، لكن البخاري قال فورا: " أبو عروة: هو معمر بن راشد، وأبو الخطاب: هو: قتادة بن دعامة، وأبو حمزة هو: أنس بن مالك رضي الله عنه، ثم قال: وكان سفيان فعولا لذا يكني المشهورين"[١].

- قال الحافظ ابن حمدون - رحمه الله -[٢]: رأيت البخاري في جنازة عثمان بن سعيد بن مروان، ومحمد بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسماء والعلل، والبخاري يمر فيه مثل السهم، كأنه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣].

- وقد عُقِد للإمام البخاري امتحان معضل في بغداد مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة رائعة مذهلة.

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٧١).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٨٠).

(٣) سورة الإخلاص الآية: (١).

عن أحمد بن الحسن الرازي قال: سمعت أبا أحمد بن عدي يقول: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر.

ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا العدة للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: "لا أعرفه" فسأله عن آخر فقال: "لا أعرفه" فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري: لا أعرفه فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه.

فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول، فهو كذا والثاني فهو كذا...والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

قال الحافظ ابن حجر عقب إيراد هذه القصة[١]: " ليس العجب في كونه رَحِمَهُ اللَّهُ رد الخطأ إلى الصواب لأنه كان حافظا، ولكن العجب كله في حفظ الخطأ على الولاء، ولم يسمعه إلا مرة واحدة."

- ومما يدل على حفظه - أيضا -: ما حكاه حاشد بن إسماعيل قال[٢]: " كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فلمناه بعد ستة عشر يوما.

فقال: " قد أكثرتم عليّ فأعرضوا عليّ ما كتبتم" فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ومن الشواهد السابقة يمكن استنباط الفوائد التربوية المتعلقة بالنبوغ العلمي للإمام البخاري ومنها:

أ- أن الإنسان مدين بنبوغه في العلم لتوفيق الله تعالى وامتنانه، حيث إن الله امتن على البخاري بقدرات عقلية عالية مكنته من النبوغ في علم الحديث.

ب- أن الجدّ والمثابرة أساس مهم في تنمية الاستعداد الطبيعي والفطرة السليمة التي يهبها الله لمن يشاء من عباده، ولذلك أقبل البخاري بكليته على حفظ الحديث فأزكى استعداده وبلغ في الحفظ مبلغا أذهل العلماء ولما رأى القوم نبوغه وقوة ذاكرته التي بلغت حدا غير مألوف ظنوا أنه شرب دواء للحفظ يقول وراقه: فقلت له مرة في خلوة: هل من دواء للحفظ؟

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٧٩).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٠).

فقال: لا أعلم ثم أقبل عليّ فقال: لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر[١].

ج- الاستعانة على الحفظ بربط المعلومات بمتعلقاتها، فقد كان الإمام البخاري يربط بين الرجل وبلده وعصره وشيوخه وزمان ولادته ووفاته، وأقواله. كما يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الأصول من الكتاب والسنة حتى يصبح القول واضحا في ذهنه من كل جوانبه، وبهذا المنهج أصبح رأسا في حفظ الأحاديث وأسانيدها[٢].

عن سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث. قال فخرجت في طلبه حتى لقيته. فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثر منه، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ[٣].

٣. رحلاته العلمية:

كانت الرحلة في طلب العلم معلما بارزا من معالم هذه الأمة المباركة، فقد كان أهل العلم وهم صفوتها يجوبون أصقاع الأرض إحياء لهذه السنة التي سنها صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٢/٩).

(٢) الحسيني، عبد المجيد هاشم، الإمام البخاري محدثا وفقيها، (ص: ٥٢).

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٢/٢٥).

والمراد بالرحلة عند المحدثين: السفر الذي يقوم به الطالب لطلب الحديث أو علو إسناد[١].

وقد حاز البخاري قصب السبق في ميدان الرحلة فبدأ رحلا ته العلمية منذ صغره:

ففي سنة (٢١٠هـ) خرج للحج مع أمه وهو في السادسة عشرة من عمره، وكان أخوه أحمد في صحبتهما[٢].

ولما فرغوا من الحج رجعت أمه وأخوه وبقي هو في مكة رغبة في التحصيل العلمي، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحضر مجالس الشيوخ بمكة.

بعد أن بقي في مكة عامين توجه إلى المدينة النبوية التي لم تزل مركزا علميا هاما ومحطا لرحال طلبة العلوم الشرعية، وكان عمره حينئذ ١٨ سنة.

وبعد هذه الرحلة المباركة إلى المدينة زار مدنا كثيرة في الحجاز، فكانت مدة إقامته به ست سنوات، لقي خلاله عددا من المشايخ وأخذ عنهم، وفي هذه الأثناء - أيضا - رتب مسودة كتابه (التاريخ الكبير) في الليالي المقمرة[٣].

ثم ارتحل إلى حاضرة أخرى من حواضر الإسلام وهي البصرة التي كانت مركز إشعاع مشهور بكثرة العلماء وانتشار الحديث والمحدثين.

ولقد أخذ عن كثير من مشايخها، ولقد حبب إليه البصرة فكان يزورها بين الفينة والأخرى للإفادة والاستفادة، فهو يقول: "رحلت إلى البصرة أربع مرات"[٤].

---

(١) المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري، (١/٧٨).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٧٠).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٠).

(٤)ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٠).

ثم سافر إلى الكوفة وبغداد وكان يكثر التردد بينهما حيث إنه قال: "ولا أحصي كم دخلتُ إلى الكوفة وبغداد مع المحدّثين"(١).

وقال الخطيب البغدادي(٢): "رحل البخاري إلى محدّثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها والحجاز والشام ومصر وورد بغداد دفعات".

إزاء هذه الجهود الضخمة في الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله: "كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث"(٣).

والرحلة العلمية تحقق لطالب العلم فوائد تربوية مهمة منها:

أ-أنها تساعد طالب العلم على التكوين العلمي القوي، لأن الحضور المباشر للمتعلم بين يدي الشيخ مهم في اكتساب العلم والتقدم في سبيل تحصيله، فالمتعلم يرحل لإتمام فن بدأه، واستكمال المعرفة فيه، أو لقراءة كتاب يصححه على شيخه ويأخذ عنه معايير التصحيح. وهذا شيء لا تقدمه الكتب، فالعلم ليس تحصيلا واختزان معلومات فقط، بل إنه تفاعل بين عقول تستثمر فيه مفاهيم العلم وأساليب بحثه(٤).

ب- الإنسان يتأثر ببيئته ومحيطه، وقد تتحكم فيه المألوفات التي عاش بينها، فإذا رحل إلى بيئة أخرى ألفى مشكلات جديدة تبُحث، أو آراء جديدة

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٧٠).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٤/٢).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٧٠).

(٤) محمود قمبر: الرحلة العلمية وقيمتها التربوية، (ص: ١٧٨)، حولية كلية التربية، جامعة قطر، العدد السادس، ١٤٠٨هـ

في مسائل سبق له أن درسها، فيتسع أفقه واجتهاده، بدراسة الجديد من المسائل أو الجديد من الآراء، وكثيرا ما يؤدي ذلك إلى تغير في آرائه واجتهاداته بعد أن كان قد سار عليها زمنا لا يحيد عنها(١).

٤ . شيوخه:

لقد كان البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ رحّالة في طلب العلم والحديث، وتبعا لذلك فقد كان مكثرا من الشيوخ، حتى إنه قال: "كتبت عن ألف شيخ وأكثر"(٢). هذا من حيث الكمية.

أما من حيث النوعية: فإنه كان يتخير شيوخه فلا يأخذ إلا ممن يعتقد أن الإيمان: قول وعمل(٣).

ومن شيوخه رَحِمَهُمُ اللَّهُ(٤):

أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، ومحمد بن يوسف الفريابي، ومحمد بن سلام البيكندي، ومحمد بن مقاتل، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأحمد بن حنبل، وأبو عاصم النبيل، وغيرهم كثير.

والإمام البخاري أعطى المتعلم منهجا تربويا مفيدا في الأخذ عن المشايخ

---

(١) عارف عبد الغني، نظم التعليم عند المسلمين، (ص: ٢٠٨).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (١٠/٢).

(٣) ابن العماد، شهاب الدين ح عبد الحي بن أحمد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: (٢٥٣/٣).

(٤) النووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٧١/١-٧٢). السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى: (٢١٣/٢).

وهو: انتقاء المشايخ من حيث نوعيتهم، فليس التمكن في المادة العلمية فقط كافيا لمزاولة مهنة التدريس والتأهل لها، وإنما ينظر - أيضا - إلى عقيدة المعلم فإن كان صحيح العقيدة يؤخذ منه وإلا فلا، ولذلك لم يأخذ البخاري إلا ممن يعتقد أن الإيمان قول وعمل؛ لأن المعلم الذي ليست لديه عقيدة صحيحة يكون توليه منصب التدريس خطرا على الناشئة وتربيتهم التربية الإيمانية والفكرية الصحيحة.

٥. تلاميذه:

إن الآخذين عن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من أن يحصروا وأشهر من أن يذكروا حتى إن الفربري رَحِمَهُ اللَّهُ قال[1]: "سمع الصحيح من البخاري تسعون ألف رجل وقد روى عنه خلائق غير ذلك، وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه".

وممن تتلمذ عليه من الأعلام رَحِمَهُمُ اللَّهُ: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، وأبو عيسى الترمذي، والنسائي، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو بكر بن خزيمة، وكل هؤلاء أئمة حفاظ، وغيرهم من الأئمة الأعلام[2].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: (٧٣/١).

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ: (٥٥٥/٢). والسبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، المرجع السابق: (٢١٥/٢). وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٨٦).

المطلب السادس: جهوده العلمية والتعليمية:

١. جهوده العلمية (مؤلفاته):

لقد ابتدأ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ التصنيف في سن مبكرة وهي سن الثامنة عشرة، فقد روى الخطيب البغدادي عنه قوله[١]: "فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب التاريخ - إذ ذاك - عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة".

لقد ترك الإمام البخاري إنتاجاً علمياً غزيراً يدل على علمه وتمكنه، وقد أفاد ممن قبله واستفاد منه من جاء بعده فاقتدوا به في مصنفاته، واحتذوا حذوه. وساروا على طريقته. ولقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء كتبه ومصنفاته، لكن الكثير منها فقد منذ أمدٍ بعيد، وهذه أسماء كتبه التي ذكرها العلماء[٢] وسأعلق على الموجود منها، وأسرد الباقي سردا:

١) الجامع الصحيح[٣].

وهو أصح كتاب صُنِّف في الحديث. وهو غني عن التعريف.

٢) الأدب المفرد[٤].

موضوع هذا الكتاب أحاديث الآداب والأخلاق، وقد اشتمل على

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: (٢/٧).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص:٦٨٦). والحسيني، عبد الحميد هاشم، البخاري محدثا وفقيها: (ص ٢٦٩). والمباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري: (١/٢٨٠ - ٣١٤).

(٣) وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات.

(٤) وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات.

عدد ضخم من الأحاديث والآثار في هذا المجال، فيها الصحيح والحسن والضعيف، وهو موضوع دراستنا في هذا البحث.

٣) التاريخ الكبير(١).

استوعب كتاب التاريخ الكبير من روي عنهم الحديث من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مرتبة أسماءهم على حروف الهجاء، فإن وجدت أسماء مشتركة روعي ترتيب حروف الهجاء في أسماء آبائهم، فإن لم تُعرف أسماء آبائهم كالموالي وغيرهم كتبهم تحت عنوان: "من أفناء الناس" عند انتهاء الرديف، والأسماء التي لا تشترك جمعها تحت "الباب الواحد" والغالب فيه ذكر السماع والشيوخ والتلامذة...

٤) التاريخ الأوسط(٢).

٥) التاريخ الصغير(٣).

وقد ذكر فيه الإمام البخاريُّ مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وسني وفياتهم ونسبهم ولقاءهم، ويذكر في الغالب الجرح والتعديل،

---

(١) قد طبع هذا الكتاب في حيدر آباد فيما بين: ١٩٤١ - ١٩٦٣م بتحقيق وتصحيح العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله، ثم صدرت له طبعات أخرى مصورة من طبعة حيدر آباد.

(٢) وقد طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق الأستاذ: محمد بن إبراهيم اللحيدان، نشر دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٣) طبع الكتاب في إله آباد بالهند سنة ١٣٢٤هـ، بتحقيق الشيخ: محمد محي الدين الجعفري، وإفادات العلامة المحدث: شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود.

ورتب تأليفه على السنوات، فإذا انتهى من سنة وذكروقيات مشاهيرها وغيرها من الأمور المهمة بدأ لسنة أخرى...

٦) خلق أفعال العباد[١].

موضوع هذا الكتاب هو الرد على المعتزلة والقدرية النفاة لقدر الله ﷻ، والقائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه، وكذلك الرد على الجهمية والمعطلة النافين لصفات الله ﷻ، وقد أفاض البخاري في الرد عليهم في مسألة كلام الله وبيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق. وقد أورد فيه الإمام البخاري جملة من الأحاديث المرفوعة، والموقوفة وآثار من كلام التابعين وأئمة السنة.

٧) كتاب الكنى[٢].

ومعرفة الكنى فن مهم من فنون علم الحديث، ويقصد منه بيان كنى رواة الحديث لكي لا يختلط راو بغيره، وبسبب عدم معرفة هذا الفن قد يقع حتى بعض كبار المحدثين في الخطأ أحيانا. وقد اشتمل الكتاب على (٩٩٣) ترجمة، وكانت استفادة العلماء من هذا الكتاب كبيرة، وخاصة ممن ألف في هذا الموضوع ممن جاء بعد البخاري، كالإمام مسلم في كتابه الكنى، والحاكم الكبير أبو أحمد...

---

(١) وقد طبع الكتاب بتحقيق العلامة: شمس الحق العظيم آبادي في دلهي ١٣٠٦هـ، ثم صدرت له طبعات أخرى.

(٢) وكتاب الكنى للإمام البخاري مطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٦٠هـ، يتحقيق العلامة: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله.

٨) جزء رفع اليدين في الصلاة[١].

تعرض فيه الإمام البخاري لمسألة رفع اليدين في الصلاة، فبين سنية رفع اليدين في الصلاة، وتكلم على الأحاديث التي يحتج بها المخالفون في هذه المسألة وبيان ضعفها وعللها وهو كتاب مفيد على صغر حجمه.

٩) القراءة خلف الإمام[٢].

تعرض فيه الإمام البخاري لمسألة القراءة خلف الإمام، وقد توسع في هذا الجزء في ذكر أدلة هذه المسألة من الأحاديث وألاثار، والرد على المخالفين فيها ردّا حسنا.

١٠) الضعفاء الصغير[٣].

وقد أفرده الإمام البخاري للضعفاء ومن لا يحتج بحديثهم، وقد ذكرت فيه أسماء الرواة الضعفاء، مرتبة على حروف الهجاء، ويبين في غالب الأحيان أسباب الضعف مع ذكر شيوخ الراوي، وهو كتاب مختصر ومفيد في بابه.

---

(١) وقد طبع في مصر والهند وغيرهما، قد خرّج أحاديثه العلامة الشيخ: بديع الدين الراشدي رحمه الله، وطبع باسم "جلاء العينين بتخريج روايات البخاري في جزء رفع اليدين" نشرته إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) قد طبع الكتاب عدة مرات.

(٣) طبع في الهند سنة ١٣٢٥هـ، ونشر مع كتاب المنفردات والوحدان للإمام مسلم سنة: (١٣٢٣)هـ. كما طبع بحلب في دار الوعي سنة ١٣٩٦هـ.

١١) التفسير الكبير.

١٢) الأشربة.

١٣) الهبة.

١٤) أسامي الصحابة والوحدان.

١٥) المبسوط.

١٦) العلل.

١٧) قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم.

١٨) بر الوالدين.

١٩) الضعفاء الكبير.

إلى غير ذلك من المؤلفات النافعة.

٢. جهوده التعليمية:

لقد جلس الإمام البخاري مجلس التدريس والإفادة بعد مطالبة شديدة وإلحاح عظيم من المسلمين، ولم يكن هذا الإصرار منهم إلا لما شاهدوا فيه من مواهب عظيمة نادرة من القوة الاجتهادية العظيمة والمعرفة الخارقة في علم الرجال والنبوغ الباهر في فن الحديث واستنباط نكته، والاطلاع الواسع على العلل الغامضة في الحديث مما لا يكاد يخطر على بال مهرة أهل الفن، بالإضافة إلى ذلك كانت له ذاكرة قوية وذهن وقاد وفقه عميق، زاد من إقبال المتعلمين إليه لينهلوا من معين علمه الفياض[1].

(١) المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري، (١/١٧٤).

قال حاشد بن إسماعيل[١]: "كان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف، وأكثرهم ممن يكتب عنه. قال: وكان البخاري شابا لم يخرج وجهه".

وقد جلس البخاري للتدريس وعمره إذ ذاك نحوا من ثمانية عشر عاما أو دونها[٢].

والبخاري لم يجلس للتدريس إلا بعد أن تأهل له، رغم إلحاح الناس وإصرارهم على أن يشرف مجلس التدريس.

قال تلميذه ووراقه محمد بن أبي حاتم[٣]: قال لي إمام المحدّثين: "ما جلست للتدريس حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في كتب أهل الرأي، وما تركت بالبصرة حديثا إلا كتبته".

ولما بدأ البخاري يعقد مجالس التدريس واشتهرت مجالسه انكب عليه الناس انكبابا بحيث لا يكاد يوجد في مجلسه موضع قدم، وقد عقد هذه المجالس في مدن عديدة كالبصرة وبغداد وبخارا، ولكنه استمر في مجالس التدريس في أواخر أيامه في بخارا[٤].

---

(١) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٧٠/٢)، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد:(١٥/٢).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٧٠).

(٣)ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٨١).

(٤) المباركفوري، عبد السلام، المرجع السابق: (١٧٦/١).

المطلب السابع وفاته:

ترك البخاري بلده بخارا متوجها إلى سمرقند وكان سبب مفارقته بلده، أن خالد بن أحمد الذهلي والي بخارا طلب أن يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده فامتنع أبو عبد الله عن الحضور فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضر غيرهم فامتنع عن ذلك أيضا. وقال: "لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم آخرين"[١].

فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارا عليه، حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد[٢].

حتى جاء محمد بن إسماعيل إلى خَرْتَنك - قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها[٣]- وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، وسُمِع ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى إليه وقبره بخرتنك[٤].

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ٣٣/٢. وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، (ص: ٦٨٨).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (٣٣/٢). والسبكي، علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى: (٢٣٣/٢). ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٨٨).

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (٣٤/٢).

(٤) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (٣٤/٢). وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص:٦٨٨).

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين، بخرتنك إحدى قرى سمرقند[١].

عاش الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما[٢].

وهكذا غربت تلك الشمس التي أنارت الدنيا بضيائها الباهر، فوارى الترابَ حاملُ العلوم النبوية وخادم أحاديث رسول الله ﷺ.

وهكذا انتهت حياة علم من أعلام الإسلام، وإمام عظيم من أئمة المسلمين بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبي ﷺ وترك الأثر الخالد الذي ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم.

رحم الله أبا عبد الله رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المرجع السابق: (٦/٢و٣٤). والنووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات: (٦٨/١).

(٢) السبكي، علي بن عبد الكافي، المرجع السابق: (٢٢٣/٢). وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، (ص: ٦٨٨).

المبحث الثاني: كتاب الأدب المفرد وقيمته التربوية

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الكتاب واعتناء العلماء به.

المطلب الثاني: الفرق بينه وبين كتاب الأدب في الصحيح.

المطلب الثالث: منهج البخاري في تصنيف الكتاب.

المطلب الرابع: محتويات الكتاب وقيمتها التربوية.

المطلب الأول: أهمية الكتاب واعتناء العلماء به.

١. أهمية الكتاب:

كتاب (الأدب المفرد) يرويه عن البخاري أحمد بن محمد بن الجليل بالجيم البزار[1].

وقد أجمعت الأمة على أن (الجامع الصحيح) أصح الكتب بعد كتاب الله وأنه محتو على كثير ما يتعلق بالسنة النبوية، إلا أن البخاري نفسه لم يكتف به في باب الآداب والأخلاق حتى أفرد له مؤلفا آخر سماه (الأدب المفرد) هو من خيرة ما ألف في الآداب الدينية الفاضلة والأخلاق الإسلامية النبيلة، مما يجب أن يتصف به كل مسلم غيور على دينه، ويستعد به في هذه الدار لآخرته، أورد فيه من الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين ما يتعلق بهذا الباب.

ولهذا المؤلف مزايا جمة ذكرها جلة من الباحثين الذين اهتموا بهذا الكتاب ومنها[2]:

أ- أنه وصله بقدر صالح من الأحاديث التي كانت معلقة في الجامع الصحيح له.

ب- أن ما ذهل عنه كبار المحدّثين من تعيين راو أو كلمة، وُسِم فيه ذلك الراوي وتلك الكلمة.

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص: ٦٨٦).

(٢) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : (١/١٢).

ج- أنه يوجد فيه من الأخبار ما لا يوجد في غيره، فلا ريب أنه قد حوى أدبا محمديا وفيرا، وعلما واسعا في الأخلاق والآداب الإسلامية وحسن المعاشرة.

وقد شهد المحدّثون قديما وحديثا بأهمية هذا الكتاب وفوائده التربوية الغزيرة، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن مؤلفات الإمام البخاري[١]: " وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما في الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة، وهو كثير الفائدة".

وكلما تقدم الزمان واستبدت الأهواء والشبهات على حياة الناس، كلما كان الناس بحاجة أكثر إلى مطالعة هذا الكتاب لالتقاط درره التربوية الكثيرة؛ لتنشئة الأجيال على الأخلاق الفاضلة والآداب النبوية الشريفة.

قال عبد السلام المباركفوري: في وصف كتاب (الأدب المفرد) [٢]:

"وهذا كتاب يعلم أخلاق النبي ﷺ وآدابه، والحق أن الإنسان يصبح إنسانا بهذا الكتاب، وخاصة في أيامنا هذه حينما تكاد الحضارة الإسلامية المتبقية أن تنجرف وراء التيار الأوروبي المتحلل، حتى إن المثقف بالثقافة الأروبية يتخلى عن التأدّب مع أبويه واحترامهما اتباعا لشهواته وأهوائه. والناس بأمس الحاجة إلى مطالعة هذا الكتاب".

ولن تنجح هذه الأمة في تربية أبنائها التربية السليمة إلا بالرجوع إلى مصادر التربية الإسلامية الصافية وعلى رأسها الكتاب والسنة،

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٤٩١/١٠).

(٢) المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري: (٣٠٢/١).

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يُعَدُّ من المؤلفات التربوية الهامة، وقد استقى المؤلف مادة هذا الكتاب من معين التربية الإسلامية الصافية.

قال العلامة عبد الرحمن اليماني المعلمي: في التعريف بقدر كتاب البخاري هذا وأهميته في معالجة حال الضعف الذي تعيشه الأمة الإسلامية[١]: "قد أكثر العارفون بالإسلام المخلصون له من تقرير أن كل ما وقع فيه المسلمون من الضعف والخور والتخاذل وغير ذلك من وجوه الانحطاط إنما كان لبعدهم عن حقيقة الإسلام، وأرى أن ذلك يرجع إلى أمور:

الأول: التباس ما ليس من الدين بما هو فيه.

الثاني: ضعف اليقين بما هو من الدين.

الثالث: عدم العمل بأحكام الدين.

وأرى أن معرفة الآداب النبوية الصحيحة؛ في العبادات والمعاملات، والإقامة والسفر، والمعاشرة والوحدة، والحركة والسكون، واليقظة والنوم، والأكل والشرب، والكلام والصمت، وغير ذلك مما يعرض للإنسان في حياته، مع تحري العمل بها كما يتيسر، هو الدواء الوحيد لتلك الأمراض...ومن أبسط مجموعات كتب السنة في الأدب النبوي كتاب (الأدب المفرد) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، والإمام البخاري كالشمس في رابعة النهار شهرة، وإلى مؤلفاته المنتهى في الجودة والصحة، وكتابه هذا - أعني (الأدب المفرد) - هو بعد كتابه (الجامع الصحيح) أولى كتبه بأن يعتني به من يريد اتباع السنة، فإنه جمع فأوعى مع التحري والتوقي والتنبيه على الدقائق...".

---

(١) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: (١/ ١٧).

٢. اعتناء العلماء بكتاب (الأدب المفرد):

أ- طبعات الكتاب:

لهذا الكتاب عدة طبعات، منها ما طبع في القاهرة، ومنها ما طبع في بيروت، ومنها ما طبع في باكستان، ومنها في الهند، ومنها في تركيا، ومنها في المملكة العربية السعودية، وفي أماكن أخرى، ويصعب حصر عدد طبعات هذا الكتاب نظرا لكثرتها وتعددها، فضلا عن أن هذا ليس الهدف في مثل هذا التمهيد الموجز، ويمكن الإشارة إلى بعض هذه الطبعات فيما يلي:

فهناك طبعة الهند سنة (١٣٠٦هـ)، وطبعة القسطنطينية سنة (١٣٠٩هـ)، وفي عام (١٣٧٠هـ) قام العلامة المحدث فضل الله الجيلاني، الأستاذ بالجامعة العثمانية بالهند، رَحِمَهُ اللهُ بتحقيق الكتاب وشرحه معتمدا على عدة نسخ خطية ومطبوعة، وفي سنة (١٣٧٥هـ) كانت طبعة محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ بمطبعته السلفية بالقاهرة، وتخريج أحاديثها وترقيمها للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، رَحِمَهُ اللهُ وأعيد طبعه سنة (١٣٧٩هـ)، وهناك أيضا طبعة المكتبة العربية بباكستان بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي أيضا، وطبعة مكتبة الآداب بالقاهرة سنة (١٤٠٠هـ)، وفي سنة (١٤٠٤هـ) كانت طبعة عالم الكتب ببيروت، بتحقيق كمل يوسف الحوت، وفي سنة (١٤١٠هـ) كانت طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وبتحقيق محمد عبد القادر عطا، ثم جاءت طبعة دار الصديق بتحقيق الناشر، وتخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، ثم طبعة مكتبة المعارف سنة (١٤١٩هـ) بتحقيق سمير بن أمين الزهري، مستفيدا من تخريجات وتعليقات العلامة الألباني،

وأخيرا وليس آخرا - طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة (١٤٢٣هـ) بتحقيق: علي عبد الباسط مزيد، وعلي عبد المقصود رضوان، ولعل هناك طبعات أخرى غير ما ذكرنا، وهذا كله يدلل على أهمية الكتاب واعتناء العلماء وطلبة العلم به.

ب- إعادة تصنيف الكتاب:

قام بعض العلماء وبعض طلبة العلم بإعادة تصنيف كتاب "الأدب المفرد" وترتيبه ترتيبا آخر غير ترتيب المؤلف، ومن ذلك ما يلي:

١) قد قام الشيخ الألباني رحمه الله بإعادة تصنيف "الأدب المفرد" فجعل منه قسما للصحيح وآخر للضعيف، حاذفا الأسانيد، مع ذكر الحكم على كل حديث، وأحال على كتبه الموسعة في التخريج، مثل: سلسلة الأحاديث الصحيحة، والضعيفة، والإرواء، وغاية المرام...الخ.

٢) وهناك أيضا (صحيح الأدب المفرد) بقلم محمد حسيني عفيفي، ذكر مؤلفه أنه أفرد الصحيح فقط من كتاب الأدب المفرد.

٣) كما قامت طيبة بنت يحي اليحي، بوضع ترتيب لأحاديث الكتاب على حروف المعجم حسب الحرف الأول فما بعده من اللفظ الأول من الحديث، قوليا كان أو فعليا، وسمته: (قرة عين السعد بترتيب أطراف الأدب المفرد).

٤) كما قام صالح أحمد الشامي، بالاعتناء بالكتاب ورتب أبوابه حسب موضوعاتها، حيث قام بتجميع الأبواب التي تربط بينها علاقة قرابة وجعلها في فصل واحد.

ج- شروح الكتاب:

لم يعتن السلف الصالح من علماء الأمة ﷺ بشرح كتاب "الأدب المفرد" رغم أهميته البالغة، كما اعتنوا بالمتون الحديثية الأخرى، ولعل ذلك راجع إلى أن كثيرا من الأحاديث الواردة في كتاب "الأدب المفرد" وردت في مصنِّفات أخرى للمؤلّف أو غيره من المحدّثين، وتمّ شرحها في مظانها، والله أعلم، وفي العصور المتأخرة اعتنى بعض العلماء وطلاب العلم بشرح الكتاب ومن هذه الشروح ما يلي:

١. فضل الله الصمد في توضيح "الأدب المفرد":

قام الشيخ فضل الله الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ الأستاذ بالجامعة العثمانية بالهند، بشرح الكتاب لأول مرة، وذلك سنة (١٣٧٠هـ)، وسماه: "فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد" وهو شرح مختصر، يعرف بالمهم من أحوال رجال الحديث، ويذكر من خرّجه، فأما ما يتعلق بمتن الحديث فقد ذكر التركيب النحوي، وبحث عن النكات الأدبية، والغرائب اللغوية، والمسائل الأخلاقية، واللطائف والحكم، وأورد فيه كثيرا من غرر النقول عن السلف الصالحين، والعلماء المتأخرين، كما اعتنى بوضع فهارس علمية عديدة لأبواب الكتاب وأحاديثه ورجاله وأعلامه وغير ذلك.

والجيلاني حاز قصب السبق في إخراج أو ل شرح لهذا الكتاب الذي كان بحاجة إلى تحقيق مباحثه الحديثية والفنية والمعنوية واللغوية والإسنادية وتدقيق المسائل الفقهية...، والعجب أن المحدّثين قبله لم يعتنوا بشرحه،

فكأنه كان دَيْنا للبخاري على جميع الأمة حتى قضاه الشيخ فضل الله الجيلاني، بحول الله وقوته، ومن جاء بعده عيال على شرحه الذي هو أحسن شرح لكتاب "الأدب المفرد" حتى الآن حسب اطلاع الباحث، والكمال لله وحده.

٢. رشُّ البَرَد شَرْحُ "الأَدَبِ المُفْرَد" للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قام الشيخ الدكتور محمد لقمان السلفي - رئيس جامعة الإمام ابن تيمية بالهند - بوضع شرح للكتاب سنة (١٤٢٦هـ)، وهو شرح متوسط الحجم واضح البيان، ذكر فيه المؤلفُ الفوائد والأحكام المستفادة من الأحاديث، مع بيان معاني الكلمات التي قد يصعب فهمها على القارئ، حتى تسهل الاستفادة منه، وتعم فائدته.

وقد بذل المؤلِّف جهودا طيبة في شرح الكتاب، ويمكن أن يستفاد منه في تدريس الكتاب للمبتدئين من طلبة العلم في المساجد والمدارس وغيرها، ولم يدّع المؤلف الكمال لشرحه هذا حيث قال: "وإنّي إذ أكتب هذه الكلمات المتواضعة مقدمة لشرحي هذا، أعترف بكل تواضع أنّني لا أدّعي لعملي هذا الكمال والخلو من الأخطاء والعصمة من العثرات...فإنّ جهد ابن آدم مهما صفا لا يخلو من الكَدر، وسعيه مهما بلغ في الدقّة والفحص لا بد فيه من الأخطاء والنقص، فسبحان مَن لا يزلّ ولا يضلّ، ولا يطرأ عليه النّقص والخطأ والخطل"[١].

(١)السلفي، محمد لقمان، رش البرد شرح الأدب المفرد، (ص: ح).

والشارح اكتفى بشرح الكلمات وذكر فقه الحديث باختصار شديد، دون التطرق إلى المعنى الإجمالي للحديث، مع عدم التزامه بمناهج البحث الحديثة من حيث إحالة المادة العلمية إلى مصادرها، مما يجعل استفادة الباحثين وطلبة العلم من هذا الشرح أمرا صعبا.

٣. شرحُ صَحِيح "الأَدَب المُفْرَد" للإمام البخاري:

قد قام الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتخريج كتاب "الأدب المفرد" وتحقيقه وتصنيفه إلى صحيح وضعيف - كما سبق بيان ذلك -، ثم جاء أحد تلاميذه وهو الشيخ حسين بن عودة العوايشة، بوضع شرح لكتاب صحيح "الأدب المفرد"، سمّاه: "شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري" سنة (١٤٢٣هـ)، وهو شرح كبير الحجم، يقع في ثلاث مجلدات.

وقد بذل الشارح جهدا كبيرا في شرح الأحاديث، وحل العويصات، وفصل ما أجمل، معتمدا في ذلك كله على غرر النقول من سلف الأمة، وشرّاح الحديث من المتقدمين والمتأخرين، ولعل ميزة هذا الشرح هي كثرة نقولاته من كتب السلف الصالح في شرح أحاديث كتاب "الأدب المفرد".

ويؤخذ على هذا الشرح عدم التزام الشارح في بعض الأحيان بالمنهج العلمي الدقيق، لاسيما في إحالاته إلى المراجع العلمية والمصادر الحديثية التي رَجع إليها، فتارة لا يوثق النقولات، وتارة أخرى يحيل إلى مصدر ثانوي مع وجود المصدر الأصلي، كإحالته إلى "فضل الله الصمد" عند نقله لكلام ابن حجر من فتح الباري مع توفر هذا المرجع ويسر الوصول إليه، وغير ذلك مما يعتبر إخلالا بمبادئ البحث العلمي.

المطلب الثاني: الفرق بينه وبين كتاب الأدب في الصحيح:

لأهمية موضوع الأخلاق والآداب النبوية أراد الإمام البخاري أن يفرد له كتابا مستقلا، بعد أن ضَمَّن كتابه "الجامع الصحيح" كتابا للأدب هو الكتاب الثامن والسبعون من ذلك السفر الجامع الخالد، ثم لم يكتف بذلك رحمه الله حتى أفرد للأدب هذا الكتاب المستقل.

والكتاب اشتمل على الكثير مما ليس في كتاب الأدب في الصحيح، وقد جمع مادة الكتاب من عدد كبير من الكتب الأخرى الواردة في صحيحه، إضافة إلى أحاديث أخرى مما ليس في صحيحه.

قال ابن حجر رحمه الله(١): "وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما في الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة، وهو كثير الفائدة"

وقد بيّن غيره من العلماء الفروق بين كتاب "الأدب المفرد" وبين "كتاب الأدب" في الصحيح.

قال الألباني رحمه الله(٢): "هذا، ومن المعروف عند أهل العلم أن كتاب البخاري هذا هو غير كتابه الذي ضمن كتابه (المسند الصحيح) بعنوان (كتاب الأدب) هكذا مطلقا دون قيد أو وصف، فقوله: (المفرد) صفة كاشفة مميّزة له عن (أدب صحيحه) لغزارة مادته، فقد بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة (١٣٢٢) بترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي،

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٤٩١/١٠).

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد: (ص: ٧).

بينما بلغ عدد أحاديث (أدب صحيحه) (٢٥٦) بترقيمه أيضا، وبعضها مكرر، ولم أر فيه من الآثار الموقوفة شيئا إلا ما قد يأتي عرضا في بعض الأحاديث المرفوعة، وهذه كلها قد أسندها في (١٢٨) بابا، وعدد أبواب " الأدب المفرد" (٦٤٤) بابا."

المطلب الثالث: منهج البخاري في تصنيف الكتاب:

اعتمد المؤلف طريقة عرض الكتاب من خلال أبواب، يشتمل الواحد منها تارة على حديث واحد، وتارة يضم أحاديث كثيرة.

وترجمات هذه الأبواب هي المعالم التي تحدد الموضوعات التي أراد المؤلف إدراجها في مصنفه، ولم يذهب المؤلف إلى تقسيم الكتاب إلى كتب تندرج تحتها هذه الأبواب، كما فعل في جامعه الصحيح.

منهج البخاري في إيراد الأحاديث، من حيث الصحة والضعف:

لم يلتزم البخاري في كتاب (الأدب المفرد) بإيراد الصحيح فقط، كما التزم بذلك في كتابه الفريد "الجامع الصحيح"، فأدخل في هذا الكتاب الأحاديث الحسنة بل والضعيفة، غير أن الأحاديث الضعيفة فيه قليلة جدا بالمقارنة مع عدد الأحاديث الصحيحة التي أوردها البخاري فيه.

قال الألباني رحمه الله[1]: "وعدد أبواب (الأدب المفرد) (٦٤٤) بابا، وبعد فرز الأحاديث والآثار الضعيفة صار عددها في هذا [الصحيح] (٥٥٩) بابا، و(٩٩٤) حديثا وأثرا، وفي [الضعيف] (١٩٠) بابا، و(٢١٩) حديثا وأثرا.

وبهذا البيان يتجلى للقراء الكرام أهمية (الأدب المفرد) من جهة غزارة مادته أولا، وكثرة ما فيه من الأحاديث والآثار الصحيحة، وقلة الضعيفة ثانيا، أي بنسبة ثلاثة أرباع مقابل ربع تقريبا".

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد: (ص ٧).

ولعل إيراد الإمام البخاري للأحاديث الضعيفة في كتابه هذا ذهاب منه إلى قبول الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال حسب الشروط التي وضعها من يرى ذلك المذهب من المحدثين.

قال عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله[1]: "وهذا الصنيع من الإمام البخاري رحمه الله تعالى أيضا اتباع لطريقة شيوخه، وشيوخ شيوخه الذين لم يشترطوا في كتبهم ومروياتهم في موضوع الأدب والزهد وما أشبه ذلك الصحة أو الحسن، بل أخرجوا فيها الضعيف بكثرة كما هو مشاهد في كتاب (الزهد) للإمام أحمد، وكتاب (الزهد والرقائق) للإمام عبد الله بن المبارك، رحمهما الله تعالى، وكتب كثيرة لغيرهما".

منهج البخاري في تكرار الأحاديث في الكتاب:

نهج البخاري في كتابه (الجامع الصحيح) نهج تكرار الأحاديث، وتقطيعها بحيث يروي قسما في باب ويروي قسما في باب آخر.

وقد سلك الطريقة نفسها في (الأدب المفرد)، وكثر فيه التكرار، وقل فيه التقطيع.

وسبب التكرار عند الإمام البخاري يرجع إلى أمرين:

١) حرصه - بعض الأحيان - على إيراد الحديث أو الأثر من أكثر من طريق، من حيث السند.

٢) تكرار الأحاديث نظرا لاختلاف عناوين التراجم، وكما هو معروف فإن فقه الإمام البخاري في تراجمه، وقد يكرر الحديث الواحد تحت تراجم أبواب مختلفة، وهو يورد الأحاديث دليلا على ما ذهب إليه في تراجمه.

---

(١) الشامي، صالح أحمد، الأدب المفرد للإمام البخاري، (ص: ١٨).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: في معرض كلامه عن أغراض تكرار الأحاديث عند البخاري في (صحيحه):

"وإذا تقرر ذلك اتضح أنه لا يعيد إلا لفائدة حتى لو لم تظهر لإعادته فائدة من جهة الإسناد ولا من جهة المتن لكان ذلك لإعادته لأجل مغايرة الحكم التي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا لئلا يعد مكررا بلا فائدة، كيف وهو لا يخليه مع ذلك من فائدة إسنادية وهي إخراجه للإسناد عن شيخ غير الشيخ الماضي أو غير ذلك على ما سبق تفصيله".

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري: (ص ٢٠).

المطلب الرابع: محتويات الكتاب وقيمتها التربوية:

تناول الكتاب موضوعات تربوية متعددة يمكن تقسيمها على النحو التالي:

الموضوع الأول: في التربية الاجتماعية:

ويتناول ما أمر به الإسلام من واجب البر وإحسان الصلة، تجاه من يحيطون بالإنسان، الأقرب فالأقرب، ابتداء من المحيط الأسري، ومرورا بصلة الأرحام، وانتهاء بالعلاقة مع الجيران والخدم ... وما إلى ذلك من العلاقات الاجتماعية.

ولكي تقوى العلاقات الاجتماعية التي أمر الإسلام بإقامتها بين أفراد المجتمع، فقد وضع الإسلام آدابا اجتماعية ينشأ المتربي على مراعاتها.

وقد أخذ موضوع الآداب الاجتماعية حيّزا كبيرا من كتاب (الأدب المفرد)، فقد ذكر المؤلف جملة من الآداب الشرعية المتعلقة بالتحية والسلام، وآداب الاستئذان، والأكل والشرب، واللباس والزينة...وغير ذلك من الآداب الاجتماعية.

كما تناول المؤلف وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي، وفيه بيان عوامل الألفة والمحبة، وكذلك بيان الجانب المقابل وهو الهجر والفرقة والشحناء وآثارها وإثمها، ثم التكافل الاجتماعي ونحو ذلك، وقد عقد المؤلف أبوابا كثيرة لمعالجة هذه الموضوعات.

وهذه الموضوعات تدخل ضمن التربية الاجتماعية التي تعدّ جانبا هاما من جوانب التربية الإسلامية.

والتربية الاجتماعية تتصل اتصالا وثيقا بتكوين الفرد، وطرق تعامله مع الآخرين ونوع علاقاته معهم، وأساليب تصرفه تجاه مختلف المواقف والمشكلات التي تجابهه في الحياة، ونوع مركزه في المجتمع ودوره فيه كعضو صالح[١].

الموضوع الثاني: في الأخلاق:

حيث جاء الحديث عن أخلاق النفس وسجاياها. وذكر المؤلف الأخلاق الفاضلة والآداب الحسنة التي ينبغي التحلي بها، والأخلاق السيئة التي ينبغي تطهير المجتمع منها.

والأخلاق ضرورة من ضرورات تنظيم المجتمع، وإن للتربية دورا هاما في إبراز هذه الأخلاق وتنشئة النشء عليها.

وهذا الموضوع يدخل ضمن ما يعرف بالتربية الأخلاقية وهي - أيضا - ركيزة أساسية من ركائز التربية الإسلامية و"صلة الأخلاق وثيقة بأنواع التربية ومجالاتها وإن كانت التربية الأخلاقية نوعا واحدا منها فقط"[٢].

الموضوع الثالث: في تحقيق التوحيد ومجانبة الشرك، والدعاء، والصلاة على النبي ﷺ:

وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب معظم ما جاء في هذا الموضوع. الذي يهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى والوصول إلى صفاء النفس وتزكيتها.

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (ص: ٧٦٦).

(٢) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، (ص: ٢٩٠).

وهذا الموضوع يندرج تحت مسمى التربية الإيمانية التي تعدّ من أسمى أنواع التربية في السنة النبوية المطهرة لكونها تستهدف تزكية النفس وترقية الخلق وتطهير البدن وتسخير قواه وقدراته في الخير والصلاح، وإشباع حاجاته ونوازعه بطرق الحلال المشروع[١].

الموضوع الرابع: في إصلاح الأموال والعناية بالمساكن:

المال هو الوسيلة التي تحفظ للإنسان كرامته وتساعده على تحقيق الهدف الأسمى الذي خلق من أجله ألا وهو عبادة الله وحده، والمساكن هي أماكن السكن النفسي.

وفي هذا إشارات لما يعرف بالتربية الاقتصادية التي تعدّ جانبا مهما من جوانب التربية الإسلامية، حيث تسعى هذه التربية إلى تحقيق الرقي الاقتصادي للفرد والمجتمع، من خلال استغلال الثروات التي سخرها الله للإنسان في هذا الكون، والاستفادة منها قدر الإمكان وفق ما شرع الله.

هذه هي أهم الموضوعات التي تطرق إليها الإمام البخاري في كتابه، وإذا نظرنا إلى التربية على أنها تعني: "تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي"[٢]. فإننا سنجد أن كتاب (الأدب المفرد) هو كتاب تربية بالدرجة الأولى، ومن هنا كانت أهميته التي حظي بها من بين كتب التربية الإسلامية التراثية على وجه الإطلاق.

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (ص: ٣١٨).

(٢) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، (ص: ١٩).

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية في الإسلام

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التربية الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية التربية الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الثالث: أهداف التربية الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الأول: مفهوم التربية الاجتماعية في الإسلام.

يهدف الإسلام إلى بناء مجتمع متماسك يعتز فيه الإنسان بكرامته وحريته، وقدحرص الرسول ﷺ على تكوين المجتمع المسلم الملتزم بالقيم الإسلامية الصحيحة، بتنمية روح الأخوة الإسلامية، والتكافل الاجتماعي، والموازنة بين حاجات الفرد والمجتمع.

فبعد هجرته ﷺ، كان من أول الأعمال التي قام بها لتأسيس ذلك المجتمع، هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث أصبحت "رابطة العقيدة هي الأساس الأول في ارتباط الناس وتآلفهم، وإن أقر بعض الأواصر الأخرى إذا انضوت تحت هذا الأصل مثل: الأرحام التي حث الإسلام على وصلها ورتب على ذلك الأحكام المتعلقة بالتكافل الاجتماعي والإرث، ومثل صلة الجوار وما يترتب عليها من حقوق الجار، ومثل الصلة بين أفراد العشيرة، وما يترتب عليها من تضامن في الديات ومثل الصلة بين أبناء المدينة وجعلهم أولى من سواهم بزكاة أغنيائهم... لكن هذه الصلات ينبغي أن تنضوي تحت آصرة العقيدة فإذا خالفتها وأضرت بها لم يبق لها أي اعتبار، فأساس الارتباط في الإسلام هو العقيدة التي قد تقتضي مصلحتها التفريق بين المرء وأبيه، أو ابنه أو زوجته أو عشيرته"(١).

والبيئة الاجتماعية لها تأثير كبير في التكوين الشخصي للفرد، ويؤكد علماء النفس أن التكوين النفسي للفرد لا يتحدد بفعل ما يرثه من عنصر

---

(١) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: (١/٢٤٩).

أو جنس أو بنية جسمية، وإنما يتحدد بفعل المجموعة الحضارية التي ينشأ فيها، وما يكون لها من عادات وتقاليد واتجاهات وقيم، وبفعل ما تلزمه به الجماعة وتفرضه عليه. ومن هنا يصبح التكيف البشري مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد مطلبا ضروريا تقوم التربية بتوفيره[١].

تعريف التربية الاجتماعية:

يطلق اصطلاح التربية الاجتماعية على التربية التي تساعد على إعداد الأفراد ليستطيعوا المساهمة في نشاط المجتمع مساهمة فعالة[٢].

ويعرفها باحث آخر بأنها[٣]: "تربية الفرد وتوجيهه، والإشراف على سلوكه، وتلقينه لغة الجماعة التي ينتمي إليها، وتعويده على الأخذ بعاداتهم، وتقاليديهم وأعرافهم، وسنن حياتهم، والاستجابة للمؤثرات الخاصة بهم، والخضوع لمعاييرهم وقيمهم، والرضا بأحكامهم، وتطبعه بطابعهم وتمثله بسلوكهم العام وما توارثوه وأدخلوه إلى ثقافتهم الأصلية من الثقافات الأخرى..."

وقيل[٤]: "هي عملية تنمية أفراد المجتمع بحيث يسلكون في المواقف الاجتماعية على النحو الذي يرغب فيه المجتمع وتزويدهم بالمهارات والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك التي تيسر لهم عملية التفاعل مع البيئة الاجتماعية".

والتربية الاجتماعية بمعناها الواسع تشتمل على التنشئة الاجتماعية التي تحدد بأنها: "عملية تعليم السلوك الاجتماعي، بغية تكييف الفرد

---

(١) داغستاني، بلقيس إسماعيل، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، (ص: ٩٦).

(٢) أبو حوسة، موسى، قراءة في التربية الاجتماعية الإسلامية، (ص: ٩٧).

(٣) ناصر، إبراهيم، أسس التربية، (ص: ٢٠٨-٢٠٩).

(٤) حكيم، باسم جعفر أحمد، مبادئ التربية الاجتماعية في السنة النبوية، (ص: ٣١).

مع بيئته الاجتماعية بالامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته والخضوع للمعايير الاجتماعية التي تحقق الضبط الاجتماعي.

والتنشئة الاجتماعية في التربية الإسلامية تعني قدرة الفرد على التكيف مع الآخرين، والتفاعل معهم ومشاركتهم في نشاطاتهم الاجتماعية المختلفة وفق شرع الله"[١].

ويلاحظ على التعريفات السابقة أنها تركز على أن التربية الاجتماعية هي تربية الفرد وتوجيهه لكي يحقق التكيف مع بيئته الاجتماعية والخضوع لمعايير المجتمع، وأن الغاية من التربية الاجتماعية تحقيق اندماج الفرد في مجتمعه، بنقل تراث الأجداد إلى الأحفاد، نقلا دقيقا وأمينا، عبر تمسكه بقيم مجتمعه وعاداته وتقاليده، سواء منها ما كان إيجابيا أو سلبيا، وربما لا تكون فكرة الإيجابية والسلبية مطروحة في إطار ذلك المجتمع؛ لأن الاندماج الكلي النفسي والعقلي يجعل الفرد يتقبل كل تلك القيم من غير مناقشة[٢]، ومعلوم أن مجموع الأنماط السلوكية التي يقرها المجتمع تشكل معاييره الاجتماعية، ولذلك يصبح لكل مجتمع أسلوب حياته، ومعاييره الاجتماعية الخاصة به، وأساليبه وطرقه التي تناسبه لتحقيق مقومات النضج الاجتماعي المنشود، ومن هنا فإن التربية الاجتماعية في الإسلام تسعى إلى بناء الاتجاهات الاجتماعية الإيجابية والعادات الاجتماعية السليمة التي تؤدي إلى سعادة الفرد، وتماسك الأسرة، وتكافل المجتمع، ورخاء الإنسانية[٣]،

---

(١) متولي، مصطفى محمد، التربية الإسلامية والتنشئة الاجتماعية، (ص: ١٥٥).

(٢) النبهان، محمد فاروق، أثر التربية في السلوك الاجتماعي، (ص: ١١٥).

(٣) فرحان، إسحاق أحمد، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، (ص: ١٧).

وكل ذلك يجب أن يتم وفق المعايير والقيم الاجتماعية التي يقرها الإسلام، دون التحاكم إلى مطالب المجتمع والخضوع لمعاييره فحسب، لأن هذه المعايير قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية، وليستْ لها صفة الاستقرار والثبات فهي تتغير من مجتمع لآخر ومن بيئة لأخرى..

ويمكن تعريف التربية الاجتماعية في الإسلام بأنها تعني: إعداد الفرد المسلم إعدادا متوازنا ليكون قادرا على التكيف مع الآخرين، والتفاعل معهم ومشاركتهم في نشاطاتهم الاجتماعية المختلفة، في ضوء المبادئ والقيم، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية التربية الاجتماعية في الإسلام.

إن التربية الاجتماعية في الإسلام تُكَوِّن موضوعا من أهم موضوعات التربية الإسلامية ذلك أن الإنسان اجتماعي بطبعه بحكم خلق الله تعالى له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1] فطبيعة رسالة الإسلام اجتماعية، وطبيعة جبلة الإنسان اجتماعية، فلا عجب إذن أن يركز الإسلام على تنمية العادات الاجتماعية السليمة في الفرد وعلى أن يغرس في شعوره وفي لا شعوره أنه في أسرة، وأنه في مجتمع، وأنه إنسان في عالم البشرية الواسع[2].

ومسؤولية التربية الاجتماعية من أهم المسؤوليات في إعداد الفرد لدى المربين والآباء، بل هي حصيلة جميع جوانب التربية، سواء أكانت التربية إيمانية أم خلقية أم نفسية...؛ لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربي الولد على أداء الحقوق، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية، والاتزان العقلي، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين.

وقد حظيت التربية الاجتماعية بأهمية كبيرة في منظومة التربية الإسلامية، وتتضح أهمية التربية الاجتماعية فيما يلي:

١. إكساب السلوك الاجتماعي السليم:

التربية الاجتماعية تساعد الفرد على الاندماج في ثقافة مجتمعه واكتساب أنماطه السلوكية، والتوافق مع قيمه ومعاييره الاجتماعية أي إكساب الفرد السلوك الاجتماعي.

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٣)

(٢) فرحان، إسحاق أحمد، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، (ص: ٧٤).

والمؤثرات الخارجية التي توفرها البيئة الاجتماعية تساعد الطفل على تفاعله الاجتماعي مع الأفراد المحيطين به. ومن خلال التعامل والتفاعل مع البيئة الاجتماعية تنمو في الطفل صفاته الإنسانية التي تميزه عن سائر الكائنات الأخرى، ويكتسب الطفل خصائص سلوكه الاجتماعي[١].

ولذلك من الضروري أن تصلح الأسرة أمرها دينيا وخلقيا واجتماعيا باعتبارها البيئة الاجتماعية الأولى التي تنمو فيها شخصية الفرد، ويتلقى فيها التربية والتنشئة الاجتماعية ويكتسب منها العرف والعادات والتقاليد والقيم الدينية والخلقية. قال ابن القيم: "ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ عما عوده المربي في صغره من حَرَد وغضب ولجاج، وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدَّة وجَشَع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرّز منها غاية التحرّز فضحته لا بد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها"[٢].

٢. تنمية الجانب الإنساني:

وأهم معالم التربية الاجتماعية السليمة تنمية الجانب الإنساني لكي يكون ذلك الفرد إنسانا سويا في طبيعته، اجتماعيا في نزعته، أخلاقيا في سلوكه، يسعى بكل جهد لإسعاد مجتمعه، ويتعاطف مع كل التطلعات التي تهدف إلى تنمية المجتمع، لكي يكون مجتمعا متقدما في رؤيته الحضارية،

---

(١) داغستاني، بلقيس إسماعيل، التربية الدينية والاجتماعية للطفل، (ص: ١٠٢).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، (ص: ٤٠٠).

مُسْهِما في رقي مسيرة الأمة الإسلامية، محبا للخير، متعاونا مع بيئته، يرفض الانحراف ويأبى أن يحيد عن جادة الفضيلة...[١].

٣. تحقيق السعادة الاجتماعية:

التربية الاجتماعية ضرورية كوسيلة من وسائل تحقيق السعادة في الحياة الاجتماعية ذلك أنه إذا أزالت هذه التربية - بحكم واجبها - جميع الشرور والرذائل من النفوس وغرست بعد ذلك الروح الإنسانية الخيرة يؤدي الأمر عندئذ إلى انتشار الأمن والثقة والمحبة والمودة واحترام الحقوق والمشاعر الأدبية والإنسانية لكل فرد في الحياة الاجتماعية، ثم تسود روح الأخوة وروح التعاون في سبيل الخير والمصلحة العامة، ومن ثم يؤدي الأمر إلى تعميم الخير وزوال الشرور، وهذا شرط أساسي لتحقيق السعادة الاجتماعية[٢].

٤. تحقيق النهوض الاجتماعي:

تكتسب التربية الاجتماعية أهميتها من خلال كونها ضرورية للنهوض بالمجتمع وتحقيق التقدم الحضاري؛ ذلك أن هذه التربية لا تكتفي بمجرد إزالة الرذائل والشرور من النفوس بل تعمل بعد ذلك على بث الطاقة الروحية الخيرة التي تدفع الأفراد إلى استخدامها في اختراع الوسائل العلمية المتنوعة، واستخدام جميع إمكانياتهم الطبيعية والمادية والعلمية من أجل تحقيق الخير للناس، وهذا لا محالة يؤدي إلى النهوض بالمجتمع من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والحضارية معا[٣].

---

(١) النبهان، محمد فاروق، أثر التربية الإسلامية في السلوك الاجتماعي، (ص: ١١٨).

(٢) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: (٢٨٣).

(٣) يالجن، مقداد، المرجع السابق، ص: (٢٨٢).

٥. تحقيق الانسجام والتوافق الاجتماعي:

التربية الاجتماعية تسعى إلى تحقيق النمو الاجتماعي السليم للفرد، ومن ثم اندماجه وتكيفه مع المجتمع، وهذا يوفر الأمن للمجتمع، والانسجام والوحدة لأفراده، وعندما تغيب التربية الاجتماعية السليمة فإن ذلك يؤدي إلى بروز ظواهر سلبية خطيرة تتمثل في ظاهرة التفكك الاجتماعي، والتمرد على قوانين الأسرة والمجتمع، ونبذ كلي أو جزئي لقيم ذلك المجتمع وتقاليده، بطريقة توحي بغياب التربية الاجتماعية السليمة التي تعتمد على الكتاب والسنة.

"ومن الثابت تجربة وواقعا أن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه وتماسكه...مرتبطان بسلامة أفراده وإعدادهم؛ ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعيا وسلوكيا...حتى إذا تربّوا وتكوّنوا وأصبحوا يتقلبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان الانضباطي المتزن العاقل الحكيم..."(١).

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: (٢/٣٥٣).

المطلب الثالث: أهداف التربية الاجتماعية في الإسلام.

يُعَدُّ جعل الناس أسوياء اجتماعيا، وأسوياء في المواقف الاجتماعية المختلفة من أهم أهداف التربية الاجتماعية، وهذا يعني أن يقف فيه كل فرد بحسب المعايير الاجتماعية العامة السائدة في مجتمعه، وهذا يظهر بوضوح في احترامه للآداب الاجتماعية واحترامه لمشاعر الناس وإحساساتهم الأدبية والإنسانية، ثم مراعاته مصلحة الجماعة بوجه عام ومصلحة الأفراد الذين تجمعهم حياة مشتركة بوجه خاص(١).

وهناك أهداف أخرى تسعى التربية الاجتماعية في الإسلام إلى تحقيقها ومنها:

١) تمكين الفرد من استكمال نموه ونضجه الاجتماعي على النحو السليم الذي يكفل التوازن والاعتدال بين جميع جوانب شخصيته الإنسانية.

٢) تعميق شعور الفرد بالانتماء الاجتماعي، وذلك بتنمية إحساسه بروح المسؤولية الاجتماعية منذ نشأته الأولى، وترسيخ دوره الإيجابي الفعال في تطوير حياة الجماعة وتحسين مستواها.

٣) بناء العلاقات الاجتماعية السليمة بين الأفراد على أساس قوي من الالتزام الذاتي النابع من نفوسهم، والمستمد من القيم الروحية والفضائل الأخلاقية التي تحدد حقوقهم وواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه بعضهم على بعض.

---

(١) العك، خالد عبد الرحمن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، (ص:٢٢).

٤) الاهتمام بتنمية الآداب الاجتماعية التي تقَوّي العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، مثل آداب المأكل والمشرب وآداب اللباس والزينة، والتحية والسلام، والجلوس، والتزاور وغير ذلك من الآداب الإسلامية التي تقوي ترابط المسلمين، وتمتن تعاطفهم، وترسخ تكافلهم، وتجعلهم أسرة واحدة يظللها الوئام والمودة والأمن وترفرف عليها السعادة والطمأنينة والهناء[١].

٥) العناية بتنمية روح التعاون والعمل الجماعي، والنشاط المشترك لتحقيق أهداف المجتمع المسلم، والتعاون والعمل الجماعي أمران ضروريان للإنسان المسلم السائر في تحقيق العدالة الاجتماعية والخروج من دائرة التخلف.

٦) التمكين للقيم الاجتماعية المسلمة، لتحقيق تماسك المجتمع الإسلامي وترابطه، وتبني منظومة القيم الاجتماعية الإسلامية للمحافظة على هوية وذاتية المجتمع الإسلامي. مما يعني تخليص أفراد المجتمع من شوائب الأمراض الاجتماعية الظاهرة والباطنة، وغرس القيم الاجتماعية الإسلامية السليمة[٢].

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (ص: ٨٢٧).

(٢) أبو العينين، علي خليل مصطفى، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي الركائز والمضامين التربوية، (ص: ٥٩-٦٠).

الفصل الأول: العلاقات الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم العلاقات الاجتماعية وأهميتها وأصولها.

المبحث الثاني: مجالات العلاقات الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد.

المبحث الأول: مفهوم العلاقات الاجتماعية وأهميتها وأصولها

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العلاقات الاجتماعية.

المطلب الثاني: أهمية العلاقات الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: الأصول التي يقوم عليها بناء العلاقات الاجتماعية السليمة.

المطلب الأول: مفهوم العلاقات الاجتماعية.

لقد حرص الإسلام على توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والمحيطين به، بما يحقق للفرد والجماعة الألفة والانسجام والتكيُّف والاستقرار، من جهة، وتبادل المصلحة من جهة ثانية. ففي ذلك يقول المصطفى ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجَنَّدة؛ فما تعارف منها ائتلَف، وما تناكَر منها اختلف**»[١].

والعلاقات الاجتماعية هي: "الوشائج المتشابكة التي تربط الفرد بالآخرين، سواء أكانوا أعضاء أسرته أو حيه أو عشيرته أو مجتمعه الكبير، أو البشرية عامة وتشده إليهم وتحمله تجاههم واجبات لا بد من أدائها ومسؤوليات لا مناص من القيام بها، وتجعل عليهم حقوقا لا بد من الإيفاء بها، وتحدد له دوره الاجتماعي الذي يجب أن يلعبه بفعالية حتى يشارك في تطوير الحياة الاجتماعية مشاركة ايجابية"[٢].

أو بمعنى آخر هي: الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع. وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم وأحاسيسهم واحتكاك بعضهم بالبعض الآخر ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأرواح جنود مجنّدة، رقم الحديث: (٩٠٠)، ص:٣١٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، معلقا، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، رقم الحديث: (٣١٥٨).

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: (٧٧٩).

(٣) مدكور، إبراهيم، وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، ص: (٤٠٣).

وعرفها أحد الباحثين بأنها: "مجموعة التفاعلات والعمليات الناتجة عن تفاعل الأفراد مع البيئتين الطبيعية والاجتماعية، وخصائص أي مجتمع تتكون نتيجة هذه العلاقات وما وصلت إليه من تطور نتيجة تأثرها بمختلف العوامل الاجتماعية التي تبلورت في قواعد، ومعايير، ونظم، وقيم حددت العلاقات المختلفة بين أفراد المجتمع، والتي تميزه عن غيره من المجتمعات"[١].

إذا يمكن القول بأن العلاقات الاجتماعية هي: تلك الروابط والوشائج التي تربط الفرد بأفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم وفئاتهم، وتحمل عليه واجبات ومسؤوليات تجاههم، وحقوق لابدّ من أدائها، حتى يكون عضوا صالحا في هذا المجتمع ولبنة من لبنات بناءه.

(١) التل، سعيد، وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، ص: (٣٧).

المطلب الثاني: أهمية العلاقات الاجتماعية.

العلاقات الاجتماعية لها أهمية كبيرة في البناء الاجتماعي في الإسلام وذلك لعدة أمور منها:

١) أن الإنسان مدنيّ بطبعه لا يمكنه أن يعيش منفردا بدون أن ينسج علاقات اجتماعية مع الآخرين، والسنة النبوية تؤكد على أهمية المخالطة الاجتماعية في حياة الفرد المسلم، فعن ابن عمر ﵁ عن النبي ﷺ قال: ((**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبرُ على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبرُ على أذاهم**))(١)، ومن الصفات الواضحة في المجتمع المسلم الحق المطبق شرع الله، سمو العلاقات بين الأفراد، بعضهم ببعض، وسمو العلاقة بين الأفراد والسلطة الحاكمة، إنها علاقة الودّ والرحمة، وعلاقة التضامن والتكافل، وعلاقة التعاون والإخاء والتناصح(٢).

ذلك أن العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم منظمة تنظيما دقيقا من قِبل الشارع الحكيم، فكل فرد في المجتمع يعرف ماله من حقوق وما عليه من واجبات تجاه أفراد المجتمع الآخرين سواء كانوا داخل أسرته أو خارجها.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الذي يصير على أذى الناس، رقم الحديث: (٣٨٨)، ص:١٣٥. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب حدّثنا أبو موسى، رقم الحديث: (٢٥٠٥)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث: (٤٠٣٢). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٤.

(٢) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما ينبيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: (٣٩٦).

٢) العلاقات الاجتماعية تُعدّ "تجسيدا حيا لتكوين الشخصية وترجمانا حقيقيا لصلاحها أو فسادها؛ لأن المكونات المعنوية والروحية والخُلُقية للشخصية الإنسانية تنعكس في سلوكها وتصرفاتها ومواقفها واتجاهاتها سلبا أو إيجابا"(١).

وإذا نظرنا إلى المستويات المختلفة للعلاقات التي يقيمها الفرد في عملية التنشئة الاجتماعية مع الآخرين نجدها يقوم على أساس إحساسه بذاته وتأكيده لشخصيته من خلال وعيه وتمييزه بينها وبين شخصية الآخرين، إن علاقاته المختلفة بالآخرين يكسبه خبرة بالعالم الإنساني الذي يوجد حوله؛ ويجعله "طرفا مؤثرا ومتأثرا فيغير ويعدل ويكتسب عاداته واتجاهاته ومثله، كذلك يكون دائم التأمل لذاته مستمرا في الموازنة بين شخصيته وشخصية الآخرين؛ ذلك أن الذات تعمل وتنمو على أساس وعي مستمر بالآخرين، وأن ذلك يتضمن حيويته الشخصية وتنمية جوانبها المتميزة وبلورتها وصقلها في إطار العلاقات الاجتماعية وهكذا تصبح الشخصية الإنسانية نتاجا للعلاقات الديناميكية بين الفرد وبيئته"(٢).

"وهذا يؤكد حقيقة تربوية أن الناس يتأثرون ببعضهم البعض في الأقوال والأفعال والاتجاهات والأفكار، والاعتقادات، وسائر الأخلاق، مما يعطي أهمية كبيرة لأسلوب القدوة وتأثيرها البالغ في الأفراد والجماعات والمجتمعات"(٣).

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: (٧٨٠).

(٢) سرحان، منير المرسى، في اجتماعيات التربية، ص: (١٢٨).

(٣) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص: (٣٧٩).

٣) من المسلم به أن أي إنسان لا يمكنه النهوض بجميع متطلبات الحياة ومواجهة تحدياتها وحيدا، فلا بد له من الاستعانة بمن حوله من أقربائه وجيرانه وخدمه وغيرهم في تحقيق حياة اجتماعية سعيدة، مما يتطلب منه أن يتعاون مع الآخرين على أساس تبادلي تكافؤي، وهذا التعاون يحتم بناء شبكة علاقات وثيقة بين الأفراد والأفراد، وبين الأفراد والجماعات، وبين الجماعات والجماعات، والمنهج التربوي الإسلامي يؤكد على بناء هذه العلاقات الترابطية التعاونية على أساس من البر والتقوى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[(١)]، وليس على الإثم والعدوان ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[(٢)]، "وإذا كانت العلاقات الترابطية على البر والتقوى يحكمها العدل والإحسان، غدا الكلّ الاجتماعي موحدا لا تهزه خلافات، ولا تزعزعه منازعات، ولا تمزقه أحقاد، وأصبح قادرا على إحكام مسيرته نحو شرف الغاية"[(٣)].

---

(١) سورة المائدة الآية: (٢)

(٢) سورة المائدة الآية: (٢)

(٣) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص: (٢١٤).

المطلب الثالث: الأصول التي يقوم عليها بناء العلاقات الاجتماعية السليمة.

يمثل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المرجعية العليا في استنباط القيم التربوية والاجتماعية، فكانت التوجيهات النبوية في دعوة مستمرة إلى التفاعل بين العناصر الاجتماعية المختلفة، وتوثيق الصلات والروابط بين الشرائح الاجتماعية في منهج قويم متكامل قائم على أسس عقدية وتشريعية وأخلاقية تتواءم ومتطلبات الفطرة الإنسانية.

ولكي تكون العلاقات الاجتماعية سليمة وناجحة لا بدّ أن تقوم على أسس وأصول راسخة، وبإغفال هذه الأصول أو إهمالها يصبح كيان المجتمع مهزوزا مهددا بالانهيار والانهدام، ومن هذه الأصول:

١. الأصل العقدي:

رابطة العقيدة هي أقوى وأمتن الروابط التي تربط بين الناس، فهي أقوى من رابطة الدم والنسب... وقد قرر الإسلام هذه الرابطة المبنية على الإخوة الإيمانية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله[٢]: "أي الجميع إخوة في الدين"

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٠)

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، (٣٥٥/٨).

وقال ﷺ: ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى**))[١].

قال النووي رحمه الله [٢]: "هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه".

"وهذا الحديث مع بيانه لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من التوادّ والتراحم والتعاطف والتواصل، مع ذلك بيّن أمرا هاما، ألا وهو أثر هذه الأخوة القائمة على الترابط والتعاون الإيماني في حصانة المجتمع وتماسكه وقوته، حيث شبّه مجتمع المؤمنين بالجسد الواحد الذي يهتم سائر أفراده لما يحصل لبعضهم أو يحدث في مجتمعهم من خلل أو خطر، ويتكاتفون لصده"[٣].

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: ((**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا**)) **وشبك بين أصابعه**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٥٨٧٤) واللفظ له. ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، برقم (٦٥٣٨)

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (١٦/٣٥٥).

(٣) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: (٢/٥٥٦).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث: (٤٧٥) واللفظ له. ومسلم بن الحجاج القشيري النسابوري، الصحيح، كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث:(٦٥٣٧).

"وتشبيه المجتمع المسلم بالبنيان من أبلغ التشبيهات؛ وذلك أن البنيان يتكون من لبنات، ومن مادة تشدّ بينها، وكذلك المجتمع المؤمن يتكون من أفراد، ومن رابطة تشد بينهم.

ففي البناء كلما كانت اللبنات متقاربة مرصوصة، والمادة اللاصقة قوية، كان البناء أشد قوة وتماسكا.

وكذلك الحال في المجتمع المسلم، كلما كانت الرابطة الإيمانية قوية، كانت القلوب متقاربة متحدة، وبذلك يكون المجتمع قويا متماسكا"(١).

ولكي تؤتي الرابطة العقدية ثمارها لابد أن تكون عقيدة المجتمع مستمدة من نصوص الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، ولابد أن تكون العقيدة نقية من شوائب الشرك والبدع والمستحدثات المخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى الذين شهدت لهم الأمة بالعلم والإمامة في الدين في القرون الثلاثة المفضلة، ومن سار على نهجهم في سائر العصور.

٢. الأصل التعبدي:

العبادة تحتلّ حيّزا كبيرا في حياة المسلم والله ﷻ ما خلق الخلق إلا لعبادته وطاعته قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢)

---

(١) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: (٥٥٧/٢).

(٢) سورة الذاريات الآية: (٥٦).

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[١] و"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"[٢].

وللعبادات آثارا تربوية عظيمة، تنعكس على سلوك الإنسان، وتقوي الروابط والعلاقات الاجتماعية بينه وبين أفراد المجتمع الآخرين، ولقد ارتبطت العبادات في الإسلام بالمجتمع، ولذلك كانت صلاة الجماعة أعظم أجرا من صلاة الفرد، وكانت صلاة الجمعة فريضة محتمة، وكذلك الصيام والحج، يقوم بها المسلمون في إطار اجتماعي متميز.

فالعبادات تربي المسلم على الترابط والتكامل الاجتماعي مع المسلمين في مجتمعه المحيط به، وفي المجتمعات الإسلامية كلها حيثما كانوا، ارتباطا واعيا منظما متينا مبنيا على عاطفة صادقة، وثقة بالنفس عظيمة، فهو ارتباط واع وليس طاعة عمياء للمجتمع، ارتباط يحس فيه المسلم بأخيه المسلم، يشدّ أزره، وينصره مظلوما أو ظالما يمنعه من ظلمه[٣].

فالصلاة مثلا تجمع المسلمين بعضهم مع بعض في صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم والليلة، إنّها لتبدو مناسبة لإنشاء العلاقات الاجتماعية، وبذلك تستلّ من النفوس مشاعر السلبية والفردية والانعزال،

---

(١) سورة البينة الآية: (٥).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، العبودية، ص: (١٩).

(٣) الحمد، أحمد، التربية الإسلامية، ص: (٨٨).

والحجّ تجمُّع روحي واقتصادي واجتماعي لا مثيل له، والزكاة تكافل اجتماعي يربط بين الغني والفقير برباط المحبة والمودة، فهي حق وواجب وليست منَّة وتفضلا، والصوم مشاركة في الشعور بالجوع والظمأ، مما يذكر الغافل بحال الأكباد الجائعة من الفقراء والمساكين.

والعبادة بمفهومها الواسع لا يقتصر على ممارسة الشعائر التعبدية فقط بل يتعداها إلى الأعمال الاجتماعية التي حض عليها الإسلام، وهي التي تشمل علاقة المسلم بوالديه وزوجته وأولاده وإخوانه وأصدقائه وأقربائه وذوي رحمه وأفراد المجتمع جميعا، ويعدّ القيام بها على الوجه الشرعي من العبادة(١).

٣. الأصل الخلقي:

تحتل الأخلاق في السنة النبوية مكانة عليا شامخة لا مثيل لها في غيرها من السنن والشرائع ولا في الفلسفات والنظريات قديمها وحديثها.

وتعدّ التربية الأخلاقية في نظر السنة النبوية الهدف الأسمى الذي ترمي إليه من تكوين الشخصية الإنسانية السوية، وتجعل السنة النبوية الأخلاق تحتل المرتبة الثانية بعد الإيمان، بل هي أهم ثمرات الإيمان الصحيح والعبودية الخالصة لله تعالى والطاعة الصادقة له، ولا يتم إيمان المسلم ولا يكتمل إسلامه إلا إذا صلحت أخلاقه، وسمت وزكت وترفع بها عن الدنايا والنقائص والمعاصي والرذائل(٢).

---

(١) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص:(٣٩).

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص:(٦٨٤).

عن أبي الدرداء ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**))(١).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: ((**خياركم أحاسنكم أخلاقا**))(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((**إنما بُعِثتُ لأتمِّمَ صالح الأخلاق**))(٣).

ولا يمكن بناء علاقات اجتماعية سليمة إلا على أساس أخلاقي متين، وإن التدهور الأخلاقي والانحراف السلوكي في أي مجتمع من المجتمعات يؤدي حتما إلى تفكك البناء الاجتماعي، وانهيار العلاقات

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧٠)، ص: (١٠٠). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم الحديث: (٤٧٩٩). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٠٠٣). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧١)، ص: (١٠٠). البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث: (٥٦٨٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه، رقم الحديث: (٢٣٢١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧٣)، ص: (١٠٠). وأحمد بن حنبل، المسند: (٢/٢٨١). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (١١٨).

الاجتماعية في ذلك المجتمع، ولذا تعدّ التربية الأخلاقية "ضرورية كوسيلة من الوسائل لتحقيق السعادة في الحياة الاجتماعية؛ ذلك أنه إذا أزالت هذه التربية - بحكم واجبها - جميع الشرور والرذائل من النفوس وغرست بعد ذلك الروح الإنسانية الخيرة يؤدي الأمر عندئذ إلى انتشار الأمن والثقة والمحبة والمودة واحترام الحقوق والمشاعر الأدبية والإنسانية لكل فرد في الحياة الاجتماعية، ثم تسود روح الأخوة وروح التعاون في سبيل الخير وزوال الشرور وهذا شرط أساسي لتحقيق السعادة الاجتماعية"(١).

وقد بينت السنة النبوية الأخلاق الاجتماعية المحمودة الصالحة لكل زمان ومكان، ودعت إلى كسبها والتحلي بها وجعلها معيارا للسلوك السوي، وأمرت بالعمل على غرسها في نفوس الناشئة منذ طفولتهم المبكرة، ولو اتبعها الإنسان لصلحت حياته، وسعدت نفسه، وأفلح في تكوين العلاقات البناءة مع الآخرين التي قوامها التعاطف والتكافل(٢).

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: (٢٨٣).

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: (٦٨٩).

المبحث الثاني: مجالات العلاقات الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد

وتحته اثنا عشر مطلبا:

المطلب الأول: العلاقة بالوالدين.

المطلب الثاني: العلاقة بالأولاد.

المطلب الثالث: العلاقة بالزوج.

المطلب الرابع: العلاقة بالأقارب.

المطلب الخامس: العلاقة بالجيران.

المطلب السادس: العلاقة باليتامى.

المطلب السابع: العلاقة بالفقراء والمساكين.

المطلب الثامن: العلاقة بالخدم.

المطلب التاسع: العلاقة بكبار السن.

المطلب العاشر: العلاقة بالصبيان.

المطلب الحادي عشر: العلاقة بالمسلمين عامة.

المطلب الثاني عشر: العلاقة بغير المسلمين.

المطلب الأول: العلاقة بالوالدين.

أورد الإمام البخاري أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدل على وجوب برّ الوالدين والإحسان إليهما، "وأجمع العلماء على الأمر ببرّ الوالدين، وأن عقوقهما حرام من الكبائر"[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[(٣)]: "يقول تعالى آمرا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق".

وقد جعلت السنة النبوية برّ الوالدين من أفضل الطاعات، وأهمّ القربات إلى الله تعالى:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **سألت النبيّ ﷺ: أي العمل أحبّ إلى الله عز وجل؟ قال: ((الصلاة على وقتها)). قلت: ثمّ أيّ؟ قال: ((ثمّ برّ الوالدين)). قلت: ثمّ أيّ؟ قال: ((ثمّ الجهاد في سبيل الله)). قال: حدّثني بهنّ، ولو استزدتُه لزادَني**[(٤)].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (٣٢١/١٦).

(٢) سورة العنكبوت الآية: (٨).

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم: (٢٦٤/٦).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا)، رقم الحديث: (١)، ص: (١٣). و البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب البرّ والصلة، رقم الحديث: (٥٩٧٠). ومسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، رقم الحديث: (٨٥).

و"إنّما خص ﷺ هذه الثلاثة بالذكر لأنه عنوان على ما سواها من الطاعات، فإن مَن ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤونتها وعظم فضلها فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبرّ والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برّا، ومن ترك جهاد الكفار مع شدّة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفسّاق أترك، فظهر أنّ الثلاثة تجتمع في أنّ من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع"(١)

وقد جعل الرسول ﷺ الظفر برضا الربّ ﷻ الذي ليس فوقه مطمع للمسلم منوطا برضا الوالدين، مما يدلّ على أهميّة برّ الوالدين في الإسلام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((**رضا الرّبّ في رضا الوالد، وسَخَط الرَّبِّ في سَخَط الوالد**))(٢).

وللوالدين فضل كبير على الولد؛ وذلك بالشفقة عليه بالإنفاق، وتحمل المشاق، والسهر في الليالي، وبذل الجهد في درء ما يحزنه ودفع ما يؤذيه من الحرّ والبرد والوجع والمرض والهم والغمّ والمستقذرات في أحوج زمنه للتغذية والتنمية والتنظيف وسائر صنوف التربية لضعفه، ولذلك لا يظن أحدٌ أن برّهما مكافأة لحسن صنيعهما، بل دونهما بكثير، ولا يمكن للولد أن يجزي والديه إلا أن يجدهما مملوكين فيشتريهما فيعتقهما كما جاء في الحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله:

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٦/٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا)، رقم الحديث: (٢)، ص: ١٣. والترمذي، محمد بن عيسى، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في بر الوالدين، رقم الحديث: (١٨٩٩). والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: (٤/١٦٨). وقال الألباني: حسن موقوفا، وصح مرفوعا. صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٣).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يَجزي وَلدٌ والدَه، إلاّ أن يجده مملوكا فيشتريَهُ فيعتقَهُ**»[١].

ووجه ذلك "أن العبد كالهالك، فكأنه بالإعتاق أخرجه من الهلاك إلى الحياة، فصار فعله ذلك مما يعدل فعل الأب؛ حيث كان سببا للوجود وإخراجه من العدم إليه"[٢]

وعن أبي بردة ﷺ أنه **شهد ابن عمر، ورجل يماني يطوف بالبيت، حمل أمّه وراء ظهره يقول:**

إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت[٣] ركابها[٤] لم أذعر

ثمّ قال: يا ابن عمر أتُراني جزيتُها؟ قال: لا، ولا بزَفْرةٍ[٥] واحدةٍ.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جزاء الوالدين، رقم الحديث: (١٠)، (ص:١٦). ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، كتاب العتق، باب عتق الولد، رقم الحديث: (١٥١٠).

(٢) السندي، أبو الحسن الحنفي، شرح سنن ابن ماجه: (٤/١٨٥).

(٣) ذَعَرَهُ: أفزعه. وبابه قطع والاسم: الذُّعْرُ بوزن العُذْر. وقد ذُعِرَ فهو مَذْعُورٌ. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: (٢٠٥).

(٤) الرِّكَابُ: الإبل التي يسار عليها، الواحدة راحلة، ولا واحدة لها من لفظها. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجغ السابق، ص:(٢٣٢).

(٥) زفرة: بفتح الزاي وسكون الفاء: المرة من الزفير، والزَّفِير أَوَّلُ صَوْت الحِّمار والشَّهِيقُ آخِرهُ لأَنَّ الزَّفِير إدْخال النَّفَس والشَّهِيقَ إخْرَاجُه. وقد زَفَر يَزْفِر بالكسر زَفيراً والاسم الزَّفْرة والجَمْع زفَرات بفتح الفاء لأنه اسم لا نَعْت. وربمَّا سَكَّنَها الشاعر للضرورة.، وهذا يعرض للمرأة عند الوضع. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، (ص: ٢٤٧). والجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: (١/٦٣).

ثمّ طاف ابن عمر فأتى المقام فصلّى ركعتين ثم قال: يا ابن أبي موسى إن كلّ ركعتين تُكَفِّران ما أمامَهما[١].

ومما يدلّ على أهمية برّ الوالدين والإحسان إليهما - أيضا - تلكم الأحاديث التي أوردها الإمام البخاري، والتي تضمنت وعيدا شديدا وتحذيرا عظيما من عقوبة عقوق الوالدين، و"عقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة؛ كما أن برّهما موافقتهما على أغراضهما"[٢] والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد[٣].

عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ألا أنبّئُكم بأكبر الكبائر؟**)) (**ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله قال:** ((**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا - ألا وقول الزُّور**))، **مازال يكرّرها حتى قلتُ: ليته سكت**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جزاء الوالدين، رقم الحديث: (١١)، ص: (١٦). والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: (٢٠٩/٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٦).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: (٢٣٨/٥).

(٣) ابن حجر، محمد بن إسماعيل، فتح الباري: (٤٩٨/١٠).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عقوق الوالدين، رقم الحديث: (١٥)، ص: (١٨). والبخاري، محمد بن إسماعيل الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم الحديث: (٥٩٧٦). ومسلمبن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث: (٨٧).

وعنه - أيضا- عن النبي ﷺ قال: ((**ما من ذنب أجدرُ أن يُعَجَّلَ لصاحبه العقوبةُ مع ما يدّخرُ له؛ من البغي وقطيعة الرّحم**))[١].

وقد أعطت السنّة النبوية للأمّ مزيد عناية، وأوجبت لها من البرّ ثلاثة أمثال ما للأب من البرّ؛ "وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرّضاع، فهذه تنفرد بها الأمّ وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية"[٢].

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه - رضي الله عنهم - **قلتُ: يا رسول الله من أبرُّ؟ قال:** ((**أُمّك**))، **قلت: من أبرُّ؟ قال:** ((**أمّك**))، **قلت: من أبرُّ؟ قال:** ((**أمُّك**))، **قلت: من أبرُّ؟ قال:** ((**أباك، ثمَّ الأقرب فالأقرب**))[٣].

قال النووي[٤]: "قال العلماء: وسبب تقديم الأمِّ؛ كثرة تعبها عليه وشفقتها وخِدْمتها ومعاناة المشاقّ في حمله، ثمّ وضعه ثمّ إرضاعه ثم تربيته وخدمته، وتمريضه وغير ذلك"

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عقوبة عقوق الوالدين، رقم الحديث: (٢٩)، ص: (٢٣). أبو داود، سليمان الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، رقم الحديث: (٤٩٠٢).، والترمذي، محمد بن عيسى، السنن، كتاب القيامة، رقم الحديث: (٢٥١١). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب البغي، رقم الحديث: (٤٢١١).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (١٠/٤٩٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برِّ الأمّ، رقم الحديث: (٥)، ص: (١٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب من أحقّ النّاس بحسن الصحبة، رقم الحديث: (٥٩٧١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب برّ الوالدين وأيّهما أحق به رقم الحديث: (٦٥٠٠).

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (١٦/٣١٨).

والإحسان إلى الوالدين يشمل كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة[١]. وله صور كثيرة كما أن للعقوق صور عديدة، ومن صور البرّ والإحسان إلى الوالدين ما يلي:

١) طاعتهما في المعروف وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية:

عن أمِّ الدرداء، عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: **أوصاني رسول الله بتسع: «لا تشركْ بالله شيئا وإن قُطِّعْتَ أو حُرِّقْتَ، ولا تتركنّ الصّلاة المكتوبة متعمّدا؛ ومن تركها متعمّدا برئت منه الذِّمَّةُ، ولا تشربَنَّ الخمرَ؛ فإنَّها مفتاح كلّ شرّ، وأطع والديك، وإن رأيت أنّك أنتَ، ولا تفرِر من الزّحف؛ وإن هلكتَ وفرّ أصحابُكَ، وأنفق من طَوْلكَ على أهلك، ولا ترْفعْ عَصَاكَ عن أهلك، وأَخِفْهم في الله عز وجل»**[٢].

قال القرطبي رحمه الله[٣]: "عقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما؛ كما أن برّهما موافقتهما على أغراضهما. وعلى هذا إذا أمرا أوأحدُهما ولدَهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وإذا كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، كذلك إذا كان من قبيل المندوب.

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير:(١٥/٦٨).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يبرّ والديه ما لم يكن معصية، رقم الحديث: (١٨)، ص: (١٩). ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث: (٤٠٣٤). والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: (٢٠/٨٢). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٩).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: (٥/٢٣٨).

وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يصيِّره في حقّ الولد مندوبا إليه وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدا في ندبيته"

وطاعة الوالدين مقدمة على نوافل الطاعات، وقد أورد الإمام البخاري قصة جريج العابد، التي آثر فيها جريج صلاته على إجابة أمّه، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما تكلّم مولودٌ من النّاس في مهدٍ إلا عيسى بن مريم ﷺ وصاحب جريج**)). **قيل يا نبيَّ الله وما صاحب جريج؟ قال:**((**فإنّ جريجًا كان رجلاً راهباً في صومعة له، وكان راعي بقر يأوي إلى أسفل صومعته، وكانت امرأةٌ من أهل القرية تختلف إلى الرّاعي.**

فأتت أمّه يوما فقالت: يا جُريج وهو يصلّي، فقال في نفسه؛ وهو يصلّي: أمّي وصلاتي؟ فرأى أن يُؤثِر صلاته، ثمّ صرخت به الثالثة فقال: أمِّي وصلاتي؟ فرأى أن يؤثر صلاته. فلمّا لم يُجبها قالت: لا أماتك الله يا جريج حتى تنظر في وجه المومسات[١]، ثم انصرفت. فأُتِي الملِكُ بتلك المرأة وَلَدَت، فقال: ممن؟ قالت: من جريج، قال: أصاحب الصومعة؟ قالت: نعم، قال: اهدموا صومعته وأتوني به. فضربوا صومعته بالفؤوس حتى وقعَتْ. فجعلوا يده إلى عنقه بحبل؛ ثم انطلق به، فمُرَّ به على المومسات، فرآهنّ فتبسّم، وهنّ ينظرن إليه في النّاس.

(١) امرأة مُومِسٌ ومُومِسَةٌ، أي: فاجرة. وهي المجاهرة بالفجور و الجمع مُومِسَات. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، ص: ٥٥٣.

فقال الملك: ما تزعم هذه؟ قال: ما تزعم؟ قال: تزعمُ أنّ ولدها منك. قال: أنت تزعمين؟ قالت: نعم، قال: أين الصغير؟ قالوا: هو ذا في حجرها. فأقبل عليه فقال: من أبوك؟ قال: راعي البقر، قال الملِك: أنجعل صومعتك من ذهب؟ قال: لا، قال: من فضة؟ قال: لا، قال: فما نجعلها؟ قال: رُدُّوها كما كانت.

قال: فما الذي تبسّمتَ؟ قال: أمراً عرفتُه، أدركتْني دعوةُ أُمّي، ثمَّ أخبرهم))[١].

نقل النووي عن العلماء قولهم[٢]: "هذا دليل على أنّه كان الصّواب في حقه إجابتها؛ لأنّه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب. وإجابة الأمّ وبرّها واجب وعقوقها حرام"

ولذلك "يجب على المصلّي ترك صلاة النافلة إذا دعي المصلّي أحد والديه لغرض مشروع، فالحديث يفيد أنّ جُريجا عصى ربّه بعدم إجابة أمِّه"[٣].

٢) **تقديم برّهما على الجهاد في سبيل الله.**

من الإحسان إلى الوالدين والبرّ لهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما:

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب دعوة الوالدين، رقم الحديث: (٣٣)، ص: (٢٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ رقم الحديث: (٣٢٥٣). ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، وغيرها، رقم الحديث: (٦٤٥٥).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (١٦/٣٢١).

(٣)الأشقر، عمر سليمان، صحيح القصص النبوي: ص: (٢٧٨).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: **جاء رجل إلى النبي ﷺ يريد الجهاد فقال:** ((**أحيٌّ والداك؟**)) **قال: نعم، فقال:** ((**ففيهما فجاهد**))[١].

قال النووي رحمه الله[٢]: "هذا كله دليل لعظم فضيلة برّهما، وأنه آكد من الجهاد، وفيه حُجّة لما قاله العلماء، أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما. فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه وشرطه الثوري. هذا كلّه إذا لم يحضر الصفّ ويتعين القتال. وإلاّ فحينئذ يجوز بغير إذن".

وقال الحافظ ابن حجر[٣]: "قال جمهور العلماء: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما؛ بشرط أن يكونا مسلِمَين؛ لأن برّهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعيّن الجهاد فلا إذن".

٣) لين الكلام والتواضع لهما:

من البرّ بالوالدين لين الكلام لهما، والخضوع والتواضع لهما:

عن طيْسَلة بن مَيَّاس رضي الله عنه، قال: **كنت مع النجدات، فأصبتُ ذنوبا لا أراها من الكبائر، فذكرتُ ذلك لابن عمر قال: ما هي؟ قلت كذا وكذا. قال: ليست هذه من الكبائر هنّ تسع: الإشراك بالله،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأب المفرد، باب يبرّ والديه ما لم يكن معصية، رقم الحديث: (٢٠)، ص: (١٩). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين رقم الحديث: (٥٩٧٢). ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به رقم الحديث: (٦٤٥١).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: (١٦/٣٢١).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٦/١٧٠).

وقتل نَسَمَة[١]، والفِرارُ من الزَّحفِ[٢]، وقذفُ المُحصَنة[٣]، وأكل الرّبا، وأكْلُ مال اليتيم، وإلحادٌ في المسجد، والذي يسْتَسْخِر[٤]، وبكاء الوالدين من العقوق. قال لي ابن عمر: أتَفْرَقُ[٥] من النّار وتحبُّ أن تدخل الجنَّة؟ قلت: إي والله قال: أحيٌّ والداك؟ قلت عندي أمّي.

---

(١) النَّسِيمُ: نَفَس الريح، والنَّسَمَة: مثله، ثم سُميت بها النّفسُ - بالسكون - والجمع: نَسَمٌ، مثل: قَصَبَة وقصب، والله بارئ النَّسَمِ: أي خالق النفوس. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٤٩٤.

(٢) "الزّحْف": بالفتح والسكون: تقدم الجيش، والمراد هاهنا لقاء العدو في الحرب. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ١/٥٧.

(٣) قَذَفَ بالحجارة قَذْفاً، من باب ضرب: رمى بها. وقَذَفَ المحصنة قَذْفا: رماها بالفاحشة. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٤٠٣.

(٤) قال الجيلاني: "يستسخر هكذا في النسخ المطبوعة: فإن صح فالاستسخار من السخرية، وهو الاستهزاء من إنسان والضحك والإضحاك منه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الصافات:١٤] ولا مانع من كونه كبيرة إذا كان سخرية بمسلم بغير حق، فإن فيه إيذاء شديدا....ووقع في النسخة السعيدية "يستحسر" بحاء مهملة مقدمة على السين الثانية، فإن صح فالاستحسار هو الإعياء والتعب، وورد في الحديث بمعنى الانقطاع عن الدعاء لليأس من روح الله والقنوط من رحمته، فكان من أكبر الكبائر. هذا وفي نسخة أبيه صبغة الله " يستسحر"...وقد عُدّ السحر من الكبائر في عدّة أحاديث، فيمكن أن يكون صواب هذه الكلمة في رواية الأدب "يستسحر". نعم إن هذه الكلمة لم نجدها في كتب اللغة، ولكن القياس لا يأباها، فيقال: الاستسحار طلب السحر؛ وهو أن يذهب الرجل إلى ساحر فيطلب منه أن يسحر، وإذا كان ذلك من الكبائر، فقد دل ذلك على أن السحر منها من باب أولى..." فضل الله الصمد: ١/ (٥٧ – ٥٨).

(٥) فَرِقَ فَرَقاً، من باب تعب: خاف، ويتعدى بالهمزة فيقال: أَفْرَقْتُهُ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص:٣٨٣.

قال: فوالله لو أَلَنتَ لها الكلام وأطعمتها الطعامَ لتدخلنّ الجنّة ما اجتنبت الكبائر[1].

وعن عروة س قال: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[2] قال: ((**لا تمتنع من شيء أحبّاه**)).[3]

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: "والخفض مستعمل في معناه الحقيقي، الذي هو ضد الرفع، لأن مريد البطش يرفع جناحيه، ومُظهر الذّل والتواضع يخفض جناحيه، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما، والتواضع لهما، كما قال لنبيه ﷺ ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[5].

ومن التواضع والاحترام للوالدين: أن لا يُسمِّي الرّجل أباه، وأن لا يجلس قبله، وأن لا يمشي أمامه:

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لين الكلام لوالديه، رقم الحديث: (٨)، ص: (١٥). البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: (٦/٢٠٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٥).

(٢) الإسراء الآية: (٢٤).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لين الكلام لوالديه، رقم الحديث: (٩)، ص: (١٦). وابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، مكارم الأخلاق: (١/٧٥). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٦).

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٦/٣٨٦).

(٥) سورة الشعراء الآية: (٢١٥).

عن عروة **أن أبا هريرة أبصرَ رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال:** ((**لا تسمّه باسمه، ولا تمش أمامه**[١]**، ولا تجلس قبله**))[٢].

ويجوز للولد أن يكنّي أباه، وليس هذا من قلة الاحترام، فعن ابن عمر قال: ((**لكن أبو حفص عمر قضى**))[٣].

ذكر الإمام البخاري هذا الأثر من فعل ابن عمر للدلالة على جواز تكنية الأب.

٤) البعد عن إيذائهما بالكلام:

من صور البرّ والإحسان إلى الوالدين، ألاّ يلعنهما أويسبّهما أو يكون سببا في سبّهما؛ بأن يسبّ والد غيره فيُسبّ والده:

عن أبي الطفيل ﵁ قال: **سئل عليّ: هل خصَّكم النبيّ ﷺ بشيء لم يخصّ به الناس كافّة؟ قال: ما خصّنا رسول الله ﷺ بشيء لم يخص به الناس إلا ما في قِراب سيفي. ثمّ أخرج صحيفة فإذا فيها مكتوب:**

---

(١) ولكن يحسن المشي أمامه لحاجة، كظلمة أو وعورة طريق، ونحو ذلك. العوايشة، حسين، شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ص: (٦٣/١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يسمِّي الرجل أباه، ولا يجلس قبله ولا يمشي أمامه، رقم الحديث: (٤٤)، ص: (٢٨). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٦).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هل يكنيّ أباه؟، رقم الحديث: (٤٦)، ص: (٢٨). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٧).

«لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من سرق منار الأرض، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى مُحْدِثاً»[١].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبيُّ ﷺ: **«من الكبائر أن يشتم الرَّجلُ والديه». فقالوا: كيف يشتِمُ؟ قال: «يَشتِمُ الرجلَ، فيشتِمُ أباه وأُمَّهُ»**[٢].

وعنه -أيضا- قال: **«من الكبائر عند الله تعالى أن يستَسِبّ الرجلُ لوالدِه»**[٣].

و لفظ يستَسِبّ معناه: "أن يكون سببا لسبّ الأبوين سواء سبَّ أحداً أو آذى أحدا"[٤].

٥) الدعاء والاستغفار لهما في حياتهما:

من البرّ بالوالدين الدعاء والاستغفار لهما في حال حياتهما:

عن أبي مُرّة ﷺ مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب: **«أنّه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بـ(العقيق) فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته:**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لعن الله من لعن والديه، رقم الحديث: (١٧)، ص: (١٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، رقم الحديث: (١٩٧٨).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يسبُّ والديه، رقم الحديث: (٢٧)، ص: (٢٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم الحديث: (٥٦٢٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث: (٩٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يسبُّ والديه، رقم الحديث: (٢٨)، ص: (٢٢). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٢).

(٤) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : (٩٩/١).

عليكِ السّلام ورحمة الله وبركاته يا أُمَّتاه. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: رحمكِ الله كما ربّبتني صغيرا. فتقول: يا بنيّ وأنتَ، فجزاكَ الله خيراً وَرَضي عنكَ كما برَرْتني كبيرا»[١].

٦) دعوتهما إلى الهداية وعرض الإسلام عليهما إذا لم يكونا مسلمين:

من البرّ بالوالدين والإحسان إليهما دعوتهما إلى الهداية، وعرض الإسلام عليهما إذا لم يكونا مسلمين:

عن أبي هريرة قال: ما سمع بي أحدٌ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، إلاّ أحبّني، إنّ أمّي كنتُ أريدها على الإسلام فتأبى، فقلتُ لها: فأبتْ فأتيتُ النّبيَّ ﷺ فقلتُ: ادع الله لها، فدعا، فأتيتُها وقد أجافتْ[٢] عليها الباب. فقالتْ: يا أبا هريرة إنّي أسلمتُ. فأخبرتُ النّبيّ ﷺ، فقلتُ: ادع الله لي ولأمّي، فقال: «اللّهمّ عبدُك أبو هريرة وأُمُّه، أحبّهما إلى النّاس»[٣].

٧) وجوب برّ الوالدين حتى ولو لم يكونا مسلمين:

لا يختص برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل حتى وإن كانا كافرين يبرّهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، وقد عقد الإمام البخاري بابا ترجم له ب(باب برّ الوالد المشرك)، وأورد تحته عددا من الأحاديث منها ما رواه بسنده:

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جزاء الوالدين، رقم الحديث: (١٤)، ص: (١٧). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦٣٤٦).

(٢) أي: ردّها. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ١٧٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عرض الإسلام على الأمّ النصرانية، رقم الحديث: (٣٤)، ص: (٢٥). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، رقم الحديث: (٦٣٩٦).

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: **نزلت فيّ أربع آيات من كتاب الله تعالى: كانت أمّي حلفتْ أن لا تأكلَ ولا تشربَ حتى أُفارقَ محمداً ﷺ، فأنزل الله ﷻ** ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾[1].

(والثانية): إنّي كنتُ أخذتُ سيفاً أعجبني، فقلت: يا رسولَ الله هب لي هذا، فنزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾[2].

(والثالثة): إنّي مرضتُ فأتاني رسول الله ﷺ، فقلتُ يا رسول الله إنّي أُريد أن أقسم مالي، أفأوصي بالنّصف؟ فقال: «لا»، فقلت: الثّلث؟ فسكت، فكان الثُّلُث بعده جائزا.

(والرابعة): إنّي شربتُ الخمرَ مع قوم من الأنصار، فضرب رجل منهم أنفي بلَحْيَيْ جمل، فأتيت النبي ﷺ، فأنزل الله ﷻ تحريم الخمر[3].

قال القرطبي[4]: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾..."والآية دليل على صلة الأبوين الكافرَين بما أمكن من المال، إن كانا فقيرَين، وإلانة القول والدّعاء إلى الإسلام برفق"

---

(١) سورة لقمان الآية: (١٥).

(٢) سورة الأنفال الآية: (١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالد المشرك، رقم الحديث: (٢٤)، ص: (٢١). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم: (١٧٨٤).

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٦٥.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: **أتتني أمّي راغبةً**[١]؛ **في عهد النبيّ ﷺ، فسألتُ النبي ﷺ: أفأَصِلُها؟ قال:** ((**نعم**)). **قال ابن عيينة: فأنزل الله عز وجل فيها:** ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[٢][٣].

وفي هذا الحديث أن الرحم الكافرة توصَل من المال ونحوه، كما توصَل المسلمة، ويُستنبَط منه وجوب النفقة على الأب الكافر والأمّ الكافرة، وإن كان الولد مسلما[٤].

قال النووي رحمه الله[٥]: "وفي هذا كله دليل لجواز صلة الأقارب الكفار والإحسان إليهم"

٨) زيادة العناية بهما في حال الكبر والضعف:

من البرّ بالوالدين شدّة العناية بهما في حال الكبر والضعف، فعن أبي هريرة، عن النّبيِّ ﷺ قال: ((**رَغِمَ أنفُه، رَغِمَ أنفُه، رَغِم أنفُه**)). **قالوا يا رسول الله مَن؟ قال:** ((**مَن أدرك والديه عندَ الكِبَر أو أحدَهما، فدخَلَ النّارَ**))[٦].

---

(١) أي: طامعة في برّ بنتها وصِلَتها. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ١/٩٤.

(٢) سورة الممتحنة الآية: (٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالد المشرك، رقم الحديث: (٢٥)، ص: (٢١). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، رقم الحديث: (٥٩٧٨). ومسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانا مشركين، رقم الحديث: (١٠٠٣).

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٥/٢٨٩).

(٥) النووي، يحيى بن شرف، شر ح صحيح مسلم: (١٤/٢٦٥).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من أدرك والديه فلم يدخل الجنّة، رقم الحديث: (٢١)، ص: (٢٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة، رقم الحديث: (٦٤٥٧).

قال النووي[١]: "فيه الحثّ على برّ الوالدين وعِظم ثوابه، ومعناه أن برّهما عند كبرهما وضعْفهما بالخِدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنّة، فمن قصَّرَ في ذلك فاته دخول الجنَّة وأرغمَ الله أنفه".

وخُصَّ حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى البرّ أكثر؛ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فأُلزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر ممّا ألزمه من قبل، لأنّهما في هذه الحالة قد صارا كلاًّ عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه...

وأيضا فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة، ويحصل الملل ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالّة[٢] البنوة وقلّة الدّيانة[٣].

٩) البرّ بهما بعد الموت:

من صور الإحسان إلى الوالدين أن تظلّ العلاقة قائما معهما حتى بعد موتهما؛ فكما للوالدين حق البرّ في حياتهما فلهما حق البرّ بعد موتهما أيضا، ويكون برّهما بالآتي:

أ- الاستغفار والدعاء لهما بالعفو والمغفرة ودخول الجنة، وذلك لما أورده المصنف:

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٦/ ٣٢٤.

(٢) أدلّ عليه: وثق بمحبّته فأفرط عليه...والاسم: الدالّة. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب: ٣٩٣/٤.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: (٢٤١/٥).

عن أبي أسيد ﷺ قال: **كنا عند النبي ﷺ فقال رجل: يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبَرُّهما؟ قال:** ((**نعم؛ خصال أربع: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قِبلهما**))[١].

وعن أبي هريرة قال: ((**ترفع للميت بعد موته درجتُه، فيقول: أي ربّ أيّ شيء هذه؟ فيقال ولدك استغفر لك**))[٢].

وعن محمد بن سيرين ﷺ قال: **كنا عند أبي هريرة ليلةً فقال:** ((**اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأمي، ولمن استغفر لهما**)). **قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، رقم الحديث: (٣٥)، ص: (٢٥). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، رقم الحديث: (٥١٤٢). والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: (١٧١/٤). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: (٢٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، رقم الحديث: (٣٦)، ص: (٢٦). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب برّ الوالدين، رقم الحديث: (٣٦٦٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٥).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، رقم الحديث: (٣٧)، ص: (٢٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٥).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات العبدُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١).

وهذا الدعاء والاستغفار للوالدين بعد موتهما خاص بالوالدين المسلمين، ولا يَستَغْفِر الولدُ لوالديه اللذين ماتا على الشرك؛ لما رُوي عن ابن عباس، **في قوله ﷻ**: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ **إلى قوله**: ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾(٢) **فنسختها الآية التي في براءة** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾(٣)(٤)

"أي أن آية الإسراء أمَرَت ببرّ الوالدين، ومن ذلك الاستغفار لهما، سواء أكانا مسلمين أو غير ذلك، فجاءت الآية في سورة براءة؛ تنهى عن الاستغفار لأولي القربى من المشركين، ويتضمن ذلك الأب المشرك، ومن أجله بوّب المصنِّف بقوله: (باب لا يستغفر لأبيه المشرك)"(٥).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، رقم الحديث: (٣٨)، ص: (٢٦). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: (١٦٣١).

(٢) سورة الإسراء الآية: (٢٣ - ٢٤).

(٣) سورة التوبة الآية: (١١٣).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يستغفر لأبيه المشرك، رقم الحديث: (٢٣)، ص: (٢٠). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٠).

(٥) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد: (١/٣٩).

ب- **الصدقة على الوالدين بعد موتهما**، فعن ابن عباسﷺ، **أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمّي توفيت ولم توص، أفينفعها أن أتصدّق عنها؟ قال:** ((**نعم**))[١].

ج- **صلة أقربائهما وأصدقائهما**؛ وذلك بإكرام من كان صديقا لهما، وودّ من كانا يقومان بودّه، ورعاية من كانا يرعيانه، وصلة قرابتهما، فعن عبد الله بن دينار س، **أنّ ابن عمر، مرّ أعرابيّ في سفر، فكان أبو الأعرابيّ صديقا لعمر ﷺ. فقال الأعرابيّ: ألستَ ابن فلان؟ قال**: **بلى. فأمر له ابن عمر بحمار كان يستعقب، ونزع عمامته عن رأسه فأعطاه، فقال بعض من معه: أما يكفيك درهمان؟ فقال: قال النبيّ ﷺ:** ((**احفظ ودّ أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك**))[٢].

"وفي هذا صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب لكونه بسببه، ويلحقه به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة، ومواساة النبي ﷺ لصديقات خديجة ﷺ وصلته لهن معروفة"[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، رقم الحديث: (٣٩)، ص: (٢٦). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الوصايا، باب ما يستحبّ لمن تُوفّي فُجاءة أن يتصدّقوا عنه، وقضاء النّذور عن الميت، رقم الحديث: (٢٧٦٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ مَن كان يَصِلُه أبوه، رقم الحديث: (٤٠) ص: (٢٧). ومسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما رقم الحديث: (٦٤٦٠).

(٣) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : (١/١١٦).

وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أبرّ البرِّ أن يصل الرجلُ أهل ودّ أبيه**»[(١)].

"والمعنى: أنّ من جملة المبرّات الفُضلى؛ مبرّة الرّجل أحبّاء أبيه، فإنَّ مودّة الآباء قرابة للأبناء أي: إذا غاب الأب أو مات يحفظ ابنه أهل ودّه، ويحسن إليهم، فإنّه من تمام الإحسان إلى الأب؛ وإنما كان هذا أبر البر لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى وأحرى"[(٢)].

وقال الحافظ العراقي رحمه الله[(٣)]: "جعله أبرّ البرّ أو من أبرّه؛ لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ؛ لأن الحيّ يجامَل والميت لا يُستحيي منه ولا يجامَل إلا بحسن العهد.

ويحتمل أن أصدقاء الأب كانوا مكفيّين في حياته بإحسانه، وانقطع بموته، فَأَمر بنيه أن يقوموا مقامه فيه، وإنّما كان هذا أبرّ البرّ؛ لاقتضائه الترحم والثناء على أبيه، فيصِل لروحه راحةٌ بعد زوال المشاهدة المستوجبة للحياة".

المقصد التربوي من بر الوالدين:

الأمر ببرّ الوالدين له مقاصد تربوية جليلة، ويمكن تلخيصها في أمرين:

"**أحدهما نفساني**: وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ مَن كان يَصِلُه أبوه، رقم الحديث: (٤١)، ص: (٢٧). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما رقم الحديث: (٦٤٦٠).

(٢) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : (١/١١٧).

(٣) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد: (١/٦١).

وهو الشكر، تخلقا بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور؛ فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري ونعمة التربية والرحمة. وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه على المنافسة في إسدائهما.

والمقصد الثاني عمراني: وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدود الوثوق فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحابّ والتوادّ ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأمّ. ثم عاطفة الأبوة المنبعثة على إحساس بعضه غريزي ضعيف وبعضه عقلي قوي حتّى إن أثر ذلك الإحساس ليساوي بمجموعه أثر عاطفة الأمّ الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الابن"[١].

فالعلاقة بالوالدين والاتصال بهما من أساسيات بناء الحياة الفردية والجماعية كلتيهما، ويجب على الأبوين أن يركزا عنايتهما على توثيق هذه الصلة وترسيخ جذورها في حياة الطفل، وينمّيا فيه روح البرّ بالوالدين والإحسان إليهما، وأن يهيئا الأسباب لمساعدة الطفل على برّهما وطاعتهما، فإذا كلفاه فليكلفاه من الأعمال ما هو في حدود طاقاته البدنية والعفلية، فلا يكلف ما لا يستطيع القيام به، وإذا كلفاه به أعاناه عليه، كما ينبغي إذا ألقيا على مسمعه التوجيهات والنصائح أن يراعيا أن تكون في مستواه الذهني، ويظلا يرتقيان معه في هذه التوجيهات إلى أن تصل إلى مرحلة الفهم لحقائق الأمور[٢].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: (١٥/٧٣-٧٤).

(٢) الزين، محمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، ص: (٥٧).

المطلب الثاني: العلاقة بالأولاد.

إن الأولاد نعمة عظيمة من نعم الله ﷻ، يهبها -كغيرها من النعم- لمن يشاء ويمسكها عمن يشاء، والأولاد ثمرة الحياة الزوجية وأملها المرتجى، وذكرها الممتدّ، وعطرها الفوّاح، وشمسها المشرقة، وصوتها المدوي، وروحها الساري، وجمالها الباقي، ومظلتها الواقية، وهم قرّة عيون آبائهم وأمهاتهم، وقد بينت السنة النبوية مكانة الولد وأهميته في الحياة، وأنه نعمة عظيمة، ومكرمة جليلة، من الله ﷻ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **قال أبو بكر رضي الله عنه يوما:** ((**والله ما على وجه الأرض رجل أحبّ إليّ من عمر. فلما خرج رجع فقال: كيف حلفتُ أي بنيّة؟ فقلت له. فقال: أعزّ. والولد ألوط**))[١].

وعن ابن أبي نعم رضي الله عنه قال: **كنت شاهدا ابن عمر، إذ سأله رجلٌ عن دم البعوضة؟ فقال: ممّن أنت؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوضة وقد قتَلوا ابن النبي ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول:** ((**هما ريحانيّ من الدنيا**))[٢].

" والمعنى أنهما مما أكرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يُشَمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين"[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الولد مبخلة مجبنة، رقم الحديث: (٨٤)، ص: (٤٢). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الولد مبخلة مجبنة، رقم الحديث: (٨٥)، ص: (٤٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٤).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (١٠/٥٢٥).

والولد المبارك قرة عين لوالديه، فعن جبير بن نفير رحمه الله قال: **جلسنا إلى المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - يوما فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنّا رأينا ما رأيتَ، وشهِدنا ما شهدتَ، فاستُغضِب، فجعلتُ أعجب، ما قال إلا خيرا ثم أقبل عليه فقال: "ما يحمل الرجلَ على أن يتمنّى مَحْضَرًا غيّبه الله عنه؟ لا يدري لو شهده كيف يكون فيه؟ والله لقد حضر رسولَ الله أقوامٌ كبّهم الله على مناخرهم في جهنّم؛ لم يجيبوه ولم يصدّقوه. أو لا تحمدون الله عز وجل إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربّكم، فتصدّقون بما جاء به نبيكم ﷺ، قد كُفيتم البلاء بغيركم، والله لفد بُعِث النبي ﷺ على أشدّ حال بُعِث عليها نبيٌّ قطّ في فَترة وجاهليّة؛ ما يرون أنّ دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرّق به بين الحقّ والباطل، وفرّق به بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والدَه أو ولدَه أو أخاه كافرا، وقد فتح الله قُفل قلبه بالإيمان، ويعلم أنّه إن هلك دخَل النار، فلا تقرُّ عينُه، وهو يعلم أنَّ حبيبه في النّار، وأنّها لَلّتي قال الله عز وجل:** ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1][2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: **دخلتُ على النبيّ ﷺ يوما، وما هو إلا أنا وأمّي وأمّ حَرَام خالتي، إذ دخل علينا فقال لنا:((ألا أصلّي بكم؟))**

---

(١) سورة الفرقان الآية: (٧٤).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الولد قرّة العين، رقم الحديث: (٨٧)، ص: (٤٢). وأحمد بن حنبل، المسند: (٦/٢)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٠).

وذاك في غير وقت صلاة، فقال رجل من القوم: فأين أَنَسًا منه؟ فقال: جعَله عن يمينه، ثم صلى بنا، ثم دعا لنا – أهل البيت – بكل خير من خير الدنيا والآخرة. فقالت أمّي: يا رسول الله خُوَيْدمُك؛ ادْعُ اللّهَ لنا، فدعا لي بكلّ خير، كان في آخر دعائه أن قال:«اللهمّ أكثر ماله وولده، وبارك له»[1].

"وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرّت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذريّة محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتدّ عينه إلى ما ترى؛ فذلك حين قرّة العين، وسكون النفس"[2].

"والأخبار في هذا المعنى كثيرة تحثّ على طلب الولد وتندب إليه؛ لما يرجوه الإنسان من نفعة في حياته وبعد موته"[3].

ومما يرغب في الولد -أيضا- ما أورده المصنف من أحاديث في فضيلة الصبر على فقد الأولاد، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسّه النار، إلا تحلّة**[4] **القسم**»[5].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من دعا لصاحبه أن أكثِر ماله وولده، رقم الحديث: (٨٨)، ص: (٤٣). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل أنس بن مالك، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦٣٧٥).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٥٥- ٥٦).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، المرجع السابق: (٤/ ٤٧).

(٤) فالمعنى: لا تمسّه النار إلا مسّة يسيرة مثل تحلة قسم الحالف، ويريد بتحلته الورود على النار والاجتياز بها. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٢٢٧).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من مات له الولد، رقم الحديث: (١٤٣)، ص: (٥٩). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، =

وعنه -أيضا-، **أن امرأة أتت النّبيَّ ﷺ بصبيّ، فقالت: ادعُ الله له، فقد دفنتُ ثلاثة، فقال:** ((**احتَظَرْتِ بِحِظارٍ**[١] **شديد من النّار**))[٢].

وعن خالد العبسي ﷺ قال: **مات ابن لي، فوجدتُ عليه وَجْدًا شديدًا فقلت: يا أبا هريرة ما سمعت من النبيّ ﷺ شيئًا تُسخّي به أنفُسَنا**[٣] **عن موتانا؟ قال: سمعْتُ من النّبيِّ يقول:** ((**صِغاركم دعاميصُ**[٤] **الجنَّة**))[٥].

= كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم الحديث: (١٢٥)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم الحديث:)٦٦٩٦).

(١) الاحتظار فعل الحظار، أراد لقد احتميت بحمى عظيم من النار يقيك حرّها ويؤمّنك دخولها. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٢١٦).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من مات له الولد، رقم الحديث: (١٤٤)، ص: (٦٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له فضل فيحتسبه، رقم الحديث: (٦٧٠٤).

(٣) أي: تطيّب به أنفسنا. السلفي، محمد لقمان، رش البرد شرح الأدب المفرد، ص: ٨٤.

(٤) الدعاميص: جمع دعموص، وهي دويبة تكون في مستنقع الماء، والدُّعموص - أيضا - الدَّخَّال في الأمور، أي: أنّهم سيَّاحون في الجنّة دخالون في مناولها لا يمنعون من موضع. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (١١١).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من مات له الولد، رقم الحديث: (١٤٥)، ص:(٦٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم الحديث: (٦٧٠١).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: **سمعت رسول الله ﷺ يقول:** ((**من مات له ثلاثة من الولد، فاحتَسَبهم دخل الجنّة**)). **قلنا: يا رسول الله واثنان؟ قال:** ((**واثنان**)). **قلتُ لجابر: والله أرى لو قلتم: وواحد لقال. قال: وأنا أظنّه، والله**[1].

وعن أنس بن مالك، عن النّبيّ ﷺ قال: ((**من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث، أدخَلَه الله وإياهم؛ بفضل رحمته الجنّة**))[2].

وكل ما سبق ذكره من الأحاديث تُرَغّب بصورة جلية في طلب الأولاد، والحفاوة بقدومهم، وعدم التسخط منهم، مهما كان جنس المولود سواء كان ذكرا أم أنثى، فعن كثير بن عُبيد قال: **كانت عائشةُ** - ﷺ - **إذا وُلدَ فيهم مولود (يعني في أهلها لا تسأل: غلامًا ولا جارية، تقول: خُلِق سويًّ؟ فإذا قيل: نعم، قالت: "الحمد لله رب العالمين"**[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من مات له الولد، رقم الحديث: (١٤٦)، ص: (٦٠). وأحمد بن حنبل، المسند: (٣٠٦/٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من مات له الولد، رقم الحديث: (١٥١)، ص: (٦٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، رقم الحديث: (١٣٨١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من حمد الله عند الولادة إذا كان سويّا ولم يبال ذكرا أو أنثى، رقم الحديث: (١٢٥٦)، ص: (٤٦١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٨٥).

وقد أورد المؤلف أحاديث كثيرة تدلّ على كراهة التسخط من الأولاد عموما والبنات خاصة، كما هو عادة أهل الجاهلية قديما وحديثا؛ وتبين فضل إعالتهن وتربيتهن التربية الإسلامية السليمة:

عن عقبة بن عامر ﵁ قال: **سمعت رسول الله عليه وسلم يقول:** ((**من كان له ثلاث بنات، وصبر عليهن، وكساهن من جِدَته**[١]؛ **كنَّ له حجابا من النار**))[٢].

وفي هذا الحديث"تأكيد حق البنات لما فيهنّ من الضعف غالبا عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من القوة وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال"[٣].

وعن ابن عباس عن النّبيِّ ﷺ قال: ((**ما من مسلم تُدركه ابنتان، فيُحسن صُحبتهما، إلاّ أدخَلَتاه الجنّة**))[٤].

---

(١) وَجَدْتُ في المال وُجْدًا بالضم، والكسر لغة، وجِدَةً أيضا. وأنا وَاجِدٌ للشيء: قادر عليه وهو مَوْجُودٌ مقدور عليه. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٥٣٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من عال جاريتين أو واحدة، رقم الحديث: (٧٦)، ص: (٤٠)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، رقم الحديث: (٣٦٦٩). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٧.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٥٢٧/١٠.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من عال جاريتين أو واحدة، رقم الحديث: (٧٧)، ص: (٤٠). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب برّ الوالد والإحسان إلى البنات، رقم الحديث: (٣٦٧٠)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٧.

وعن جابر بن عبد الله حدّثهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له ثلاثُ بنات، يؤويهنّ، ويكفيهنَّ ويرحمهنّ، فقد وجبت له الجنّة ألبتّة**». **فقال رجل من بعض القوم: وثنتين، يا رسول الله؟ قال: «وثنتين»**[١].

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يكون لأحدٍ ثلاثُ بنات، أو ثلاثُ أخَوات فيُحسن إليهنّ إلا دخل الجنّة**»[٢].

إذاً ينبغي على الوالدين الاعتناء بتربية البنات وإعالتهنّ رغبة في حصول هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل، بدلا من التسخط منهنّ أو تمنّي موتهن، فذلك مخالف للمنهج التربوي الإسلامي في المعاملة مع البنات، فعن ابن عمر: **أن رجلاً كان عنده وله بنات، فتمنَّى موتَهنّ. فغضبَ ابنُ عمر فقال: أنت ترزُقهنّ؟**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من عال جاريتين أو واحدة، رقم الحديث: (٧٨)، ص: (٤٠). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من عال ثلاث أخوات، رقم الحديث: (٧٩)، ص: (٤٠). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب فضل من عال يتيما، رقم الحديث: (٥١٤٧)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، رقم الحديث: (١٩١٢).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من كره أن يتمنّى موت البنات، رقم الحديث: (٨٣)، ص: (٤١). وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: ٢٨.

وقد دلّت هذه الأحاديث دلالة صريحة على فضل إعالة البنات، وتأكيد حقهن في التربية والرعاية. والاعتناء بتربية البنات له أثر كبير في رسم مستقبل المجتمعات الإسلامية، باعتبار المرأة إحدى القنوات الأكثر خطورة التي يتسلل منها الأعداء غالبا لنشر الفساد والانحراف السلوكي في المجتمعات الإسلامية، بالإضافة إلى أن هؤلاء البنات سيصبحن أمّهات في المستقبل، وتقع على عواتقهنّ مهمَّة تربية أولاد الأمة، فكيف يقمن بهذا الدور الجليل إذا لم يتم إعدادهنّ الإعداد التربوي اللازم؟.

والعلاقة بين الآباء والأولاد هي علاقة الأصول بالفروع، وهي من أقوى العلاقات وأثبت العرى، إنها علاقة النسب والدم وعلاقة الإرث الحسي والمعنوي، والآباء أقرب الناس إلى الأولاد، كما أن الأولاد أعز ما يحبه الإنسان فطرة وسجية، فهي إذاً علاقة استمداد واتساق وليس فوق رابطة الدم والنسب ورابطة الفرع بالأصل سوى رابطة الإيمان التي تعلو كل رابطة وتسمو على كل وشيجة(١).

و"علاقة الفرد بأبنائه يجب أن تقام على الحب والرحمة والرفق والعدل والحزم الرشيد وأن تتجنب الشدّة والعنف والقسوة والقهر والكبت، وأن يرعاهم حق الرعاية منذ ولادتهم بحسن تسميتهم، وختانهم والنفقة عليهم وكسوتهم وتعليمهم وعلاجهم وغير ذلك مستشعرا مسؤوليته الكاملة في تنشئتهم على الدين القويم، والخلق العظيم، والسلوك الكريم، والتصرف الحكيم"(٢).

---

(١) نواب الدين، عبد الرب، مسؤولية الآباء تُجاه الأولاد، ص: (١٧).

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: (٧٨٢).

وقد أورد المصنف كثيرا من الأحاديث والآثار التي تحدّد معالم العلاقة بين الفرد وأولاده، وهي على النحو التالي:

١) البشارة بقدومهم والدعاء عند الولادة وتحنيكهم:

عن معاوية بن قرّة رضي الله عنه قال: «**لمَّا وُلِد لي إياس دعوتُ نَفَراً من أصحاب النَّبيِّ ﷺ؛ فأطعمتُهم، فدعوا، فقلتُ: إنَّكم قد دعوْتُم فبارك الله لكم فيما دعوْتُم، وإنّي إن أدعو بدعاء فأمِّنوا، قال: فدعوتُ له بدعاء كثير في دينه، وعقله وكذا. قال: فإنِّي لأتعرَّف فيه دعاءَ يومئذ**»[(١)].

والدعاء له أثر عظيم "في إصلاح الأولاد، واستقامتهم على الدين، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو صاحب الخَلْق والأمر، وبيده مقادير الأمور، كان من الضروري، بل ومن اللازم الطلب منه ودعاؤه، والابتهال والالتجاء إليه رجاء صلاح الذرية واستقامتها، فإنه لا يوجد شيء في الدنيا أقر وأهنأ لعين المؤمن من صلاح أهله وولده"[(٢)].

عن أنس قال: **ذهبتُ بعبد الله بن أبي طلحة إلى النَّبيِّ ﷺ يوم وُلِدَ، في عباءة يهنأ**[(٣)] **بعيرا له، فقال: «معك تمرات؟». قلتُ: نعم،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الدعاء في الولادة، رقم الحديث: (١٢٥٥)، ص: (٤٦١). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٨٥).

(٢) باحارث، عدنان حسن صالح، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ص: (٧٧).

(٣) هنَأتُ البعير أهنَؤُه؛ إذا طلبتُه بالهِناء، وهو القطران. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٥١٥).

فناولتُه تمرات فلاكهُنَّ[١]، ثم فغَر[٢]فا الصبيِّ وأوجرهنّ[٣] إيّاه، فتلمَّظ[٤] الصبيّ فقال النَّبيُّ ﷺ: ((حبُّ الأنصار التمر))[٥] وسمَّاه عبد الله[٦].

---

(١) لاَكَ الشَّيْءَ فِي فَمِهِ: عَلَكَه وبابه قال. ولاَكَ الفَرَسُ اللِّجَامَ. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: (٥٢٥).

(٢) فَغَرَ الفم فَغْرا، من باب نفع: انفتح. و فَغَرْتُهُ: فتحتُه . الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: (٣٨٩).

(٣) الوَجُور بالفتح: الدواء يُوجر في وسط الفم أي يُصَبّ. تقول: وجَرْتُ الصبي وأَوْجَرْتُهُ بمعنى. والمِيجَرُ كالمِسْعط يُوجر به الدواء. واتَّجَر أي تداوى بالوَجُور وأصله اوتجر. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: (٦٠٩).

(٤) لَمَظَ من باب نصر و تَلَمَّظَ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شَفَتَيه. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: (٥٢١).

(٥) "حب الأنصار التمر" روى بضم الحاء وكسرها، فالكسر بمعنى المحبوب، كالذِّبح بمعنى المذبوح، وعلى هذا فالباء مرفوعة أي محبوب الأنصار التمر. وأما من ضم الحاء فهو مصدر، وفي الباء على هذا وجهان النصب وهو الأشهر والرفع، فمن نصب فتقديره: انظروا حب الأنصار التمر، فينصب التمر أيضا، ومن رفع قال: هو مبتدأحذف خبره، أى: حب الأنصار التمر لازم أو هكذا أو عادة من صغرهم، والله أعلم. النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٣٤٩/١٤.

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تحنيك الصبي، رقم الحديث: (١٢٥٤)، ص: ٤٦١. البخاري، محمد بن إسماعيل، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد إذا لم يعق عنه وتحنيكه، رقم الحديث: (٥٤٧٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنِّكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، رقم الحديث: (٥٦١٢).

"ولعل الحكمة في ذلك (التحنيك) تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي، وحالة طبيعية"[١].

٢) التسمية باسم حسن:

اختيار الاسم الحسن للمولود، مطلب شرعي وواجب اجتماعي؛ وذلك لما للاسم من التأثير إيجاباً أو سلباً في حياة الفرد، وفي تكوين شخصيته؛ لأن الاسم الذي يختاره أبو المولود وأسرته له يلتصق به ويصبح علما عليه، وقد يصعب تغييره في كبره، فإن كان الاسم حسنًا محببا سرَّ به المسمَّى عند كبره وأحب أن يدعى به، وسرّ به غيره – أيضا – ممن يناديه به أو يسمعه، وإن كان قبيحا ساءه سماعه حين يدعى به، وساء من يدعوه ومن يسمع النداء به، والمسمّى لا ذنب له في ذلك؛ لأنه لم يختره لنفسه؛ لذلك كان المشروع أن يختار له أهله الاسم الحسن الذي يسرّه ويسرّ غيره"[٢].

قال ابن القيم رحمه الله[٣]: "وبالجملة فالأخلاق، والأعمال، والأفعال القبيحة تستدعي أسماء تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماء تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف، فهو كذلك في أسماء الأعلام، وما سمّي رسول الله ﷺ محمدا وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه؛ ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمته الحمادون، وهو أعظم الخلق حمدا لربه تبارك وتعالى؛

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: (١/٧١).

(٢) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص: (١٧٧).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: (٢٥٠).

ولهذا أمر رسول الله ﷺ بتحسين الأسماء...؛فإن صاحب الاسم الحسن قد يستحي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه، وترك ما يضاده؛ ولهذا ترى أكثر السفل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العلية أسماؤهم تناسبهم"

وإذا أردت أن تعرف تأثير الأسماء في مسمياتها؛ فتأمل حديث سعيد بن المسيّب، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنهم، قال: **أنه أتى النّبيّ ﷺ فقال:** ((**ما اسمك؟**)) **قال: حَزْن، قال:** ((**أنتَ سهل**))، **قال: لا أُغَيِّر اسما سمّانيه أبي. قال: ابن المسَيّب: فما زالت الحُزونة**[١] **فينا بعدُ**[٢].

وتأمل - أيضا - حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه، **أنَّ النّبيَّ ﷺ عام الحديبية، حين ذكر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أن سهيلا قد أرسله إليه قومه، صالحوه على أن يرجع عنهم هذا العام ويخلُّوها لهم قابل ثلاثة، فقال النَّبيُّ ﷺ حين أتى فقيل: أتى سُهيل:** ((**سهَّل الله أمركم**)). **وكان عبد الله بن السائب أدرك النبي ﷺ**[٣].

---

(١) الحزن: بفتح المهملة وسكون الزاي: ما غلظ من الأرض، وهو ضد السهل، واستُعمل في الخُلق، يقال: في فلان حزونة، أي: في خُلُقه غلظة وقساوة الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: (١١٨). وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (١٠/٥٧٤).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حَزْن، رقم الحديث: (٨٤١)، ص: (٢٩٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب اسم الحزن، رقم الحديث: (٦١٩٠)

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التبرّك بالاسم الحسن، رقم الحديث: (٩١٥)، ص: (٣٢٠). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث:(٢٧٣١).

ولما للاسم من أثر بالغ في التربية أرشد النّبيّ ﷺ إلى اختيار أحسن الأسماء وأحبّها إلى الله، فعن أبي وَهْب الجُشَميّ رضي الله عنه -وكانت له صحبة- عن النّبيّ ﷺ قال: ((**تسمّوا بأسماء الأنبياء. وأحبّ الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرّحمن، وأَصدقُها حارث وهمّام، وأَقبحُها حرب ومرَّة**))[1].

وقد دلَّ هذا الحديث على أنّ أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن "وأمثالهما مما فيه إضافة العبد إلى الله تعالى لما فيه من الاعتراف بالعبودية وتعظيمه تعالى بالربوبية كلما يذكر الاسم...ولا شك أن وصف العبودية وتعظيمه تعالى بالربوبية يتضمن الإشعار بالذل في حضرته المستدعي للرحمة لصاحبه؛ ولذلك ذكرهم الله تعالى في مواضع الرحمة باسم العبد، فقال: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[2] الآية، وقد ذكر الله تعالى نبيه ﷺ في أشرف المواضع في كتابه باسم عبد الله فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[3] وقال: ﴿ نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾[4] "[5].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أحبّ الأسماء إلى الله عز وجلّ، رقم الحديث: (٨١٤)، ص: (٢٨٣). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم الحديث: (٤٩٥٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٠٣).

(٢) سورة الزمر الآية: (٥٣).

(٣) سورة الجن الآية: (١٩).

(٤) سورة الفرقان الآية: (١).

(٥) السندي، أبو الحسن الحنفي، شرح ابن ماجه: (٤/٢١٦).

ومن الأسماء المستحبّة المرغوب فيها، التسمية بأسماء الأنبياء؛ "لأنهم سادات بني آدم، وأخلاقهم أشرف الأخلاق، وأعمالهم أزكى الأعمال، فالتسمية بأسمائهم تذكِّر بهم وبأوصافهم وأحوالهم"[(١)]:

عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ قال: ((**تَسَمّوا باسمي ولا تكَنَّوا بكُنيتي؛ فإنِّي أنا أبو القاسم**))[(٢)].

وعن يوسف بن عبد الله بن سَلاَم ﷺ قال: ((**سمّاني النّبيّ ﷺ يوسُف، وأقعدني على حجره، ومسح على رأسي**))[(٣)].

وعن أبي موسى ﷺ قال: ((**وُلِدَ لي غلام، فأتَيْتُ به النّبيَّ ﷺ فسمّاه إبراهيم. فحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودَفَعَه إليَّ**)). **وكان أكبَرَ ولد أبي موسى**[(٤)].

---

(١) أبو زيد، بكر بن عبد الله، تسمية المولود آداب وأحكام. ص: (٣٥).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أسماء الأنبياء، رقم الحديث: (٨٣٦)، ص: (٢٩٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب قول النّبيّ ﷺ"تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي" قاله أنس عن النّبيّ ﷺ، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الآداب، باب النهي عن التكنّي بأبي القاسم وبيان ما يستحبّ من الأسماء، رقم الحديث: (٥٥٩٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أسماء الأنبياء، رقم الحديث: (٨٣٨)، ص: (٢٩٣). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣١٢).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أسماء الأنبياء، رقم الحديث: (٨٤٠)، ص: (٢٩٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من سمّى بأسماء الأنبياء رقم الحديث: (٦٢٠٣). ومسلم الصحيح، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم الحديث: (٥٥٨٠).

ويجب أن يُجنَّب الولد الأسماء المحرّمة والمكروهة، وكان رسول الله ﷺ يغيّر الأسماء القبيحة، قال أبو داود: "وغيّر رسول الله اسم العاص، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وغراب، وشهاب. وحباب: فسمّاه هاشما، وسمّى حربا: سلما، وسمّى المضطجع: المنبعث، وأرضا يقال: لها عفرة: خضرة، وشِعب الضلالة سمّاه: شعب الهدى، وبنو الزِّنْيَة سمّاهم: بني الرشدة، وسمى بني مغوية: بني رشدة"(١).

ومن الأسماء المحرّمة والمكروهة:

١) الأسماء المختصة بالله ﷻ، فلا تجوز التسمية بالأحد ولا بالصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، ولا بملك الملوك، ولا بسلطان السلاطين، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أخنى**(٢)**الأسماء عند الله رجل تسمّى مِلك الأملاك**))(٣).

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح: (٢/١٥٨٦).

(٢) الخنا: الفُحش في القول، ويجوز أن يكون من أخنى عليه الدهر، إذا مال عليه وأهلكه. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٢٨٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أبغض الأسماء إلى الله عزّ وجلّ، رقم الحديث: (٨١٧)، ص: (٢٨٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، رقم الحديث: (٦٢٠٥). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، رقم الحديث: (٥٥٧٥).

وقال ابن القيم رحمه الله[١]: "وفي معنى ذلك كراهية التسمية بقاضي القضاة، وحاكم الحكام؛ فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله سبحانه، وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة، وحاكم الحكام، قياسا على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بملك الأملاك، وهذا محض القياس"

وعن شريح بن هانئ رضي الله عنه قال: حدّثني هانئ بن يزيد رضي الله عنه: **أنّه لمّا وفد على النّبيّ ﷺ مع قومه، فسمعهم النبيّ ﷺ وهم يُكنُّونه بأبي الحَكَم، فدعاه النبيّ ﷺ فقال: ((إنّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم، فلِمَ تكنَّيْتَ بأبي الحَكَم؟)). قال: لا، ولكنّ قومي إذا اختلفوا في شيء أَتَوني فحكمْتُ بينهم، فرضِي كلا الطرفين، قال: ((ما أحسن هذا!)) ثم قال: ((ما لك من الولد؟)). قلتُ: لي شُريح، وعبد الله، ومسلم، بنو هانئ، قال: ((فمَنْ أكبرهم؟)) قلتُ: شُريح، قال: ((فأنتَ أبو شُريح))، ودعا له ولولِده. وسمع النبيُّ ﷺ قوماً يُسمُّون رجلاً منهم: عبدَ الحَجَر، فقال النَّبيُّ ﷺ: ((ما اسمك؟)) قال: عبد الحَجَر. قال: ((لا. أنت عبدُ الله)). قال شُرَيْح: وإنْ هانئاً لمّا حضر رُجوعَه إلى بلاده أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: أخبرني بأيِّ شيءٍ يُوجِبُ ليَ الجنَّة؟ قال: ((عليك بحُسْن الكَلام، وَبَذل الطَّعام))**[٢].

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: (١٩٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كُنية أبي الحَكَم، رقم الحديث: (٨١١)، ص: (٢٨٢). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب تغيير الاسم القبيح، رقم الحديث: (٤٩٥٥)، والنسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب آداب القضاة، باب إذا حكَّموا رجلا فقضى بينهم، رقم الحديث: (٥٣٨٩).

ويقاس على ذلك الأسماء المختصة بالرسول ﷺ، قال ابن القيم: "وكذلك تحرم التسمية بسيّد الناس وسيّد الكل، كما يحرم سيّد ولد آدم؛ فإن هذا ليس لأحد إلا لرسول الله ﷺ وحده، فهو سيّد ولد آدم، فلا يحلّ لأحد أن يُطلق على غيره ذلك"[١].

٢) الأسماء القبيحة التي تمسّ كرامة الأولاد، وتكون مدعاة للاستهزاء بهم، والسخرية عليهم، أو الأسماء التي لها معان تكرهها النّفوس ولا تلائمها؛ كحرب، ومرة وكلب، وحية، وأشباهها[٢].

عن ابن عمر **أنّ النّبيّ ﷺ غيّر اسم عاصية وقال: «أنتِ جميلة»**[٣].

وعن مطيع رضي الله عنه قال: **سمعتُ النّبيَّ ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بعد اليوم، إلى يوم القيامة». فلم يدرك الإسلامَ أحدٌ من عصاة قريش غير مُطيع؛ كان اسمه العاص فسمّاه النّبيُّ ﷺ مطيعا**[٤].

٣) الأسماء المشتقة من كلمات فيها تشاؤم، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها بإذن الله تعالى:

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: (١٩٠).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق: ص: (٢٠٢).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تحويل اسم عاصية، رقم الحديث: (٨٢٠)، ص: (٢٨٦). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برّة إلى زينب وجويرية ونحوهما، رقم الحديث: (٥٥٦٩).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العاص، رقم الحديث: (٨٢٦)، ص: (٢٨٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الجهاد، باب لا يقتل قرشيّ صبرا بعد الفتح، رقم الحديث: (٤٦٢٧).

عن عائشة رضي الله عنها: **ذُكِر عند رسول الله ﷺ رجلٌ يُقال له شهاب**[1]، **فقال رسول الله ﷺ: «بل أنتَ هشامٌ»**[2].

وعن ليلى امرأة بشير رضي الله عنها، **تحدّث عن بشير بن الخَصَاصِيّة رضي الله عنه، وكان اسمه زَحْم فسمّاه النّبيّ ﷺ بشيرًا**[3].

٤) الأسماء التي فيها يمن أو تفاؤل، حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم وهم غائبون بلفظ لا، أو تكون فيها معاني التزكية:

عن محمد بن عمرو بن عطاء رضي الله عنه، **أنّه دخل على زينب بنت أبي سَلَمَةَ رضي الله عنها، فسألْته عن اسم أُخت له عندَه. قال فقلتُ: اسمها برّة، قالت: غيِّر اسمها؛ فإنّ النّبيَّ ﷺ نكَحَ زينب بنت جحش واسمها برَّة. فغيَّر اسمها إلى زينب، ودخَل على أمِّ سلمة حين تزوَّجها، واسمي برَّة، فسمِعها تدعوني برَّة، فقال: «لا تزكوا أنفسكم؛ فإنّ الله هو أعلم بالبرّة منكنّ والفاجرة، سمِّيها زينب»، فقالت: فهي زينب. فقلتُ لها: أسمِّي؟**

---

(١) وهو في الأصل الشعلة من النار. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٤٩٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب شهاب، رقم الحديث: (٨٢٥)، ص: (٢٨٨). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليقا، السنن، كتاب الأدب، باب تغيير الاسم القبيح: (٢/ ١٥٨٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٠٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب زحم، رقم الحديث: (٨٣٠)، ص: (٢٩٠). وأحمد بن حنبل الشيباني، المسند: (٥/٢٢٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣٠٩).

فقالت: ((**غيِّرْ إلى ما غيَّرَ إليه رسول الله ﷺ؛ فسمِّها زينب**))[١].

وعن جابر، عن النبيِّ ﷺ قال: ((**إنْ عِشتُ نَهَيْتُ أُمَّتي – إن شاء الله– أن يسمّيَ أحدهم بَرَكَة، ونافعا، وأفلَحَ،** (**ولا أدري قال:** ((**رافع**)) **أم لا؟**)، **يُقال: ها هنا بَرَكَةُ؟ فيُقال: ليس هنا**)). **فقُبضَ النّبيّ ﷺ ولم ينه عن ذلك**[٢].

وعنه من طريق أخرى: **أراد النّبيّ ﷺ أن ينهى أن يُسمّى بيَعلى، وببركة، ونافع، ويسار، وأفلح، ونحو ذلك، ثم سكت بعدُ عنها، فلم يَقُلْ شيئاً**[٣].

قال النووي رحمه الله[٤]: "معناه: أراد أن ينهي عنها نهي تحريم، وأمّا النّهي الذي هو لكراهة التنزيه، فقد نَهَى عنه في الأحاديث الباقية".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تحويل اسم عاصية، رقم الحديث: (٨٢١)، ص: (٢٨٦).ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم مرّة إلى زينب وجويرية ونحوهما، رقم الحديث: (٥٦٨).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أفلح، رقم الحديث: (٨٣٣)، ص: (٢٩١). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، رقم الحديث: (٥٦٠٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أفلح، رقم الحديث: (٨٣٤)، ص: (٢٩٢). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه، رقم الحديث: (٥٦٠٣).

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (١٤/٣٤٥).

وقال الألباني رحمه الله[١]: "والحصيلة: أن النهي صحيح؛ لكنّه محمول على التنزيه؛ لأدلة ذكرها ابن جرير، فليراجعه من شاء، منها حديث رباح غلام النّبيّ ﷺ الآتي بعد هذا".

وحديث رباح المشار إليه أورده المصنف، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **لمَّا اعتزل النَّبيُّ نساءَه، فإذا أنا برَباحٍ غلام رسول الله ﷺ فناديْتُ: يا رباحُ، استأذِنْ لي على رسول الله**[٢].

وفي معنى الأسماء السابقة: "مبارك، ومفلح، وخير، وسرور، ونعمة، وما أشبه ذلك؛ فإن المعنى الذي كَرِه له النبي ﷺ التسمية بتلك الأربعة موجود فيها؛ فإنه يقال: أعندك خير؟ أعندك سرور؟ أعندك نعمة؟ فيقول: لا؛ فتشمئز القلوب من ذلك، وتتطيّر به، وتدخل في باب المنطق المكروه"[٣].

ومن المبادئ التربوية التي وضعتها السنّة النبوية في تربية الولد مما له علاقة بالتسمية، تكنية المولود بأبي فلان؛ ولهذه الكنية آثار نفسيّة جيدة، وفوائد تربوية عظيمة، ومنها:

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣١٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رباح، رقم الحديث: (٨٣٥)، ص: (٢٩٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب الغرفة والعُلّيّة والمشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، رقم الحديث: (٢٤٦٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح،كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهنّ وقوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾، رقم الحديث:(٣٦٩١).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: (١٩٣).

- تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسيّة الولد.
- تنمية شخصيته الاجتماعية، لاستشعاره أنّه بلغ مرتبة الكبار، وسنّ الاحترام.
- ملاطفته وإدخال السّرور عليه بمناداته بهذه الكنية الحبيبة إليه.
- تعويده أدب الخطاب للكبار، ولمن كان في سنّه من الصّغار[1].

عن أنس قال: **كان النبي ﷺ يدخُل علينا – ولي أخٌ صغيرٌ يُكنَّى أبا عُمير، وكان له نُغَير[2] يلعب به، فمات – فدخل النّبيّ ﷺ فرآه حزينا، فقال:** «**ما شأنه؟**»، **قيل له: مات نُغره، فقال:** «**يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير**»[3].

وعن إبراهيم [هو النَّخعيّ] س: «**أنّ عبد الله كنّى علقمة أبا شبل ولم يولَد له**»[4].

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: (٨٢/١).

(٢) هو تصغير النُّغَر وهو طائر يُشْبِه العُصْفور أحمر المِنْقار ويُجمع على: نِغْرَان. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٩٢٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكُنية للصبيّ، رقم الحديث: (٨٤٧)، ص: (٢٩٦). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، رقم الحديث: (٦٢٠٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الآداب، باب جواز تكنية من لم يولد له، وتكنية الصغير، رقم الحديث: (٥٦٢٢).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكُنية قبل أن يولد له، رقم الحديث: (٨٤٨)، ص: (٢٩٦). والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: (٣٥٤/٣) وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣١٦).

وعن علقمة [هو ابن وائل] ﷺ قال: ((**كَنَّاني عبد الله قبل أن يُولَدَ لي**))[١].

وعن عائشة ﷺ قالت: **يا نبيَّ الله ألا تُكنيني؟ فقال:**((**اكتني بابنكِ**)). **يعني عبدَ الله بنَ الزُّبير، فكانت تُكنَّى أمَّ عبد الله**[٢].

٣) الختان:

ومن حقوق الأولاد على الوالدين القيام بختانهم لثبوت سنة الختان عن النبيﷺ، فعن أبي هريرة، **أن رسول الله ﷺ قال:** ((**اختتن إبراهيمُ ﷺ بعد ثمانين سنة، واختتن بالقَدُوم**)). **(قال أبو عبد الله يعني موضعا)**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكُنية قبل أن يولد له، رقم الحديث: (٨٤٩)، ص: (٢٩٧). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣١١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كُنية النساء، رقم الحديث: (٨٥١)، ص: (٢٩٧). وأحمد بن حنبل الشيباني، المسند: (١٨٦/٦). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب المرأة تكنّى، رقم الحديث: (٤٩٧٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٣١٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الختان، رقم الحديث: (١٢٤٤)، ص: (٤٥٧). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب حديث الأنبياء، باب قول الله تعالى :﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ وقوله: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله﴾ وقوله: ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾، رقم الحديث: (٣٣٥٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، رقم الحديث: (٦١٤١).

وعن أمِّ علقمة رضي الله عنها: «**أن بنات أخي عائشة اختتن، فقيل لعائشة: ألا ندعو لهنَّ من يُلهيهنّ؟ قالت: بلى. فأرسلتُ إلى مغنّ فأتاهن فمرّت عائشة في البيت فرأَتْه يتغنّى ويحرّك رأسَه طَرَباً -وكان ذا شعر كثير- فقالت: أفٍّ، شيطان أخرجوه، أخرجوه**»(١).

والأحاديث السابقة تدلُّ دلالة صريحة على أن الختان سنة ثابتة عن النبي ﷺ، ويجب على الوالدين الحرص كلّ الحرص على ختان أولادهما تطبيقا لهذه السنة النبوية "هذا مع ما في الختان من: الطهارة، والنظافة، والتزيّن، وتحسين الخلقة، وتعديل الشهوة التي إذا أفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عدمت بالكلية ألحقته بالجمادات؛ فالختان يعدلها؛ ولهذا تجد الأقلف من الرجال والقلفاء من النساء لا يشبع من الجماع"(٢).

٤) النَّفقة:

نفقة الأولاد ذكورا كانوا أو إناثا واجبة على الوالد؛ حتى يشتدّ عود الذكر ويستطيع أن يعول نفسه، وحين تتزوج الأنثى، فعن المقدام رضي الله عنه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**ما أطعمتَ نفسَك فهو صدقة، وما أطعمتَ ولدَك وزوجتَك وخادمَك فهو صدقة**»(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب اللهو في الختان، رقم الحديث: (١٢٤٨)، ص: (٤٥٨). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٨٢).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: (٣١٢).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقة، رقم الحديث: (١٩٥)، ص: (٧٥). وأحمد بن حنبل، المسند: (١٣١/٤)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٩١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الصدقة ما بقّى غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول. تقول امرأتك: أنْفقْ عليَّ أو طلِّقني، ويقُول مملوكُكَ: أنْفِقْ عليَّ أو بِعْني، ويقول وَلَدُكَ: إلى مَنْ تَكِلُنا**»(١).

(وابدأ بمن تعول): أي: بمن يجب عليك نفقته، يقال: عال الرجل أهله إذا مَانَهُم، أي: قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة، وهو أمرٌ بتقديم ما يجب على ما لا يجب(٢).

واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن نفقة الولد والزوجة فرض بلا خلاف(٣).

وتسمية النفقة على الأولاد صدقة لا تعني أنها ليست واجبة، بل "النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرفهم أنها لهم صدقة، حتى لا يخرجها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم، ترغيبا لهم في تقديم الصدقة الواجب قبل صدقة التطوع"(٤).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقة، رقم الحديث: (١٩٦)، ص: (٧٦). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال، رقم الحديث: (٥٣٥٥).

(٢) ابن حجر، فتح الباري: (٩/٦٣٠).

(٣) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: (١١/١٤).

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٩/٦١٨).

عن ثوبان ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار أنفقه على عياله، ودينار أَنْفَقَه على أصحابه في سبيل الله، ودينار أنفَقَه على دابَّته في سبيل الله.

قال أبو قلابة ﷺ: وبدأ بالعيال، وأيُّ رجل أعظم أجراً مِنْ رجل يُنفِق على عيال صغار؛ حتّى يُغْنيهم الله ﷻ؟[1].

وعن جابر قال: **قال رجل: يا رسول الله عندي دينار، قال: «أنفقه على نفسك» قال: عندي آخر، فقال: «أنْفِقْه على خادمتك – أو قال– ولدك». قال عندي آخر. قال: «ضعه في سبيل الله، وهو أخسُّها»[2].**

٥) التربية والتعليم:

يجب على الوالدين أن يقوما بتربية وتعليم أولادهما على المنهج الإسلامي الصحيح، وفقا للمبادئ التربوية السليمة، والتربية الحسنة للأولاد واجبة على الآباء والأمهات، والتربية الحسنة هي التربية المتفقة مع أوامر الدين وتوجيهاته، وهي أمانة في عنق الآباء والأمهات، إن قصروا فيها – فوقع الأبناء في المعاصي، وانحرفوا عن جادة الطريق – فإنهم يعاقبون على ذلك يوم القيامة؛

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على أهله، رقم الحديث: (٧٤٨)، ص: (٢٦٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، رقم الحديث: (٢٣١٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على أهله، رقم الحديث: (٧٥٠)، ص: (٢٦٠). قال الألباني: صحيح لغيره دون قوله: «ضعه...». صحيح الأدب المفرد، ص: (٢٨١).

لأنهم مسؤولون عن تربيتهم وسوف يحاسبون عن هذه المسؤولية، فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأميرُ الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته. وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه. ألا كلكم راع وكُلُّكم مسؤول عن رعيته**»[١].

ورعاية الرجل لأهل بيته يكون بالإنفاق والتربية والتوجيه والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما يحتاجون من أمر الدين[٢].

ومن هنا تأتي التربية والتعليم في سلّم العلاقة التي تربط بين الوالدين والأولاد ودورهما في تربيتهم دور أساسي ومهم جدا؛ لأن الأسرة هي البيئة التربوية الأولى التي يتربى فيها الأطفال، ويتشكل فيها معظم سماتهم الشخصية والاجتماعية.

والوالدان غير مطالبان بأسلوب، أو منهج معين في تعليم أولادهم وتربيتهم، "إنما المقصود هو تعليمهم وتثقيفهم، وتحصينهم بالعقيدة الصحيحة، والأخلاق والآداب الإسلامية معتمدا على القرآن الكريم،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العبد راع، رقم الحديث: (٢٠٦)، ص: (٧٩). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم الحديث: (٨٩٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث: (٤٧٢٤).

(٢) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد: (١/٢٣٦).

والسنة المطهرة، والسِّيَر وغيرها من مصادر التربية الإسلامية. فإن صعب عليهم أسلوب الإلقاء والمحاضرة انتهجوا أسلوب القراءة، فيحضرون لهم فقرة من باب معين من أبواب الفقه، أو السيرة أو غيرهما. مراعيا الإيجاز، وسلاسة الأسلوب، وقدرات الأولاد العقلية، فيقرأون ذلك عليهم، ويجيبون على أسئلتهم"[(١)]...ولهم أن يختاروا طرقا أخرى مناسبة حسب ما تمليه طبيعة المادة وظروف الموقف التعليمي.

"ولو أن الأسر اهتمت بتربية أبنائها وتعليمهم وتنشئتهم على طاعة الله وطاعة رسوله، مع الإخلاص والتجرّد لله لكان لأولاد المسلمين شأن في نشر الخير والطمأنينة بين البشر في مشارق الأرض ومغاربها، كما كان لأسلافهم في العصور المفضلة"[(٢)].

وإهمال جانب التربية والتعليم له عواقب وخيمة في مستقبل الأولاد، "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى؛ فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه؛ فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق؛ فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا؛ وأضعتني وليدا؛ فأضعتك شيخا"[(٣)].

---

(١) باحارث، عدنان، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ص: (٨٣).

(٢) قادري، عبد الله أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص: (١٨٦).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: (٣٨٧).

٦) حب الأولاد والرحمة بهم.

من أهم حاجات الطفل الاجتماعية الحاجة إلى الحب والعطف والحنان والرحمة ممن حوله، وهذا الحب المتبادل بينه وبين والديه وإخوته وأقرانه حاجة لازمة لصحته النفسية.

والطفل الذي لا يشبع هذه الحاجة العاطفية فإنه يعاني من العطش العاطفي، ويشعر أنه غير مرغوب فيه، ويصبح سيء التوافق، مضطربا نفسيا[١].

وقد أجريت دراسات متعددة لاستقصاء أثر أساليب الوالدين في التعامل مع الأبناء على صحة الأبناء النفسية، وتشير نتائج هذه الدراسات إلى أن التعامل الذي يعطي للطفل شعورا بالاطمئنان ويقوم على التقبل والمسايرة والنصح والإرشاد يؤدي إلى نتائج تكيفية أفضل من تلك التي يؤدي إليها التعامل الذي يقوم على الحرمان والنبذ والضغط والإكراه والعقاب البدني[٢].

إذاً "لكي ينشأ الأولاد نشأة سوية خالية من العقد، ومن الكبت والضغط، ولكي يشعروا بالرحمة والسعادة والاستقرار وهم بين آبائهم وأمهاتهم، ولكي يُعَدوا إعدادا يجعلهم نافعين لغيرهم، مكملين رسالة آبائهم، رافعينَ من شأن أمتهم..لكي يكونوا كذلك فهم يحتاجون إلى أن يعاملوا معاملة رحيمة رقيقة لطيفة في صغرهم، وأن يشعروا بالاستقرار والراحة النفسية والسعادة القلبية وهم بين آبائهم وأمهاتهم، إن ذلك يجعلهم يحبون أسرهم، ويقدرون الروابط الأسرية حق قدرها، ويحاولون إقامة مجتمع مماثل أينما وجدوا"[٣].

---

(١) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص: (٢٦٧).

(٢) التل، سعيد، وآخرون، المرجع في مبادئ التربية، ص: (٢٨٤).

(٣) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: (٢١٤).

ولذلك تجد في السنة النبوية الحث على جعل العلاقة بالأولاد قائمة على الرحمة والشفقة، وإشعارهم بالحب والحنان، كما تجد فيها اللوم الشديد على من يتعامل معهم بالقسوة والجمود:

عن أنس بن مالك: **جاءت امرأةٌ إلى عائشة** رضي الله عنها **فأعطتها عائشةُ ثلاثَ تمرات، فأعطت كلَّ صبيّ لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيَّان التمرتين ونظرا إلى أمِّهما، فعمدت إلى التمرة فشقَّتها فأعطَت كلَّ صبي نصف تمرة. فجاء النبيُّ** ﷺ **فأخبرته عائشة فقال: «وما يُعجبكِ من ذلك؟ لقد رَحِمَهَا اللهُ برحمتها صبيَّيْها»**[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **جاء أعرابي إلى النّبيِّ** ﷺ **فقال: أتقبِّلون صبيانكم؟! فما نقبلهم. فقال النّبيُّ** ﷺ:**«أو أملكُ لَكَ أن نزع الله من قلبك الرحمة»؟**[(٢)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الوالدات رحيمات، برقم (٨٩). ص: (٤٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٥)، ومسلم بمعناه، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم الحديث: (٦٦٩٤).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبلة الصبيان، برقم (٩٠). ص: (٤٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك، رقم الحديث: (٨٠٢٧).

عن أبي هريرة قال: **قبَّل رسولُ الله ﷺ حسنَ بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً! فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»**(١).

وعن أنس بن مالك قال: «**كان النّبي ﷺ أرحمَ الناس بالعيال، وكان له ابنٌ مسترضعٌ في ناحية المدينة، وكان ظئره**(٢) **قينا**(٣)**، وكنّا نأتيه، وقد دخُن البيت بإذخِر**(٤)**؛ فيقبِّله ويشمُّه**»(٥).

وعن أبي هريرة قال: **أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ ومعه صبيٌّ، فجعل يضمُّه إليه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أترحمه»؟ قال: نعم، قال: «فالله أرحمُ بك، منك به، وهو أرحم الراحمين»**(٦).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبلة الصبيان، برقم (٩١). ص: (٤٤). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٧).

(٢) الظئر: المرضعة غير ولدها، ويقع على الذكر والأنثى. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٥٧٩).

(٣) وهو الحدّاد والصائغ. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: (٧٨٣).

(٤) الإذخِر - بكسر الهمزة - حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: (٣٠).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة العيال، رقم الحديث: (٣٧٦). ص: (١٣٢). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك، رقم الحديث: (٨٠٢٦).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة العيال، رقم الحديث: (٣٧٧). ص: (١٣٢). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (١٥٠).

وعن البراء ﷺ قال: **رأيتُ النّبيَّ ﷺ والحسنُ - صلوات الله عليه - على عاتقه، وهو يقول: ((اللّهم إنِّي أُحِبُّه فأحبَّه))**[١].

٧) العدل بين الأولاد:

يجب أن تكون العلاقة مع الأولاد قائمة على العدل والمساواة بينهم في العطف والعطية..لكي ينشأوا على الألفة والمحبة بينهم، بعيدين عن أسباب العداوة والبغضاء والتحاسد والتنافس الذميم، ولا يمكن أن يتحقق ذلك مع وجود التفرقة بين الأولاد في البر والعطية والمحبة ونحو ذلك؛ "لأن الأطفال ذو حساسية شديدة، وذو ذكاء مناسب عموما، فانحياز الوالدين أو أحدهما لطفل من أولادهما دون الآخرين، أو محبة واحد منهم وكراهية الآخر..كل ذلك يدركه الطفل بوضوح حتى ولو كان في عامه الثاني، وكلما كبر ازداد إدراكه لذلك؛ وهذا مما يسبب للطفل المحروم عوامل القلق والغيرة والحسد، والتباغض بين الإخوان.

فوحدة السياسة التربوية للوالدين في معاملة الأطفال، وعدلهما بين البنين والبنات..من أكبر عوامل نجاح التنشئة التربوية، وعوامل الطمأنينة النفسية. أما المعاملة الظالمة، والمتحيزة..فإنها من عوامل زراعة الحقد بين الأطفال الأبرياء الناشئين"[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حمل الصَّبيّ على العاتق، رقم الحديث: (٨٦). ص: (٤٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم الحديث: (٦٢٥٨).

(٢) الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، ص: (١٢٥).

ولهذا أمرت السنة النبوية بالتعامل مع الأولاد على أساس العدل بينهم، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، **أنَّ أباه انطلق به إلى رسول الله ﷺ يحمله فقال: يا رسول الله إنِّي أُشهِدُكَ أنِّي قد نَحَلتُ النّعمان كذا وكذا، فقال: «أكلَّ ولدِك نَحَلتَ؟» قال: لا، قال: «فأشهِدْ غيري» ثم قال: «أليس يسرُّك أن يكونوا في البرِّ سواء؟»، قال بلى. قال: «فلا إذاً». قال أبو عبد الله البخاري: ليس الشهادة من النَّبيِّ ﷺ رخصة**[1].

ولا خلاف بين علماء الأمة في أن العدل والتسوية بين الأولاد أفضل[2].

وبالتأمل في الأضرار التربوية الناجمة عن عدم العدل بين الأولاد، يتأكد القول بوجوب التسوية، هذا مع دلالة النص دلالة واضحة على وجوبها، قال ابن القيم في معرض شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام: «فأشهد غيري»[3]: "وهذا أمر تهديد لا إباحة؛ فإن تلك العطية كانت جورا بنص الحديث، ورسول الله ﷺ لا يأذن لأحد أن يشهد على صحة الجور، ومن ذا الذي كان يشهد على تلك العطية؟ وقد أبى رسولُ الله ﷺ أن يشهد عليها، وأخبر أنها لا تصلح، وأنها جور، وأنها خلاف العدل؟!".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أدب الوالد وبرّه لولده، رقم الحديث: (٩٣). ص: (٤٥). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم الحديث: (٢٥٨٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل، رقم الحديث: (٤١٨٥).

(٢) الشنقيطي، أحمد بن أحمد، مواهب الجليل من أدلة خليل: ٤/١٨٠

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: (٣٨٧).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: "ولأن تفضيل بعضهم يورث بينهم العداوة والبغضاء وقطيعة الرحم، فمُنِعَ منه، كتزويج المرأة على عمتها أو خالتها".
وقال ابن حجر[٢]: "ومن حجة من أوجبه أنه مقدمة الواجب لأن قطع الرحم والعقوق محرمان فما يؤدي إليهما يكون محرما والتفضيل مما يؤدي إليهما".

هذا ومن صور عدم العدالة بين الأولاد التي انتشرت - مع الأسف - في بعض مجتمعاتنا الإسلامية، وهي من موروثات الجاهلية القديمة:

أ- حب الأبناء وكراهية البنات، فنجد الابن يتمتع بكل اهتمام وعناية ورعاية، يخص بكل غال من المأكل والملبس، والهدايا والهبات والعطايا، بل والقول اللطيف والكلم الطيب والتدليل، ولا تلقى البنت شيئا من ذلك قط، وإنما يوالي عليها التحقير والتعنيف، مما يشعرها بالدونية، وبذلك لا تستجيب نفسيا لتربية الوالدين، وهذا النوع من التعامل لا شك أنه منافي للعدل بين الأولاد الذي أمر به الشرع الحنيف، كما تجلى ذلك واضحا في الأحاديث التي أوردها الباحث سابقا والتي تأمر بالعدل بين الأولاد وتحذِّر من الجور والظلم بينهم.

ب- ومظنة الظلم الأخرى التي تلحق بالأولاد، هي ما يحدث بين الأولاد غير الأشقاء، حيث يقع الآباء تحت سيطرة إحدى الزوجات، وبذلك يقدِّمون أولادها على أولاد الأخريات في كل شيء، مما يشعل الأحقاد بينهم، ويمزق علاقاتهم تمزيقا لا يرفأ، ويحيلهم على أعداء يتربص بعضهم ببعض[٣].

---

(١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني: (٢٥٧/٨).
(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٢٦٣/٥).
(٣) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص: (١٩٧).

هذا وينبغي أن تكون العلاقة مع الأبناء علاقة قوية راسخة مبنية على القيم والمبادئ الإسلامية، وذلك لكي يتسنى للوالدين القيام بتربيتهم، واستغلال فرصة الطفولة في غرس الأدب والخلق الحسن، "فالصبي يولد على الفطرة الخالصة والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخُلُق من الأخلاق انتقشت صورته في لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة تمتدّ شيئا فشيئا إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس، وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدّها، يؤيّد هذا أنَّا إذا رأينا من الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذّب الألمعية، لا نرتاب في دعوى أنَّه ممن أنبته الله في البيوت الفاضلة نباتا حسنا"[١].

---

(١) حسين، محمد الخضر، السعادة العظمى، ص: (٦٠).

المطلب الثالث: العلاقة بالزوج.

انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها وانتظام جامعتها؛ فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها...ولم تزل الشرائع تعنى بضبط أصل نظام تكوين العائلة الذي هو اقتران الذكر بالأنثى المعبّر عنه بالزواج أو النكاح. فإنه أصل تكوين النسل، وتفريع القرابة بفروعها وأصولها، واستتبع ذلك ضبط نظام الصهر، فلم يلبث أن كان لذلك الأثر الجليل في تكوين نظام العشيرة فالقبيلة فالأمة، فمن نظام النكاح تتكون الأمومة والأبوة والبنوة، ومن هذا تتكون الأخوة وما دونها من صور العصبة، ومن امتزاج رابطة النكاح برابطة النسب والعصابة تحدث رابطة الصهر، وجاءت شريعة الإسلام مهيمنة على شرائع الحق، فكانت الأحكام التي شرعتها للعائلة أعدل الأحكام وأوثقها وأجلّها[(١)].

فنظمت العلاقة بين الزوجين على ضوء مبادئ وقيم راسخة من أهمها:

١) المودة والرحمة وحسن العشرة:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٢)]

فيجب على الزوج أن يرحم زوجته ويعطف عليها ويأخذها بالرفق واللين ويعاملها بالحسنى، ويظهر لها الحب والعطف والحنان، وكذلك على الزوجة أن تحب زوجها وترحمه، وهما بذلك يكون أسوتهما رسول الهدى والرحمة، فقد كان ﷺ خير الناس معاشرة لأزواجه وأحسن الناس رفقا بهن، وتسامحا معهن.

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: (٤٢١).

(٢) سورة الروم الآية: (٢١).

عن الأسود رضي الله عنه قال: **سألت عائشة** رضي الله عنها: **ما كان يصنع النَّبيُّ في أهله؟ فقالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج**[١].

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله عز وجل إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فم امرأتك**»[٢].

قال النووي رحمه الله[٣]: "وفيه أن المباح إذا قُصد به وجه الله تعالى صار طاعة ويُثاب عليه، وقد نبَّه ﷺ على هذا بقوله ﷺ: «حتى اللّقمة تجعلها في في امرأتك»، لأن زوجة الإنسان هي من أخصّ حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذّه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنَّما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبرَ ﷺ أنّه إذا قَصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى، حصل له الأجر بذلك، فغيْر هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى".

وبناء العلاقة بين الزوجين على المودة والرحمة له مغزى تربوي واضح،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يعمل الرجل في بيته، رقم الحديث: (٥٣٨). ص: (١٨٥). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، رقم الحديث: (٦٠٣٦).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يُؤجر في كلّ شيء حتى اللقمة يرفعها إلى في امرأته، رقم الحديث: (٧٥٢). ص: (٢٦١). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، رقم الحديث: (٥٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم الحديث: (٤٩٠٩).

(٣) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (٨١/١١).

وهو أنه إذا كانت العلاقة بين الزوجين منسجمة، فإن هذه العلاقة تعمل على نمو شخصيات متكاملة متزنة بين الأبناء، وبالعكس فإن الخلافات والمشاحنات بين الزوجين، من شأنها إحداث الاضطراب والنمو النفسي غير السليم بين الأطفال(١).

ومن العشرة بالمعروف التغاضي عن بعض الأخطاء التي يرتكبها كل من الزوجين في حق الآخر، ولاسيما الهفوات التي تصدر من الزوجة، فالكمال في النساء عزيز، والعوج من فطرهن.

"وحسن العشرة ذوق وفن وتربية اجتماعية عالية، وبه دوام المحبة والألفة والرحمة، وكثيرا ما تُحَلُّ المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية، والنظرة الودود، والمجاملة الرقيقة، والأسلوب المهذب، والخضوع اللين"(٢).

عن نعيم بن قعنب ﵁ قال: **أتيتُ أبا ذرّ، فلم أوافقْهُ، فقلت لامرأته: أين أبو ذرّ؟ قالتْ: يمْتهن(٣)؛ سيأتيك الآن، فجلستُ له، فجاء ومعه بعيران، قد قَطَرَ أحدَهما بعَجُز الآخر، في عنق كلٍّ واحد منهما قربة، فوضعهما، ثم جاء. فقلتُ يا أبا ذرّ ما من رجل كنتُ ألقاه كان أحب إليّ لُقِيًّا منك، ولا أبغض إليَّ لُقِيًّا منك قال: لله أبوك؛ وما جَمَع هذا؟ قال: إنٍّ كنتُ وَأَدْتُ مؤْوودة في الجاهلية أَرْهَب إن لقيتُك أن تقول: لا توبة لك، لا مخرج لك، وكنت أرجو أن تقول: لك توبةٌ ومخرجٌ.**

(١) منصور، عبد المجيد سيد أحمد، والشربيني، زكرياء أحمد، علم نفس الطفولة الأسس النفسية والاجتماعية والهدي الإسلامي، ص: (٣٢٣).

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: (٢٠٠).

(٣) أي: يشتغل في خدمة البيت. السلفي، محمد لقمان، رشّ البرد شرح الأدب المفرد، ص: ٣٩٦.

قال: أفي الجاهلية أصبتَ؟ قلت: نعم. قال: عفا الله عما سلف. وقال لامرأته: آتينا بطعام، فأبَتْ، ثم أمرها فأبَتْ، حتى ارتفعت أصواتهما. قال: إيْه فإنّكنّ لا تَعْدون ما قال رسولُ الله ﷺ. قلتُ: وما قال رسولُ الله ﷺ فيهنَّ؟ قال: «إن المرأة خُلِقت من ضِلَع، وإنَّك إن تريد أن تُقيمَها تكسرُها، وإن تُدَارِيها فإن فيها أَوَدًا[١] وبُلْغة[٢]»...[٣].

"والمعنى: أن المرأة خلقها الله من عضو معوج فهي - بطبيعتها وفطرتها - مستعدة لأن تقع في الخطأ أكثر من استعداد الزوج لذلك كمبدأ عام، فإذا أراد الرجل أن يحيا حياة طيبة سعيدة فليدرك أن خطأ زوجته أمر طبيعي، فلا يكثر من اللوم والتأنيب والمؤاخذة، ولا يحول الحياة إلى جحيم، بل عليه أن يتساهل ويتسامح حتى يعيش في متعة وراحة واستقرار مع زوجته، أما إن أراد محاسبتها على كل صغيرة وكبيرة محاولاً أن يجدها يوماً بلا أخطاء فإنه لن يجدها كذلك أبداً، وتكون نتيجة تصلبه وتشدده كسراً للحياة الزوجية يترتب عليه الطلاق، فإذا أدرك الرجل ذلك وفر على نفسه كثيراً من المتاعب"[٤].

---

(١) أي: عووجا. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ٢/٢١٤.

(٢) البُلْغَةُ: ما يتبلغ به من العيش ولا يفضل. يقال: تَبَلَّغَ بِهِ إذا اكتفى به وتجزأ، وفي هذا بَلاغٌ وَبُلْغَةٌ وَتَبَلُّغٌ، أي: كفاية. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٦٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من قدّم إلى ضيفه طعاماً فقام يُصلِّي، رقم الحديث: (٧٤٧). ص: (٢٥٩). وأحمد بن حنبل، المسند: (٥/١٥٠)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٢٨٠).

(٤) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: (١٨٣).

٢) المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات:

عدلت السنة النبوية وساوت بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وما جاءت به السنة النبوية هو العدل الحقيقي وهي المساواة الحقيقية، و"إن الذي يتأمل الحقوق التي شرعها الله في هذا الدين لكل واحد من الزوجين يرى فيها كمال علم الله وحكمته، وكمال عدله ورحمته، وأنه ﷻ قد منح كلاً منهما من الحقوق ما تقوم به الحياة الزوجية على أكمل وجه، والحياة الأسرية على أتم حال، وإن الذي يطالع حقوق الزوج مستقلة يظن أنه قد مُنح من الحقوق، ما لم تنل الزوجة مثلها، فإذا طالع حقوق الزوجة مستقلة ظن أنها منحت من الحقوق ما لم ينل الزوج مثلها، ولكن إذا نظر إلى هذه وتلك ظهر له كمال العناية الربانية بالجانبين"(١).

وتقع على عاتق كل من الزوجين مسؤولية أداء هذه الحقوق مع رعاية الطرف الآخر، فعن ابن عمر، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**كلُّكُم راعٍ وكُلُّكم مسؤول عن رعيَّته، الإمام رَاعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرَّجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، والخادمُ في مال سيِّده» سمعتُ هؤلاء عن النبيِّ ﷺ وأحسبُ النبي ﷺ قال: «والرجل في مال أبيه»**(٢).

---

(١) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص: (١٣٥).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المرأة راعية، رقم الحديث: (٢١٤). ص: (٨٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيّده ونسب النّبي ﷺ المال إلى السيد، رقم الحديث: (٢٥٥٨)، ومسلم ابن الحجاج، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقّة عليهم، رقم الحديث: (٤٧٢٤).

و"الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أنَّ كلَّ من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلّقاته"(١).

ورعاية الرجل لأهل بيته تكون في الإنفاق والتربية والتوجيه والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما يحتاجون إليه من أمر الدين(٢)، وقد جاء في الحديث ما يؤكد هذا المعنى، فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث ﵁ قال: **أتينا النَّبيَّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقَمنا عنده عشرين ليلةً. فظنَّ أنَّا اشتهينا أهلينا، فسألَنا عمَّن تركنا في أهلينا؟ فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً، فقال: «ارجِعوا إلى أهليكم، فعلِّموهم ومُروهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاةُ فليُؤَذِّن لكم أحدكم، وليَؤُمَّكم أكبركم»**(٣).

أما المرأة فمسؤوليتها تمتدّ نحو القيام بشؤون البيت، والحفاظ على أموال زوجها وتربية الأولاد وتوجيههم، ومتابعة شؤونهم، لاسيما عند غياب الزوج، فعن فضالة بن عبيد ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يُسأَلُ عنهم،**

---

(١) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: ١٦/١٩٠.

(٢) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد، ص: (١/٢٣٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الرَّجلُ راعٍ في أهله، رقم الحديث: (٢١٣). ص: (٨١). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة، وكذلك بعرفة وجَمع، رقم الحديث: (٦٣١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، رقم الحديث: (١٥٣٥).

رجل فارق الجماعة، وعصى إمامَه فماتَ عاصيا؛ فلا تَسْأَلُ عنه، وَأَمَة أو عبد أبِقَ من سيده. وامرأةٌ غاب زوجُها وكفاها مؤونة الدنيا فتَبَرَّجَتْ وتَمَرَّجَتْ بعده...الحديث»[١].

والعلاقة الزوجية تعدّ النواة الأولى لبناء الأسرة، وإذا قامت هذه العلاقة على أساس متين، واحترام متبادل، وأداء الحقوق، فإنها تؤثر إيجابيا في إيجاد الاستقرار الأسري، ومن ثم على تربية الأولاد تربية اجتماعية سليمة؛ لأن أثر أول تفتح الطفل للحياة الاجتماعية له دور كبير في تحديد وتنظيم الجانب السيكولوجي من شخصيته الاجتماعية وتنظيمه في حاضره ومستقبله، فإذا كان هذا التفتح الأول للحياة الاجتماعية إيجابية محققا للحاجات السيكولوجية والبيولوجية للطفل كان تجاوبه مع المجتمع واتجاهه نحوه سوياًّ، أما إذا كان سلبيا غير محقق لها تين الحاجتين كان اتجاهه نحوه شاذا منحرفا عدوانيا[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب البغي، رقم الحديث: (٥٩٠)، ص: (٢٠٢). وأحمد بن حنبل، المسند: ١٩/٦. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ١١٩/١. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بجميع رواته و لم يخرجاه، و لا أعرف له علة". وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٢٠.

(٢) الجهني، حنان عطية الطوري، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة: (٢٤٢/١).

المطلب الرابع: العلاقة بالأقارب.

العلاقة بالأقارب من أمتن العلاقات الاجتماعية، فكل إنسان يرتبط برابطة القرابة مع أصول نمته، أو فروع تفرعت معه أو عنه، فإذا أُحكمت هذه الرابطة كانت أساس العلاقات التي ينبني عليها ما سواها من العلاقات.

وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضا، وفي اتحاد بعضهم مع بعض، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[١][٢].

وصلة الأقارب واجبة باتفاق علماء المسلمين، قال القرطبي:[٣] رحمه الله "اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة".وهذا ما أكدته السنة النبوية في أحاديث كثيرة منها ما رواه المصنف:

عن أبي هريرة قال: **لمَّا نزلت هذه الآية:** ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[٤] **قام النّبيّ ﷺ فنادى: ((يا بني كعب بن لُؤَيّ أنقذوا أنفسكم من النَّار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النَّار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار،**

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٣).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق: (١٥/٧٤).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: (٣/٦).

(٤) سورة الشعراء الآية: (٢١٤).

يافاطمة بنتَ محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك من الله شيئا، غير أن لكم رَحِماً سأبُلُّها بِبلالِها[١]»[٢].

والأقارب الذين تجب صلتهم هم رحم القرابة من طرفي الأب والأم، قال القرطبي[٣]: "وبالجملة فالرحم على وجهين، عامة وخاصة، فالرحم العامة رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم، والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك من الحقوق المرتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق العامة وزيادة مثل النفقة وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بُدِئ بالأقرب فالأقرب".

---

(١) أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئا، والبلال جمع بَلَل، وقيل: هو كلّ ما بلّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٨٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب وجوب صلة الرحم، رقم الحديث: (٤٨). ص: (٢٩). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ رقم الحديث: (٢٧٥٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، رقم الحديث: (٥٠١).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

وعن المقدام بن معدي كَرِب رضي الله عنه أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله يوصيكم بأمَّهاتكم، ثمَّ يوصيكم بأمَّهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»(١).

وقد وردت آثار عن السلف في الحث على تعلم الأنساب ومعرفة الأقارب لما يترتب عليها من صلة الرحم، وتوثيق عرى المحبة وأواصر المودَّة مع الأقارب، وتقوية العلاقة معهم:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: «**تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنَّه ليكونُ بين الرجل وبين أخيه الشيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرَّحِم، لأوزعه ذلك عن انتهاكه**»(٢).

وعن ابن عباس، أنه قال: «**احفظوا أنسابكم، تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا بُعد بالرَّحم إذا قرُبت، وإن كانت بعيدة، ولا قُرب بها إذا بعدت، وإن كانت قريبة. وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها، تشهد له بصلة؛ إن كان وصلها، وعليه بقطيعة؛ إن كان قطعها**»(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الأقرب فالأقرب، رقم الحديث: (٦٠). ص: (٣٤). وأحمد بن حنبل الشيباني، المسند: (١/٣٥). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب برّ الوالدين، رقم الحديث: (٣٦٦١). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٥٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، رقم الحديث: (٧٢). ص: (٣٨). قال الألباني: "حسن الإسناد، وصح مرفوعا". صحيح الأدب المفرد، ص: (٥٥).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، رقم الحديث: (٧٣). ص: (٣٨). قال الألباني: "حسن الإسناد، وصح مرفوعا". صحيح الأدب المفرد، ص: (٥٦).

والعلاقة مع الأقارب ينبغي أن تكون قائمة على البر والصلة والإحسان. والصلة تقتضي الصلة المعنوية بالمودة والاحترام والتقدير والزيارة والعيادة، والاهتمام بأمور القرابة، كما تقتضي الصلة المادية بالصدقة والهبة والوصية والإعانة وتفريج الكربات بكل أنواعها[١].

قال ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: "وأما كيفية الوصل للرحم فهو على ضروب مختلفة، منه ما يكون ببذل المال، ومنه ما يكون للرحم ببذل العون على ما يحتاجون إليه، أعني أهل رحمه، ومنه ما يكون بالزيارة لهم، ومنه ما يكون بالدعاء لهم، ومنه ما يكون بإكرامهم والبشاشة لهم، ومنه ما يكون بدفع المضار لهم، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير إليهم، على قدر الطاقة بنية القربة إلى الله تعالى"

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث على صلة الأقارب والإحسان إليهم، وتبيّن فضل ذلك، وتجعل صلة الرحم في سلّم الواجبات الاجتماعية، وأوثق عرى العلاقات التي يجب الحفاظ عليها ومما ورد في فضل صلة الرحم وثمراتها التربوية ما يلي:

١) أن صلة الرحم تقرب الإنسان من الجنة، وتبعده من النار:

عن أبي أيُّوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **أن أعرابيا عرض للنبيّ ﷺ في مسيره، فقال: أخبرني ما يقرِّبني من الجنَّة ويباعِدُني من النار، قال: «تعبُدُ الله ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاة، وتُؤتي الزكاة، وتَصلُ الرَّحِم»**[٣].

(١) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص: (٢٢٠).

(٢) ابن أبي جمرة، عبد الله الأندلسي، بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها: (٤/١٤٦).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة الرّحم، رقم الحديث: (٤٩) ص: (٣٠). =

٢) أن قطيعة الرّحم تؤدي إلى عدم دخول الجنّة:

عن جُبير بن مُطْعِم ﷺ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**لا يدخل الجنَّة قاطعُ رحم**))[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: "هذا الحديث (وما في معناه من الأحاديث) يُتأول تأويلين:

أحدهما: حَمْلُه على من يستحلُّ القطيعة بلا سبب ولا شبهة، مع علمه بتحريمها، فهذا كافر يخلّد في النَّار، ولا يدخل الجنَّة أبدا.

والثاني: معناه لا يدخُلها في أوّل الأمر مع السابقين، بل يعاقب بتأخّره القدر الذي يريده الله تعالى".

٣) أن من وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله:

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((**خلَق الله ﷻ الخلق، فلمَّا فرَغَ منه قامت الرَّحِم، فقال: مَه[٣] قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضَينَ أن أصل من وصلكِ وأقطَعَ من قَطَعكِ؟**

= والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث: (١٣٩٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنّة وأنّ من تمسّك بما أمر به دخل الجنّة، رقم الحديث: (١٠٤).

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إثم قاطع الرحم، رقم الحديث: (٦٤). ص: (٣٥).والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم الحديث: (٥٩٨٤)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث: (٦٥٢٠).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (١٦/٣٣٠).

(٣) أي: اكفف. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ١/١٢٩.

قالت: بلى يا ربّ قال: فذلك لكِ››. ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[(١)(٢)].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: ‹‹**قال الله ﷻ: أنا الرحمن، وأنا خلقتُ الرَّحِم، واشتققت لها من اسمي، فمن وصَلَها وصلْتُه، ومن قطعها بَتَتُّهُ**››[(٣)].

وعن أبي العنبر ﷺ قال: **دخلْتُ على عبد الله بن عمرو في الوَهْط – يعني أرضا له بالطائف – فقال: عطَف علينا النبي ﷺ إصبعه فقال: ‹‹الرَّحِم شَجْنَة[(٤)] من الرحمن، من يصِلْها يصِلْه، ومن يقطعْها يقطعْه،**

---

(١) سورة محمد الآية: (٢٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة الرّحم، رقم الحديث: (٥٠). ص: (٣٠). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب التفسير، سورة محمد، باب ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾، رقم الحديث: (٤٨٣٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث: (٦٥١٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل صلة الرحم، رقم الحديث: (٥٣). ص: (٣١). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم الحديث: (١٦٩٤)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، رقم الحديث: (١٩٠٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٩.

(٤) أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العُرُوق...وأصل الشُّجْنة – بالكسر والضم – شعبة في غصن من غصون الشجرة. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٤٦٨).

لها لسان طَلْقٌ ذَلقٌ[(١)] **يوم القيامة**))[(٢)].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: ((**الرَّحِم شَجْنَةٌ من الله، من وَصَلَها وصلَه الله، ومن قطعها قَطَعَهُ الله**))[(٣)].

٤) أن صلة الرّحم من أسباب زيادة الرزق والمنسأ في العمر:

عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((**من أحبَّ أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسَأ**[(٤)] **له في أثره، فليصِل رَحِمه**))[(٥)].

وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((**من سرَّه أن يُبسط له رزقه، وأن يُنسَأ له في أثره، فلْيَصِل رَحِمه**))[(٦)].

---

(١) والمراد به المضاء والنفاذ، وذلق كل شيء حدّه. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: (٣٢٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل صلة الرحم، رقم الحديث: (٥٤). ص: (٣٢). وأحمد بن حنبل، المسند: (٢/٢٠٩)، والحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك: (٤/١٦٢)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٥٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل صلة الرحم، رقم الحديث: (٥٥). ص: (٣٢). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث: (٦٥١٩).

(٤) أَنْسَأَهُ بالألف: إذا أخّره، ويتعدى بالحرف أيضا فيقال: نَسَأَ الله في أجله، وأَنْسَأَ فيه. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٤٩٤.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة الرحم تزيد في العمر، رقم الحديث: (٥٦). ص: (٣٢). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم الحديث: (٥٩٨٦).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة الرحم تزيد في العمر، رقم الحديث: (٥٧). ص: (٣٣). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم الحديث: (٥٩٨٥).

"فكما أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية، وأن ذلك لا ينافي ما كُتِب في اللوح المحفوظ فكذلك العُمُر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب، فهو لا ينافي ما كُتِب في اللوح المحفوظ أيضا"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: "الرزق نوعان:- أحدهما ما علمه الله أنه يرزقه فهذا لا يتغير. الثاني: ما كتبه الله وأعلم به الملائكة؛ فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب؛ فإن الله يأمر الملائكة أن تكتب للعبد رزقا إن وصل رحمه زاد الله في ذلك كما في الحديث الصحيح: (من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)".

٥) أن صلة الرَّحم سبب لمحبة الله والأهل:

عن ابن عمر قال: ((**من اتقى ربَّه، وَوَصَلَ رَحِمه، نُسِئَ في أَجَلِه، وثرى مالُهُ، وأحبّه أهلُهُ**))[(٣)].

٦) أن قطيعة الرحم تؤدي إلى تعجيل العقوبة في الدنيا:

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما من ذنب أحرى أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يُدَّخر له في الآخرة؛ من قطيعة الرَّحم والبغي**))[(٤)].

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٥١).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى: (٨/٥٤٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من وصل رحمه أحبّه أهله، رقم الحديث: (٥٨). ص: (٣٣). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٥١).

(٤) البخاري، الأدب المفرد، باب عقوبة قاطع الرّحم في الدّنيا، رقم الحديث: (٦٧). ص: (٣٦). =

والمسلم مطلوب منه المحافظة على العلاقة مع الأقارب قائمة في كل الأحوال، حتى ولو كان إحسانه يقابل بالإساءة والنكران، فعند الله الجزاء الأوفى، وهو سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ((**ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطعت رحِمُهُ وَصَلَها**))[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[2]: "لا يلزم من نفي الوَصْل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع:

- فالواصل من يَتَفضَّل ولا يُتفضَّل عليه.
- والمكافئ: الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ.
- والقاطع: الذي يُتفضَّل عليه ولا يَتفضَّل.

وكما تقع المكافأة بالصلة بين الجانبين، كذلك تقع بالمقاطعة بين الجانبين، فمن بدأ حينئذ فهو الواصل، فإنْ جوزي سُمِّي من جازاه مكافئاً، والله أعلم".

= وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب النهي عن البغي، رقم الحديث: (٤٠٠٢)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب صفة القيامة، باب في عظم الوعيد على البغي وقطيعة الرحم، رقم الحديث: (٢٥١١)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب البغي، رقم الحديث: (٤٢١١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٥٣).

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم الحديث: (٦٨). ص: (٣٦). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم الحديث: (٥٩٩١).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (١٠/٥٢٠).

وعن أبي هريرة قال: **أتى رجلٌ النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي قرابةً أَصِلُهم ويقطعون، وأُحسن إليهم ويسيئون إليَّ، ويجهلون عليَّ وأحلم عنهم، قال:((لئن كان كما تقول كأنّما تُسِفُّهم المَلّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمتَ على ذلك))**[١].

قال النووي رحمه الله[٢]: "ومعناه: كأنَّما تطعمهم الرماد الحارّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق آكل الرماد الحارّ من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الألم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل: معناه أنك بالإحسان إليهم تُخزيهم وتحقِّرهم في أنفسهم؛ لكثرة إحسانك وقبيح فِعْلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ، وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم".

وهكذا ينبغي أن تكون العلاقة بالأقارب قائمة على الصلة والإحسان، وإسداء المعروف والتعاون والتآزر والترابط، بعيدة كل البعد عن الفجوة والتباعد بين الأقارب كما هو شائع في المجتمعات غير الإسلامية التي تسود فيها العزلة والأنانية المفرطة.

وينبغي تنشئة المتربين على هذه المبادئ والقيم في التعامل مع الأقارب، عن طريق تشويقهم إلى صلة الرحم بذكر الآيات، والأحاديث، والآثار المرغبة في ذلك، والقصص الشيِّقة، وتذكيرهم بفضل هذه الصلة وأجرها عند الله تعالى، فأن قيامهم بحق الرحم يحقق لهم نشأة اجتماعية سويّة.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل صلة الرحم، رقم الحديث: (٥٢). ص: (٣١). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث: (٦٥٢٥).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: (١٦/٣٣١).

المطلب الخامس: العلاقة بالجيران.

اهتمت السنة النبوية بالجار اهتماما بالغا، وجعلت حسن العلاقة به من كمال الإيمان بالله تعالى، كما نفت الإيمان عن كل من لم يأمن جاره شره وبائقته، ذلك أن الجوار أمر طبيعي لا غنى عنه لأحد من الناس، كما أن كل إنسان يشعر بأن قسطا كبيرا من سعادته، وسعادة أهله وأولاده مرتبط تمام الارتباط بجيرانه، فإن كان معهم متعاونا، متبادلا المحبة والاحترام، كان مستريحا آمنا مطمئنا، وإن كان معهم في خصام وشجار وتحاسد وتباغض، وتقاطع وتدابر كان متعبا مضطربا مشغولا بألوان المشكلات، وفنون الكيد التي تصرفه عن عمله، وتكدر عليه صفو حياته(١).

عن نافع بن عبد الحارث ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع والجار الصالح، والمركب الهنيء**»(٢).

وعن أبي هريرة قال: **كان من دعاء النبي ﷺ**: «**اللهم إنّي أعوذ بك من جار السّوء في دار المُقام؛ فإن جار الدُّنيا يتحوّل**»(٣).

---

(١) يوسف، محمد السيد، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، ص: (٢١٥).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الجار الصالح، رقم الحديث: (١١٦). ص: (٥١). وأحمد بن حنبل، المسند: (٣/٤٠٧)، والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: (٤/١٦٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٩).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الجار السوء، رقم الحديث: (١١٧). ص: (٥١). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من جار السوء، رقم الحديث: (٥٥٠٥)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٩).

لهذا اعتنت السنة النبوية بأمر الجار وأوصت به، وحثت على رعايته، والقيام بحقه، وإحسان معاملته، والبعد عن كل ما يسوؤه أويؤذيه:

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنَّه سيورِّثه**»[١].

واختلف العلماء في حد الجيرة على أقوال، قال ابن حجر[٢]: "واختلف في حد الجوار: فجاء عن علي رضي الله عنه "من سمع النداء فهو جار" وقيل: "من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار" وعن عائشة رضي الله عنها "حد الجوار أربعون دارا من كل جانب"، وعن الأوزاعي مثله".

وقد أورد المصنِّف أثرا عن الحسن رضي الله عنه أنه سُئِل عن الجار؟ فقال: «**أربعين داراً أمامه، وأربعين خلفه، وأربعين عن يمينه، وأربعين عن يساره**»[٣].

وقال ابن عاشور رحمه الله[٤]: بعد ذكر الاختلاف في حد الجار-: "الظاهر أنه موكول إلى ما تعارفه الناس".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار، رقم الحديث: (١٠١)، ص: (٤٧). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم الحديث: (٦٠١٤)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم الحديث: (٦٦٨٥).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (١٠/٥٤٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأدنى فالأدنى من الجيران، رقم الحديث: (١٠٩)، ص: (٤٩). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٦).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: (٥/٥١).

أما أنواع الجار، فقد ذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] أن "اسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها[٢] ثم أكثرها وهلم جرا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطى كل حقه بحسب حاله".

ومما يدل على اشتمال كلمة الجار على الجار المسلم وعلى غير المسلم، ما رواه المصنِّف، عن مجاهد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **كنتُ عند عبد الله بن عمرو - وغلامه يسلَخُ شاة - فقال: يا غلام! إذا فرغتَ فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل مِنَ القوم: آليهوديّ أصْلَحَك الله؟! قال:** ((**إنِّي سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يوصي بالجار، حتى خشِينا أو رُؤينا أنَّه سيُوَرِّثه**))[٣].

وكلما كان الجار أقرب باباً كان أولى بالإحسان والإكرام، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: **قلتُ يا رسول الله إنَّ لي جارين، فإلى أيِّهما أُهدي؟ قال:** ((**إلى أقربهما منكِ باباً**))[٤].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (١٠/٥٤٣).

(٢) أي: المسلم، العابد، الصديق، البلدي، النافع، القريب، الأقرب دارا.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جار اليهوديّ، رقم الحديث: (١٢٨)، ص: (٥٥). وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في حق الجوار، رقم الحديث: (٥١٥٢)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم الحديث: (١٠٤٣). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٧٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يهدي إلى أقربهم باباً، رقم الحديث: (١٠٧)، ص: (٤٨). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب، رقم الحديث: (٦٠٢٠).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: "قيل الحكمة فيه أن الأقرب يرى ما يدخُل بيت جاره من هدية وغيرها، أو يتشوَّف لها بخلاف الأبعد، وأنَّ الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات ولاسيما في أوقات الغفلة".

والعلاقة بالجيران تقوم على أساس احترام حقوق الجار، ومن هذه الحقوق:

١) **كف الأذى عنه:**

والأذى بغير حق محرم في حق كل أحد، لكنه في حق الجار أشد تحريما، وكف الأذى عن الجار أمر واجب، وقد جاء النهي الصريح عن إيذاء الجار على لسان النبي ﷺ، فعن أبي هريرة قال: **قيل للنبي ﷺ يا رسول الله إن فلانةً تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل، وتصَّدَّق، وتُؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: ((لا خير فيها هي من أهل النار)). قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصَّدَّق بأثوار[2]، ولا تؤذي أحدا؟ فقال رسول الله ﷺ: ((هي من أهل الجنَّة))**[3].

وعن أبي عامر الحِمصيّ رضي الله عنه قال: **كان ثوبان يقول: ((ما من رجلين يتصارمان فوق ثلاثة أيام، فيهلك أحدهما، فماتا وهما على ذلك من المصارمة[4]، إلا هلكا جميعا. وما من جارٍ يظلمُ جارَه ويقهرُه[5]**

(١) ابن حجر، محمد بن إسماعيل، فتح الباري: (١٠/٥٤٩).

(٢) الأثوار: جمع ثور، وهي قطعة من الأقط، وهو لبن جامد مستحجر. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (١٣٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يؤذي جاره، رقم الحديث: (١١٩). ص: (٥١). وأحمد بن حنبل، المسند: (٢/٤٤٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٩).

(٤) الانْصِرَامُ: الانقطاع، والتَّصَارُمُ: التقاطع. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٣٢٢.

(٥) قَهَرَهُ قَهْراً: غلبه، فهو قَاهِرٌ، وقَهّار مبالغة. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٤٢٢.

حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله، إلا هلك»[١].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنَّة من لا يأمنُ جارُه بَوائقه**[٢]»[٣].

"وذلك لأنه إذا كان مضرّا لجاره، كان كاشفا لعورته، حريصا على إنزال البوائق به، دلّ حاله على فساد عقيدته ونفاق طويّته، أو على امتهانه ما عظّم الله حرمته وأكّد صلته، فإصراره على هذه الكبيرة مظنّة حلول الكفر به، فإن المعاصي بريده، ومن خُتِم له بالكُفر لا يدخلها، أو هو في المستحل أو المراد الجنة المعدّة لمن قام بحق جاره"[٤].

وإيذاء الجار خطره كبير وشؤمه عظيم على الفرد والمجتمع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رجل: يا رسول الله إنّ لي جاراً يؤذيني، فقال: «انطلِق فأَخْرِجْ متاعك إلى الطريق». فانطلَق فأخرَج متاعه، فاجتمع النَّاس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرْتُ للنَّبيِّ ﷺ فقال: «انطلق فأخرِج متاعك إلى الطّريق» فجعلوا يقولون: اللهم العنه،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مَنْ آذى جاره حتى يخرج، رقم الحديث: (١٢٧). ص: (٥٥). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٢).

(٢) البائِقَةُ: الداهية. قال قتادة: أي ظلمه وغَشْمه. وقال الكسائي: غوائله وشره. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٧٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يُؤذي جاره، رقم الحديث: (١٢١)، ص: (٥٣). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، رقم الحديث: (١٧٢).

(٤) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير: (٦/٤٤٨).

اللهم أخزِه. فبلَغَه فقال: ارجِع إلى منزلك، فو الله لا أوذيك[١].

وهذا يدلّ على اهتمام المسلم بأخيه المسلم، وهو من صور التضامن الاجتماعي التي ينبغي أن يكون عليها المجتمع، وفيه أسلوب تربوي حكيم ينفع في علاج بعض المشكلات الاجتماعية، وهو اللجوء إلى ما يعرف "بالرأي العام"، لأن الفطرة السليمة تنبذ الظلم بكل أنواعه، وتنشد العدل والوفاء بحقوق الآخرين.

وقد بينت السنة النبوية أنّ إيذاء الجار يضاعَف به العذاب؛ لأنه إيذاء وخيانة، وجحود، وتنكر لما يفعله الجار من أجل جاره.

عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: **سأل رسولُ الله ﷺ أصحابه عن الزنى؟ قالوا: حرام؛ حرمه الله ورسوله، فقال: «لأن يزنيَ الرجل بعشر نسوة، أيسرُ عليه من أن يزنيَ بامرأة جاره». وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام؛ حرَّمها الله ﷻ ورسوله، فقال: «لأن يسرق من عشرة أبيات، أيسرُ عليه من أن يسرق من بيت جاره»**[٢].

قال الجيلاني رحمه الله[٣]: "ولما كان الجار ممن يتوقع منه الحفظ والإعانة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب شكاية الجار، رقم الحديث: (١٢٥)، ص: (٥٤). والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ١٦٦/٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حقّ الجار، رقم الحديث: (١٠٣)، ص: (٤٧). وأحمد بن حنبل، المسند: ٨/٦، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٥).

(٣) فضل الله الجيلاني، فضل الله الصمد : (١٩٥/١).

ويكون أعرف بمكامن البيت، ومحال الأشياء الثمينة من غيره، فسرقته أكبر ذنبا من سرقة الغير، ويدخل فيه من كان متوقع الحفظ، والعارف بحال البيت من الخدم والحراس والأقارب والأصدقاء وأولادهم".

٢) الإحسان إليه وإكرامه وحفظ حقوقه على قدر الطاقة:

قال ابن أبي جمرة رحمه الله[(١)]: "والإحسان إليه يكون بالوجوه المحسوسة مثل الهدية، وأن لا يمنعه خرز خشبة في جداره إن احتاج إليها، وما هو في معنى ذلك، ويكون بالمعنويات مثل إرادة الخير له والدعاء له بذلك بظهر الغيب وما في معناه، ومعاونته على شيء إن احتاج إليه بقدر الجهد بأي نوع كان ذلك من المحسوسات أو المعنويات، كل ذلك على قدر طاقتك بغير ضرر يلحق به للغير".

وحفظ حق الجار لا يقتصر على كف الأذى فقط، "بل احتمال الأذى والرفق وابتداء الخير، وأن يبدأ جاره بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ويعوده في المرض، ويعزّيه في المصيبة، ويهنِّئه في الفرح، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع إلى داره، ولا يضايقه في وضع الخشب على جداره...ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف من عوراته، ولا يتسمع عليه كلامه، ويغض طرفه عن حرمه، ويلاحظ حوائج أهله إذا غاب"[(٢)].

وقد أمرت السنة النبوية بالإحسان إلى الجار، وحثت على إكرامه، فعن أبي شُريح الخُزاعي رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه،**

---

(١) ابن أبي جمرة، عبد الله الأندلسي، بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها: (٤/١٦٤).

(٢) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص: (١٣٨).

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمُت»[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**خيرُ الأصحاب عندَ الله تعالى خيرُهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[٢].

وطرق الإحسان إلى الجار وإكرامه كثيرة ومتنوعة، ولا يقف الإكرام عند نوع معين من أنواع الإكرام؛ لأن هذه الأنواع تختلف باختلاف الجيران، والمناسبات، وحالة كل جار، وما ينزل بالجار من أحداث الزمان، كما يختلف باختلاف المكرم من فقر وغنى، ويسار وإعسار، وقرابة وبُعد...[٣].

عن عبد الله بن المساوِر قال: سمعتُ ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول: **سمعتُ النبي ﷺ يقول**: «**ليس المؤمن الذي يشبعُ وجارُه جائع**»[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار، رقم الحديث: (١٠٢)، ص: (٤٧). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث: (٦٠١٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٣).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب خير الجيران، رقم الحديث: (١١٥)، ص: (٥٠). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم الحديث: (١٩٤٤)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٨).

(٣) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: (٢٥٠).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يشبع دون جاره، رقم الحديث: (١١٢)، ص: (٥٠). والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: (٤/١٦٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٧).

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: **أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: ((أسمَعُ وأُطيعُ ولو لعبد مجدَّع الأطراف**[(١)]**. وإذا صنعتَ مرَقَةً فأكثِر ماءَها ثم انظر أهلَ بيتٍ من جيرانك فأصِبْهم منه بمعروف. وصَلِّ الصلاة لوقتها؛ فإن وجدتَ الإمام قد صلَّى، فقد أحرزْتَ صلاتك، وإلا فهي نافلة))**[(٢)].

قال القرطبي رحمه الله[(٣)]: "فحضّ عليه السلام على مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة؛ فإن الجار قد يتأذى بقُتار[(٤)] قِدر جاره، وربما تكون له ذريَّة فتهيج من ضعفائهم الشهوة، ويعظم على القائم الألم والكلفة، لاسيما إن كان القائم ضعيفا أو أرملة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة...وكل هذا يندفع بتشريكهم في شيء من الطبيخ يُدفع إليهم".

وعن عمرو بن مُعاذ الأشهلي رضي الله عنه، عن جدته رضي الله عنها أنَّها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **((يانساءَ المؤمنات لا تحقرنّ امرأةٌ منكن لجارتها؛ ولو كُراع**[(٥)] **شاة محرَّق))**[(٦)].

---

(١) الجَدْعُ: قطع الأنف وقطع الأذن أيضا وقطع اليد والشفة، وبابه قطع. تقول: جَدَعَهُ فهو أجْدَعُ بَيِّن الجَدَعِ والأنثى جَدْعاءُ. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٩٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يكثر ماء المرق فيقسم في الجيران، رقم الحديث: (١١٣)، ص: (٥٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم الحديث: (٦٦٨٨).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: (٥/١٩٠).

(٤) هو ريح القدر والشواء ونحوهما. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: (٧٣١).

(٥) الكراع: مادون الركبة من الساق. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: (٧٩٨).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تحقِرَنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسن شاة، رقم الحديث: (١٢٢)، ص: (٥٣). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، =

وعن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: ((**يا نساءَ المسلمات يانساءَ المسلمات لا تحقرنّ جارة لجارتها ولو فِرْسِن**[(١)] **شاة**))[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[(٣)]: "وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن لأنه لم تجر العادة بإهدائه أي: لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلا فهو خير من العدم، وذكر الفرسن على سبيل المبالغة، ويحتمل أن يكون النهي إنما وقع للمهدى إليها وأنها لا تحتقر ما يهدى إليها ولو كان قليلا، وحمله على الأعم من ذلك أولى".

"وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فتساوى بذلك الغنيّ والفقير، وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالا في كل منهما"[(٤)].

= كتاب الهبة وفضلها، باب فضلها والتحريض عليها، رقم الحديث: (٢٤٢٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، رقم الحديث: (١٠٣٠).

(١) الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيُقال: فرسن شاة، والذي للشاة هو الظّلف. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: (٦٩٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تحقِرنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسن شاة، رقم الحديث: (١٢٣)، ص: (٥٣). وأحمد بن حنبل، المسند: (٤٣٤/٦)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٠).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٢٤٥/٥).

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق: (٥٤٧/١٠).

ومع تأكيد السنة النبوية وتشديدها على حق الجار والأمر بالإحسان إليه وعدم إيذائه إلا أنه يلاحظ أن كثيراً من الناس يؤذون جيرانهم ولا يؤدّون لهم حقوقهم، "فكم من مزعجات صوتية يطلقها بعض الجيران غير مراعين حقوق جيرانهم عليهم، وربما يكون ذلك في أوقات الراحة والنوم، وكم من قمامات يرميها بعض الجيران على أبواب جيرانهم أو منازلهم، وكم ينظر بعض الجيران إلى محارم جيرانهم بفضول قبيح، ونظرات مريبة، وكم من جيران لا أمانة لهم على أموال جيرانهم وأعراضهم..."[١] إلى غير ذلك من أنواع الأذى للجار، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو موسى أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تقوم الساعة حتى يقتل الرّجلُ جارَه وأخاه وأباه**))[٢].

وقد يبتلى الإنسان بجار السوء، ويختلف التعامل معه باختلاف نوع الجار ومقدار ضرره، فقد يكون بالنصيحة والتعليم إذا كان ذلك ينفع، أو التحول من جواره إذا لم يُجْد النصح والإرشاد نفعا. قال الذهبي رحمه الله[٣]: "فإن كان الجار صاحب كبيرة، فلا يخلو: إما أن يكون مستترا بها أولا.

فإن كان مستترا بها، ويغلق بابه عليه، فلتعرض عنه وتتغافل عنه، وإن أمكن أن تنصحه في السر وتعظه فحسن.

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: (٢/٦٣).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الجار السوء، رقم الحديث: (١١٨)، ص: (٥١). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٦٩).

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، حقوق الجار، ص: (١٣٧).

وإن كان متظاهرا بفسقه مثل مكاس أو مراب، فيهجر هجرا جميلا...

فإن رأيته متمردا عاتيا بعيدا من الخير، فأعرض عنه، واجهد أن تتحول من جواره..."

وينبغي تنشئة المتربين على احترام حقوق الجار، وكف الأذى عنه، وذلك بتذكيره بالآيات والأحاديث التي تحث على ذلك، وأهم من هذا أن يكون المربي قدوة في تعامله مع الجيران وإحسانه إليهم، حتى يقتدي به المتربون في إقامة علاقات اجتماعية متينة مع الجيران، تقوم على المبادئ والقيم الاجتماعية السليمة التي جاءت بها السنة النبوية.

المطلب السادس: العلاقة باليتامى[١].

قد أولت السنة النبوية رعاية اليتيم وكفالته والعناية بشأنه اهتماما كبيرا، وحثت المسلمين على القيام بحق اليتامى، "والتقرب إلى الله بالعطف عليهم، ونيل أعظم الدرجات بسبب البذل لهم والقيام بما يحتاجون إليه من رحمة وحسن تربية، وإقبال عليهم، والتبسم في وجوههم ومسح رؤوسهم، وتفقد شؤونهم في كل حين، خصوصا في المناسبات السارّة وأيام الأعياد؛ وذلك ليشعر اليتيم أنه إن كان فقد أباه فقد وجد في الرحماء آباء يعطفون عليه ويتولون أمره، فلا تنكسر نفسه ولا يشعر بذلّة أو حزن...وهذا هو نفس المنهج الإسلامي في إدخال السرور على الجميع، وفي نشر روح السعادة بين أفراد المجتمع، وفي تحقيق أكبر قدر من العناية والرعاية والعطف للضعفاء والمحرومين من الناحيتين: المادية والمعنوية"[٢].

وكفالة اليتيم ورعايته من أخلاق المجتمع المسلم، إذ لا يجوز بحال من الأحوال في مجتمع مسلم أن يترك يتيم مهملا، دون أن يجد من يكفله ويرعى شأنه، فإن لم يجد من يكفله فالمجتمع الإسلامي الذي حوله كلهم آثمون إذا علموا به وأهملوه[٣].

---

(١) اليَتِيم جَمْعُه أَيْتَام ويَتَامَى وقَد يَتِمَ الصَّبِيُّ بالكسر يَيْتَم يَتْماً ويُتْماً بضم الياء وفتحها مع سكون التاء فيهما. واليُتْم في النَّاس من قِبَل الأَب وفي البَهَائِم مِن قَبل الأُمّ. وكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَعزَ نَظِيرَه فهو يَتِيمٌ يُقال دُرّة يَتِيمةٌ. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ص: (٦٣٥).

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: (٢٤٢).

(٣) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: (٢/٥٨).

ومنهج التربية في الإسلام "منذ بزوغ فجره شرع كل ما يحفظ حياة اليتيم وكرامته وحقوقه، واعتبر المجتمع الإسلامي ككل مسؤولا بتكافله الاجتماعي الأصيل عن اليتامى حياة وتربية، وتعليما وحقوقا"[١].

قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٤].

وتقوم العلاقة مع اليتيم في منهج التربية الإسلامية على الآتي:

١) تربية اليتيم وكفالته وحضانته في أجواء منزلية وعائلية، ليعوض الحنان والمحبة والشفقة:

عن أم سعيد بنت مُرَّة الفهري رضي الله عنها، عن أبيها رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أنا وكافلُ اليتيم في الجنة كهاتين، أو كهذه من هذه**» **شكَّ سفيان في الوسطى والتي تلي الإبهام**[٥].

---

(١) الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، ص: (١١٩).

(٢) سورة البلد الآية: (١١-١٦).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢٢٠).

(٤) سورة النساء الآية: (١٠).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً من أبويه، رقم الحديث: (١٣٣)، ص: (٥٧). والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: (٢٠/٣٢٠)، والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: (٧/٤٧٠). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٥).

وعن سَهل بن سعد رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا**» **وقال بأصبعيه السبّابة والوسطى**[١].

قال ابن بطال رحمه الله[٢]: "حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك".

و"لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهر مناسبة ذلك"[٣].

وكفالة اليتيم شاملة لتربيته والقيام على تعليمه وإصلاحه، وإصلاح أمواله وحفظها وعدم الاعتداء عليها أو التفريط فيها، وشاملة كذلك للإنفاق عليه إذا لم يكن له مال، ولطف معاملته والرفق به...[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً من أبويه، رقم الحديث: (١٣٥)، ص: (٥٧). والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، رقم الحديث: (٦٠٠٥). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم الحديث: (٢٩٨٣).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: (٥٣٦/١٠).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق: (٥٣٧/١٠).

(٤) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص: (٢٢١).

وأكل مال اليتيم من كبائر الذنوب، وقد حذرت منها السنة النبوية أشدّ التحذير، فعن طيْسَلة بن مَيَّاس، قال: **كنت مع النجدات، فأصبتُ ذنوبا لا أراها من الكبائر، فذكرتُ ذلك لابن عمر قال: ما هي؟ قلت كذا وكذا. قال: ليست هذه من الكبائر هنّ تسع: الإشراك بالله، وقتل نَسَمَة، والفِرارُ من الزَّحفِ، وقذفُ المُحصَنة، وأكل الرّبا، وأكْلُ مال اليتيم، وإلحادٌ في المسجد، والذي يسْتَسْخِر، وبكاء الوالدين من العقوق...**[1].

ومعاملة اليتيم كالولد الحقيقي هي أعلى مراتب العناية به وتربيته، ولذلك نبّه السلف على ضرورة الارتقاء إلى هذا المستوى الرفيع؛ حفاظا على أيتام المسلمين من عوامل الانحراف والضياع.

فعن عبد الرحمن بن أبي أبزى ﷺ قال: قال داود ﷺ: «**كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد، ما أقبح الفقر بعد الغنى وأكثر من ذلك أو أقبح من ذلك الضلالةُ بعد الهدى. وإذا وعدتَ صاحبَك فأنجِز له ما وعدتَه، فإنْ لم تفعل يورث بينك وبينه عداوة، وتعوَّذْ بالله من صاحب إن ذَكرتَ لم يُعنكَ، وإن نسيتَ لم يذكِّركَ**»[2].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لين الكلام لوالديه، رقم الحديث: (٨)، ص: (١٥). والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: (٦/٢٠٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كن لليتيم كالأب الرحيم، رقم الحديث: (١٣٨)، ص: (٥٨). والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: (٧/٤٧٤). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٥).

وعن أسماء بن عبيد ﷺ قال: **قلتُ لابن سيرين: عندي يتيم، قال:** ((**اصنع به ما تصنع بولدك؛ اضربه ما تضرب ولدك**))(١).

وعن شُمَيسة العَتَكيَّة ﵂ قالت: ذُكر أدب اليتيم عند عائشة ﵂ فقالت: ((**إنِّي لأضرب اليتيمَ حتى يَنبسِط**))(٢).

لعل "المراد من الانبساط هاهنا الامتداد والانبطاح على الأرض، كما جرت عادة الصبيان أنهم إذا أغضبهم أحد ينبطحون على الأرض ويتمرَّغون ويبكون، وقد يفعلون ذلك إذا أوجعوا بالضرب"(٣).

تريد عائشة ﵂ أنها تضربه ضربا وجيعا مؤلما كما يفعل الرجل ذلك بابنه.

وينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه في ضرب اليتيم، فإذا كان يعرف من نفسه صدق المحبة والشفقة عليه فلا بأس أن يوجعه عند الحاجة. و"اليتامى الذين كانوا في حجر عائشة ﵂ إنما هم بنوا أخيها، ولا شبهة في شدّة محبتها لهم"(٤).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كن لليتيم كالأب الرحيم، رقم الحديث: (١٤٠)، ص: (٥٩). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٥).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أدب اليتيم، رقم الحديث: (١٤٢)، ص: (٥٩). والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: (٦/٢٨٥). وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله، المصنّف: (٥/٣٤٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٥).

(٣) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد ،: (١/٢٣٦).

(٤) الجيلاني، فضل الله، المرجع السابق: (١/٢٣٦).

٢) تكريم اليتيم والإحسان إليه:

دعا المنهج التربوي في الإسلام إلى تكريم اليتيم بحيث يجب على من حول اليتيم أن يعملوا جاهدين لإكرامه وتكريمه، وهذا تكريم في بذل المحبة والشفقة، والعمل على إصلاحه وتوجيهه وتربيته، فاليتم ليس عيبا ولا عارا ولا نقيصة أو نكالا ولكنه قدر قضاه الله تعالى، فالنبي الكريم ﷺ وهو أفضل الخلق جميعا نشأ يتيما، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾[(١)].

ثم إن "في تاريخنا الزاهر غير قليل من الرجال والعلماء كانوا يتامى، وسيدات في المجتمع الإسلامي كنَّ يتيمات...وهذا موقف نبيل في المنهج التربوي الإسلامي لرعاية هذه الطفولة اليتيمة"[(٢)].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**خير بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه. وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه. أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين)) يشير بإصبعيه**[(٣)].

وعن أبي بكر بن حفص رضي الله عنه: ((**أنّ عبد الله (هو ابن عمر) كان لا يأكل طعاماً إلاّ وعلى خِوانه[(٤)] يتيم**))[(٥)].

---

(١) سورة الضحى الآية: (٦).

(٢) الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، ص: (١٢٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب خير بيت بيتُ فيه يتيم يُحسن إليه، رقم الحديث: (١٣٧)، ص: (٥٧). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، رقم الحديث: (٣٦٧٩)، وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: (٣٢).

(٤) الخِوَانُ: ما يؤكل عليه، معرب. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ١٥٦.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً من بين أبويه، رقم الحديث: (١٣٦)، ص: (٥٧). وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٢٩٩/١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٧٥).

وعن الحسن ﷺ: «**أن يتيما كان يحضر طعام ابن عمر فدعا بطعام ذات يوم، فطلب يتيما فلم يجده. فجاء بعد ما فرغ ابن عمر، فدعا له ابن عمر بطعام، فلم يكن عندهم، فجاءه بسويق وعسل، فقال: دونك هذا، فوالله ما غُبِنتَ[١]. يقول الحسن: وابنُ عمر والله ما غُبِن**»[٢].

وهذا شاهد على تكريم السلف الصالح لليتيم وإحسانهم إليه، مستنيرين بنور الوحي الذي أوصى باليتيم وحث على تكريمه ورعايته، لإيجاد مجتمع متكافل تسوده روح المحبة والرحمة والإخاء.

و لعل الحكمة التربوية من تشديد الإسلام على الوصية برعاية اليتيم هي "كون اليتيم لا يجد في الغالب من تبعثه عاطفة الرحمة الفطرية على العناية بتربيته والقيام بحفظ حقوقه، والعناية بأموره الدينية والدنيوية، فإن الأمّ إن وُجدت تكون في الأغلب عاجزة، ولاسيما إذا تزوجت بعد أبيه. فأراد الله تعالى – وهو أرحم الراحمين – بما أكّد من الوصيّة بالأيتام أن يكونوا من الناس بمنزلة أبنائهم، يربّونهم تربية دينية ودنيوية؛ لئلا يفسدوا ويفسد بهم غيرهم، فينتشر الفساد في الأمّة فتنحل انحلالا، فالعناية بتربية اليتامى هي الذريعة لمنع كونهم قدوة سيئة لسائر الأولاد، والتربية لا تتيسر مع وجود هذه القدوة، فإهمال اليتامى إهمال لسائر أولاد الأمة"[٣].

---

(١) غَبَنَهُ أي: نقصه، و غُبِنَ بالبناء للمفعول، فهو مَغْبُونٌ أي: منقوص في الثمن أو غيره. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٣٦٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً من أبويه، رقم الحديث: (١٣٤)، ص: (٥٧). وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (١/٢٩٩)، وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: (٣٢).

(٣) رشيد رضا، محمد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار: (١/٣٦٧).

المطلب السابع: العلاقة بالفقراء والمساكين.

إن الله سبحانه وتعالى بحكمته الواسعة خلق الخلق متفاوتين في القوة والضعف وفاضل بينهم في الرزق، فجعل المجتمع أي مجتمع مكونا من أقوياء وضعفاء، وأغنياء وفقراء، والعادة أن القوي يحتاج إلى الضعيف، والفقير يحتاج إلى الغني.

و"لا يطلب الإنسان الفقر لنفسه، فما من إنسان عاقل يودّ أن يكون فقيرا، وفريسة للجوع والعري والجهل والمرض، وإنما يحدث ذلك لبني الإنسان ابتلاء، كالعجز عن الكسب، أو التعرض لأمراض لا تمكنه من العمل، أو الإعاقة الجسدية أو الفكرية، أو التعرض لأزمات طارئة تفقده ماله، إلى غيرذلك"(١).

وهذه الفئة من المجتمع الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية من يمونون، فقد أمر الله بالإحسان إليهم، بسدّ خلتهم، وبدفع فاقتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه(٢).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(٣).

---

(١) الأسمر، أحمد رجب، الرسول المربي، ص:٢٢٧.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: ١٧٨.

(٣) سورة النساء الآية: (٣٦).

والعلاقة مع هذه الفئة من فئات المجتمع تقوم على المساندة والمواساة ماديا ومعنويا، وهذه المساندة هي التي توثق الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع، وترتقي بنوعية التعامل بينهم.

ومواساة الفقراء والمساكين أصل من أصول نظام الإسلام، وكانت من أول ما دعا إليه الإسلام ونزل به القرآن في أوائل نزوله، قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[١]. ومن آي سورة المدثر – وهي كذلك من أول سور القرآن نزولا – قوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾[٢] وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث على مواساة الفقراء وجبر خاطرهم.

والمواساة المادية في المنهج التربوي الإسلامي تنقسم إلى قسمين: إلزامية واجبة، واختيارية مندوب إليها، "وفي هذا التقسيم حكمة؛ لأن الناس صنفان صنف يدفع الإحسان من طبعه لما به من السخاء ومحبة الخير والزلفى، وصنف لا يندفع إليه من تلقاء نفسه ولكن بدافع الإلزام والجبر وخوف العقوبة، فلم يجعل الإسلام المؤاساة كلها اختيارية؛ لئلا يُحرم المحتاجون مؤاساة فريق كثير من الناس، ولم يجعلها واجبة؛ لئلا يُحرم المحتاجون وفرة المؤاسيات بعد أن يحصلوا على المؤاسيات الواجبة. ولئلا يحرم المؤمنون فضيلة السخاء بالوقوف عند الواجب؛ لأن الاعتياد بالاقتصار على الواجب ينسي النفوس طلب زيادة الثواب"[٣].

(١) سورة البلد الآية: (١١-١٦).

(٢) سورة المدثر الآية: (٤٢- ٤٤).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص:٢٢٤.

وقد جاءت النصوص من السنة النبوية تحث على مواساة الفقراء والمساكين، وكلها تلا مس قلب المسلم الغني، فتفجر فيه الأريحية والبذل والسخاء، وتجعله يُقبل بعطائه وكرمه على الفئات الفقيرة، فيعطيهم ما يسدّ حاجتهم، ويحفظ كرامتهم، وقد جعلت السنة النبوية من يقوم بذلك العمل الخيري كمن يجاهد في سبيل الله، فعن أبي هريرية، عن النبيّ ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمساكين، كالمجاهدين في سبيل الله، وكالذي يصوم النّهار ويقوم الليل**»[1].

كما حثت السنة النبوية على الصدقة وإغاثة الملهوف، ومدّ يد العون للفقراء والمساكين في أحاديث كثيرة منها ما رواه سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**على كلّ مسلم صدقة**». **قالوا: فإن لم يجدْ؟ قال:** «**فيعتمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدّق**». **قالوا: فإنْ لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال:** «**فيعين ذا الحاجة الملهوفَ**[2]». **قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:** «**فيأمر بالخير، أو يأمر بالمعروف**». **قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:** «**فيُمسِك عن الشر، فإنه له صدقة**»[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً، رقم الحديث: (١٣١)، ص: ٥٦ .والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل وقوله تعالى: ﴿ويسئلونك ما ذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيت لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة﴾وقال الحسن: ﴿العفو﴾ الفضل، رقم الحديث: (٥٣٥٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزهد، باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمساكين واليتيم، رقم الحديث: (٧٤٦٨).

(٢) المَلْهُوفُ: المظلوم يستغيث. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٥٢٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إن كل معروف صدقة رقم الحديث: (٢٢٥)، ص: ٨٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، رقم الحديث: (٦٠٢٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث: (٢٣٣٣)

قال ابن بطال رحمه الله[١]: "فيه التنبيه على العمل والتكسب، ليجد المرء ما ينفق على نفسه ويتصدق به ويغنيه على ذلّ السؤال. وفيه الحث على فعل الخير مهما أمكن، وأن من قصد شيئا منها فتعسر فلينتقل إلى غيره".

والأمر بالصدقة على الفقراء والمساكين له حكم تربوية وأبعاد اجتماعية، وذلك "أن الأغنياء لو لم يقوموا بإصلاح مهمات الفقراء، فربما حملتهم شدّة الحاجة ومضرة المسكنة على الالتحاق بأعداء المسلمين، أو على الإقدام على الأفعال المنكرة كالسرقة وغيرها..."[٢].

وتتأكد المواساة بين فئات المجتمع المسلم في وقت الشدائد والأزمات، كأيام الجدب والقحط والمجاعة، وقد ضربت الأنصار رضي الله عنهم في ذلك أروع الأمثلة في مواساة إخوانهم من المهاجرين رضي الله عنهم الذين قدِموا من مكة وليس بأيديهم شيء، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن يُعطوهم ثمار أموالهم كلّ عام، ويكفوهم العمل والمؤونة.

عن أبي هريرة: **أنّ الأنصار قالت للنبيّ ﷺ: اقْسِمْ بيننا وبين إخواننا النَّخيل. قال: «لا»، فقالوا: تكفونا المؤونة ونُشْرِكْكم في الثّمرة؟ قالوا: سمِعْنا وأطعْنا**[٣].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/٥٥٠.

(٢) الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر، التفسير الكبير: ١٦/١٠٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المواساة في السَّنَة والمجاعَة، رقم الحديث: (٥٦١)، ص: ١٩٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في المعاملة، رقم الحديث: (٢٧١٩).

وهذا منهج فريد في التكافل الاجتماعي انفرد به المنهج التربوي الإسلامي، وله شواهد كثيرة في مسيرة التاريخ الإسلامي عبر عصورها المختلفة، لاسيما في القرون المفضلة.

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال النبيّ ﷺ: ((**ضحاياكم، لا يصبح أحدُكم بعد ثالثةٍ وفي بيته منه شيء**)). **فلما كان العام المقبِل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلْنا العامَ الماضي؟ قال**: ((**كلوا وادّخروا؛ فإنّ ذلك العامَ كانوا في جَهد، فأردتُ أن تعينوا**))[1].

وعن عبد الله بن عمر: **أنّ عمر بن الخطاب** ﷺ **قال عام الرّمادة وكانت سنة شديدة ملِمّة بعد ما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلّها حتى بَلَحت**[2] **الأرياف كلّها؛ مِمَّا جهَدَها ذلك. فقام عمر يدعو فقال: اللهمّ اجعل رزقهم على رؤوس الجبال. فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيث:**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المواساة في السَّنَة والمجاعَة، رقم الحديث: (٥٦٣)، ص: ١٩٣.والبخاري، محمد ابن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها، رقم الحديث: (٥٥٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء، رقم الحديث: (٥١٠٩).

(٢) بلحت: يقال: بَلَّح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرّك. وقد أبلحه السَّير: انقطع به... وقد تُخفَّف اللام. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨٨.

«الحمد لله، فوالله لو أنّ الله لم يفرجها ما تركتُ أهل بيت من المسلمين لهم سعة؛ إلاّ أدخلتُ معهم أعدادَهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلِكان من الطعام على ما يُقيم الواحدَ»[١].

والفقراء والمساكين لا يحتاجون إلى المواساة المادية فقط، بل هم في حاجة إلى الرعاية النفسية؛ لأن ضعف الفقير وحاجته يغري ضعاف النفوس بالتطاول والتكبر عليه وعدم مراعاة كرامته، ولذلك كما رعته السنة النبوية بسدّ حاجته المالية، فإنه لم يغفل جانب المعاملة معه في احترام شخصيته والمحافظة على كرامته، وهذا النوع من الإحسان إلى الفقراء والمساكين لا يقلّ أهمية عن سدّ حاجاتهم المالية مع الإهانة والاحتقار، بل إن وبال احتقارهم وإهانتهم قد يكون أشدّ من بقائهم محتاجين؛ لأن تأثير ذلك شديد على أنفسهم وقد يفسدها فتدفعهم إلى الحقد والانتقام من مجتمعهم..إلى غير ذلك من الأضرار النفسية التي تفسد حال المرء[٢].

لذلك من مقرّرات منهج التربية في الإسلام احترام الضعفاء والمحتاجين وعدم إهانتهم، وتحريم المنّ والأذى في الصدقات، لأن "المن تطاول على المؤاسَى وهو كسر لخاطره وإضرار له، والأذى هو إسماعه ما يكره،

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المواساة في السَّنَة والمجاعَة، رقم الحديث: (٥٦٢)، ص: ١٩٢. وأحمد بن حنبل، المسند: ٣٧٥/٤، والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ٣٤٢/١، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢١٢.

(٢)حافظ، عماد زهير، منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع، ص:٢٧٢.

فالأذى لا يصدر إلا عن احتقار المبذول إليه، وذلك محرم شرعا لأن المسلم إذا بذل معروفا فإنما يبذله امتثالا لأمر الله وإرضاء له، فهو يعد المبذول إليه سببا في رفع درجته، ولأن أذى المبذول إليه يترك في نفسه كراهية الباذل فلا يحصل المقصود الشرعي من التوادّ"[١] قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[٢].

وهناك نماذج إنسانية جميلة في رعاية المساكين اجتماعيا، من سير أولئك الذين تربوا في مدرسة النبوة، واغترفوا من معينها الصافي، وتعلّموا فيها منهج التعامل مع الفئات الضعيفة والمحتاجة في المجتمع، فعن أبي محذُورة رضي الله عنه قال: «**كنت جالساً عند عمر . رضي الله عنه . إذ جاء صفوان بن أُميّة بِجَفْنَة**[٣]**، يحملها نفر في عباءة**[٤]**، فوضعوها بين يدي عمرَ، فدعا عمرُ ناساً مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله، فأكلوا معه، ثم قال عند ذلك. فعل الله بقوم . أو قال لحا الله قوما**[٥]**. يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم. فقال صفوان: أما، والله ما نرغب عنهم، ولكنّا نستأثر عليهم،**

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص:٢٢٥.

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٦٤).

(٣) الجفنة: كالقصعة، وجمعها جِفَانٌ و جَفَنَاتٌ بالتحريك. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ١٠٥.

(٤) العَبَاءةُ والعَبَايَةُ: ضرب من الأكسية، والجمع العَبَاءاتُ. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٣٦٢.

(٥) قولهم: لَحَاهُ الله أي: قبحه ولعنه. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: (٥١٤).

لا نجد. والله. من الطعام الطيب ما نأكل ونُطعمهم»[١].

وينبغي التنويه هنا بأن "الإسلام لما أوجب مواساة الفقراء والمساكين وندب إليها، حذر من ليس بحاجة إلى المواساة من التعرض إليها، لئلاّ يتواكل المسلم ويركن إلى البطالة ويترقب ما في أيدي الناس"[٢]. ففي الحديث الصحيح: «**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعة**[٣] **لحم**»[٤]، وفي الحديث: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة**»[٥]. وفي الحديث الصحيح: «**لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجلا يعطيه أو يمنع**»[٦]،

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هل يُجلس خادمَه معه إذا أكل؟، رقم الحديث: (٢٠١)، ص: ٧٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٦٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص: ٢٢٧.

(٣) أي قطعة يسيرة من اللحم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص : ٨٦٨.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، رقم الحديث: (١٤٧٤) واللفظ له، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم الحديث: (٢٣٩٨).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم الحديث: (١٤٢٩) واللفظ له، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن اليد السفلى هي الآخذة، رقم الحديث: (٢٣٨٥).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث: (١٤٧٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم الحديث: (٢٤٠٠). واللفظ له.

وفي الحديث الصحيح **أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال:** «**ما يكون عندي من خير فلن أدّخره عنكم، ومن يسْتَعْفِف يُعِفَّه الله، ومن يَسْتَغْن يُغْنِه الله، ومن يَتَصبّرْ يُصبره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاء هو خير وأوسع من الصبر**»[1]، وأثنى الله على قوم فقراء يتعففون عن إظهار فقرهم، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ (٢٧٣)﴾[2].

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث: (١٤٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة والحث على ذلك، رقم الحديث: (٢٤٢٤).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٧٣).

المطلب الثامن: العلاقة بالخدم.

كان الخدم فيما مضى هم المملوكون لمن يخدمونهم، وبفضل المنافذ الكثيرة التي فتحها الإسلام لإنهاء الرق والعبودية، يكاد ينتهي عصر العبيد والجواري، وصار الخدم في هذا العصر من الأحرار، "ولو درست حقوق المملوكين التي أوجبها الإسلام على من يملكونهم لعرفت أن الإسلام رفع من شأن هؤلاء المملوكين وأعطاهم من الحقوق ما لا يحصل عليه الأحرار اليوم"(١).

لقد اهتمت السنة النبوية بموضوع العلاقة مع هذه الفئة من فئات المجتمع أعني الخدم، خاصة المماليك منهم، ووضعت الضوابط الشرعية والأخلاقية للتعامل معهم وحفظ حقوقهم، وراعت مصالحهم، وصانت كرامتهم.

وتقوم العلاقة مع الخدم في المنهج التربوي الإسلامي على الآتي:

١) **الإحسان إليهم ومعاملتهم المعاملة الحسنى**، وقد أوصى النبي ﷺ بذلك في آخر رمق من حياته قبل أن تفيض نفسه المباركة:

عن عليّ رضي الله عنه قال: **كان آخر كلام النبيّ** ﷺ: ((**الصلاةَ الصلاة، اتّقوا الله فيما ملكت أيمانكم**))(٢).

"فيما ملكت أيمانكم" أي ارحموهم واستوصوا بهم خيرا(٣).

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٢٥٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حُسن الملكة، رقم الحديث: (١٥٨)، ص: ٦٤. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في حق المملوك، رقم الحديث: (٥١٥٦)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ؟ رقم الحديث: (٢٦٩٨).

(٣) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ١/٢٥٠.

وقد ضرب النبي ﷺ مثلا يحتذى به على مرّ العصور في التعامل مع هذه الفئة الضعيفة، عن أنس قال: **قدِم النّبيُّ ﷺ المدينة وليس له خادم، فأَخَذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي، حتى أدخلني على النبي ﷺ فقال: يا نبيّ الله إنّ أنساً غلامٌ كيِّسٌ لبيبٌ، فليخدمك. قال: فخدمتُه في السفر والحضر، مَقدمه المدينة، حتى تُوفّي ﷺ، ما قال لي عن شيء صنعتُه: لِمَ صنعتَ هذا هكذا؟ ولا قال لي لشيء لم أصنعه: ألا صنعتَ هذا هكذا؟**(١).

ويستفاد من الحديث "ترك العتاب على ما فات، لأنّ هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذمّ، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته، وكلّ ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعا؛ فلا يُتسامَح فيها؛ لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٢).

ومن حسن التعامل مع الخادم إشراكه في المطعم والملبس، والإنفاق عليه، وعدم تكليفه ما لا يطيق من الأعمال، وإعانته في حال تكليفه بذلك.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العفو عن الخادم، رقم الحديث: (١٦٤)، ص: ٦٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحا له، ونظر الأم أو زوجها لليتيم، رقم الحديث: (٢٧٦٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب حسن خلقه ﷺ، رقم الحديث: (٦٠١٣).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/٥٦٦.

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ﷺ قال: **خرجْتُ أنا وأبي نطلُب العلم في هذا الحيّ من الأنصار . قبل أن يهلكوا . فكان أول من لقينا أبا اليَسَر، صاحب النّبيّ ﷺ ومعه غلام له، وعلى أبي اليَسَر بُردةٌ[١] ومعافِريّ[٢] وعلى غلامه بُردة ومعافِريّ. فقلتُ له: يا عمّي لو أخذتَ بُردة غلامك وأعطيتَه معافريّك، أو أخذتَ معافريَّه وأعطيتَه بردتك؛ كانت عليك حلّة[٣] أوعليه حلّة! فمَسَح رأسي وقال: اللهم بارك فيه، يا ابن أخي بَصر عيناي هاتان، وسَمِع أذناي هاتان، ووعاه قلبي . وأشار إلى مناط قلبه . النبيّ ﷺ يقول: «أطعموهم ممَّا تأكلون، وألبسوهم مِمَّا تلبسون»، وكان أن أُعْطِيَه من متاع الدنيا أهونَ عليَّ من أن يأخذ من حسناتي يوم القيامة»[٤].**

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: **كان النّبيُّ ﷺ يوصي بالمملوكين خيرا، ويقول: «أطعموهم مِمّا تأكلون، وألبسوهم من لَبُوسكم، ولا تُعذِّبوا خلْق الله ﷻ»[٥].**

---

(١) البردة: الشملة المخططة، وقيل: كساء أسود مربّع فيه صور تلبسه الأعراب وجمعها بُرد. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ١٢.

(٢) هي: برود باليمن منسوبة إلى معافر، وهي قبيلة باليمن، والميم زائدة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٢٢٦.

(٣) الحُلَّةُ – بالضم – لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد، والجمع: حُلَلٌ، مثل: غرفة وغرف. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ١٢٩.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب اكسوهم مما تلبسون، رقم الحديث: (١٨٧)، ص: ٧٣. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم الحديث: (٧٥١٣).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب اكسوهم مما تلبسون، رقم الحديث: (١٨٨)، ص: ٧٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٩٠.

وعن المعرور بن سُويد ﷺ قال: **رأيت أبا ذرٍّ وعليه حلّة، وعلى غلامه حُلَّة، فسألناه عن ذلك؟ فقال: إنِّ سابـبتُ رجلاً، فشكاني إلى النّبيّ ﷺ، فقال لي النبي ﷺ: «أعيَّرتَه بأُمِّه[١]»؟ قلتُ: نعم، ثم قال: «إنّ إخوانكم خَوَلُكم[٢]، جعلَهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه، فليُطعمهُ مِمّا يأكل، وليُلبسه مِمَّا يلبس، ولا تكلّفوهم ما يَغلبهم؛ فإن كلّفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»**[٣].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: "فالمراد المواساة لا المساواة من كل جهة، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذرّ فعل المساواة وهو الأفضل".

والحديث واضح الدلالة في النهي عن سب الرقيق وتعييرهم بمن ولدهم، والحث على الإحسان إليهم والرفق بهم، ويلتحق بالرقيق من في معناهم من أجير وغيره[٥].

---

(١) عَيَّرْتُهُ كذا، وعَيَّرْتُهُ به: قَبَّحته عليه ونسبته إليه، يتعدى بنفسه وبالباء، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٣٥٨.

(٢) الخَوَلُ، مثال: الخَدَم والحَشَم، وزنا ومعنى. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ١٥٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سباب العبيد، رقم الحديث: (١٨٩)، ص: ٧٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم الحديث: (٣٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، رقم الحديث: (٤٣١٣).

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٥/٢١٥.

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق: ٥/٢١٦

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((**للمملوك طعامه وكِسوتُه، ولا يكلّف من العمل ما لا يطيق**))[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ[٢]: "والأمر بإطعامهم مما يأكل السيد وإلباسهم ما يلبس محمول على الاستحباب لا على الإيجاب وهذا بإجماع المسلمين...وإنما يجب على السيد نفقة المملوك وكسوته بالمعروف بحسب البلدان والأشخاص سواء كان من جنس نفقة السيد ولباسه أو دونه أو فوقه حتى لو قتر السيد على نفسه تقتيرا خارجا عن عادة أمثاله إما زهدا وإما شحا لا يحل له التقتير على المملوك وإلزامه وموافقته إلا برضاه.

وأجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يكلفه من العمل ما لا يطيقه فإن كان ذلك لزمه إعانته بنفسه أو بغيره".

وقد أمر النبي ﷺ بتناول الطعام مع الخدم زيادة في إكرامهم والإحسان إليهم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه، فليُجلسه فإن لم يقبل، فليناوله منه**))[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يكلّف العبد من العمل ما لا يطيق، رقم الحديث: (١٩٢)، ص: ٧٥. ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، رقم الحديث: (٤٣١٦).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٣٥/١١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هل يُجلس خادمه معه إذا أكل؟، رقم الحديث: (٢٠٠)، ص: ٧٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العتق، باب إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، رقم الحديث: (٢٥٥٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، رقم الحديث: (٤٣١٧).

كما حثّ النبي ﷺ على الإنفاق عليهم، فعن أبي هريرة قال: **أمر النبي ﷺ بصدقة، فقال رجلٌ: عندي دينار؟ قال: «أنفقه على نفسك». قال: عندي آخر؟ قال: «أنفقه على زوجتك». قال: عندي آخر؟ قال: «أنفقه على خادمك، ثم أنتَ أبصر»**[١].

ومن الإحسان إلى الخدم -أيضا- التلطف معهم في الكلام، واستعمال العبارات الجميلة في مخاطبتهم، والبعد عن كل ما يجرح مشاعرهم، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لا يقل أحدُكم عبدي، أمتي، كلّكم عبيد الله، وكلّ نسائكم إماء الله، وليقل: غلامي، جاريتي، وفتاي، وفتاتي**»[٢].

قال القرطبي رحمه الله[٣]: "فندب ﷺ السادة إلى مكارم الأخلاق وحضهم عليها وأرشدهم إلى الإحسان وإلى سلك طريق التواضع حتى لا يروا لأنفسهم مزية على عبيدهم، إذ الكلّ عبيد الله والمال مال الله، ولكن سخّر بعضهم لبعض، وملك بعضهم بعضا إتماما للنعمة وتنفيذا للحكمة".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقة، رقم الحديث: (١٩٧)، ص: ٧٦. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم الحديث: (١٦٩١)، والنسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الزكاة، باب الصدقة عن ظهر غنى، رقم الحديث: (٢٥٣٦). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٩٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يقول: عبدي، رقم الحديث: (٢٠٩)، ص: ٨٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب العتق، باب كراهة التطاول على الرقيق وقوله: عبدي وأمتي، رقم الحديث: (٢٥٥٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الألفاظ من الآداب، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيّد، رقم الحديث: (٥٨٦٢).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ١٩٠/٣.

ومن الإحسان إليهم ومعاملتهم المعاملة الحسنى -أيضا-: العفو عنهم والتجاوز عن زلاتهم، فإن الخطأ وارد في سلوك البشر وتصرفاتهم لا محالة، فالخدم غير معصومين من الوقوع في الأخطاء، وارتكاب الهفوات، وفي هذه الحالة فإن المنهج التربوي الإسلامي يأمرنا بالتعامل معهم بالمسامحة والتوجيه اللطيف، وينهانا عن القسوة والغلظة عليهم، والشدّة في معاملتهم أو الإضرار بهم وتعذيبهم.

عن أبي أمامة ﷺ قال: **أقبل النبيُّ ﷺ معه غلامان، فوهب أحدَهما لعليّ . صلوات الله عليه . وقال: «لا تضربه؛ فإني نهيتُ عن ضرب أهل الصلاة، وإنّي رأيته يصلّي منذ أقبلنا». وأعطى أبا ذرّ غلاما وقال: «استوص به معروفا» فأعتقه، فقال: «ما فعل؟» قال: أمرتَني أن أستوصيَ به خيرا فأعتقتُه**[١].

وينبغي أخذ الحيطة والحذر ووقاية الخدم قدر الإمكان من ارتكاب الأخطاء وصيانتهم من الوقوع في الجرائم كالسرقة والخيانة وغيرهما، وذلك بتحلي المخدومين باليقظة والدقة في التعامل معهم، والبعد عن الغفلة واللامبالاة التي تؤدّي في الغالب إلى سوء الظن بهم، فعن أبي العالية ﷺ قال: **«كنا نؤمر أن نختم على الخادم، ونكيل ونعدَّها، كراهية أن يتعوّدوا خُلُق سوء، أو يظنّ أحدُنا ظنّ سوء»**[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العفو عن الخادم، رقم الحديث: (١٦٤)، ص: ٦٦. وأحمد بن حنبل، المسند: ٢٥٠/٥، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص :٨٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من ختم على خادمه مخافة سوء الظنّ، رقم الحديث: (١٦٧)، ص: ٦٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٨٤.

وعن سلمان ﷺ قال: ((**إنّي لأعدّ العُراق**[١] **على خادمي، مخافة الظن**))[٢].

وكان السلف ﷺ يكيلون ويعدّون الأشياء لمقصدين عظيمين:

أولهما: أن قلوب المخدومين تطمئن بالختم والكيل والعدّ؛ الحفظ لأموالهم.

ثانيهما: حسم طمع العبيد والخدم، فلا يجترئون على السرقة والخيانة، فهم يصانون عن ذنب، ويصان السادة عن سوء الظن بهم[٣].

٢) العمل على تأديب الخدم لإصلاحهم، "فإن صدر عنهم شيء مخل بالأخلاق أو الآداب، وُعظوا ونُبِّهوا وأُخذ على أيديهم، وهذه من مسؤوليات ربّ الأسرة، فلا ينبغي له أن يهمل أو يقصر في ذلك، إذ إن الخدم يعيشون معهم في البيت، وسلوكهم يؤثر سلبا أو إيجابا على الأولاد، ويقضون أوقاتا طويلة مع الأطفال"[٤].

عن عبد الله بن قسيط ﷺ قال: **أرسل عبد الله بن عمر غلاماً له بذهب . أو بورق . فصرَفه، فأنْظَرَ بالصّرف، فرجع إليه فجلَده جلداً وجيعاً، وقال:** ((**اذهب فخذ الذي لي ولا تَصرفْه**))[٥].

---

(١) العُراق: جمع عرق العظم الذي أُكل لحمه، وقيل: أُكل معظم لحمه، وبقي عليه لحوم دقيقة طيبة، وَعَرَقْتُ الْعَظْمَ عَرْقًا مِنْ بَابِ قَتَلَ أَكَلْت مَا عَلَيْهِ مِنْ اللَّحْمِ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص: ٢٣٠. والجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ١/٢٦٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من عدّ على خادمه مخافة الظَّنّ، رقم الحديث: (١٦٨)، ص: ٦٨. وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١/٢٠٢، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٨٤.

(٣) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ١/٢٦٥.

(٤) باحارث، عدنان حسن، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ص: ٢٣٢.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أدب الخادم، رقم الحديث: (١٧٠)، ص: ٦٨. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٨٤.

((فأنظر بالصرف)) أي صرفه إلى أجل، وذلك حرام[١]. وفي هذا دليل على تأديب الخادم وضربه إذا وقع في محظور أو حرام، ولكن يجب التنبيه على أن المنهج التربوي الإسلامي لم يطلق العنان للسادة والمخدومين في استخدام حق التأديب على وجه التعسف والغطرسة والتعدي على حقوق الخدم، بل أحاط استخدامه بسياج من التحذير والتخويف من تجاوز الحدّ أو الظلم بذريعة التأديب والإصلاح.

عن أبي مسعود ﷺ قال: **كنت أضرب غلاماً لي فسمعتُ من خلفي صوتاً: ((اعلم أبا مسعود لَلّه أقدرُ عليك منك عليه)). فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، قلتُ يا رسول الله فهو حرٌّ لوجه الله، فقال: ((أما إن لو لم تفعل لَمَسَّتْكَ النار))، أو ((للفَحَتْكَ[٢] النار))**[٣].

وفي هذا الحديث "الحث على الرفق بالمماليك وحسن صحبتهم وكفّ الأذى عنهم"[٤].

وقد أمر النبي ﷺ مَنْ تجاوز الحدّ في تأديب خادمه إذا كان مملوكا أن يعتقه، وذلك سدّاً لذريعة الظلم والاعتداء على الفئات الضعيفة من المجتمع.

---

(١) الجيلاني، فضل الله، المرجع السابق: ١/ ٢٦٧.

(٢) لَفَحَتْهُ النار والسُموم بحرها: أحرقته، وبابه قطع. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٥١٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أدب الخادم، رقم الحديث: (١٧١)، ص: ٦٩. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث: (٤٣٠٦).

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١١/١٢٩.

عن راذان أبي عمر ﷺ قال: **كُنّا عند ابن عمر، فدعا بغلام له كان ضرَبه فكشَف عن ظهره فقال: أيوجعك؟ قال: لا. فأعتَقَه، ثم رَفَع عوداً من الأرض فقال: ما لي فيه من الأجر ما يَزِنُ هذا العود. فقلت: يا أبا عبد الرحمن لِمَ تقول هذا؟ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول أو قال: ((من ضَرَب مملوكه حدّاً لم يأته، أو لطَم وجهه، فكفَّارته أن يُعتِقه))**[1].

قال الأُبيّ رحمه الله[2]: "كان ضربه له أَدَباً، إلا أنه تجاوز عن ضرب الأدب، ولذلك أثر الضرب في ظهره، ثم رأى أنه لا يخرجه مما وقع فيه إلا عتقه فأعتقه بنية الكفارة، ثم رأى أن الكفارة إذا قُبلت غايتها أن تكفِّر إثم الزّيادة فيخرج رأسا برأس لا وزر ولا أجر؛ ولذلك قال: (مالي فيه من الأجر شيء)".

وقال ابن العربي رحمه الله[3]: "إذا لطمتَه فقد ظلمتَه وفعلتَ به ما ليس لك فعله فتعين النظر في مغفرة ذلك الذنب بما يناسبه ويقارنه من العمل، وهو العتق؛ لينجو اللاطم من النار بإخراج الملطوم من الرق".

وعن عمار بن ياسر ﷺ قال: ((**لا يضرب أحدٌ عبداً له، وهو ظالم له، إلا أُقيد منه يوم القيامة**))[4].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لطم عبده فليعتقه من غير إيجاب، رقم الحديث: (١٨٠)، ص: ٧١. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث: (٤٢٩٩).

(٢) الأبيّ، محمد بن خلفة الوشتاني، إكمال إكمال المعلم: ٣٨٤/٤.

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٢١٩/٦.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قصاص العبد، رقم الحديث: (١٨١)، ص: ٧٢. وأبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٣٧٨/٤، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٨٨.

ومن صور التعدّي في تأديب الخدم الممنوع في منهج التربية الإسلامية، الضرب في الأماكن الحساسة كالوجه؛ لما قد يسببه ذلك من تشويه للمنظر أو إعاقة في الجسم، فعن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**إذا ضرب أحدُكم خادمَه، فليجتنب الوجهَ**»[١].

و"هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤة نفيسة لطيفة، وأكثر الإدراك بها، فقد يبطلها ضرب الوجه، وقد ينقصها، وقد يشوه الوجه، والشين فيه فاحش؛ لأنه ظاهر بارز لا يمكن ستره، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالبا، ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته، أو ولده، أو عبده ضرب تأديب، فليجتنب الوجه"[٢].

وهذه المنهج التربوي الفريد في التعامل مع الخدم المعاملة الحسنة، وكف الأذى عنهم ورعايتهم لم تشهد البشرية لها مثيلا في تاريخها الطويل، حتى في عصر الحرية والمدنية، فإن حقوق الأكثرية من الخدم في هذا العصر تسحق سحقا وتهدر كرامتها وإنسانيتها، وتستنفد كل طاقاتها، وتحمل ما لا تطيق من الأعمال الشاقة، فضلا عن ضآلة أجورهم وقلتها.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليجتنب الوجه في الضرب، رقم الحديث: (١٧٤)، ص: ٧٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، رقم الحديث: (٢٥٥٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، رقم الحديث: (٦٦٥١).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٣٨٠/١١.

"يا لها من أخلاق ساقطة، وإنسانية متوحشة، وحياة يركب فيها إنسان إنسانا، ويُشقي المرء فيها أخاً مثله أو مثل أبنائه وبناته، ثم لا يهتم"[١]. بل قد يُذلّ من في مثل سن أبيه أو جدّه ثم لا يرعوي!

وكان النبي ﷺ قد حذّر المخدومين من سوء عاقبة المعاملة السيئة للخدم يوم القيامة، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**لَتُؤدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها، حتى يُقاد[٢] للشاة الجمّاء[٣] من الشاة القرناء[٤]**))[٥].

لعل المصنف ذكر هذا الحديث تحت (باب قصاص العبد) "إشعارا بخطورة الأمر لمن يستهتر بحق العبيد أو الخدم، فكما يظنّ كثير من الناس أن الشاة الجمّاء قد هُدِرَ حقّها لضعفها، فكذلك العبد والمملوك والخادم في زعمهم، وكما جاء الحديث يوضح أداء الحقوق إلى أهلها حتى يُقاد للشاة الجمّاء من الشاة القرناء؛ جاء هذا التبويب يوضح أنّها ستؤدّى الحقوق إلى العبيد والضعفة ويُقتص لهم ممّن ظلمهم"[٦].

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص:٢٥٥.

(٢) القَوَدُ بفتحتين: القصاص. وأَقَادَ الأميرُ القاتلَ بالقتيل: قَتَلَه به قَوَداً. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٤٢٣.

(٣) جَمِمَتِ الشاةُ جَمَمًا، من باب تعب: إذا لم يكن لها قرن، فالذكر: أَجَمُّ، والأنثى: جَمَّاءُ، والجمع: جُمٌّ، مثل: أحمر وحمراء وحُمْر. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٩٩.

(٤) شاة قَرْناءُ: خلاف جمّاء. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٤٠٨.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قصاص العبد، رقم الحديث: (١٨٣)، ص: ٧٢. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: (٦٥٨٠).

(٦) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد: ٢١٢/١.

وهكذا يجب تنشئة الأجيال الناشئة على المعاملة الحسنة للخدم، والبعد عن هضم حقوقهم أو إيذائهم بأي نوع من الأذى، وأن يُوَضَّح لهم أن هؤلاء الخدم إخوة لنا جعلهم الله تحت أيدينا، فعلينا أن نحسن إليهم قدر الاستطاعة، وألا نكلفهم ما لا يطيقون، وأن نحب لهم من الخير ما نحبه لأنفسنا.

المطلب التاسع: العلاقة بكبار السن.

يقصد بالكبار هنا من هم أكبر منا سنا، ممن كان في سن الآباء والأمهات أو قريبا من ذلك، وهذه الفئة من المجتمع "هم أكثر الناس حاجة للعطف والشفقة والتقدير، وهم أحق الناس بذلك، نظير ما قدموه من عطاء في المراحل السابقة لمرحلة أواخر الشيخوخة، فضلا عن كونه واجبا إسلاميا، يتقرب العبد به لله ﷻ"(١).

وإذا كان التعامل مع الكبار مراعى فيه معالي القيم ومكارم الأخلاق وسامي الفضائل، أدّى إلى إحكام تفاعل العلاقات الاجتماعية عن رضا ووعي واقتناع بين الأجيال، فينبغي للمربّين أن ينشّئوا الأطفال على المبادئ التربوية التالية:

١) **احترام الكبار وتوقيرهم**، وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم، ومعرفة فضلهم وإجلالهم، وعدم الاستخفاف بهم، أو إساءة الأدب في حضرتهم، أو توجيه الكلام السيئ لهم، أو نهرهم، "والتوقير للكبير أمر عرفي، وذوق إنساني، يدركه من كان ذا أدب واحترام لغيره وينشأ عليه من نشأ في بيئة نظيفة مهذبة ملتزمة بالعمل بالسنة"(٢)؛ ذلك أنه من المبادئ الحميدة التي أمرت بها السنة النبوية، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**من لم يرحمْ صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا**))(٣).

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، ص:٥٤.

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص:٢٩٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الكبير، رقم الحديث: (٣٥٣)، ص: ١٢٥. والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ١٧٨/٤، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٢.

وعن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «**من لم يرحم صغيرنا، ويُجِلَّ كبيرنا، فليس منّا**»[١].

قال ابن حجر رحمه الله[٢]: "«ليس منا» أي من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيرداه بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته: لست منك ولست منّي، أي ما أنت على طريقتي...وحكي عن سفيان أنه كان يكره الخوض في تأويله، ويقول: ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أو قع في النفوس وأبلغ في الزجر".

وقال ابن العربي رحمه الله[٣]: " المعنى: ليس على ديننا الكامل، أي خرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه أصله".

ومن المعلوم أن الإنسان إذا تقدم به العمر، وطعن في السن، ظهرت عليه مظاهر الضعف التدريجي فيجد الفرد صعوبة كبيرة في المحافظة على مكانته في المجتمع الذي يتغير من حوله بسرعة تفوق تكيّفه للتغيرات التي تحيط به[٤].

"وتظهر صعوبة هذه المرحلة في المجتمعات غير الإسلامية، حيث يقل الاهتمام بالطاعنين في السن، ويزج بهم الأبناء في دور الرعاية الاجتماعية، لأن معيار التقدير والاحترام مبني على المنفعة المادية"[٥].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الكبير، رقم الحديث: (٣٥٦)، ص: ١٢٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٢.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٢٠٩/٣.

(٣) ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: ١٧٨/٢.

(٤) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو، ص: ٤١٠.

(٥) الحازمي، خالد بن حامد، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، ص:٥٥.

أما المنهج التربوي في الإسلام فقد دعا إلى تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام؛ بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كلّ هذا من كمال تعظيم الله لحُرْمته عند الله.

وعن الأشعري قال: «**إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملَ القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المُقسِطِ**»(١).

«إنّ من إجلال الله» أي من جملة تعظيم الله تعالى وتوقيره أن يكرم موضع وقاره وهو شيبة المسلم(٢).

(إكرام ذي الشيبة المسلم) أي: تعظيم الشيخ الكبير، صاحب الشيبة البيضاء الذي عمَّره في الإيمان، وتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه(٣).

٢) تقديمهم في الأمور كلّها عند التساوي في الفضل، كتقديمهم عند المشي والدخول إلى المكان والخروج منه، وعند بدء الكلام أمام السلطان ونحوه من الكبراء وأفاضل العلماء، وغير ذلك من الأمور.

والمراد بتقديم الكبار تقديم "الأكبر في السن إذا وقع التساوي في الفضل، وإلا يقدّم الفاضل في الفقه والعلم إذا عارضه السّنّ"(٤).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إجلال الكبير، رقم الحديث: (٣٥٧)، ص: ١٢٦. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم الحديث: (٤٨٤٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٣.

(٢) الطيبي، الحسين بن عبد الله، الكاشف عن حقائق السنن: ١٠/٣١٨٦.

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٢/٥٢٩.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/٦٥٩.

عن رافع بن خديج وسهل بن أبي حَثْمَة لاَ، أنَّهما حدَّثا - أو حدّثاه - **أنّ عبد الله بن سهل ومُحَيِّصَة بن مسعود أَتَيا خيبرَ، فتفرّقا في النَّخل، فقُتل عبد الله بن سهل، فجاء عبد الرحمن بن سهل، وحُويِّصة ومُحَيِّصة ابنا مسعود، إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن. وكان أصغر القوم. فقال له النبي ﷺ:** ((**كَبِّر الكُبْرَ**)). **قال يحيى: لِيَلِي الكلامَ الأكبرُ، فتكلّموا في أمر صاحبهم، فقال النبي ﷺ:** ((**أتستحقّون قتيلكم. أو قال: صاحبكم. بأيمان خمسين منكم.**)). **قالوا: يا رسول الله أمْرٌ لم نرهُ. قال:** ((**فتُبْرِئُكم يهود بأيمان خمسين منهم؟**)). **قالوا: يا رسول الله قومٌ كفّار، فوداهم رسول الله ﷺ مِن قِبله. قال سهل: فأدركتُ ناقة من تلك الإبل، فدخلتُ مِربدا[1] لهم، فركَضَتْني برجلها**[2].

وفي هذا الحديث "فضيلة السنّ عند التساوي في الفضائل ولهذا نظائر، فإنه يقدّم بها في الإمامة، وفي ولاية النكاح ندبا وغير ذلك"[3].

---

(١) المربد: الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣٤٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يبدأ الكبير بالكلام والسؤال، رقم الحديث: (٣٥٩)، ص: ١٢٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، رقم الحديث: (٦١٤٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب القسامة، رقم الحديث: (٤٣٤٢).

(٣) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤٩/١١.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **((أخبروني بشجرة، مَثَلُها مَثَل المسلم، تؤتي أُكُلُها كلَ حين بإذن ربِّها، لا تحتّ ورقها)). فوقع في نفسي النخلة، فكرهتُ أن أتكلَّم، وثمَّ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلَمَّا لم يتكلَّما، قال النَّبيّ ﷺ: ((هي النّخلة))، فلمَّا خرجتُ مع أبي قلتُ: يا أبتِ وقع في نفسي النخلة. قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنتَ قُلتَها كان أحبّ إليّ من كذا وكذا. قال: ما منَعَني إلاّ لم أرك، ولا أبا بكر تكلَّمتما، فكرهتُ**[1].

ويستفاد من هذا الحديث: الحث على"توقير الكبار، كما فعل ابن عمر، لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة، فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها"[2].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[3]: "وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظنَّ أنه الصَّواب".

وتقديم الكبير يكون حيث يقع التساوي، "أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير؛ لأن عمر تأسف حيث لم يتكلم ولده مع انه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبي بكر ومع ذلك تأسف على كونه لم يتكلّم"[4].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا لم يتكلّم الكبير هل للأصغر أن يتكلّم؟ رقم الحديث: (٣٦٠)، ص: ١٢٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير - سور إبراهيم عليه الصلاة والسلام — باب قوله: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت﴾، رقم الحديث: (٤٦٩٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم الحديث: (٧٠٩٨).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٥٢/١٧.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٦٥٩/١٠.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٦٥٩/١٠.

٣) تسويدهم: أي: جعلهم السادة المنظور إليهم في الأمور المهمة، واستشارتهم فيها؛ لأن هذه المرحلة "تمثل القدوة لمن هم في المراحل السابقة لما يحمله أفرادها من التجارب العامة في الحياة، وبما تعلموه واكتسبوه من معارف وعلوم"[١].

عن حكيم بن قيس بن عاصم رضي الله عنهما، **أنّ أباه أوصى عند موته بنيه فقال**: «**اتَّقوا الله، وسَوِّدوا أكبركم، فإنَّ القوم إذا سوَّدوا أكبرهم خَلَفوا أباهم، وإذا سوّدوا أصغرهم أَزْرَى**[٢] **بهم ذلك في أكفائهم. وعليكم بالمال واصطناعه، فإنَّه مَنبهَةٌ للكريم، ويُستغنى به عن اللئيم، وإيَّاكم ومسألة النَّاس، فإنَّها من آخر كسْب الرجل. وإذا مِتُّ فلا تنوحوا، فإنَّه لم يُنَحْ على رسول الله ﷺ، وإذا متُّ فادفنوني بأرض لا تشعر بدفني بكر بن وائل، فإنِّي كنتُ أغافلهم في الجاهليَّة**»[٣].

وهكذا ينبغي أن يُربّى النشء منذ نعومة أظفارهم على احترام الكبار وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم، مما يحقق الترابط والتماسك الاجتماعي في المجتمع المسلم.

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، ص:٥٣.

(٢) أَزْرَى بالشيء إزْراءَ:تهاون به. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٢٠٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تسويد الأكابر، رقم الحديث: (٣٦١)، ص: ١٢٨. وأحمد بن حنبل، المسند: ٥/٦٧٠، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٥.

المطلب العاشر: العلاقة بالصبيان.

علاقة الصبيان بالكبار علاقة أخذ وعطاء، أخذ الخبرات والتوجيهات وبالمقابل تقديم الاحترام والتقدير، كما مرّ معنا في المبحث السابق، وهي علاقة عطاء وإخلاص وأمانة، وفي نفس الوقت علاقة حنو وعطف أبوي، وعند ما ينشأ هذا الاحترام المتبادل بين الكبار والصبيان، ويتم التفاعل والتجاوب تصبح العلاقة أفضل وثمارها أينع، ويحصل الوفاق والتعلم والفائدة.

وحتى يتقبل الصبيان التوجيهات من الكبار، فإنهم بحاجة إلى البناء العاطفي من خلال إظهار الحب لهم بالمداعبة والرعاية، حتى تكون لهم بمنزلة القاعدة الاستقبالية التي تجعلهم يتقبلون كل توجيه ممن يحبهم(١).

وقد أشبع منهج التربية الإسلامية المستنبط من السنة النبوية الحاجة الاجتماعية للصبيان من الحب والشفقة والرحمة، عن طريق بناء عاطفة الطفل بناء يقوم على أسس راسخة سليمة، وها هي تلك الأسس التي بينتها السنة النبوية:

١) القبلة والرحمة للصبيان:

"إن للقبلة دورا فعالا في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دورا كبيرا في تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع الآخرين"(٢).

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، ص:١٩.

(٢) سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ، منهج التربية النبوية للطفل، ص: ١٧٩.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: أتقبِّلون صبيانكم؟ فما نقبِّلهم فقال النبيّ ﷺ: ((أوَ أملك لك أَنْ نزع الله من قلبك الرحمة؟))**[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قبَّل رسول الله ﷺ حسنَ بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إنّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: ((من لا يَرحم لا يُرحم))**[٢].

والقبلة لا تختص بالصبيّ فقط، بل حتى الصبيّة عند أمن الفتنة والشهوة، ولذلك عنون البخاري بقوله: (باب قُبلة الرّجل الجارية الصغيرة)، ثم روى تحته أثرا عن بكير: ((**أنّه رأى عبد الله بن جعفر يُقبِّل زينب بنت عمر بن أبي سلمة، وهي ابنة سنتين أونحوه**))[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبلة الصبيان، برقم (٩٠). ص: ٤٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٨، ومسلم بن الحجاج، الصحيح،كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، رقم الحديث: (٦٠٢٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبلة الصبيان، برقم (٩١). ص: ٤٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٧، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، رقم الحديث: (٦٠٢٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قُبلة الرجل الجارية الصغيرة، رقم الحديث: (٣٦٥)، ص: ١٢٩. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٦.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: "وفي هذه الأحاديث ما يدلّ على جواز تقبيل الصغير على جهة الرحمة والشفقة، وكراهة الامتناع عن ذلك على جهة الأَنَفَة".

وعن أبي أمامة: رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُجِلّ كَبِيرَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا**))[(٢)].

وعن أنس بن مالك: **جاءت امرأة إلى عائشة** رضي الله عنها **فأعطتها عائشةُ ثلاث تمرات، فأعطت كلَّ صبيّ لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيَّان التمرتين، ونظرا إلى أمِّهما، فعمدتْ إلى التمرة فشقَّتها فأعطت كلَّ صبيّ نصف تمرة. فجاء النَّبيُّ ﷺ فأخبَرَتْهُ عَائِشَةُ فقال: ((وما يعجبكِ من ذلك؟ لقد رَحِمَهَا اللَّهُ برحمتها صبيَّيها))**[(٣)].

وعن أبي هريرة قال: **أتى النَّبِيَّ ﷺ رجلٌ ومعه صبيّ، فجعَل يضُمُّه إليه، فقال النبيُّ ﷺ: ((أترحمه؟)) قال: نعم، قال: ((فالله أرحمُ بك، منك به، وهو أرحم الراحمين))**[(٤)].

---

(١) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ١١٠/٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الكبير، رقم الحديث: (٣٥٦)، ص: ١٢٦. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ٢٢٦/٨، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الوالدات رحيمات، برقم (٨٩). ص: ٤٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث: (٥٩٩٥، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم الحديث: (٦٦٩٤).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة العيال، رقم الحديث: (٣٧٧). ص: ١٣٢. والبيهقي، شعب الإيمان: ٤٢٢/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٠.

٢) إشباع حاجة الصبيّ إلى الحبّ والحنان:

إن إشعار الصبيان بالحب والحنان، له دور تربوي كبير في تنمية شخصياتهم المستقبلية، لأن ."تمتع الطفل بالحب والأمان يترك آثاره على شخصيته المستقبلية، فينمو شخصا محبا لمعلمه، ولرئيسه في العمل، ومحبا للناس جميعا، ويخضع لأساليب الضبط الاجتماعي طواعية واختيارا"(١).

وكان النبي ﷺ يحب الصبيان ويظهر لهم ذلك في أقواله وأفعاله صلوات ربي وسلامه عليه، فعن البراء ﷺ قال: **رأيت النبي ﷺ والحسن . صلوات الله عليه . على عاتقه، وهو يقول: ((اللهمّ إنّي أُحِبُّه فأَحِبَّه))**(٢).

ومن فعله ﷺ فقد كان يداعب عواطف الصبيان بمسح رؤوسهم، فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، الأمر الذي يشعر الصبي بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به، فعن يوسف بن عبد السلام ﷺ قال: ((**سماني رسول الله يوسفَ، وأقعدني على حجره، ومسح على رأسي**))(٣).

---

(١) داغستاني، بلقيس إسماعيل، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، ص:١١٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حمل الصَّبيّ على العاتق، رقم الحديث: (٨٦). ص: ٤٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم الحديث: (٣٧٤٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم الحديث: (٦٢٥٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مسح رأس الصبيّ، رقم الحديث: (٣٦٧)، ص: ١٣٠. وأحمد بن حنبل، المسند: ٣٥/٤، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٧.

ومن دلائل محبته ﷺ للصبيان تمكينه إياهم من اللعب وتشجيعهم عليه لما للعب من فوائد تربوية عظيمة ومنها:

- الإعداد للحياة والعمل؛ حيث يكون اللعب وسيلة للتعلم واكتساب الخبرات التي تؤهل الطفل لمواجهة متطلبات الحياة المستقبلية، وقد دفع هذا التصور البعض إلى اعتبار اللعب الأرضية التجريبية لما سيقابله الطفل مستقبلا من تجارب تتصل بحياته.

- تنمية بعض المهارات الجسمية والعقلية والاجتماعية واللغوية، وذلك من خلال التمارين المستمرة والاحتكاك المتواصل بالآخرين(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كنتُ ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبْن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعْن(٢) منه، فيُسَرِّ بُهُنّ إليّ(٣)، فيلعَبْن معي»(٤).**

---

(١) منصور، عبد المجيد سيد أحمد، علم نفس الطفولة، ص: ٢٥١.

(٢) أي تغيبن ودخلن في بيت، أو من وراء ستر، وأصله من القِمَع الذي على رأس الثمرة، أي: يدخلن فيه كما تدخل الثمرة في قِمَعها. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص :٧٧٢.

(٣) أي: يبعثهن ويرسلهنّ إليّ... يقال: سربتُ إلى الشيء إذا أرسلته واحدا واحدا. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٤٢٤.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مسح رأس الصبيّ، رقم الحديث: (٣٦٨)، ص: ١٣٠ .والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث: (٦١٣٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة، أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث: (٦٢٨٧).

وعن إبراهيم [هو ابن يزيد النخعيّ] ﵁ قال: ((**كان أصحابنا يرخّصون لنا في اللُّعَب كلّها، غيرِ الكلاب**)). **قال أبو عبد الله: (لعله البخاري) يعني للصبيان**[1].

وقد أشار السلف ﵁ إلى بعض فوائد اللعب التربوية، عند تعليلهم لجواز اللعب بالصور في هذا الحديث، قال القاضي عياض ﵀[2]: "فيه جواز اللعب بهنّ، وتخصيصهم من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما فيه من تدريب النساء في صِغرهنَّ على النظر لأنفسهنّ وبيوتهنّ وأبنائهنّ"

٣) المداعبة والممازحة مع الصبيان:

ومن منهج التربية في السنة النبوية في التعامل مع الصبيان مداعبتهم وممازحتهم مع مراعاة آداب المزاح والمداعبة كالصدق في الكلام والبعد عن الكذب. وكان النبي ﷺ - وهو صاحب الكمالات والوقار- لا يأنف أن يمازح الصبيان ويداعبهم لما في ذلك من فوائد تربوية جمة، وقد ترجم البخاري بقوله (باب المزاح مع الصبيّ) وأورد فيه حديث أنس بن مالك قال: **كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: ((يا أبا عُمير ما فَعَل النُّغَير))**[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لعب الصبيان بالجوز، رقم الحديث: (١٢٩٧)، ص: ٤٧٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٩٤.

(٢) القاضي، عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤٤٨/٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المزاح مع الصَّبِيّ، رقم الحديث: (٢٦٩)، ص: ٩٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث: (٦١٢٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الصغير، رقم الحديث: (٥٦٢٢).

وفي هذا الحديث: "ملاطفة الصبيان وتأنيسهم، وبيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع"[١]. وفيه - أيضا - "ما يدلّ على جواز المزاح مع الصغير، لكن إذا قال حقا"[٢].

و"المزاح مع الصبي يُستحب استمالة لقلوب الصغار وإدخال السرور في قلوبهم"[٣]. فعن يعلى بن مرّة رضي الله عنه، أنه قال: **خرجنا مع النبيّ ﷺ، ودُعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبيّ ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجَعل يمُرُّ مرة ها هنا ومرة ها هنا، يُضاحكه؛ حتَّى أخَذه، فجعل إحدى يديه في ذَقَنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه فقبّله، ثم قال: النبيُّ ﷺ: ((حسين منِّي وأنا منه، أحبَّ الله مَنْ أحبَّ الحسنَ والحُسين، سبطان من الأسباط[٤]))**[٥].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٥٤.

(٢) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : ٥/٤٧٢.

(٣) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ١/٣٦٧.

(٤) أي: أُمَّةٌ من الأُمَم في الخَير. والأسَّباطُ في أولاد إسحاق بن إبراهيمَ الخليل بمنزلة القَبائل في وَلد إسماعيلَ واحدُهم سِبْط، فهو واقعٌ على الأمّة والأُمَّة واقعةٌ عليه... وقيل الأسْباط خاصَّة: الأولاد. وقيل: أولادُ الأولاد. وقيل أولادُ البَناتِ. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤١٤.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مُعانقة الصبيّ، برقم:(٣٦٤)، ص: ١٢٩. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ٣/٣٢، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٦.

٤) تقديم الهدايا والعطايا للصبيان:

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيرا وأكبر وقعا، والرسول ﷺ بيَّن لنا عمليّا هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها[١]، فعن أبي هريرة قال: **كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بالزُّهْو**[٢] **قال:** «**اللهم بارك لنا في مدينتنا ومُدِّنا، وصاعنا، بَرَكة مع بَرَكة**». **ثم ناوله أصغر من يليه من الولدان**[٣].

قال النووي رحمه الله[٤]: "فيه بيان ما كان عليه ﷺ من مكارم الأخلاق وكمال الشفقة والرحمة وملاطفة الكبار والصغار، وخُصّ بهذا الصغير لكونه أرغب فيه وأكثر تطلُّعاً إليه وحرصاً عليه».

وهكذا تبين أنّ المنطلق الصحيح لتربية الأطفال وتنشئتهم تنشئة سليمة، هو أن نُكوّن معهم علاقة اجتماعية متينة، تقوم على الحب والرحمة والشفقة والمداعبة، والقدوة في ذلك هو المصطفى ﷺ، فقد كان تعامله مع الصبيان مبنيا على الودّ والعطف والرأفة، وهذا مما يجعلهم يتقبلون التوجيهات والإرشادات التربوية من الآباء والمربّين.

---

(١) سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ، منهج التربية النبوية للطفل، ص: ١٨٤.

(٢) زَهَا النَّخلُ (يَزْهُو) (زَهْوًا)، والاسم (الزُّهُوُّ)، بالضمّ: ظهرت الحُمرة والصُّفرة في ثمره، وقال أبو حاتم: وإنما يُسمى (زَهْوًا): إذا خَلَصَ لَوْنُ البُسْرة في الحُمرة أو الصُّفرة ومنهم من يقول: (زَهَا) النخل: إذا نبت ثمرُه: و (أَزْهَى): إذا احمرّ أو اصفرّ. و (زَهَا) النبتُ (يَزْهُو) (زَهْوًا): بلغ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٢١٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يُعطى الثمرة أصغر من حضر من الولدان، رقم الحديث: (٣٦٢)، ص: ١٢٨. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، رقم الحديث: (٣٣٣٥).

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤٩/٩.

المطلب الحادي عشر: العلاقة بالمسلمين عامة.

كما حدّد منهج التربية في السنة النبوية وظيفة الإنسان ونظم علاقاته داخل أسرته الصغيرة؛ نجده - أيضا - حدد ونظم تلك الوظيفة والعلاقة داخل أسرته الكبيرة، وهي الأمة الإسلامية، فأعطى عامة المسلمين حظّهم من الرعاية، وحقهم من الاهتمام.

وعلاقة المسلم بغيره من المسلمين عامة يجب أن تكون قائمة على الأسس التالية[١]:

١) **أن تكون العلاقة علاقة أخوة في الله ﷻ**، مبنية على التوادّ والتعاطف والتراحم والتناصح والثقة، وهادفة إلى التعاون على البر والتقوى، وإصلاح ذات البين، فعن أبي هريرة قال: «**المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيباً أصلَحَه**»[٢].

وعنه - أيضا -، عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته**[٣]**، ويحوطه من ورائه**[١]»[٢].

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص:٧٩٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المسلم مرآة أخيه، رقم الحديث: (٢٣٨)، ص: ٩٠. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، رقم الحديث: (١٩٢٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٠٦.

(٣) أي: يمنع ضياعه وهلاكه، فيجمع عليه معيشته ويضمها إليه. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ١/٣٣٤.

قال بعض العلماء ﷺ في شرح مضمون هذا الحديث[٣]: "كن رداء وقميصا لأخيك المؤمن، وحطه من ورائه، واحفظه في نفسه وعرضه وأهله، فإنَّك أخوه بالنص القرآني فاجعله مرآة ترى فيها نفسك فكما تزيل عنك كلّ أذى تكشفه لك المرآة، فأزل عنه كل أذى به عن نفسه".

وعن الشعبي ﷺ قال: **جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمرو – وعند القوم جلوس – يتخطى إليه فمنعوه، فقال: اتركوا الرَّجل، فجاء حتى جلس إليه. فقال: أخبرني بشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه»**[٤].

---

(١) أي: يذبّ عنه ويوفر عليه مصالحه. الجيلاني، فضل الله، المرجع السابق، نفس المكان.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المسلم مرآة أخيه، رقم الحديث: (٢٣٩)، ص: ٩٠. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة، رقم الحديث: (٤٩١٨)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٠٦.

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٦/٢٥٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يتخطى إلى صاحب المجلس، رقم الحديث: (١١٤٤)، ص: ٤١٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث: (١٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم الحديث: (١٦١).

وعن أبي هريرة، ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**حقُّ المسلم على المسلم ستّ». قيل: وما هي؟ قال: «إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصحك فانصَحْ له، وإذا عطَس فحَمِدَ الله فشَمِّتْه، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاصحبه، (وفي الرواية الأخرى فاتَّبِعْه)»**[١].

وعنه – أيضا –، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنَّة حتى تُسلموا، ولا تُسلموا حتى تحابُّوا، وأفشوا السلام تحابُّوا، وإياكم والبُغضة؛ فإنَّها هي الحالقة، لا أقول لكم: تحلق الشّعر، ولكن تحلق الدّين**»[٢].

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة**»[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حقّ المسلم على المسلم أن يسلِّم عليه إذا لقيه، برقم (٩٩١)، ص: ٣٥٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٤٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السّلام، رقم الحديث: (٥٦٥٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التّحابّ بين الناس، رقم الحديث: (٢٦٠)، ص: ٩٧ .مسلم بن الحجاج، – إلى قوله: «وأفشوا السلام بينكم» – الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنّة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، رقم الحديث: (١٨٤)، وباقي الحديث حسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤١٢)، ص: ١٤٣. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم الحديث: (٤٩١٩)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب في فضل صلاح ذات البين، رقم الحديث: (٢٥٠٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٦١.

وفي هذه الأحاديث "حث وترغيب على إصلاح ذات البين، واجتنابٍ عن الفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة عند الله ﷻ، فوق ما ينالها الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه، فعلى هذا ينبغي أن تحمل الصلاة والصيام على الإطلاق، والحالقة على ما يحتاج أمر الدِّين"[١].

٢) تحقيق مبادئ التكافل والتآزر في السراء والضراء، والمحافظة على الدماء والأعراض والأموال، وتجنب شتى عوامل الشحناء والبغضاء، والخصام والفرقة، والتقاطع والتدابر، والكراهية والتحاسد والاحتقار والإذلال، وسوء الظنّ والشكّ، والتجسس والبهتان والغش والخيانة وغير ذلك، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحِلُّ لمسلم أَنْ يهجرَ أخاه فوق ثلاث ليال**))[٢].

يعني أنَّكم مستوون في كونكم عباد الله تعالى، وملتكم واحدة،

---

(١) الطيبي، الحسين بن عبد الله، الكاشف عن حقائق السنن: ٣٢١٤/١٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هجرة المسلم، رقم الحديث: (٣٩٨)، ص: ١٣٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم الحديث: (٢٥٠٩).

فالتحاسد والتباغض والتقاطع منافية لحالكم، فالواجب عليكم أن تكونوا إخوانا متواصلين متآلفين، كقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1] ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[2][3].

وعن أبي أيّوب الأنصاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يحلّ لأحدٍ أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيصدُّ هذا ويصُدُّ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسَّلام**»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكم والظَّنّ، فإنَّ الظَّن أكذب الحديث، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تنافسوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**»[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية: (١٠٣).

(٢) سورة الأنبياء الآية: (٩٢).

(٣) الطيبي، الحسين بن عبد الله، الكاشف عن حقائق السنن: ١٠/٣٢١٠

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هجرة المسلم، رقم الحديث: (٣٩٩)، ص: ١٣٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم الحديث: (٦٠٧٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي، رقم الحديث: (٦٥٣٢).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤١٠)، ص: ١٤٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، رقم الحديث: (٦٠٦٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم الحديث: (٦٥٣٦).

وعن عبد الله [هو ابن مسعود] ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[١].

وعنه -أيضا- عن النبيّ ﷺ قال: «**ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»[٢].

ففي هذه الأحاديث ينهى رسول الله ﷺ عن كل ما من شأنه أن يضعف العلاقات الاجتماعية أو يقطعها، فالظن السيئ، والتجسس والحسد والتباغض والتدابر وغير ذلك أمراض نفسية وأخلاقية واجتماعية تؤدِّي إلى سلوكيات وأعمال للجوارح تؤثر سلبا في الحركة الاجتماعية بأكملها. وكل هذه الأمراض الخطيرة التي نهى عنها النبي ﷺ وحذّر منها هي التي تصنع الأزمات داخل المجتمع، مما يؤدّي إلى تفكك روابطه وانهياره[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سباب المسلم فسوق، رقم الحديث: (٤٣١)، ص: ١٤٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم الحديث: (٤٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب قول النَّبيّ ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، رقم الحديث: (٢٢١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليس المؤمن بالطعان، رقم الحديث: (٣١٢)، ص: ١١٢. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم الحديث: (٢٠١٩).

(٣) يوسف، محمد السيد، منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، ص:٢٢٤.

المطلب الثاني عشر: العلاقة بغير المسلمين.

لغير المسلمين في المجتمع المسلم حقوق مصونة، لا يجوز انتقاصها أو التعدِّي عليها، كحق الحياة والتملك والتصرف والمقاضاة، وهذا يسري على غير المسلم، سواء كان مقيما في المجتمع المسلم أم كان غير ذلك، فإذا دخل إلى بلاد المسلمين مستأمنا، بإذن خاص أو عام، فهو آمن ما دام غير محارب، لا يجوز التعدِّي عليه، أو الانتقاص من حقوقه[١].

وعلاقة الفرد المسلم مع غير المسلمين، يجب أن تبنى على العدل والإنصاف والأمانة في جميع معاملاته معهم، وعلى حفظ العهود والمواثيق ما لم يخونوها، وعلى الرحمة والعطف فيما تستوجبه الاحتياجات الانسانية الأساسية كالجوع والعطش والمرض والكوارث، وعلى حفظ أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وعدم الاعتداء عليهم فيها، والتعاون معهم في عمارة الأرض وإصلاحها بما يعود بالفائدة المشتركة على الجميع، وهذا ما يأمر به الدين الحنيف، دين البشرية قاطبة، ودين العدل والرحمة والتسامح[٢].

على أنّه يجب أن لا يكون هذا التسامح في علاقة الفرد المسلم مع غير المسلمين، على حساب دينه أو عقيدته أو خُلقه، وأن يكون حريصا على عدم التشبّه بهم أو اتباعهم في خُلقهم ومسلكهم في الحياة، وأن يدعوهم إلى اتباع الصراط المستقيم كل ما وجد إلى ذلك سبيلا، معززا دعوته بالتزامه الديني والخلقي في حياته اليومية، والذي يؤثر فيمن يدعوهم أكثر من تأثير دعوته القولية[٣].

---

(١) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص:١٣٠.

(٢) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: ٧٩٦.

(٣) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، المرجع السابق، نفس المكان.

والأصل في هذا الباب هو قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1] قال الطبري رحمه الله[2]: "عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرّوهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم...ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأنَّ برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرَّم ولا منهيّ، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح".

وهذا ضابط مهم في علاقة المسلم مع غير المسلم وهو أن لا تتضرر مصالح المسلمين بذلك.

وقال الرازي رحمه الله[3]: "هذه الآية تدلّ على جواز البرّ بين المشركين والمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة".

وقد ضبط العلماء العلاقة بين المسلم وغير المسلم بقاعدتين منضبطتين، إحداهما محرّمة، والأخرى مأمور بها، أما القاعدة المنهي عنها: فودّهم وتولّيهم، وأما المأمور بها: فبرّهم والإحسان إليهم[4].

---

(١) سورة الممتحنة الآية: (٨).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٧٤/٢٢.

(٣) الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب: ٣٠٥/٢٩.

(٤) القرافي، أحمد بن إدريس، الفروق: ٤٣٧/٢.

ومن أمثلة القاعدة المنهي عنها: "إخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، هذا كلّه حرام... "[١].

وقد دلّت السنة النبوية على هذه القاعدة، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**أهلُ الكتاب، لا تبدؤوهم بالسَّلاَم واضطَرُّوهم إلى أضيق الطريق**))[٢].

وذلك "لأن السلام إعزاز وإكرام، ولا يجوز إعزازهم ولا إكرامهم، بل اللائق بهم الإعراض عنهم، وترك الالتفات إليهم تصغيرا لهم وتحقيرا لشأنهم"[٣].

وقوله: ﷺ ((واضطرّوهم)) أي: لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراما لهم واحتراما. قال القرطبي[٤]: "وليس معنى ذلك: أنّا إذا لقيناهم في طريق واسع أنَّنا نلجئهم إلى حرفه حتى نضيِّق عليهم؛ لأنّ ذلك أذى منّا لهم من غير سبب، وقد نهينا عن أذاهم".

وينبغي أن يهتم المربّون بتربية روح الاعتزاز بهذا الدين لدى الناشئة، وتنشئتهم على الشعور بالعزة والكرامة، وعدم الانبهار ببريق الحضارة غير الإسلامية، وبغض التقليد لمسلك الكفار وعاداتهم، لاسيما في هذا العصر الذي استفحل فيه شرر الغزو الفكري، وسُخِّرَ له من الوسائل ما لا يحصى عددا ونوعا،

---

(١) القرافي، أحمد بن إدريس، المرجع السابق: ٤٣٤/٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يبدأ أهل الذِّمَّة بالسلام، رقم الحديث: (١١٠٣)، ص: ٤٠٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، رقم الحديث: (٢١٦٧).

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، مرجع سابق: ٣٨٦/٦.

(٤) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٤٩٠/٥.

ومن هنا يتأكَّد دور رجال التربية في ربط الناشئة بدينهم الحنيف وحثهم على التمسك به، عن طريق إظهار محاسنه وتفوقه الحضاري على سائر الحضارات الأخرى.

ومن أمثلة القاعدة المأمور بها ما ذكره القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال[١]: "وأما ما أُمر به من برّهم من غير مودّة باطنية، فالرفق بضعيفهم، وسدّ خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم...وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم..."

وقد دلّ عموم الأدلة من السنّة على هذه القاعدة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((**ارحموا تُرْحموا، واغْفِروا يغْفِرُ الله لكم، ويلٌ لأقماع القول**[٢]**، ويل للمصرِّين الذين يصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون**))[٣].

---

(١) القرافي، أحمد بن إدريس، المرجع السابق: ٤٣٤/٢.

(٢) أقماع جمع قِمْع كضلع: و القِمعُ: ما على التمرة ونحوها، وهو الذي تتعلق به. والقِمَعُ أيضا: آلة تجعل في فم السقاء و يصب فيها الزيت و نحوه ... والجمع (أَقْمَاع. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: (٤٢١). وابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٧٧١. وشُبِّه أسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يحفظونه ولا يعلمون كالأقماع التي لا تعي شيئا مما يفرغ فيها، فكأنه يمرّ عليها مجازا كما يمر الشراب في الأقماع اجتيازا. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٤٧١/١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة البهائم، رقم الحديث: (٣٨٠)، ص: ١٣٣. وأحمد بن حنبل، المسند: ١٦٥/٢، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥١.

وفي قوله ﷺ: ((ارحموا)) "أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البرّ والفاجر، والناطق والبهم، والوحوش والطير"[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: **قيل: يا رسول الله أُدعُ الله على المشركين. قال: ((إنِّي لم أُبْعَثْ لعَّاناً، ولكنْ بُعِثْتُ رحمة))**[٢].

((بعثتُ رحمة)) "أي: بالرسالة العامة، والإرشاد للهداية، والاجتهاد في التبليغ، والمبالغة في النصح، والحرص على إيمان الجميع، وبالصبر على جفائهم، وترك الدعاء عليهم؛ إذ لو دعا عليهم لهلكوا. وهذه الرحمة يشترك فيها المؤمن والكافر))[٣].

وعن أبي ذرّ ﷺ عن النبي ﷺ، عن الله تبارك وتعالى قال: ((**يا عبادي إنِّي حرّمتُ الظُّلْم على نفسي، وجعلتُه محرَّماً بينكم فلا تظالَموا...**)).الحديث[٤].

وعن أنس ﷺ: **أن يهودية أتت النَّبيّ ﷺ بشاة مسمومة، فأَكل منها**

---

(١) الطيبي، الحسين بن عبد الله، الكاشف عن حقائق السنن: ٣١٨٥/١٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لعن الكافر، برقم (٣٢١)، ص: ١١٥. ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدوابّ وغيرها، رقم الحديث: (٦٦١٣).

(٣) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥٨٢/٦.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظُلُمات، رقم الحديث: (٤٩٠)، ص: ١٦٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدوابّ وغيرها، رقم الحديث: (٦٥٧٢).

فجيء بها، فقيل: ألا نقتلها؟ قال: ((لا)). **قال: فما زلتُ أعرفُها في لَهوات**[١] **رسول الله ﷺ**[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: **رأى عمر - رضي الله عنه - حُلَّة سِيَراء**[٣] **تُباع، فقال: يا رسول الله ابْتَعْ هذه فالبسْها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوُفوُد. قال:** ((إنّما يلبس هذا من لا خَلاقَ له)). **فأُتِي النبيُّ منها بحُلَلٍ، فأرسل إلى عمرَ بحُلَّة، فقال: كيف ألبسها وقد قلتَ فيها ما قلتَ؟ قال: إنّي لم أُعْطِكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسُوها)). فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة، قبل أن يُسلِم**[٤].

---

(١) اللَّهَوَات: جمع لَهَاة وهي اللَّحَمَات في سَقْف أقْصَى الفَمِ. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨٤٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العفو والصفح عن الناس، رقم الحديث: (٢٤٣)، ص: ٩١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث: (٢٦١٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب السلام، باب السمّ، رقم الحديث: (٥٧٠٥).

(٣) السِيرَاء بكسر السين وفتح الياء والمدّ: نَوْع من البُرُودِ يُخالِطه حَرِير، كالسُّيور فهو فِعَلاءُ من السَّيْر: القِدّ. هكذا يُرْوى على الصِفة. وقال بعضُ المتأخرين: إنما هو حُلَّةَ سِيرَاء على الإضافة واحْتَجَّ بأن سِيبَويه قال: لم يأتِ فِعَلاءُ صفةً ولكن اسْما. وشَرَحَ السِيرَاءَ بالحرير الصافي، ومعناه: حُلَّةَ حرير. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤٥٩.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة ذي الرحم المشرك والهديّة، رقم الحديث: (٧١)، ص: ٣٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، رقم الحديث: (٥٩٨١). مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب اللباس، باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال، رقم الحديث: (٥٣٦٨).

وعن مجاهد رضي الله عنه قال: **كنتُ عند عبد الله بن عمرو – وغلامه يسلَخُ شاة – فقال: يا غلام! إذا فرغتَ فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل مِنَ القوم: آليهوديّ أصْلَحَك الله؟! قال: «إنِّي سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يوصي بالجار، حتى خشِينا أو رُؤينا أنَّه سَيُوَرِّثه»**[١].

وكلّ هذه الأحاديث تدلّ على جواز الإحسان إلى الذين يختلفون معنا في المعتقد، لذا ينبغي على المربين تنشئة المتربين على هذا المنهج التربوي المعتدل، في التعامل مع غير المسلمين، بعيدا عن الغلو أو التفريط، فمعاداة أهل الكفر وعدم موالاتهم في قلوبنا لا تعني الإساءة إليهم أو ظلمهم فإن ذلك ممنوع شرعا، "فالمسلم وسط في أموره كلّها، فهو يرحم الخلقَ رحمة دون أن يصل به ذلك إلى عدم بغض ما يبغضه الله، ويغضب لله ويَغار على حُرُماته دون أن يصل به ذلك إلى البغي والعدوان والظلم"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والشيطان يريد من الإنسان الإسراف في أموره كلِّها؛ فإنَّه إن رآه مائلاً إلى الرحمة زيَّن له الرّحمة حتى لا يبغض ما أبغضه الله، ولا يغار لِمَا يَغار الله منه، وإن رآه مائلا إلى الشِّدَّة زيَّن له الشِّدَّة في غير ذات الله، حتى يترك من الإحسان والبرِّ واللّين والصلة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جار اليهوديّ، رقم الحديث: (١٢٨)، ص: ٥٥. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب فيحق الجوار، رقم الحديث: (٥١٥٢)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم الحديث: (١٩٤٣). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٦٦.

(٢) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، القطوف الجياد من حِكم وأحكام الجهاد، (ص: ٢٦).

والرحمة ما يأمر به الله ورسوله، ويتعدَّى في الشّدّة فيزيد في الذّمّ والبغض والعقاب على ما يحبُّه الله ورسولُه، فهذا يترك ما أمر الله به من الرحمة والإحسان، وهو مذموم مذنب في ذلك، ويسرف فيما أمر الله به ورسوله من الشّدّة حتى يتعدَّى الحدود وهو من إسرافه في أمره، فالأول مذنب، والثاني مسرف، والله لا يحبُّ المسرفين، فليقولوا جميعا: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١]"[٢].

هذا هو منهج التربية الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين، تظهر فيه عظمة الإسلام، وسموّ حضارته، "ولم يحفظ التاريخ أنّ امَّة سوّت رعاياها المخالفين لها في دينها برعاياها الأصليين في شأن قوانين العدالة ونوال حظوظ الحياة بقاعدة: لهم مالنا وعليهم ما علينا، مع تخويلهم البقاء على رسومهم وعاداتهم، مثل أُمَّة المسلمين. فحقيق بهذا الذي نسميه التسامح بأن نسمِّيه العظمة الإسلامية..."[٣].

---

(١) سورة آل عمران الآية: (١٤٧).

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى: (١٥/٢٩٢).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: ٣٦٢).

الفصل الثاني: الآداب الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الآداب الاجتماعية:

المبحث الثاني: الآداب الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد:

المبحث الأول: مفهوم الآداب الاجتماعية

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الآداب الاجتماعية.

المطلب الثاني: أهمية الآداب الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: مفهوم الآداب الاجتماعية.

الآداب الاجتماعية الرفيعة ثمرة من ثمار التربية الصالحة، ومظهر من مظاهر الاستقامة والخلق المحمود، والسلوك القويم، ومقياس لتقدم المجتمعات ورقيها في سلم الحضارة.

فالآداب الاجتماعية مظهر من مظاهر التربية الاجتماعية، تتضح في إكساب الأفراد الآداب السلوكية الواجب توافرها في السلوك الاجتماعي للفرد، فهي تعمل على تقوية الترابط والتعاطف بين الأفراد وترسخ تكافلهم[١].

وتتعلق الآداب بما ينظم الذوق الإنساني لدى الفرد المسلم في كل تصرف يصدر عنه، مما يجعل تقبله واستساغة التعامل معه على أساس من الرضا بما يتحلى به من آداب، تجذبه إلى الناس وتجذب الناس إليه[٢].

وللعلماء تعاريف متقاربة للأدب، قال ابن حجر رحمه الله[٣]: "والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبَّر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك. وقيل: إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه".

وقال ابن القيم رحمه الله[٤]: "وحقيقة الأدب: استعمال الخلق الجميل".

---

(١) الصاعدي، ناجي سالم، المضامين التربوية لفكر الإمام أبو حنيفة، ص: ١٩٧.

(٢) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص: ٤٤.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/٤٩١.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين: ٢/٣٨١.

وعلى هذا فالآداب هي: مجموعة الأخلاق الجميلة والسلوكيات الحسنة التي يتصف بها الشخص في نفسه وعلاقاته ومعاملاته مع غيره.

وينقسم الأدب إلى ثلاثة أقسام: أدب مع الله سبحانه، وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه، وأدب مع خلقه(١).

والآداب الاجتماعية - التي نحن بصدد دراستها - تدخل في إطار القسم الأخير وهو الأدب مع خلق الله. قال ابن القيم(٢): "وأما الأدب مع الخلق: فهو معاملتهم - على اختلاف مراتبهم - بما يليق بهم. فلكل مرتبة أدب... ولكل حال أدب: فللأكل آداب. وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب. وللبول آداب. وللكلام آداب. وللسكوت والاستماع آداب".

ويخلص الباحث إلى أن الآداب الاجتماعية هي: عبارة عن مجموعة الأخلاق والمثل المنبثقة من الكتاب والسنة المتعلقة بالتعامل مع الغير، والتي نريد أن نغرسها في النشء لتكون المنارة التي تضيء لهم الطريق، وبدون هذه الأخلاق والمثل العليا لا يستطيع الفرد أن يحيا حياة اجتماعية سليمة.

وفي المبحث الثاني يتناول الباحث مجموعة الآداب التي استخلصت من كتاب الأدب المفرد.

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق: ٢/٣٧٦.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق: ٢/٣٩٠.

المطلب الثاني: أهمية الآداب الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع.

الآداب الاجتماعية الرفيعة ثمرة من ثمار التربية الصالحة - كما سبق القول - وهي أساس بناء العلاقات الاجتماعية الناجحة بين الأفراد، وتقوية توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم،خاصة عندما تنعكس على تصرفاتهم ومعاملاتهم اليومية، وتصبح طابعا راسخا في نفوسهم مبرءا من التكلف والزيف والخداع[١].

وقد دعا المنهج التربوي في الإسلام إلى الآداب وحضّ عليها، لتكامل الشخصية المؤمنة، وتحقيق الانسجام بين الناس، ولا ريب أن التحلي بتلك الآداب والفضائل مما يزيد في جمال سلوك المسلم، ويعزز محاسنه، ويحبب شخصيته إلى الناس، ويدنيه من القلوب والنفوس[٢].

قال ابن القيم رحمه الله[٣]: "أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه. وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب".

وترجع أهمية إكساب المتربي الأدب الصالح إلى الفوائد المتنوعة التي يجتنيه منه؛ لأنه "يكتسب من الأدب الصالح العقل النافذ، ومن العقل النافذ حسن العادة، ومن العادة الحسنة الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح، ومن العمل الصالح رضا الرب، ومن رضا الرب الملك الدائم،

---

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: ٨٠٣.

(٢) أبو غدة، عبد الفتّاح، من أدب الإسلام، ص: ٦.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين: ٢/٣٩١.

ويكتسب من الأدب السوء فساد العقل، ومن فساد العقل سوء العادة، ومن العادة السيئة رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، ومن العمل السيئ سوء المقالة وغضب الله، ومن غضب الله وسخطه الذلّ الدائم"[١].

ولأهمية الآداب عموما والاجتماعية منها خصوصا؛ وجب أن يحرص المربُّون على تنشئة الناشئة عليها في بداية حياتهم، وتربيتهم على التحلي بها في جميع مراحلهم العمرية، قال ابن جماعة رحمه الله[٢]: "فإن أهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه، ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه: حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله، واتفقت الآراء والألسنة على شكر أهله".

وتتجلى أهمية الآداب الاجتماعية في الإسلام مما يلي:

١. كونها نبوية:

ففي التحلي بهذه الآداب اقتداء بالنبي ﷺ، ولا شك أن الاستهداء بتعاليم السنة النبوية والاسترشاد بمناهجها واتباع أساليبها من طرف الآباء والمربين والمسؤولين – في البيت والمدرسة والمجتمع، وفي مختلف المناهج والبرامج والأنشطة التعليمية والتربوية والتثقيفية والتوجيهية – يضمن لنا إلى أقصى حدّ ممكن خلق جيل سوي متكامل الشخصية روحيا وعقليا ووجدانيا وأخلاقيا واجتماعيا وجسديا، محصن ضد الانحرافات والمفاسد وأسباب التحلل العقائدي والخلقي والاجتماعي[٣].

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي، نصيحة الملوك، ص: ١٧٣.

(٢) ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص: ٢٠.

(٣) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: ٩.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

٢. كونها من لباب الشريعة ومقاصدها:

فليس معنى تسميتها "آدابا" أنها على طرف الحياة والسلوك، يخير الإنسان في فعلها وتركها، أو الأولى فعلها، والتهاون بهذه الآداب يؤدي إلى التهاون بالسنن ومن ثم بالفرائض، قال ابن المبارك رضي الله عنهما[3]: "مَن تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومَن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة".

٣. كونها من السمات المتفردة التي يميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات:

تعدّ الآداب الاجتماعية من السمات المتفردة التي يحرص المنهج التربوي الإسلامي على أن يطبع بها المجتمع المسلم بحيث تكون له ملامحه الخاصة، وتقاليده الخاصة -كما أن له شرائعه الخاصة ونظامه الخاص-.

٤. كونها تقوي العلاقات الودية بين أفراد المجتمع المسلم:

المنهج التربوي الإسلامي يسعى دائما إلى توثيق علاقات المودَّة والقربى بين أفراد الجماعة المسلمة، والالتزام بالآداب الاجتماعية من خير الوسائل

---

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢١)

(٢) سورة الحشر الآية: (٧).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين: ٢/٣٨١.

لإنشاء هذه العلاقات وتوثيقها، والعناية بهذا الأمر تبدو قيمتها عند الملاحظة الواقعية لآثار هذه الآداب في إصفاء القلوب، وتعارف غير المتعارفين، وتوثيق الصلة بين المتصلين...وهي ظاهرة يدركها كل من يلاحظ آثار مثل هذه الآداب في المجتمعات، ويتدبر نتائجها العجيبة[١].

٥. كونها فطرية:

بمعنى أن هذه الآداب موافقة لفطرة الإنسان وملائمة له، لأن الإسلام دين الفطرة، فكل ما جاء به متوافق مع هذه الفطرة.

٦. كونها نفسية:

بمعنى أنها تراعي الجانب النفسي عند الآخرين، ويحترم مشاعرهم، وتمنع كل ما يحرجهم أو يخجلهم.

٧. كونها صحية:

ففي التحلي بهذه الآداب كمال صحة الفرد والمحافظة على جسمه خاليا من الأمراض، بإذن الله تعالى.وصحة المجتمع تابعة لصحة أفراده.

٨. كونها شاملة:

فالآداب الاجتماعية في الإسلام شاملة لجميع جوانب الفرد المختلفة: النفسية، والصحية، والاجتماعية[٢].

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن: ٧٢٦/٢.

(٢) اللقماني، غالي بن دهيران، الجوانب التربوية عند السفاريني، ص: ١٨٩- ١٩٠.

المبحث الثاني: الآداب الاجتماعية في كتاب الأدب المفرد

وتحته اثنا عشر مطلبا:

المطلب الأول: آداب التحية والسلام.

المطلب الثاني: آداب الاستئذان.

المطلب الثالث: آداب الأكل والشرب.

المطلب الرابع: آداب اللباس والزينة.

المطلب الخامس: آداب النوم.

المطلب السادس: آداب الزيارة.

المطلب السابع: آداب عيادة المريض.

المطلب الثامن: آداب المشي.

المطلب التاسع: آداب المجالس.

المطلب العاشر: آداب الحديث والكلام.

المطلب الحادي عشر: آداب المشاورة.

المطلب الثاني عشر: آداب الضيافة.

المطلب الأول: آداب التحية والسلام.

حسن التحية والسلام من العوامل الإيجابية والفعالة التي تقوي أواصر المودة والتعاطف بين أفراد المجتمع، وتغرس في قلوبهم المحبة والتآلف، وتعمق في نفوسهم التآخي والتكافل.

ولذلك حثت السنة النبوية المطهرة الفرد على التحلي بآداب التحية والسلام حرصا منها على تقوية وشائج الأخوة الصادقة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وينبغي أن يحرص المربون على تنشئة وتربية المتربين على هذه الآداب النبوية الكريمة للوصول إلى تهذيب سلوكهم وتقويم أخلاقهم.

ومما يجب على المربين توضيحه للمتربين في هذه الآداب ما يلي:

١. مشروعية السلام وفضله:

أمر الشرع الحنيف بإفشاء السلام بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]، وعن النَّبيّ ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((**لا تدخلوا الجنَّة حتى تُؤمِنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدُلّكم على ما تحابُّون به؟**))، **قالوا: بلى يا رسول الله، قال:** ((**أفشوا السلام بينكم**))[٣].

---

(١) سورة النساء الآية: (٨٦).

(٢) سورة النور الآية: (٢٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إفشاء السلام، رقم الحديث: (٩٨٠)، ص: ٣٥٤. ومسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، رقم الحديث: (١٩٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**اعبدوا الرحمن، وأطعِموا الطعام، وأفشوا السلام، تدخلوا الجنان**))(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إنَّ السَّلامَ اسمٌ من أسماء الله تعالى وَضَعَه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم**))(٢).

والسلام من شعار أهل الإسلام، فعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: ((**ما حَسَدَكُم اليهودُ على شيء ما حَسَدُوكم على السلام والتأمين**))(٣).

ولعل سرّ الحسد في السلام ما تضمَنَّه من استجلاب المودَّة والمحبَّة بين المسلمين؛ والدعاء لبعضهم البعض(٤).

٢. أهمية الابتداء بالسلام:

ينبغي أن يعرف المتربي أن الابتداء بالسلام سنة مؤكَّدة يثاب فاعلها، أمَّا ردُّ السلام فواجب، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**حق المسلم على المسلم ستّ**)). **قيل: وما هي؟ قال:** ((**إذا لقيتَه فسلِّم عليه،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إفشاء السلام، رقم الحديث: (٩٨١). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، رقم الحديث: (١٨٥٥). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٧.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب السلام اسم من أسماء الله عزّ وجل، رقم الحديث: (٩٨٩). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٥٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل السلام، رقم الحديث: (٩٨٨)، ص: ٣٥٦. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب الجهر بآمين، رقم الحديث: (٨٥٦).

(٤) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد: ١٣٣/٣.

وإذا دعاك فأجِبه، وإذا استنصَحَك فانصَح له، وإذا عَطَس فحَمِد الله فشَمِّته، وإذا مَرِض فعُدْه، وإذا مات فاصحَبه»[١].

وعن أبي الزّبير ﷺ أنَّه سَمِع جابراً يقول: «**إذا دَخَلْتَ على أهلك فسلِّم عليهم تحيَّة من عند الله مبارَكة طَيِّبة**». قال: ما رأيته إلا يوجبه قوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[٢][٣].

وعن الحسن [وهو البصري] ﷺ قال: «**التسليم تطوّع، والرّدّ فريضة**»[٤].

وهذا الذي قاله الحسن محلّ اتفاق بين العلماء، قال القرطبي رحمه الله[٥]: "أجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنة مرغب فيها، وردّه فريضة لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ ".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق المسلم على المسلم أن يسلِّم عليه إذا لقيه، رقم الحديث: (٩٩١). ص: ٣٥٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٤٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام، رقم الحديث: (٥٦٥١).

(٢) النساء الآية: (٨٦).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل مَن دخل بيته بسلام، رقم الحديث: (١٠٩٥)، ص: ٣٩٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٢٣.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لم يردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٤١)، ص: ٣٧٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٤.

(٥) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٨/٥.

وإنَّما كان الرّدّ واجبا؛ لأن السلام معناه الأمان، فإذا ابتدأ المسلم أخاه فلم يجبه، فإنه يتوهم منه الشرّ، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه(١).

وإذا تقرر أن الابتداء بالسلام ليس بواجب فلا يعني هذا إهماله أو التقليل من أهميته وفضله، بل ينبغي أن يحرص المتربي كل الحرص على ابتداء السلام، نظرا للأحاديث الكثيرة التي وردت تحث على إفشاء السلام، وبأنه من حق المسلم على المسلم أن يسلِّم عليه إذا لقيه، وأن أبخل الناس الذي يبخل بالسلام؛ كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: ((**أبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإن أعجز الناس من عَجَز بالدُّعاء**))(٢).

وكان الحرص على الابتداء بالسلام هو دأب صحابة رسول الله ﷺ وديدنهم، فعن بُشير بن يسار ﷺ قال: ((**ما كان أحدٌ يبدأ – أويبدر – ابنَ عمر بالسلام**))(٣).

وعن ابن عمر: ﷺ **أن الأغرّ (وهو رجل من مزينة وكانت له صحبة مع النَّبيّ ﷺ) كانت له أو سق من تمر على رَجُل من بني عمرو بن عوف، اختلف إليه مرارا، قال: فجئتُ إلى النَّبيّ ﷺ، فأرسلَ معي أبا بكر الصِّدِّيق، قال: فكُلّ مَنْ لَقِينا سلَّمُوا علينا، فقال أبو بكر:**

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١١/١٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من بخل بالسلام، رقم الحديث: (١٠٤٢)، ص: ٣٧٤. وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوفا، وصحَّ مرفوعا، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من بدأ بالسلام، رقم الحديث: (٩٨٢)، ص: ٣٥٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٧.

«ألا ترى الناس يبدأونك بالسلام فيكون لهم الأجر؟ ابدأهم بالسلام يكنْ لك الأجر». يحدِّث هذا ابنُ عمر عن نفسه[١].

وعن الطفيل بن أبيّ بن كعب ﷺ: **أنَّه كان يأتي عبد الله بن عمرَ فيغدو معه إلى السوق قال: فإذا غَدَونا إلى السّوق لم يمرّ عبد الله بن عمر على سقّاط**[٢] **ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد؛ إلاّ يسلِّم عليه.**

قال الطفيل: فجِئتُ عبد الله بن عمر يوما، فاستتْبَعَني إلى السوق، فقلتُ ما تصنع بالسوق؟ وأنتَ لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها[٣]**، ولا تجلس في مجالس السّوق، فاجلس بنا ههنا نتحدّث، فقال لي عبد الله: «يا أبا بطن - وكان الطّفيل ذا بطن - إنَّما نغدو من أجل السلام؛ نسلِّم على من لقينا»**[٤].

وينبغي أن يحرص المتربي على الابتداء بالسلام حتى في حالة خوفه من عدم الرّدّ عليه؛ لأن الملائكة يردّون عليه التحية إذا تقاعس أخوه عن ردّ السلام،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من بدأ بالسلام، رقم الحديث: (٩٨٤)، ص: ٣٥٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٨.

(٢) هو الذي يَبيعُ سَقَط المتَاع وهو رَدِيئُه وحَقِيره، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤٣٥.

(٣) أي: لا تريد شراءها حتى تسوم بها. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٢/٤٦٥.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من خرج يسلِّم ويسلَّم عليه، رقم الحديث: (١٠٠٦). وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء: ١/٣١٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٦.

فعن عبد الله [هو ابن مسعود] ﵁ قال: ((**إنَّ السَّلام اسمٌ من أسماء الله، وَضَعَه الله في الأرض، فأفشوه بينكم، إنَّ الرَّجل إذا سلَّم على القوم فردُّوا عليه كانت عليهم فضل درجة؛ لأنَّه ذكَّرهم السلام، وإن لم يردُّوا عليه ردَّ من هو خيرٌ منه وأطيب**))(١).

وعن عبد الله بن الصامت ﵁ قال: **قلتُ لأبي ذرّ: مررتُ بعبد الرحمن بن أمِّ الحَكَم فسلَّمتُ فما رَدَّ عليّ شيئا، فقال:** ((**يا ابن أخي! ما يكون عليك من ذلك؟ ردّ عليك من هو خير منه مَلَك عن يمينه**))(٢).

و"يستحبّ لمن سَلَّم على إنسان فلم يردّ عليه أن يقول له بعبارة لطيفة: ردّ السلام واجب، فينبغي لك أن تردّ عليّ ليسقط عنك الفرض"(٣).

٣. تعميم السلام:

من آداب السلام في الإسلام، تعميمه على من عرفتَ ومن لم تعرف؛ لما ورد عن عبد الله بن عمرو: **أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال:** ((**تُطعم الطَّعامَ، وتُقرئ السَّلام على من عرفتَ ومن لم تعرف**))(٤).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لم يردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٩)، ص: ٣٧٣. وقال الألباني: صحيح موقوفا، وصحَّ مرفوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لم يردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٨)، ص: ٣٧٤. وقال الألباني: صحيح الإسناد على أبي ذرّ، وصحَّ مرفوعا عن غيره. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٦.

(٣) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٤١٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم بالمعرفة وغيرها، رقم الحديث: (١٠١٣)، ص: ٣٦٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم الحديث: (١١). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأيّ أموره أفضل، رقم الحديث: (١٦٠).

وفي تعميم السلام على من عرفت ومن لم تعرف حكمة تربوية جليلة مفادها أنَّ"في السلام لغير المعرفة استفتاح للخلطة، وباب الأنس ليكون المؤمنون كلهم إخوة، ولا يستوحش أحدٌ من أحد، وترك السلام لغير المعرفة يشبه صدود المتصارمين المنهي عنه، فينبغي للمؤمن أن يجتنب ذلك"[١].

ويعدّ تخصيص السلام لشخص معين أو فئة خاصة، وعدم تعميمه لجميع المسلمين من علامات الساعة، فعن طارق ﷺ قال: **كنا عند عبد الله [هو ابن مسعود] جلوسا،فجاء آذِنُه[٢] فقال: قد قامت الصلاة، فقام وقمنا معه، فدخلنا المسجد فرأى الناس ركوعا في مقدّم المسجد، فكبَّر وركع ومشينا وفعلنا مثل ما فعل، فمرّ رجلٌ مسرع فقال: عليكم السلام يا أبا عبد الرحمن فقال: صدق الله، وبلَّغ رسوله!**

فلمَّا صلَّينا رجَع فوَلَجَ على أهله، وجلسنا في مكاننا ننتظره حتى يخرج، فقال: بعضنا لبعض: أيّكم يسأله؟ قال طارق: أنا أسأله، فسأله فقال: عن النَّبيّ ﷺ قال: ((بين يديّ السَّاعة: تسليم الخاصَّة، وفُشُوّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفُشُوّ القلم، وظهور الشَّهادة بالزور، وكتمان شهادة الحقّ))[٣] .

---

(١) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ١٨/٩.

(٢) أي: الحاجب، الجيلاني، فضل الله، فضل ال الصمد: ٤٩٢/٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من كره تسليم الخاصة، رقم الحديث: (١٠٤٩). وأحمد بن حنبل، المسند: ٤٠٧/١. والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ١١٠/٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٢.

٤. صفة السلام:

من الأمور المهمة التي يجب توضيحها للمتربي: أن السلام يكون بلفظ: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وألا يقول قبلها أيّ تحية أخرى مثل صباح الخير أو مساء الخير وما شابهها من الألفاظ، ويوضح له أن هذه التحية هي تحية المسلمين، وهي تحية أهل الجنة عند ما يفدون إليها فتستقبلهم الملائكة بهذا اللفظ المبارك، وأن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وهو "مشتق من السلامة فهو دعاء بالسلامة وتأمين بالسلام؛ لأنه إذا دعا له بالسلامة فهو مسالم له فكان الخبر كناية عن التأمين، وإذا تحقق الأمران حصل خير كثير؛ لأن السلامة لا تجامع شيئا من الشرّ في ذات السالم، والأمان لا يجامع شيئا من الشّرّ يأتي من قِبَل المعتدي، فكانت دعاء ترجى إجابته وعهدا بالأمان يجب الوفاء به"[1].

وقد دلت السنة النبوية على أن تحية أهل الإسلام هي السلام، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب، فسلم على أولئك – نفر من الملائكة جلوس – فاسْتَمِعِ ما يُحَيُّونك به فإنَّها تحيَّتك وتحيَّة ذُرِّيَّتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورته، فلم يزل ينقص الخلقُ حتى الآن**»[2].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ١٨/٣٠٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب بدء السلام، رقم الحديث: (٩٧٨)، ص: ٣٥٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم الحديث: (٦٢٢٧). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم الحديث: (٧١٦٣).

وعن أبي هريرة: ﷺ **أنَّ رجلاً مَرَّ على رسول الله ﷺ وهو في مجلس فقال: السلام عليكم، فقال:** ((**عشر حسنات**)). **فمرَّ رجلٌ آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال:** ((**عشرون حسنة**)). **فمَرَّ رجلٌ آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال:** ((**ثلاثون حسنة**))، **فقام رجلٌ من المجلس ولم يُسَلِّم، فقال رسول الله ﷺ:** ((**ما أوشَكَ ما نَسِيَ صاحبُكم! إذا جاء أحدُكم المجلس فليُسَلِّم؛ فإن بدا له أن يجلس فليجلس، وإذا قام فليُسَلِّم، ما الأولى بأحقّ من الآخرة**))[1].

ويُفهم من هذه الأحاديث أنَّ أقل السلام الذي يصير به المسلم مؤدِّيا سنَّة السلام أن يقول: السلام عليكم، وأوسطه أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله، وأكمله أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد أورد المصنِّف آثارا تدلّ على جواز الزيادة على (وبركاته) فعن أبي الزناد ﷺ قال: **كان خارجة يكتب على كتاب زيد إذا سَلَّم، قال: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته، وطيب صلواته**[2].

وأخذ بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ ﴾ الجواز في الزيادة على البركة إذا انتهى إليها المبتدئ[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل السلام، رقم الحديث: (٩٨٦). ص: ٣٥٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب منتهى السلام، رقم الحديث: (١٠٠١)، ص: ٣٦١. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٣٦.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٩/١١.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] بعد إيراد الأحاديث والآثار الدالة على جواز الزيادة على (وبركاته): "وهذه الأحاديث الضعيفة إذا انضمت قوي ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة على وبركاته".

ويستحب أن يأتي المسَلِّم بصيغة الجمع (عليكم) وإن كان المسلَّم عليه واحداً، وكان بعض السلف يكره السلام بلفظ الإفراد، كما جاء عن معاوية بن قرّة رضي الله عنه قال: **قال لي أبي:** «**يا بُنيّ، إذا مَرَّ بك الرَّجل فقال: السلام عليكم، فلا تقل: وعليك، كأنَّك تخُصّه بذلك وحده؛ فإنَّه ليس وحده، ولكن قل: السلام عليكم**»[٢]، ومع ذلك فالسلام بلفظ الإفراد ثابت والغالب بالجمع، "ولكن لو وقع الابتداء بصيغة الجمع فإنه لا يكفي الردّ بصيغة الإفراد؛ لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم فلا يكون امتثل الردّ بالمثل فضلا عن الأحسن"[٣].

وهناك أدلة تدلّ على جواز السلام بالجمع، وأدلة أخرى تدل على جواز السلام بالإفراد، ومنها، ما رواه المصنف عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: **بينما نحن جلوسٌ عند النَّبي ﷺ – في ظلّ شجرة بين مكة والمدينة – إذ جاء أعرابيٌ من أجلف[٤] النَّاس وأشدّهم، فقال: السلام عليكم، فقالوا:** «**وعليكم السلام**»[٥].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي، المرجع السابق، نفس المكان.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف ردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٧)، ص: ٢٧٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٦.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق: ٤٣/١١.

(٤) قولهم: أعرابي جِلْفٌ أي: جاف. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ١٠٦.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف ردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٢)، ص: ٢٧٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٤.

وعن أبي جمر ﷺ: ((**سمعتُ ابنَ عبَّاس إذا يُسَلَّم عليه يقول: ((وعليك ورحمة الله))**[١].

وعن أبي ذرّ ﷺ قال: **أتيتُ النبي ﷺ حين فرغ من صلاته، فكُنتُ أوَّل من حيَّاه بتحيَّة الإسلام، فقال: ((وعليك ورحمة الله مِمَّن أنت؟)). قلتُ مِن غِفار**[٢].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**يا عائشُ! هذا جبريل، وهو يقرأ عليكِ السلام**)). **قالت: فقلتُ وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى. تريد بذلك رسولَ الله ﷺ**[٣].

أما الردّ فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾.

وبعد أن تبين لنا أن "السلام" تحية المسلمين، فمن ترك السلام وتشبَّه بالغافلين من المسلمين وبعوامهم الجاهلين بالدين، أو تشبه باليهود والنصارى وغيرهم،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف ردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٣)، ص: ٢٧٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف ردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٥)، ص: ٢٧٣. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذرّ رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦٣٦١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف ردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٦)، ص: ٢٧٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: (٣٧٦٨).

فترك تحيَّة الإسلام، وتمسك بتحيات غير المسلمين تشبّها بهم، وتقليدا لأقوالهم فقد أخطأ وجانب الصواب، وبعد عن سبيل الرشاد، ووقع في البدع التي نهانا رسول الله ﷺ عن الوقوع فيها. ومثال التحيات غير المشروعة: (صباح الخير)، (نهارك سعيد)، (ليلتك سعيدة)، وغير ذلك من التحيات المستوردة من خارج التشريع الإسلامي، ومن خارج المجتمع الإسلامي، فلا ينبغي لمسلم أن يبدأ مسلما بمثل هذه التحيات، ولكن يجوز له بعد أن يسلم على أخيه المسلم السلام الشرعي أن يقول له ما يريد من أمثال ما سبق وغيره، مثل: (كيف حالك؟)، (مرحبا)...وغير ذلك وهذا يتفق مع الوارد الصحيح[١]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**أقبلت فاطمة تمشي كأنَّ مِشْيَتها مشْي النبيّ ﷺ فقال: ((مرحبا بابنتي)). ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله**[٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: **استأذن عمَّار على النَّبيّ ﷺ -فعرف صوته- فقال: ((مرحبا بالطِّيِّبِ المُطيَّب))**[٣].

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣١٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مرحبا، رقم الحديث: (١٠٣٠). ص: ٣٧١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، رقم الحديث: (٤٤٣٣). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، رقم الحديث: (٦٣١٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مرحبا، رقم الحديث: (١٠٣١). ص: ٣٧٢. والترمذي، الجامع، كتاب المناقب، باب مناقب عمار ابن ياسر وكنيته أبو اليقظان، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٣٧٩٨). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب السنة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ رقم الحديث: (١٤٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٤.

وعن أنس بن مالك ﷺ: **أنَّه سمع عمرَ بن الخطاب ﷺ وسلَّم عليه رجلٌ فردّ السلام، ثم سأل عمر الرجل كيف أنت؟ فقال: أحمد الله إليك، فقال عمر: ((هذا الذي أردتُ منك))**[١].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ: **قيل للنَّبيّ ﷺ: كيف أصبحت؟ فقال: ((بخير؛ مِن قوم لم يشهدوا جنازة، ولم يعودوا مريضا))**[٢].

٥. الجهر بالتسليم:

الأصل في السلام أن يكون بلفظ مسموع لمن يسلَّم عليه؛ لما ورد عن ثابت بن عبيد ﷺ قال: **أتيتُ مجلساً فيه عبد الله بن عمر فقال: ((إذا سلَّمتَ فأَسمِعْ؛ فإنَّها تحيَّة من عند الله مباركةٌ طيِّبَةٌ))**[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٤]: "واستدِلّ بالأمر بإفشاء السلام على أنَّه لا يكفي في السلام سرّا بل يشترط الجهر وأقلّه أن يسمع في الابتداء وفي الجواب".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف أنت، رقم الحديث: (١١٣٢). ص: ٤١٠. وقال الألباني: صحيح موقوفا، وثبت مرفوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٣٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف يجيب إذا قيل له: كيف أصبحت؟. رقم الحديث: (١١٣٣)، ص: ٤١٠. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب المريض يقال له كيف أصبحت؟، رقم الحديث: (٣٧١٠)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٣٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يُسمِع إذا سلَّم، رقم الحديث: (١٠٠٥)، ص: ٣٦٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٥.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١١/٢٤.

ويستثنى من رفع الصوت بالسلام ما إذا سلَّم على أيقاظ عندهم نيام، فالسنّة أن يخفض صوته بحيث يحصل سماع الأيقاظ ولا يستيقظ النيام؛ لما ثبت عن المقداد بن الأسود قال: «**كان النَّبيُّ ﷺ يجيء من اللّيل فيُسَلِّم تسليماً لا يوقظ نائماً، ويُسمِع اليقظان**»[١].

٦. السلام بالإشارة:

ومن آداب السلام في السنة النبوية أن لا يكون بالإشارة بالكفّ، أو الرأس، أو الأصابع...؛ لما روي عن عطاء بن أبي رباح ﵁ قال: «**كانوا يكرهون التسليم باليد**»، أو قال: «**كان يكره التسليم باليد**»[٢].

والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حسا وشرعا، وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام كالمصلي والبعيد والأخرس وكذا السلام على الأصمّ[٣]. وإذا أمكن الجمع بين السلام والإشارة في هذه الحالات -كالبعيد مثلا - فيتعين الجمع لما رُوي عن أسماء ﵂ قالت: «**ألوى النَّبيُّ ﷺ بيده إلى النِّساء بالسَّلام**»[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم على النائم، رقم الحديث: (١٠٢٨)، ص: ٣٧٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم الحديث: (٥٣٦٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من سلَّم إشارة، رقم الحديث: (١٠٠٤). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٥.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٩/١١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من سلَّم إشارة، رقم الحديث: (١٠٠٣). ص: ٣٦٢. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في السلام على النساء، رقم الحديث: (٥٢٠٤). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم على النساء، رقم الحديث: (٢٦٩٧).

قال النووي رحمه الله[١]: "فهذا محمول على أنَّه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة، يدل على هذا أن أبا داود روى هذا الحديث، وقال في روايته: ((فسلَّم علينا))[٢].

٧. تسليم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير:

هذه من الآداب التي ثبتت بها السنة عن النبي ﷺ، فعن عبد الرحمن بن شِبْل رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقول: ((**ليسلِّم الراكب على الراجل، وليُسلِّم الراجل على القاعد، وليُسلِّم الأقلّ على الأكثر، فمن أجاب السَّلام فهو له، ومن لم يُجِب فلا شيء له**))[٣].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((**يُسلِّم الرَّاكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**))[٤].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٣٩٤.

(٢) والبخاري - أيضا - أورد الحديث بهذا اللفظ في كتاب "الأدب المفرد"كما سيأتي. ص: ١٨٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يُسلِّم الماشي على القاعد، رقم الحديث: (٩٩٢)، ص: ٣٥٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يسلِّم الصغير على الكبير، رقم الحديث: (١٠٠٠)، ص: ٣٦١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الاستئذان، باب يسلِّم الراكب على الماشي، رقم الحديث: (٦٢٣٢). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، رقم الحديث: (٥٦٤٦).

وعنه -أيضا- قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يسلِّم الصغير على الكبير، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**))[(١)].

والحكمة التربوية من هذه الآداب النبوية الكريمة هي: أن "تسليم الصغير لأجل حق الكبير؛ لأنه أمر بتوقيره والتواضع له، وتسليم القليل لأجل حق الكثير؛ لأن حقهم أعظم، وتسليم المارّ لشبهه بالداخل على أهل المنزل، وتسليم الراكب لئلا يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع"[(٢)].

٨. السلام عند دخول بيت ليس فيه أحد:

ويندب للمتربي أن يسلِّم إذا دخل بيتا ليس فيه أحد؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾[(٣)]، ولما روى المصنِّف عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: ((**إذا دخَلَ البيتَ غير المسكون فليقل: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين**))[(٤)].

قال ابن حجر رحمه الله[(٥)]: "ويدخل في عموم إفشاء السلام، السلام على النفس لمن دخل مكانا ليس فيه أحد؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يسلِّم الصغير على الكبير، رقم الحديث: (١٠٠١)، ص: ٣٦١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب يسلِّم الصغير على الكبير، رقم الحديث: (٦٢٣٤).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٢٢/١١.

(٣) سورة النور الآية: (٦١).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا دخل بيتا غير مسكون، رقم الحديث: (١٠٥٥)، ص: ٣٨٢. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٧.

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٢٢/١١.

وإن كان البيت ليس فيه إلا أهلك فيُستحَبّ لك أن تسلِّم عليهم أيضا؛ لما روى المصَنِّفُ عن أبي أمامة ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثلاثة كلّهم ضامن على الله، إن عاش كُفِي، وإن ماتَ دَخَلَ الجنَّة: مَن دَخَل بيته بسلام، فهو ضامن على الله ﷻ. ومَن خرَج إلى المسجد، فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله، فهو ضامن على الله**»[1].

٩. السلام قبل مفارقة المجلس:

كما أنَّه يُسَنّ السلام عند القدوم على المجلس، فكذلك من السنة أن يلقي السلام عند مفارقة ذلك المجلس، فعن أبي هريرة، ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قال: «**إذا جاء الرَّجلُ المجلسَ فليُسَلِّم، فإن جلس ثمَّ بدا له أن يقومَ قبل أن يتفرَّق المجلس فليُسَلِّم؛ فإنَّ الأولى ليستْ بأحقّ من الأخرى**»[2].

وعن معاوية بن قرَّة ﷺ قال: **قال لي أبي: يا بُنَيّ! إنْ كنتَ في مجلس ترجو خيره، فعَجِلَتْ بك حاجة، فقل سلام عليكم؛**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من دخل بيته بسلام، رقم الحديث: (١٠٩٤)، ص: ٣٩٧. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد، باب في ركوب البحر في الجهاد، رقم الحديث: (٢٤٩٤). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٢٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم إذا قام من المجلس، رقم الحديث: (١٠٠٨)، ص: ٣٦٣. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، رقم الحديث: (٢٧٠٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٩.

فإنَّك تشركهم فيما أصابوا في ذلك المجلس وما من قوم يجلسون مجلسا، فيتفرَّقوا عنه لم يُذكر الله، إلاّ كأنَّما تفرَّقوا عن جيفة حِمار»[١].

١٠. إعادة السلام على من تكرَّر لقاؤه:

وينبغي على المربين أن يحبِّبوا إلى المتربين إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب، وأن لا يملُّوا من ذلك؛ لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «**مَنْ لَقِي أخاه فليُسلِّم عليه؛ فإن حالت بينهما شجرةٌ أو حائط، ثم لقِيَه فليسلِّم عليه**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «**أنَّ أصحاب النَّبيّ ﷺ كانوا يكونون فتستقبلهم الشّجرةُ فتنطلق طائفة منهم عن يمينها وطائفةٌ عن شمالها، فإذا التقوا سلَّمَ بعضُهم على بعض**»[٣].

١١. ردّ السلام على مَن حُمل إليه السلام:

من آداب السّلام في الإسلام: إذا نادى إنسان إنسانا من خلف ستر أو حائط، فقال: السلام عليك يا فلان، أو أرسل رسولا وقال: سلّم على فلان،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق من سلَّم إذا قام، رقم الحديث: (١٠٠٩)، ص: ٣٦٤. وقال الألباني: صحيح موقوفا وجملة الذِّكر صحيح مرفوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق من سلَّم إذا قام، رقم الحديث: (١٠١٠)، ص: ٣٦٤. وقال الألباني: صحيح موقوفا، وصح مرفوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق من سلَّم إذا قام، رقم الحديث: (١٠١١)، ص: ٣٦٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٨.

فبلغه الكتاب أو الرسول، وجب أن يردّ السلام[١]؛ لما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**يا عائشُ! هذا جبريل، وهو يقرأ عليكِ السلام**». **قالت: فقلتُ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى. تريد بذلك رسولَ الله ﷺ**[٢].

١٢. التسليم على النساء:

سلام الرجال على النساء والنساء على الرجال جائز إذا أُمِنت الفتنة،[٣] قال القرطبي رحمه الله[٤]: "وأمَّا التسليم على النساء فجائز إلا على الشابات منهنّ خوف الفِتنة من مكالمتهنّ بنزعة شيطان أو خائنة أعين". والدليل على مشروعيته ما رواه المصنِّف عن أمّ هانئ رضي الله عنها قالت: **ذهبتُ إلى النَّبيّ ﷺ وهو يغتسل فسَلَّمتُ عليه، فقال: «مَنْ هذه؟». فقلتُ أمّ هانئ. قال: «مَرحباً بأمّ هانئ»**[٥].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٣٩٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف ردّ السلام، رقم الحديث: (١٠٣٦)، ص: ٢٧٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: (٣٧٦٨).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٤٣/١١..

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/٥.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تسليم النساء على الرجال، رقم الحديث: (١٠٤٥)، ص: ٣٧٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، رقم الحديث: (٦١٥٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى وأنّ أقلّها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم الحديث: (١٦٦٩).

وعن الحسن [وهو البصري] رضي الله عنه قال: ((**كُنَّ النِّساء يُسلِّمْن على الرجال**))[١].

وعن أسماء ابنة يزيد الأنصارية رضي الله عنها قالت: **مرّ بيَ النَّبيّ ﷺ وأنا في جوار أتراب لي، فسلَّم علينا، وقال**: ((**إيَّاكنّ وكفر المُنعِمين**)). **وكُنتُ من أجرئهنّ على مسألته، فقلتُ يا رسول الله! وما كُفر المُنعِمين؟ قال**: ((**لعلَ إحداكنّ تطول أَيْمَتُها**[٢] **من أبويها، ثمّ يرزُقُها الله زوجاً، ويرزُقُها منه ولداً، فتَغضب الغَضْبَة فتكْفُرُ، فتقول: ما رأيتُ منكَ خيراً قَطّ**))[٣].

١٣. السلام على الصبيان:

السلام على الصبيان سنة ثابتة عن النبيّ ﷺ والهدف منه تعويدهم وتربيتهم على أدب السلام حتى ينشئوا عليه ويترعرعوا على الالتزام به.

عن أنس بن مالك: رضي الله عنه **أنَّه مرّ على صبيان، فسلَّم عليهم، وقال**: ((**كان النَّبيُّ ﷺ يفعَلُه بهم**))[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تسليم النساء على الرجال، رقم الحديث: (١٠٤٦)، ص: ٣٧٥. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٨.

(٢) يقال: تأيّمَتِ المرأة وآمَتْ إذا أقامت لا تتزوج. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٥٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم على النساء، رقم الحديث: (١٠٤٨)، ص: ٣٧٧. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في السلام على النساء، رقم الحديث: (٥٢٠٤). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم على النساء، رقم الحديث: (٢٦٩٧).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب السلام على الصبيان، رقم الحديث: (١٠٤٣)، ص: ٣٧٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، رقم الحديث: (٦٢٤٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، رقم الحديث: (٥٦٦٣).

"وهذا من خُلُقه العظيم ﷺ، وفيه تدريب للصغير وحضّ على تعليم السنن، ورياضة لهم على آداب الشريعة فيه؛ فلتقتد"[١].

وعن عَنْبَسَة ﷺ قال: «**رأيتُ ابن عمرَ يسلِّم على الصِّبيان في الكُتَّاب**»[٢].

١٤. السلام على أهل البدع والمعاصي:

قال النووي رحمه الله[٣]: "وأما المبتدع ومن اقترف ذنبا عظيما ولم يتب منه، فينبغي أن لا يسلِّم عليهم ولا يردّ عليه السلام، كذا قاله البخاري وغيره من العلماء"، واستدلّ البخاري بما رواه عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: **مرّ النَّبيّ ﷺ على قوم فيهم رجلٌ متخلق بخَلوق[٤] فنظر إليهم، وسلَّم عليهم، وأعرض عن الرّجل، فقال: الرّجلُ: أعرضتَ عنِّي!؟ قال: «بين عينيه جَمْرَة»**[٥].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب السلام على الصبيان، رقم الحديث: (١٠٤٤)، ص: ٣٧٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٨.

(٣) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٤٠٧.

(٤) وهو طيبٌ معروف مُرَكب يُتَّخذ من الزَّعْفَرَان وغيره من أنْواع الطِّيب، وتَغْلب عليه الحُمرة والصُّفْرة. وقد وَرَدَ تارة بإباحَتِه، وتارة بالنَّهْي عنه، والنَّهْيُ أكْثر وأثْبَتُ. وإنَّما نَهَى عنه؛ لأنه من طِيب النِّساء، وكُنَّ أكْثَر اسْتعمالاً له منهم. والظاهر أنّ أحاديث النَّهْي نَاسِخة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٢٨٢.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من ترك السلام على المتخلق وأصحاب المعاصي، رقم الحديث: (١٠٢٠)، ص: ٣٦٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٩.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «**لا تسلِّموا على شُرَّاب الخمر**»[١].

وعن جابر ﷺ قال: «**دخلتُ على الحجاج فما سلَّمتُ عليه**»[٢].

وعن الحسن [هو البصري] ﷺ قال: «**ليس بينك وبين الفاسق حُرمة**»[٣].

وينبغي أن يعرف المتربي أن "المسلم الذي ليس بمشهور بفسق ولا بدعة يُسلِّم ويُسلَّم عليه، فيسنّ له السلام ويجب الردّ عليه"[٤].

أما المبتدعة فهم على قسمين: "فمن البدع ما هو كفر صريح لا يُختلف في أن معتقِده كافر، فلا يُختلف في أنَّه لا يُسلَّم عليه، ومنه ما هو خفيف لا يُختلف في أنَّه ليس بكُفر ولا في مُعتقِده أنَّه ليس كافر فلا يُختلف في أنَّه يسلَّم عليه"[٥].

والمقصد التربوي من ترك السلام على هؤلاء هو الزجر والتأديب، كأن يرتدع العاصي عن معصيته إذا لم يُسلَّم عليه أو لا يُردّ عليه سلامه، أما إن غلب على الظنّ أنّ معصيته تزيد؛ فإنَّنا نُسلِّم عليه ونردّ عليه سلامه تقليلا للمفسدة لأنَّه لا مصلحة من ترك السلام عليه، وهذا ينبني على مسألة الهجر[٦].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يسلّم على فاسق، رقم الحديث: (١٠١٧)، ص: ٣٦٦. وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: ٩٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم على الأمير، رقم الحديث: (١٠٢٥)، ص: ٣٦٩. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٩٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يسلّم على فاسق، رقم الحديث: (١٠١٨)، ص: ٣٦٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٩.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٤٠٢.

(٥) ابن رشد، محمد بن أحمد القرطبي، المقدِّمات الممَهِّدات: ٤٤٣/٣.

(٦) الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز، كتاب الآداب، ص: ٦٠.

وإذا اضطرّ المسلمُ إلى السلام على هؤلاء بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إذا لم يُسلِّم سلَّم، ونوى أنّ السلام اسم من أسماء الله تعالى، فكأنَّه قال: الله رقيب عليكم، وقيل: سلامة لكم مني، فلتكن لي منكم[١].

١٥. ابتداء أهل الكتاب بالسلام:

قد ورد نهي صريح عن النَّبيّ ﷺ في ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وينبغي أن يحرص المتربي على الالتزام بهذه السنة في كلّ الأزمنة والأمكنة، فعن أبي بصرة الغفاري ﵁، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**إنِّي راكبٌ غداً إلى يهودَ فلا تبدأوهم بالسلام؛ فإذا سلَّموا عليكم، فقولوا: وعليكم**»[٢].

ويجوز أن يُبدأوا بغير السلام عند الحاجة إلى ذلك، كقولك: "صُبِّحتَ بالخير أو بالسعادة أو بالعافية، أو صبَّحك الله بالسرور أو بالسعادة أو بالنعمة أو بالمسرة أو ما أشبه ذلك، أما إذا لم يُحتج إليه فالاختيار أن لا يقول شيئا، فإنّ ذلك بسط له وإيناس وإظهار صورة ولاء، ونحن مأمورون بالإغلاظ عليهم ومنهيّون عن وُدِّهم فلا نظهره"[٣].

---

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: ١٢٧/١٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يبدأ أهل الذّمّة بالسلام، رقم الحديث: (١١٠٢)، ص: ٤٠٠. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب ردّ السلام على أهل الذّمّة، رقم الحديث: (٣٦٩٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٢٥.

(٣) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٤٠٥.

وقد استدلّ بعض العلماء على جواز ابتداء أهل الكتاب بغير السلام، بما روي عن علقمة رضي الله عنه قال: «**إنَّما سَلَّم عبد الله [هو ابن مسعود] على الدهاقين**[1] **إشارة**»[2].

أما الردّ على أهل الكتاب فواجب لعموم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ وما أُثر عن ابن عباس قال: «**ردّوا السّلام على من كان يهوديّا أو نصرانيا أو مجوسيّا، ذلك بأنّ الله يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾**»[3].

وقد أمر النَّبيُّ ﷺ المسلمَ أن يقول عند الردّ على أهل الكتاب: (وعليك) إذا سمع (السَّام عليكم) أو لم يتضح له ما ألقي عليه؛ لما أورده المصَنِّف عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اليهود إذا سلَّم عليكم أحدُهم، فإنَّما يقول: السَّام عليك، فقولوا: وعليك**»[4].

---

(١) جمع دهقان بكسر الدال وضمها: رئيس القرية ومقدم التناء وأصحاب الزراعة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣١٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من سلَّم على الذّمّي إشارة، رقم الحديث: (١١٠٤)، ص: ٤٠١. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٢٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف الردّ على أهل الذّمّة؟، رقم الحديث: (١١٠٧)، ص: ٤٠٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٢٧.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف الردّ على أهل الذّمّة؟، رقم الحديث: (١١٠٦)، ص: ٤٠١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب كيف الردّ على أهل الذّمة بالسلام، رقم الحديث: (٦٢٥٧). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، رقم الحديث: (٥٦٥٢).

أما إذا سلَّم سلاماً واضحا فيجوز ردّ السلام عليه؛ لأنّ هذا هو مقتضى العدل، والله تعالى يأمر بالعدل والإحسان، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء[١].

فإن جاء إلى مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين سلَّم عليهم، كما ثبت ذلك في حديث أسامة ابن زيد ﷺ: ((**أنَّ النَّبيّ ﷺ رَكِب على حمار عليه إكافٌ[٢] على قطيفة[٣] فدكيّة وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة، حتى مرّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبَيّ بن سلول – وذلك قبل أن يسلم عبد الله – فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين وعَبَدة الأوثان، فسلَّم عليهم**))[٤].

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذّمّة: ١/٤٢٥-٤٢٦. والألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة: ٢/٣٢٧-٣٣٠.

(٢) الإِكَافُ للحمار معروف، والجمع: أُكُفٌ بضمتين، مثل: حمار وحُمُرٌ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٢٥.

(٣) هي كِساء له خَمْل. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٧٦١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم على مجلس فيه المسلم والمشرك، رقم الحديث: (١١٠٨)، ص: ٤٠٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، رقم الحديث: (٦٢٥٤)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النّبيّ ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث: (٤٦٥٩).

وفي هذه الحالة ينوي المسلم بسلامه على هذا المجلس المسلمين فقط، "وكذلك لو كان مجلس فيه أهل السنة والبدعة سلَّم ونوى أهل السنة، وكذلك لوكان فيه أولياء وأعداء، وعدول وظلمة خصّ الأولياء والعدول بسلامه، وترك الباقين"[١].

١٦. المصافحة:

وما يتمِّم التحية ويُزيِّنها المصافحة عند اللقاء وهي سنّة مجمع عليها، ويُستحبّ مع المصافحة، البشاشة بالوجه، والدعاء بالمغفرة وغيرها،[٢] فعن أنس بن مالك ﵁ قال: **لمَّا جاء أهل اليمن، قال النَّبيّ ﷺ**: ((**قد أقبلَ أهلُ اليمن، وهم أرقّ قلوباً منكم**)). **فهم أوّل من جاء بالمصافحة.**[٣]

وعن البراء بن عازب ﵁ قال: ((**من تمام التحيّة أن تصافح أخاك**))[٤].

وينبغي التنبيه إلى أنّه لا يجوز مصافحة المرأة الأجنبية البتَّة؛ لقول عائشة ﵂: ((..**ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام، قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء**

---

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: ١٠/١٢٦.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٤٢١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المصافحة، رقم الحديث: (٩٦٧)، ص: ٣٤٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المصافحة، رقم الحديث: (٩٦٨)، ص: ٣٤٨. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، رقم الحديث: (٢٧٣٠). وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوفا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧١.

قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كفّ رسول الله ﷺ كفّ امرأة قط وكان يقول لهن: إذا أخذ عليهن (قد بايعتكن) كلاما»[١].

١٧. القيام للتحية:

القيام على نوعين:

الأول: قيام ممنوع وهو اتخاذ القيام عادة وديدنا، أو القيام على رأس الرجل كفعل الجبابرة، أو أن يقع القيام لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعاظما على القائمين إليه، أو أن يقع لمن لا يتكبّر ولا بتعاظم على القائمين، ولكن يُخشى أن يدخل في نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبّه بالجبابرة.

والثاني: قيام مشروع وهو القيام للبرّ والإكرام لمن لا يريد ذلك، ويؤمن معه التشبّه بالجبابرة، أو يقوم لمن قَدِم من سفر فرحا بقدومه ليُسلِّم عليه، أو إلى من تجدّدت له نعمة فيُهنِّئه بحصولها أو مصيبة فيعزّيه بسببها[٢].

ومن أدلة القيام الممنوع ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «**ما كان شخص أحبّ إليهم رؤية من النَّبيّ ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعلمون من كراهيته لذلك**»[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذّمّي، رقم الحديث: (٥٢٨٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، رقم الحديث: (٤٨٣٤)، واللفظ له.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٦٢/١١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قيام الرجل لأخيه، رقم الحديث: (٩٤٦)، ص: ٣٣٤. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، رقم الحديث: (٢٧٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٥٣.

وعن جابر ﷺ قال: **اشتكى النَّبيُّ ﷺ فصلَّينا وراءه – وهو قاعد – وأبو بكر يُسمِع النَّاسَ تكبيره، فالتفت علينا فرآنا قياماً، فأشار إلينا فقعَدنا، فصَلَّينا بصلاته قُعوداً، فلمَّا سلَّم، قال: ((إِنْ كِدتم لتفعلوا فعل فارس والرّوم، يقومون على مُلُوكهم وهم قُعُود، فلا تفعلوا، ائتَمُّوا بأئمَّتكم؛ إِنْ صلّى قائما فصلُّوا قياما، وإِنْ صلّى قاعدا فصَلُّوا قُعُوداً))**[١].

وعن أبي مجلز ﷺ قال: **إنّ معاوية خرج، وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير قعود، فقام ابن عامر، وقَعَد ابن الزبير – وكان أرزنهما[٢] – قال معاوية: قال النَّبيُّ ﷺ: ((مَن سرَّه أن يَمْثُل له عباد الله قياما، فليتبوأ بيتاً من النَّار))**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قيام الرجل للرجل القاعد، رقم الحديث: (٩٤٨)، ص: ٣٣٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، رقم الحديث: (٩٢٨).

(٢) الرَّزَانَةُ: الوقار. وقد رَزُنَ الرجل من باب ظرف فهو رَزِينٌ أي: وقور. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٢٢٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قيام الرجل للرجل تعظيما، رقم الحديث: (٩٧٧)، ص: ٣٥١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك، رقم الحديث: (٥٢٢٩)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل،، رقم الحديث: (٢٧٥٥). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٣.

أما أدلّة القيام المشروع فمنها ما رواه المصنِّف عن عبد الله بن كعب ﷺ قال: **سمعتُ كعب ابن مالك، يُحدِّث حديثه حين تخلَّف عن رسول الله عن غزوة تبوك، فتاب الله عليه: وآذن رسولُ الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلّى صلاة الفجر،فتلقّاني النّاس فوجاً فوجاً؛ يُهَنُّوني بالتوبة، يقولون: لتَهْنِك توبة الله عليك، حتى دخلتُ المسجد، فإذا برسول الله ﷺ حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني وهنَّاني، والله ما قام إليّ رجلٌ من المهاجرين غيرُه، لا أنساها لطلحة**(١).

وعن أبي سعيد الخدري: ﷺ **أنّ ناساً نزلوا على حُكم سعد بن معاذ، فأرسلَ إليه، فجاء على حمار، فلمَّا بلغ قريبا من المسجد قال النَّبيُّ ﷺ: ((ائْتُوا خيركم أو سيِّدكم)) فقال: ((يا سعدُ! إنَّ هؤلاء نزلوا على حُكمك)). فقال سعد: أحكُمُ فيهم: أن تُقتل مقاتِلَتُهم، وتُسبى ذرِّيَّتُهم. فقال النَّبيُّ ﷺ: ((حَكَمتَ بحُكم الله)) أو قال: ((حَكَمتَ بحكم المَلِك))**(٢).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قيام الرجل لأخيه، رقم الحديث: (٩٤٤)، ص: ٣٣٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾، رقم الحديث: (٤٤١٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم الحديث: (٧٠١٦).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قيام الرجل لأخيه، رقم الحديث: (٩٤٥)، ص: ٣٣٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب إذا أنزل العدو على حكم رجل، رقم الحديث: (٣٠٤٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، رقم الحديث: (٤٥٩٦).

وعن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: ((**ما رأيتُ أحداً من الناس كان أشبه بالنَّبيّ كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة**)). **قالت: وكان النَّبيُّ ﷺ إذا رآها قد أقبَلَتْ رحَّب بها، ثمّ قام إليها فقبَّلها**...الحديث[١].

وضابط الفرق بين القيام المشروع والقيام المحظور كما ذكره الغزالي رحمه الله[٢] واستحسنه ابن حجر رحمه الله: "أن القيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام".

وملخّص الكلام في هذه المسألة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال[٣]: "لم تكن عادة السلف على عهد النَّبيّ ﷺ وخلفائه الراشدين: أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام، كما يفعله كثير من الناس...والذي ينبغي للناس: أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ؛ فإنّهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدﷺ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى، وهدي خير القرون إلى ما هو دونه، وينبغي للمطاع أن لا يقرّ بذلك مع أصحابه، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد، وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له فحسن".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قيام الرجل لأخيه، رقم الحديث: (٩٤٧)، ص: ٣٣٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: (٣٦٢٣). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل فاطمة بنت النبيﷺ، رقم الحديث: (٦٣١٣).

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١٨٤/٢.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى: ٣٧٤/١.

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لا اعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات البين، وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة: فليس في ترك ذلك إيذاء له[١].

وقال ابن حجر رحمه الله[٢]: "وفي الجملة متى صار ترك القيام يشعر بالاستهانة أو يترتب عليه مفسدة امتنع".

١٨. المعانقة والتقبيل:

لم تكن عادة السلف من الصحب ومن بعدهم، أن يعانق أو يقبّل بعضهم البعض عند كلّ لقاء كما هو الحال اليوم في بعض المجتمعات الإسلامية، ولكن الثابت عنهم هو المعانقة عند لقاء المسافر أو الغائب، كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: **أنَّه بلغه حديثٌ عن رجل من أصحاب النَّبيّ ﷺ، فابتَعْتُ بعيراً، فشددتُ إليه رَحلي شهرا، حتى قدمتُ الشَّام، فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثتُ إليه أن جابراً بالباب، فرجع الرّسولُ، فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرَجَ فاعتنقَني، فقلت: حديث بلغني لم أسْمَعْه؛ خشيتُ أن أموت أو تموت، قال: سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقول: ((يحشر الله العباد – أو الناس – عراة غرلا بُهما))، قلتُ ما بُهما؟ قال: ((ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُد – أحسبه قال: كما يسمعه من قرُب –: أنا المَلِك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة يد خل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة،**

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، المرجع السابق: ١/٣٧٥.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١١/٦٥.

ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة». قلت: وكيف؟ وإنَّما نأتي الله عراة بُهماً؟ قال: «بالحسنات والسيّئات»[١].

أما تقبيل يد الغير؛ فـ"إن كان ذلك لزهده وصلاحه، أو علمه أو شرفه وصيانته، أو نحو ذلك من الأمور الدينية لم يكره بل يُستحبّ، وإن كان لغناه ودُنياه، وثروته وشوكته، ووجاهته عند أهل الدنيا ونحو ذلك، فهو مكروه شديد الكراهة"[٢].

عن ابن عمر قال: **كنَّا في غزوة، فحاص**[٣] **النّاس حيصةً، قلنا: كيف نلقى النَّبيّ ﷺ وقد فررنا؟ فنزلت: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾**[٤] **فقلنا: لا نقدم المدينة، فلا يرانا أحد، فقلنا: لو قَدِمنا، فخَرَج النَّبيُّ ﷺ من صلاة الفجر، قُلنا: نحن الفرّارون. قال: «أنتم العكّارون**[٥]**» فقبَّلنا يده، قال: «أنا فِئَتُكم»**[٦].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المعانقة، رقم الحديث: (٩٧٠)، ص: ٣٤٨. والبخاري معلقا، الجامع الصحيح ، كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٤١٦.

(٣) حاصَ عنه: عَدَلَ وحَادَ وبابه باع وحُيُوصاً ومَحِيصاً ومَحَاصاً وحَيَصاناً بفتح الياء. يقال: ما عَنْه مَحِيصٌ أي مَحِيدٌ ومَهْرَب. والانحِياص مِثْله. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ١٥٧.

(٤) سورة الأنفال الآية: (١٦).

(٥) أي: الكرارون إلى الحرب والعطّافون نحوها، يقال للرجل يولي عن الحرب ثم يكرّ راجعا إليها: عكر واعتكر. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٦٣٤.

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تقبيل اليد، رقم الحديث: (٩٧٢)، ص: ٣٤٩. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في قبلة اليد، رقم الحديث: (٥٢٢٣). وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: ٨٨.

وعن عبد الرحمن بن رزين ﷺ قال: **مررنا بالربذة**[(١)]، **فقيل لنا: ها هنا سلَمة بن الأكوع، فأتيناه فسلَّمنا عليه، فأخرج يديه، فقال: بايعتُ بهاتين نَبيّ الله ﷺ، فأخرج كفّاً له ضخمة كأنَّها كفّ بعير، فقُمنا إليها، فقبَّلناها**[(٢)].

قال الألباني رحمه الله[(٣)]: "وأما تقبيل اليد؛ ففي الباب أحاديث وآثار كثيرة، يدلّ مجموعها على ثبوت ذلك على رسول الله ﷺ والسلف، فنرى جواز تقبيل يد العالم إذا توفرت الشروط الآتية:

١) أن لا يُتّخذ عادة، بحيث يتطبّع العالم على مدّ يده إلى تلامذته، ويتطبّع هؤلاء على التبرّك بذلك؛ فإنّ النَّبيّ ﷺ وإنْ قُبِّلَتْ يده؛ فإنَّما كان ذلك على النّدرة، وما كان كذلك؛ فلا يجوز أن يُجعل سنّة مستمرّة، كما هو معلوم من القواعد الفقهية.

٢) أن لا يدعوَ ذلك إلى تكبّر العالم على غيره ورؤيته لنفسه؛ كما هو الواقع مع بعض المشايخ اليوم.

٣) أن لا يؤدّي ذلك إلى تعطيل سنّة معلومة؛ كسنّة المصافحة؛ فإنَّها مشروعة بفعله ﷺ وقوله، وهي سبب شرعيّ لتساقط ذنوب المتصافحين؛ كما رُوي في غير ما حديث واحد؛ فلا يجوز إلغاؤها من أجل أمر أحسن أحواله أنه جائز".

---

(١) والرَّبَذة بالتحريك أيضا: قَرْية معروفة قُرْب المدينة بها قَبْر أبي ذَرّ الغِفارِي. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣٤٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تقبيل اليد، رقم الحديث: (٩٧٣)، ص: ٣٥٠. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٢.

(٣) الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣٠٢/١.

هذه هي آداب التحية والسلام في السنّة النبوية كما أوردها البخاري في كتابه "الأدب المفرد"، وينبغي على الآباء والمربِّين تربية النشء على التحلي بها حتى يضمنوا لهم - بإذن الله تعالى - تربية اجتماعية سوية وفق آداب المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: آداب الاستئذان.

إنّ للبيوت حرمةً يجب أن لا تنتهك، وإن لها عورات يجب أن لا يطلع عليها أحد، وإن للمجتمع الإسلامي آداباً يجب أن تحترم، والمنهج التربوي في الإسلام حريص على تهذيب النفوس وتربيتها على نظام رباني متكامل، فيه مراعاة جميع الظروف والأحوال التي يكون عليها الإنسان، وفيه اعتبار الحالات المختلفة، ووضع العلاج المناسب لكل حالة، ومن هذه النظم الربانية، نظام الاستئذان الذي وُضِع للحفاظ على خصوصيات الناس وعوراتهم التي لا يريدون أن يطلع عليها أحد.

قال القرطبي رحمه الله[١]: "لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضّله بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدَّبهم بما يرجع إلى الستر عليهم لئلا يطلع أحد منهم على عورة".

وهكذا الإسلام دائما يهتم بجميع قضايا الإنسان وجميع أموره صغيرها وكبيرها، ويزداد اهتمامه بإيجاد أنواع الترابط والتواد والتآلف حتى يتكون المجتمع المتعاون على البرّ والتقوى، والمتماسك تماسكا قويّاً كأنَّه بنيان مرصوص[٢]، ومما يحقق هذا الترابط مراعاة الآداب الاجتماعية - التي منها الاستئذان - وتربية الناشئة عليها.

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/١٢.

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣١٣.

ومما يجب توضيحه للمتربي في هذه الآداب ما يلي:

١. مشروعية الاستئذان:

الأصل في مشروعية الاستئذان قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١] وأجمع العلماء على أن الاستئذان مشروع، وتظاهرت بذلك دلائل القرآن والسنة[٢].

قال ابن عاشور رحمه الله[٣]: "وشُرع الاستئذان لمن يزور أحداً في بيته؛ لأن الناس اتخذوا البيوت للاستتار مما يؤذي الأبدان من حرّ وقرّ ومطر وقتام، ومما يؤذي العرض والنفس من انكشاف ما لا يحب الساكن إطلاع الناس عليه، فإذا كان في بيته وجاءه أحد فهو لا يدخله حتى يصلح ما في بيته وليستر ما يجب أن يستره ثم يأذن له أو يخرج له فيكلمه من خارج الباب".

ولذلك يجب أن يعرف المتربي أن الاستئذان إنما شُرع لأجل البصر، فلا يجوز النظر إلى بيوت الناس والاطلاع على عوراتهم بدون إذن، وأنه إنْ فعَل ذلك يتحمل الضرر الذي قد يلحقه من صاحب البيت، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: **أن رجلا اطّلع من جُحْر في باب النَّبيّ ﷺ، ومع النَّبيّ ﷺ مِدرى**[٤]

(١) سورة النور الآية: (٢٧).

(٢) الطيبي، الحسين بن عبد الله، الكاشف عن حقائق السنن: ٩/٣٥.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ١٨/١٩٦.

(٤) المِدْرَى والمِدْرَاة: شيء يُعْمل من حَديد أو خَشبٍ على شَكْل سِنّ من أسْنان المشْطِ وأطْوَل منه يُسرَّح به الشَّعَر المتَلبِّد، ويَسْتَعْمله من لا مُشط له. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣٠٤.

يحُكّ به رأسه، فلمّا رآه النَّبيّ ﷺ قال: ((**لو أعلم أنَّك تنظرني لطَعَنتُ به في عينك**))[(١)].

وقال النَّبيّ ﷺ: ((**إنَّما جُعِل الإذن مِن أجل البصر**))[(٢)].

وعن أبي هريرة، ﵁ عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**لو اطَّلَع رجلٌ في بيتك، فخَذَفْتَه بحَصَاة، فَفَقَأْتَ عينه، ما كان عليك جُناحٌ**))[(٣)].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أن النَّبي ﷺ قال: ((**لا يحلّ لامرئ مسلم أن ينظرَ إلى جوف بيتٍ حتّى يستأذن؛ فإنْ فَعَلَ فقد دَخَلَ. ولا يؤمّ قوما فيخصّ نفسه بدعوة دونهم حتى ينصرف، ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفّف**)). **قال أبو عبد الله: أصحّ ما يُروى في هذا الباب هذا الحديث**[(٤)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاستئذان من أجل النظر، رقم الحديث: (١٠٧٠)، ص: ٣٨٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم الحديث: (٦٢٤١). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم الحديث: (٥٦٣٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاستئذان من أجل النظر، رقم الحديث: (١٠٧١)، ص: ٣٨٧. وهو طرف من الحديث السابق.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا نظر بغير إذن تُفقأ عينه، رقم الحديث: (١٠٦٨)، ص: ٣٨٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، رقم الحديث: (٦٨٨٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، باب تحر يم النظر في بيت غيره، رقم الحديث: (٥٦٤٣).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب النظر في الدور، رقم الحديث: (١٠٩٣)، ص: ٣٩٦. وأحمد بن حنبل الشيباني، المسند: (٥/٢٨٠)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء، رقم الحديث: (٣٥٧). وقال الألباني: "صحيح دون جملة الإمامة". صحيح الأدب المفرد، ص: (٤٢٢).

ويجب أن يعرف المتربي أن مشروعية الاستئذان ليست مقتصرة على الأجانب فقط بل حتى على المحارم كالأمّ والأخت ومن في حكمهم؛ لئلا يقع البصر على عورة أو هيئة أو حالة لا يريد أن يراهن وهنّ على تلك الحالة؛ فعن علقمة ﵁ قال: **جاء رجلٌ إلى عبد الله، قال: أستَأذِنُ على أُمِّي؟ فقال:** ((**ما على كلّ أحيانها تُحِبُّ أن تراها**))[1].

وعن عطاء ﵁ قال: **سألتُ ابن عباس، فقلتُ: أستأذِن على أختي؟ فقال:** ((**نعم**)). **فأعدتُ، فقلتُ: أختان في حِجْري، وأنا أُمَوِّنُهما، وأُنفق عليهما، أستأذن عليهما؟ قال:** ((**نعم، أتريد أن تراهما عريانتين؟! ثم قرأ:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ إلى: ﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾[2] **قال: فلم يُؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثّلاث**)). **قال:** ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾[3]، **قال ابن عباس:** ((**فالإذن واجب**)). **زاد ابن جريج:** ((**على الناس كلّهم**))[4].

ويجب أن يدَرب الأطفال على أدب الاستئذان فلا يَسمح لهم الآباء بالدخول عليهم أو على الآخرين من أهل البيت إلا بإذن إذا بلغوا الحلم؛

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يستأذِن على أمِّه، رقم الحديث: (١٠٥٩). ص: ٣٨٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٨.

(٢) سورة النور الآية: (٥٨).

(٣) سورة النور الآية: (٥٩).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يستأذن على أخته، رقم الحديث: (١٠٦٣)، ص: ٣٨٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٩.

فعن نافع، عن ابن عمر: «**أنَّه كان إذا بلَغَ بعضُ ولده الحُلُم عزَلَه؛ فلم يدْخلْ عليه إلا بإذن**»[(١)].

أما الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم والخدم عليهم أن يستأذنوا في العورات الثلاث؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٢)] وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ﷺ: **أنه قال: ركبَ إلى عبد الله بن سُويد - أخي بني حارثة بن الحارث - يسأله عن العورات الثلاث، وكان يعمل بهنّ، فقال: ما تريد؟ فقلتُ أريد أن أعمل بهنّ، فقال:** «**إذا وضعتُ ثيابي من الظهيرة، لم يدخل عليّ أحدٌ من أهلي بلَغ الحُلم إلا بإذني، إلا أن أدعوه، فذلك إذنه. ولا إذا طلع الفجر وتحرَّك الناس، حتى تُصلّى الصّلاة، ولا إذا صلَّيتُ العشاءَ ووضعْتُ ثيابي حتّى أنام**»[(٣)].

فيُؤمر الخدم والأطفال ألا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يخشى من أن يكون الرجل على أهله، ونحو ذلك من الأعمال؛ ولهذا قال: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾[(٤)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾، رقم الحديث: (١٠٥٨)، ص: ٣٨٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٧.

(٢) سورة النور الآية: (٥٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العورات الثلاث، رقم الحديث: (١٠٥٢)، ص: ٣٨٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٤.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم: ٨٢/٦.

وهذا الأدب يغفل عنه الكثيرون في حياتهم المنزليّة، مستهينين بآثاره النفسيّة والعصبيّة والخُلقية، ظانّين أن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر علماء النفس اليوم - بعد تقدّم العلوم النفسيّة — أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلّها؛ وقد تصيبهم بأمراض نفسيّة وعصبيّة يصعب شفاؤهم منها[1].

ومنهج التربية الإسلامية يؤدِّب المؤمنين بهذه الآداب، وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذّبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات.

٢. صفة الاستئذان:

مما ينبغي أن يُدرّب عليه المتربّي كيفية الاستئذان، وذلك على النحو الآتي:

أ- أن يقرع الباب قرعا خفيفا، وأن لا يدقّه بعنف:

فعن أنس بن مالك ﷺ: «**إنَّ أبواب النَّبي ﷺ كانت تُقرَع بالأظافير**»[2]. قال ابن حجر رحمه الله[3]: "وهذا محمول على المبالغة في الأدب، وهو حسن لمن قرب محلّه من بابه، أما من بعُد عن الباب بحيث لا يبلغه صوت القرع بالظفر فيستحب أن يقرع بما فوق ذلك بحسبه".

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن: ٢٥٣٢/٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قرع الباب، رقم الحديث: (١٠٨٠)، ص: ٣٩٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٨.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٤٤/١١.

ب- تقديم السلام قبل الاستئذان:

من صورة الاستئذان في السنة النبوية أن يقول الرجل: السلام عليكم أأدخل؟؛ فعن كَلَدة بن حنبل، ﷺ **أنّ صفوان بن أمَّية بعثه إلى النَّبيّ ﷺ في الفتح بلبنٍ وجِداية[1] وضَغَابيس - قال أبو عاصم: يعني البقل -، والنَّبيّ ﷺ بأعلى الوادي، ولم أُسلِّم ولم أستأذِن، فقال: ((ارْجع، فقل: السلام عليكم، أأدخل؟))**[2].

وعن أبي هريرة ﷺ - **فيمن يستأذن قبل أن يسلم - قال: ((لا يؤذن له حتى يبدأ بالسلام))**[3].

وعن رِبْعِي بن حِرَاش ﷺ قال: **حدَّثني رجلٌ من بني عامر جاءَ إلى النَّبيّ ﷺ، فقال: ((أألِجُ؟)) فقال النَّبيُّ ﷺ للجارية: ((اخرُجي فقولي له: قل السلام عليكم، أأدخُل؟ فإنَّه لم يُحسن الاستئذان))، قال: فسمعتُها قبل أن تخرج إليّ الجارية، فقلت: السلام عليكم أأدخل؟،**

---

(١) بكسر الجيم وفتحها: ولد الظَّبْية ذكرا أو أنثى إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: (٣٦٣).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا دخل ولم يستأذن، رقم الحديث: (١٠٨١)، ص: ٣٩٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، رقم الحديث: (٥١٧٦). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، رقم الحديث: (٢٧١٠). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاستئذان غير السلام، رقم الحديث: (١٠٦٦)، ص: ٣٨٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٠.

فقال: ((وعليك أدْخُلْ))، قال: فدخَلتُ...الحديث[١].

ج- أن يقف المستأذن عن يمين أو شمال الباب ولا يقابله:

وذلك لكي لا يقع بصره على شيء لا يحب ربّ الدار أن يطلع عليه أحد، والاستئذان إنَّما شُرع لأجل البصر كما سبق، فعن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه صاحبُ النبيّ ﷺ: **أنَّ النّبيّ ﷺ كان إذا أتى باباً يريدُ أن يستأذن لم يستقبله؛ جاء يمينا وشمالا؛ فإن أُذِن له وإلا انصرف))**[٢].

د- الاستئذان ثلاثا:

ومن آداب الاستئذان في الإسلام أن يستأذن ثلاثا إن سُكت عنه، ثم ينصرف بعد الثلاث؛ لما روى عبيد بن عُمير رضي الله عنه: **أنّ أبا موسى الأشعري استأذَن على عُمرَ بن الخطّاب، فلم يُؤذَن له - وكأنَّه كان مشغولا - فرجَعَ أبو موسى، ففرَغ عمرُ، فقال: ألم أَسْمَع صوْتَ عبد الله بن قيس؟ إيذنوا له، قيل: قد رجَع، فدعاه، فقال: كنَّا نُؤمر بذلك.**

---

(١) لبخاري، الأدب المفرد، باب إذا قال: أدخل؟ ولم يسلّم، رقم الحديث: (١٠٨٤)، ص: ٣٩٣. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الاستئذان، رقم الحديث: (٥١٧٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف يقوم عند الباب؟، رقم الحديث: (١٠٧٨)، ص: ٣٩١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلِّم الرجل في الاستئذان، رقم الحديث: (٥١٨٦)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٧.

فقال: تأتيني على ذلك بالبيِّنة. فانطلق إلى مجلس الأنصار، فسَأَلهم؟ فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا: أبو سعيد الخُدري، فذَهَب بأبي سعيد. فقال عمر: أَخَفِي عليّ من أمر رسول الله ﷺ؟ ألهاني الصَّفق بالأسواق. يعني: الخروج إلى التجارة(١).

وإنَّما خُصّ الاستئذان بثلاث؛ لأن الغالب من الكلام إذا كُرِّر ثلاثا سُمِع وفُهِم، وإذا كان الغالب هذا، فإذا لم يؤذن له بعد ثلاث ظهر أن ربّ المنزل لا يريد الإذن، أو لعله يمنعه من الجواب عنه عذر لا يمكنه قطعه؛ فينبغي للمستأذن أن ينصرف؛ لأن الزيادة على ذلك قد تقلق ربّ المنزل وربما يضرّه الإلحاح حتى ينقطع عما كان مشغولا به(٢).

وبالنظر إلى المقصد التربوي من تحديد الاستئذان بالثلاث وهو البعد عن إلحاق الضرر بالمسلمين، وتقوية العلاقات الاجتماعية بينهم، يترجح قول الجمهور بأنه لا تجوز الزيادة على الثلاث، إلا إذا تأكد أن صاحب البيت لم يسمع.

ومما يجب تعويده المتربي عليه أن ينصرف إذا لم يؤذن له، ولا يجد غضاضة في ذلك، ويرجع بدون ضيق أو غضب أو تأثر سيئ، فإنّ ذلك أزكى وأطيب وأطهر للقلوب، وهو الموافق لروح الأخوة الإسلامية،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاستئذان ثلاثا، رقم الحديث: (١٠٦٥)، ص: ٣٨٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب الخروج للتجارة وقول الله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۝١٠﴾ [الجمعة:١٠]، رقم الحديث: (٢٠٦٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، باب جواز قوله لغير ابنه: يا بُنَيّ، واستحبابه للملاطفة، رقم الحديث: (٥٦٢٦).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٤/١٢.

المبنية على التراحم والتسامح، ورفع الحرج عن الآخرين، وذلك هو ما نصت عليه الآية: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[١].

هـ- أن لا يقول المستأذن "أنا" إذا طُلِب منه تحديد هويّته:

مما يجب أن يُدرب عليه المتربي من آداب الاستئذان وكيفيته: إذا سئل من الطارق؟ أن يذكر اسمه، أو كنيته، أو صفته، ولا يقول "أنا"؛ لأنّه لا يتضمن الجواب، ولا يفيد العلم بما استعلمه صاحب البيت، وكان حق الجواب أن يقول: أنا فلان ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه[٢]. ولأنَّ قوله "أنا" فيه نوع من التكبر كأنّ قائله يقول: أنا الذي لا أحتاج أن أذكر اسمي ولا نسبي[٣]. وكراهة ذلك تؤخذ من حديث جابر رضي الله عنه قال: **أتيْتُ النَّبيّ ﷺ في دَينٍ كان على أبي، فدقَقْتُ البابَ. فقال: مَنْ ذا؟، فقلْتُ: أنا. قال: ((أنا، أنا؟!)) كأنَّه كَرِهَه**[٤].

وكان الواجب عليه أن يُعَرّف نفسه باسمه أو بكنيته...كما جاء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: **خرَجَ النَّبيُّ ﷺ إلى المسجد – وأبو موسى يقرأ – فقال: ((من هذا؟)) فقلتُ: أنا بُريدةُ جُعِلتُ فِدَاك.**

---

(١) سورة النور الآية: (٢٨).

(٢) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ١٥٤/٤.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٤٤/١١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من قال: من ذا ؟ فقال: أنا، رقم الحديث: (١٠٨٦)، ص: ٣٩٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب: إذا قال: من ذا ؟ فقال: أنا، رقم الحديث: (٦٢٥٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، باب كراهة قول المستأذن أنا، إذا قيل من هذا، رقم الحديث: (٥٦٣٥).

فقال: «**قَدْ أُعطِي هذا مزماراً من مزامير آل داود**»[١].

٣. دعاءُ الرجل إذنُه:

ينبغي أن يعرف المتربي أنه إذا دُعِي أو أرسِل إليه رسولا ثم جاء مع الرسول، فإنَّه لا يحتاج إلى الاستئذان؛ لأن توجيه الدعوة وإرسال الرسول يتضمَّن الإذن، فاستغني بالدعوة والرسول عن الاستئذان، فعن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ قال: «**إِذا دُعِي أحدُكم، فجاء مع الرّسول، فهو إذنُه**».[٢]

وعنه – أيضا – عن النَّبيّ ﷺ قال: «**رسول الرّجل إلى الرّجل إذنُه**»[٣].

وهذه الأحاديث تدلّ على أنّ من دُعِي وجاء مع نائب الداعي أو موكِّله، جاز له الدخول دون إذن جديد اكتفاء بقرينة الطلب، ولكن بشرط أن لا يطول العهد بين المجيء والطلب، أو كان المستدعي بمحلّ لا يحتاج فيه

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من قال: من ذا؟ فقال: أنا، رقم الحديث: (١٠٨٧)، ص: ٣٩٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم الحديث: (١٨٥١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب دعاء الرجل إذنه، رقم الحديث: (١٠٧٥)، ص: ٣٩٠. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الرجل يدعى أيكون ذلك إذنه، رقم الحديث: (٥١٩٠). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب دعاء الرجل إذنه، رقم الحديث: (١٠٧٦)، ص: ٣٩٠. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الرجل يدعى أيكون ذلك إذنه، رقم الحديث: (٥١٨٩). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٥.

إلى الإذن عادة كأن يكون البيت خاليا من النِّساء، أو أن يكون مخصصا للضيوف فحسب، وإلا وجب استئناف الاستئذان، سيّما إذا كان عدم استئنافه يفضي إلى الاطلاع على ما يكره المزور، وجب الاستئذان مطلقا[١].

هذه آداب الاستئذان كما وردت من كتاب "الأدب المفرد" ويتجلى فيها مدى اهتمام المنهج التربوي في الإسلام بتنظيم حياة الناس تنظيما دقيقا فيه الرحمة ورفع الحرج والضيق، وفيه الأدب الرفيع والسمو الخلقي الذي لا مثيل له.

وينبغي تنشئة المتربين على هذه الآداب الجميلة، والأخلاق الرفيعة.

---

(١) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود: ٩٣/١٤. والمناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٣٤٧/١. والعوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد: ٢٠٢/٣-٢٠٣.

المطلب الثالث: آداب الأكل والشرب.

الطعام والشراب ضروريان لقيام البدن ومن ثم القيام بعبادة الله سبحانه، ولذلك عدّ بعض العلماء الأكل من الدين، قال الغزالي رحمه الله[1]: "فإنّ مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إنّ الأكل من الدين".

وللأكل والشرب آداب اجتماعية ينبغي أن يعرفها المتربي، وأن يحرص على الالتزام بها، فإن الإخلال بهذه الآداب قد يؤدي إلى خلل في بناء المجتمع وتماسكه، ومن هذه الآداب:

١. أكل الحلال الطيب، والبعد عن الإسراف والتبذير:

إنّ ما يتغذى به الإنسان من الأطعمة والأشربة له تأثير على بدنه وروحه؛ ولذلك يجب أن يحرص المتربي على أن لا يدخل في جوفه إلا الحلال الطيب.

وإنّ لكمية الغذاء ونوعيته أثراً كبيراً على نمو الجسم، وزيادة قوته ونشاطه، وأن عواقب الإفراط أو التفريط في التغذية سيئة جدا على بنية الجسم ونشاطه وحيويته، فلا بد من مراعاة الاعتدال في ذلك[2].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٣/٢.

(٢) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص: ٢١٠.

وللإفراط في الأكل آثار سلبية على الفرد والمجتمع، فهو يسبب البلادة، ولا يساعد على التفكير الصحيح، ويحبب إلى صاحبه النوم والكسل، وكثرة الأكل تسبب السمنة وزيادة الوزن، والسمنة المفرطة ظاهرة يعتبرها العالم المتحضر كله ظاهرةً مرضية، أو هي مقدمة لحياة مليئة بالأمراض إن صاحبت الصغير في مراحل عمره المختلفة، إلى جانب أن المتربي يقلّ أصحابه، ويصعب عليه مشاركتهم في الألعاب؛ لأنه سريع التعب، كما أنّه يصبح محلا للسخرية والاستهزاء لبدانته[١]، وهذا كله يؤثر تأثيرا سلبيا على نموه الاجتماعي، وتكيّفه تكيّفا سليما مع المجتمع.

وقد بين الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ أن المصائب الاجتماعية تأتي تدريجيا من الإفراط في الأكل والشراب، حيث قال[٢]: "والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبع الأدواء والآفات؛ إذ تتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات؛ ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدّة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثارَ المال والجاه أنواعُ الرعونات وضروبُ المنافسات والمحاسدات؛ ثم يتولد بينهما آفةُ الرياء وغائلةُ التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء".

---

(١) باحارث، عدنان، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ص: ٣٧١.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ٧٣/٢.

بالإضافة إلى أن الشبعان في غفلة من ألم الجائعين من الفقراء والمساكين... في المجتمع، وهذا لا يساعد في تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

ولأجل هذه الأضرار وغيرها التي تصيب المجتمع من تناول الحرام غير الطيب، أو مجاوزة الحدّ في المباحات الطيبات، أرشد النِّبيّ ﷺ إلى تناول الحلال الطيّب والبعد عن الإفراط فيه، فعن عبد الله بن عمرو قال: «**أربع خلال إذا أُعطِيتَهنّ فلا يضرّك ما عُزِل عنك من الدّنيا: حُسن خَلِيقَة، وعفاف طُعْمَة، وصِدْق حديث، وحفظ أمانة**»[١].

قال المناوي رحمه الله[٢]: "بأن لا يطعم حراما ولا ما قويت الشبهة فيه، ولا يزيد عن الكفاية حتى من الحلال، ولا يكثر من الأكل".

وعن أبي هريرة قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**تدرون ما أكثر ما يُدخل النَّار قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الأجوفان: الفَرْج والفَمُ، وأكثر ما يُدخل الجنَّة؟ تقوى الله وحُسن الخُلُق**»[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حُسن الخُلق إذا فقُهوا، رقم الحديث: (٢٨٨)، ص: ١٠٤. قال الألباني: صحيح موقوفا، وصح مرفوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ١٢٣.

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ١/٤٦١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حُسن الخُلق إذا فقُهوا، رقم الحديث: (٢٨٩)، ص: ١٠٤. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم الحديث: (٤٢٤٦). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (١٢٣).

٢. اجتناب الضارّ من الأطعمة والأشربة:

من آداب الأكل والشرب في الإسلام: أن يجتنب المسلم الضارّ بالجسم والعقل من الطعام والشراب، وهو الذي حَرّمه الله، فهو ﷻ ما حرّم شيئا إلا وقدعلم أن في ذلك تأثيراً سيّئاً على الصحة والعقل والمجتمع.

قال ابن تيمية رحمه الله[1]: "فَالطَّيِّبَاتُ الَّتِي أَبَاحَهَا هِيَ الْمَطَاعِمُ النَّافِعَةُ لِلْعُقُولِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْخَبَائِثُ هِيَ الضَّارَّةُ لِلْعُقُولِ وَالْأَخْلَاقِ كَمَا أَنَّ الْخَمْرَ أُمُّ الْخَبَائِثِ لِأَنَّهَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ وَالْأَخْلَاقَ فَأَبَاحَ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ الَّتِي تَضُرُّهُمْ فِي الْمَقْصُودِ الَّذِي خُلِقُوا ".

فعلى المسلم – على سبيل المثال – أن يجتنب شرب الخمر وجميع المسكرات؛ لأنها أم الخبائث، ومفتاح كلّ شرّ كما ثبت في الحديث، فإن معظم المآسي، والويلات التي تقع في المجتمع سببها هذه المسكرات.

فتناول المسكرات يتنافى مع مبادئ الإسلام التي تهدف إلى الوحدة والتراحم والتآزر، وصيانة النفس البشرية، وحفظ العقل الذي ميّز الله به الإنسان عن غيره.

وضرر هذه الخبائث ليس قاصرا على المتعاطين فحسب، بل إن الضرر يسري إلى الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة، فالمدمن للمسكرات قد يقتطع عيش غيره من أهل بيته وأطفاله ومن يعولهم ليصرفه في شرب الخبائث، فتنشأ أسرة مفككة، وأطفال مشرّدون، وبذلك يخسر المجتمع الفرد والأسرة وهم عماده وأساس بناءه.

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى:١٧/ ١٨٠. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل: ٣/٣٧.

ومن الملاحظ - أيضا - أنّه كلما زادت ظاهرة استعمال المسكرات في أحد المجتمعات؛ كلما ارتفعت معدلات الجرائم الخطيرة فيها،(١) وما ينتج عن ذلك من استنزاف موارد المجتمع في سبيل مكافحة هذه المسكرات والجرائم التي تخلّ بأمن المجتمع، وكيف يتصور تربية اجتماعية سليمة في ظل فقدان الأمن وانتشار الفوضى في المجتمع؟

ولهذا كله فقد حرم الإسلام شرب الخمر ووصفها النّبيّ ﷺ بأنّها مفتاح كل شرّ، فعن أبي الدرداء قال: **أوصاني رسول الله بتسع: «لا تشركْ بالله شيئا وإن قُطّعْتَ أو حُرّقْتَ، ولا تتركنّ الصّلاة المكتوبة متعمّدا؛ ومن تركها متعمّدا برئت منه الذّمّةُ، ولا تشربَنَّ الخمرَ؛ فإنَّها مفتاح كلّ شرّ، وأطع والديك، وإن رأيت أنّك أنتَ، ولا تفرِر من الزّحف؛ وإن هلكتَ وفرّ أصحابُكَ، وأنفق من طَوْلكَ على أهلك، ولا ترْفعْ عَصَاكَ عن أهلك، وأَخِفْهم في الله ﷻ»**(٢).

٣. تجنب استعمال أواني الذهب والفضة في الأكل والشرب:

من آداب الأكل والشرب في منهج الإسلام التربوي: أن يجتنب المسلم الأكل والشرب بأواني الذهب والفضة، وتحريم استعمال هاتين الآنيتين، يدلّ الدلالة القاطعة على أن الدّين الإسلامي دين رحمة ومساواة بين المسلمين.

---

(١) شاهين، سيف الدين حسين، الآفات الثلاث: التدخين — المخدرات — الأمراض الجنسية، ص: ١٤٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يبرّ والديه ما لم يكن معصية، برقم: (١٨)، ص: ١٩. ابن ماجه، السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم: (٤٠٣٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: "وأجمع المسلمون على تحريم الأكل والشرب في إناء الذهب وإناء الفضة على الرجل وعلى المرأة".

وتحريم الأكل والشرب بهاتين الآنيتين له أهداف تربوية واضحة منها:

أ) الدعوة إلى عدم العُجب بالنفس، وترك الكبرياء والتعالي على الناس في كلّ شيء حتى في الأكل والشرب؛ لأن في ذلك كسر لخاطر الفقير والمسكين.

فالثري هو الذي يستطيع أن يتخذ مثل هذه الأواني في أكله وشربه، فالفقير الذي لا يكاد يتحصل على قوته، وقوت أولاده اليومي ينظر إلى ذلك الثري بأنه شخص فاقد الرحمة والإنسانية، فيضمر الفقير في نفسه أشدّ الكراهية والحقد لهذا الثري، يريد أن ينتقم منه في أية فرصة سانحة، وبذلك تتفكك العلاقات الاجتماعية، ولا تسود الأخوة الإسلامية التي ينشدها الإسلام في المجتمع.

ب) النهي عن الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[٢].

ومن المعروف أنّ كوباً من الذهب والفضة يساوي أضعافاً كثيرة لثمن كوب عادي من الصين أو الزجاج، فقد يستعمل هذا الغنيّ هذه الأكواب، بينما أهله، وأقاربه، وذووه وجيرانه في أشدّ الحاجة إلى لقمة العيش، ينامون هم وأولادهم طاوين من الجوع، يفترشون الغبراء، ويلتحفون السماء[٣]،

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤/٢٥٥.

(٢) سورة الإسراء الآية: (٢٦-٢٧)

(٣) عبد الله العبّادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية، ص: ٢٨٤-٢٨٥.

وفي هذه الحالة أين التكافل الاجتماعي الذي حث عليه الإسلام ودعا إلى تطبيقه في المجتمع؟.

ومن ذلك تدرك مدى حكمة الإسلام ومدى عدالته بين أفراد المجتمع، حينما حرّم استعمال هذه الأواني في الأكل والشرب، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: ((**أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المُقسِم، ونصر المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي. ونهانا عن خواتيم الذّهب، وعن آنية الفضّة**...)) الحديث[1].

٤. استحباب الاجتماع على الطعام:

وينبغي أن يتحرى المتربّي الأكل مجتمعا مع أهله وأصدقائه، ومشاركة الفقراء والمساكين وضعفاء المجتمع في طعامه، ويحذر من الأكل منفرداً؛ لأن من الآداب النبوية الاجتماعية، استحباب الاجتماع على الطعام، وأن الاجتماع على الأكل سبب لحصول البركة فيه، إلى جانب تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم، وكان النّبيّ ﷺ "لا يأنف من مؤاكلة أحد صغيرا كان أو كبيرا، حرّا أو عبدا، أعرابيّاً أو مهاجراً"[2]، وكان الصحابة حريصين على تطبيق هذا الأدب الاجتماعي، فعن أبي محذُورة ﷺ

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تشميت العاطس، رقم الحديث: (٩٢٤)، ص: ٩٢٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٣٩).

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير المعاد: ٣٦٩/٢.

قال: ((**كنت جالساً عند عمر - رضي الله عنه - إذ جاء صفوان بن أُميّة بِجَفْنَة، يحملها نفر في عباءة، فوضعوها بين يدي عمرَ، فدعا عمرُ ناساً مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله، فأكلوا معه، ثم قال عند ذلك. فعل الله بقوم . أو قال لحا الله قوما . يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم. فقال صفوان: أما، والله ما نرغب عنهم، ولكنّا نستأثر عليهم، لا نجد . والله . من الطعام الطيب ما نأكل ونُطعمهم**))[1].

وعن أبي بكر بن حفص رضي الله عنه: ((**أنّ عبد الله كان لا يأكل طعاماً إلاّ وعلى خِوانه يتيم**))[2].

٥. الأكل والشرب باليد اليمنى:

من الآداب الاجتماعية في الطعام أن لا يأكل أو يشرب المتربّي بشماله، وهذا الأدب النبوي يرجع إلى تقسيم أنواع الأعمال بين اليدين، فالأعمال الشريفة الحسنة لليد اليمنى، والأعمال المتصلة بالقذرات، وما أشبه ذلك فلليد اليسرى[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هل يُجلس خادمَه معه إذا أكل؟، برقم: (٢٠١)، ص: ٧٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٩٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً من أبويه، رقم الحديث: (١٣٦)، ص: ٥٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٧٥.

(٣) الميداني، عبد ارحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٢/٦٤٢-٦٤٣.

فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((**لا يأكلُ أحدكم بشماله، ولا يشربنّ بشماله؛ فإنّ الشيطان يأكلُ بشماله، ويشرب بشماله**)). **قال: كان نافع يزيد فيها: ((ولا يأخذ بها، ولا يُعطي بها))**[١].

قال النووي رحمه الله[٢]: "فيه استحباب الأكل والشرب باليمين، وكراهتهما بالشّمال، وقد زاد نافع الأخذ والإعطاء، وهذا إذا لم يكن عذر، فإن كان عذر يمنع من الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة أو غير ذلك فلا كراهة في الشمال".

فاليمين وما نُسِب إليها، وما اشتقّ منها محمود لسانا، وشرعا، ودنيا، وآخرة. والشمال على النقيض من ذلك، وإذا كان الأمر كذلك، "فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق، والسيرة الحسنة عند الفضلاء اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة، والأحوال النظيفة، وإن احتيج في شيء منها إلى الاستعانة بالشمال فبحكم التبعيّة. وأما إزالة الأقذار، والأمور الخسيسة فبالشّمال لما يناسبها من الحقارة، والاسترذال"[٣].

٦. ذكر الله تعالى عند الأكل والشرب:

من آداب الأكل والشرب في الإسلام: التسمية في ابتداء الأكل والشرب، وحمد الله تعالى بعدهما، والحكمة من الذكر عند الأكل والشرب حرمان الشيطان من مشاركة الآكل أو الشارب في طعامه أو شرابه،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يأخذ ولا يُعطي إلا باليمين، رقم الحديث: (١١٨٩)، ص: ٤٣٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم الحديث: (٥٢٣٣).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٣/١٩١.

(٣) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥/٢٩٦.

فعن جابر، ﵁ **أنّه سمع النّبيّ ﷺ يقول:** ((**إذا دخَل الرّجل بيته، فذَكَر الله ﷻ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشَاء، وإذا دَخَل فلم يذكر الله عند دخوله. قال الشيطان: أدركتم المَبيتَ، وإن لم يذكر الله عند طعامه. قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء**))[١].

٧. غسل اليدين بعد الأكل:

من آداب الأكل في الإسلام غسل اليدين بعد الأكل، وقد دلّ على ذلك حديث ابن عباس، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**مَن نام وبيده غَمَرٌ**[٢] **قبل أن يغسله فأصابه شيء، فلا يلومنّ إلا نفسه**))[٣].

وهذا الحديث دليل على استحباب غسل اليدين بعد الأكل، خصوصا إذا كان الأكل دسما، أما غسل اليدين قبل الأكل: فلم يرد فيه نص صريح، والعلماء مختلفون في حكمه هل هو مستحبّ شرعا أم لا؟ أما استحبابه عرفا ونظافة فلا خلاف فيه؛ لأن "الإسلام دين النظافة، وحرصه عليها واضح في كلّ تشريعاته، فإنّه حسب مبادئه هذه لا يرضى أن يأتي إنسان من قضاء حاجته، أو من الطريق المغبر، أو من عمل يدوي له أثر على يديه،

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا لم يذكر الله عند دخوله البيت يبيت فيه الشيطان، رقم الحديث: (١٠٩٦)، ص: ٣٩٨. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم الحديث: (٥٢٦٢).

(٢) الغَمَر بالتحريك : الدَّسَم والزُّهُومة من اللحْم كالوضَرِ من السَّمْن. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦٧٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من نام وبيده غَمَر، رقم الحديث: (١٢١٩)، ص: ٤٤٩. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٧٤.

ثم لا يُستحبّ له أن يغسل يديه قبل الطعام؛ خصوصاً إذا كان يأكل مع غيره ممن يستقذر هذه الحالة وينفر منها، وربّما ترك الطعام بسببها، فليفهم ذلك، والله أعلم"(١).

وقد ذهب بعض العلماء إلى مشروعية غسل اليدين قبل الطعام مطلقا، كما فعل الشيخ الألباني،(٢) مستدلاً بحديث عائشة رضي الله عنها ((**كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب توضّأ، وإذا أراد أن يأكلَ غسل يديه**))(٣).

هذه هي بعض الآداب الاجتماعية التي أوردها البخاري في كتاب "الأدب المفرد"، وهناك آداب أخرى ذكرها في كتابه "الجامع الصحيح" فأغنى عن إعادتها هنا، وإتماما للفائدة يمكن سردها على النحو التالي:

١. أن لا يأكل متكئا.

٢. أن يأكل مما يليه.

٣. ألا يعيب طعاما أو يحتقره.

٤. أن لا يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه. ويستحبّ له أن يتنفس في الشرب ثلاثا.

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣٣٦.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة: ١/٦٧٤.

(٣) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الطهارة، باب وضوء الجنب إذا أراد أن يأكل، رقم الحديث: (٢٥٦). وابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان: (٤/٢٠). والدار قطني، علي بن عمر، سنن الدار قطني: (١/١٢٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي: (١/٨٨).

٥. ويكره له الشرب من فم القربة أو السقاء.

يجب أن يحرص الآباء والمربّون على تنشئة وتربية المتربين على هذه الآداب الاجتماعية النبوية المتعلقة بالأكل والشرب لينشأوا نشأة اجتماعية سوية تمكنهم من الاندماج في المجتمع والتكيف معه.

المطلب الرابع: آداب اللباس والزينة.

اللباس من نعم الله تعالى التي خصّ بها الإنسان من بين المخلوقات ليتقي بها العوامل الطبيعية من حر وبرد وشمس ومطر.. وليستر بها عورته ويواري سوأته، ويحفظ كرامته، ويتجمل بها في حياته.. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾[1].

والإسلام دين الجمال والنظافة، ولذا أباح للمسلم الظهور بالمظهر الطيب الجميل في ملبسه ومسكنه وهندامه أمام الآخرين؛ ولذلك خلق الله سبحانه الزينة وكل ما تحصل به المتعة من لباس ورياش، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشًا ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[3].

ويمكن تلخيص الآداب الاجتماعية المتعلقة باللباس والزينة في الآتي:

١. إظهار نعمة الله في الملبس والزينة، مع التوسط والاعتدال والبعد عن الإسراف والمخيلة:

من آداب اللباس والزينة في الإسلام أن يُظهر المسلم أثر نعمة الله عليه بلبس الجميل من الثياب في غير إسراف ولا مخيلة، ولا يشدّد على نفسه،

---

(١) سورة النحل الآية: (٨١).

(٢) سورة الأعراف الآية: (٢٦).

(٣) سورة الأعراف الآية: (٣١).

أو يبخل بماله، بل يلبس الجديد والجميل والنظيف من الثياب إظهارا لنعمة الله عليه، والمنهج التربوي في الإسلام يدعو إلى التوازن في الملبس دون إفراط ولا تفريط، "فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهّداً وتعبّداً، بإزائهم طائفة قابلوهم، فلا يلبسون إلا أشرف الثياب، ولا يأكلون إلا ألين الطعام، فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبّراً وتجبّراً، وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النّبيّ ﷺ. ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب: العالي، والمنخفض"[(١)]، والزهد الذي يصل إلى حدّ الرهبنة سلوك ممقوت في المنهج التربوي الإسلامي، فعن أبي خلدة رضي الله عنه قال: **جاءَ عبدُ الكريم أبو أمية إلى أبي العالية، وعليه ثياب صوف، فقال أبو العالية: «إنَّما هذه ثياب الرهبان، إنْ كان المسلمون إذا تزاوروا تجمَّلوا»**[(٢)]. ولبس الرفيع من الثياب يذمّ إذا كان تكبّراً وفخرا وخيلاء، ويُحمد إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله، ولا يعدّ من الكبر المذموم، فعن أبي هريرة؛ **أنّ رجلاً أتى النَّبيّ ﷺ وكان جميلا فقال: حُبِّب إليّ الجمال، وأُعطيتُ ما ترى! حتّى ما أحبّ أن يفوقني أحدٌ، إمّا قال: بشراك[(٣)] نعل. وإمّا قال: بشِسع[(٤)] أحمر. الكِبر ذاك؟ قال: «لا؛**

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد: ١/١٤٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من زار قوما فطعم عندهم، رقم الحديث: (٣٤٨)، ص: ١٢٣. وقال الألباني: صحيح مقطوع. صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٠.

(٣) شِرَاكُ النعل: سيرها الذي على ظهر القدم. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٢٥٦.

(٤) الشِّسْعُ واحد شُسُوعِ النعل: الذي تُشدُّ إلى زمامها. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٣٠١.

ولكن الكِبْر مَنْ بَطَر الحقّ[١]، وغَمِط النَّاس[٢]»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: "والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضراً لها شاكراً عليها غير محتقر لمن ليس له مثله لا يضرّه ما لَبِس من المباحات، ولو كان في غاية النفاسة".

٢. اجتناب المحرم من اللباس والزينة و المظهر:

إن الإسلام قد شرع للمسلم أن يظهر أمام الآخرين بمظهر جميل و امتن الله عليه بأنه خلق له كل ما يتمتع به من زينة و لباس و ريش -كما سبق- و لكن الإسلام حرم أنواعا من الزينة و اللباس و المظهر لحكم عظيمة. ومن تلك المحرمات:

١) تحريم الذهب و الحرير على الرجال:

فعن البراء بن عازب قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسِم،

---

(١) بطر الحق أي: التكبر عن الحق وعدم قبوله. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨١.

(٢) غمط الناس أي: احتقارهم، والطعن فيهم، والاستخفاف بهم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٦٧٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٦)، ص: ١٩١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: (٤٠٩٢). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: (١٩٩٩). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص:٢٠٩.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٣٢٠/١٠.

ونصر المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي. ونهانا عن خواتيم الذّهب، وعن آنية الفضّة، وعن المياثر،[١] والقَسيّة،[٢] والاستبرق[٣]، والديباج[٤]، والحرير»[٥].

وعن ابن عمر قال: **رأى عمر** - رضي الله عنه - **حُلَّة سِيَراء تُباع، فقال: يا رسول الله ابْتَعْ هذه فالبسْها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوُفوُد. قال: «إنّما يلبس هذا من لا خَلاقَ له». فأُتِي النبيُّ منها بحُلَلٍ، فأرسل إلى عمرَ بحُلَّة، فقال: كيف ألبسها وقد قلتَ فيها ما قلتَ؟ قال: إنّي لم أُعْطِكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسُوها». فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة، قبل أن يُسلِم**[٦].

---

(١) المياثر: هي وطاء محشوّ يوضع على رحل البعير تحت الراكب، وهي من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج. ابن الأثير، المبارك ابن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٩٥٨.

(٢) القسيّة: وهي بفتح القاف ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر، نسبت إلى قرية على شاطئ البحر، يقال لها: (قس). ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٧٥١.

(٣) وهو ما غَلُظ من الحرير). ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣٧.

(٤» وهو الثِّيابُ المتَّخذة من الإبْرِيسَم فارسي مُعرَّبٌ وقد تفتح دالُه ويُجْمَع على دَيابيج ودَبابيج بالياء والباء لأن أصله دبَّاج). ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٢٩٥.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تشميت العاطس، رقم الحديث: (٩٢٤)، ص: ٩٢٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٣٩).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة ذي الرحم المشرك والهديّة، برقم: (٧١)، ص: ٣٨. البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، برقم: (٥٩٨١). مسلم، الصحيح، كتاب اللباس، باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال، برقم: (٥٣٦٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السّهمي: ﷺ **أن رجلا أتى النَّبيّ ﷺ وفي يده خاتم من ذهب، فأعرض النّبيّ ﷺ عنه، فلمّا رأى الرّجلُ كراهيّته ذَهَب فألقى الخاتم، وأخَذَ خاتماً من حديد فلبسَه، وأتى النّبيّ ﷺ قال:** «هذا شرّ؛ هذا حِلْية أهل النَّار». **فرجع، فطَرَحَه، ولَبس خاتَماً من وَرِق، فسكتَ عنه النَّبيُّ ﷺ**[١].

والمقصد التربوي من تحريم الذهب والحرير على الرجال هي ما فيهما من التخنث الذي لا يليق بشهامة الرجال، ومحاربة الترف الذي يؤدي إلى الانحلال، وقطع دابر التفاخر والخيلاء من نفسية الإنسان، والحفاظ على القوة، وترك مشابهة الكفار[٢]. وأما النساء فقد استثنين من ذلك، مراعاة لأنوثتهن وتلبية لفطرتهن في حب الزينة وتشويقا للزوج حين يراها في أبهى منظر وأجمل هيئة، ولأن النعومة والليونة لائقة بالبنت لتعطيها طابع الأنوثة والرقة، وتشبع حاجاتها إلى الزينة والجمال[٣].

وإذا تبيّن أن من مقصد تحريم الذهب والحرير على الرجال: التشبّه بالنساء، فعلى المربين أن يوضحوا للمتربين منذ صغرهم بأن تشبّه أحد الجنسين بالآخر انحراف عن الفطرة، ودليل على عقلية فاسدة، وأن هذا داء

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من ترك السلام على المتخلق وأصحاب المعاصي، رقم الحديث: (١٠٢١)، ص:٣٦٧. والنسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الزينة، باب لبس خاتم صفر، رقم الحديث: (٥٢٠٩)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص:٣٩٠.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٣٢٠/١٠.

(٣) الجهني، حنان عطية الطوري، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة: ٢١٧/١.

عضال انتقل إلى المسلمين نتيجة الاحتكاك بالغرب، ومحاكاته وتقليده، حتى أصبح الذكر كالأنثى والأنثى كالذكر، في الزيّ، واللباس، والمشية، والكلام...ونحو ذلك، وأنّ هذا أمر مستقبح يأباه الشرع، وتنفر منه العقول السليمة،(١) ولذا لا يجوز تشبّه الرجال بالنّساء، ولا تشبّه النساء بالرجال، والتشبّه قد يكون في اللباس أو الزينة أو المظهر، فمتى تعاطى الرجل ما هو من خصائص النساء في لباسهنّ أو زينتهنّ فقد دخل في المحذور، ومتى تعاطت المرأة ما هو من خصائص الرجال في لباسهم أو زينتهم فقد دخلت في الممنوع(٢)، ومن التشبّه بالنساء في الزينة التزين بزينة خاصة بهن، مثل التخلّق بالخلوق، فعن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: **مرّ النَّبيّ ﷺ على قوم فيهم رجلٌ متخلق بخَلوق فنظر إليهم، وسلَّم عليهم، وأعرض عن الرّجل، فقال: الرّجلُ: أعرضتَ عنِّي!؟ قال: ((بين عينيه جَمْرَة))**(٣).

والخلوق: طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقد ورد الخبر تارة بإباحته وتارة بالنهي عنه،

---

(١) عبد الله صالح الفوزان، زينة المرأة المسلمة، ص: ٣٧.

(٢) وينبغي التنبيه إلى أن هيئة اللباس تختلف باختلاف عادة كلّ بلد، فربّ قوم لا يفترق زيّ نسائهم عن رجالهم في اللبس، لكن تمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار. ذكره ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٤٠٩/١٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من ترك السلام على المتخلق وأصحاب المعاصي، رقم الحديث: (١٠٢٠)، ص: ٣٦٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٩.

والنهي أكثر وأثبت، وإنما نهي عنه؛ لأنه من طيب النساء، وكنّ أكثر استعمالاً له منهم. والظاهر أن أحاديث النهي ناسخة[١].

٢) تحريم جرّ الثوب خيلاء:

ورد نص صريح عن النّبيّ ﷺ ينهى الرجال عن جرّ الثوب ترفعا وتكبّرا على عباد الله، فعن سُليم بن جابر الهُجيمي رضي الله عنه قال: **أتيتُ النَّبيّ ﷺ وهو مُحْتبٍ في بُردة، وإنَّ هُدَّابها[٢] لعلى قدميه. فقلتُ: يا رسول الله! أوصني. قال: «عليك باتقاء الله، ولا تحقِرَنّ من المعروف شيئا، ولو أن تُفرِغ للمُستَسْقي من دَلْوك في إنائه، أو تكلّم أخاك ووجهُك مُنبسط. وإيَّاك وإسبال الإزار، فإنَّها من المخيلة، ولا يُحبّها الله...»** الحديث[٣].

والمقصد التربوي من تحريم جرّ الثوب واضح من نص الحديث؛ لأنّه دليل على التكبر والترفع على الناس، والتكبر داء اجتماعي خطير يؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وهو صفة من صفات الله عز وجل، وهي صفة كمال له سبحانه، ولا ينبغي لمخلوق أن يتصف بهذه الصفة،

---

(١) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٢٨٢.

(٢) هدب الثوب، وهدبته، وهدابه: طرف الثوب مما يلي طرّته. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ١٠٠٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاحتباء، رقم الحديث: (١١٨٢)، ص: ٤٣١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم الحديث: (٤٠٨٤). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٦٠.

فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**العِزّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما، عذّبتُه**»(١).

٣) تحريم ارتداء الملابس التي تكشف العورة:

من اللباس المحرم في الإسلام اللِّبْسات التي تنكشف بها العورة، فستر العورة من الآداب العظيمة التي أمر بها الإسلام، بل نُهي الرجال والنساء عن النظر إلى عورات بعضهم لما يترتب عليه من المفاسد، والشريعة جاءت بسدّ كلّ باب يفضي إلى الشرّ.

ومن هذه اللِّبسات التي تكشف العورة والتي ورد النهي عنها: اشتمال الصمّاء، والاحتباء بثوب وهو جالس، فعن أبي سعيد الخدري قال: **نهى رسول الله ﷺ عن لِبْسَتين، وبَيْعتين: نهى عن الملامسة والمنابذة في البيع – الملامسة: يمسّ الرّجلُ ثوبه. والمنابذة: ينبذ الآخر إليه ثوبه – ويكون ذلك بيعهم من غير نظر. واللِبْسَتين اشتمال الصَّمَّاء – والصَّمَّاء: أن يَجعلَ طرف ثوبه على إحدى عاتِقيه، فيبدو أحدُ شِقّيه ليس عليه شيء – واللِّبْسَة الأخرى احتباؤه بثوبه وهو جالس، ليس على فرجه منه شيء**»(٢).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٢)، ص: ١٨٩. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، رقم الحديث: (٦٦٨٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاحتباء في الثوب، رقم الحديث: (١١٧٥)، ص: ٤٢٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب اللباس، باب اشتمال الصماء، رقم الحديث: (٥٨٢٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البيوع، باب إبطال الملامسة والمنابذة، رقم الحديث: (٣٨٠٦).

وعلة تحريم اللبستين هي انكشاف عورة لا بسهما؛ لأنّ اشتمال الصمّاء هو: أن يلتحف بالثوب ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فيصير فرجه باديا.

أما احتباؤه بثوبه فهو: أن يضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها فربّما تحرّك أو زال فتبدو عورته.»[١]

٣. خصال الفطرة:

ينبغي على المربين أن يحرصوا على تعويد المتربي ما يناسبه من خصال الفطرة، ويوضحوا له بأن الإسلام دين النظافة والجمال، وأنّه اعتنى بطهارة ونظافة جميع نواحي الجسم، ومما يدلّ على ذلك ما ورد في خصال الفطرة، فعن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ **قال: «الفِطْرَة خمسٌ: الختانُ، والاستِحْدادُ، ونَتْف الإبطِ، وقَصُّ الشَّارِبِ، وتَقْلِيمُ الأَظفَار»**[٢].

فالعناية بهذه الخصال الخمس يعطي الإنسان النظافة والجمال، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي[٣]:

١) **الختان** لما فيه من: الطهارة، والنظافة، والتزيّن، وتحسين الخلقة.

---

(١) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٢/٥٨٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نتف الإبط، رقم الحديث: (١٢٩٢)، ص: ٤٧٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم الحديث: (٥٨٨٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث: (٥٩٧ - ٥٩٨)

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ٣١٢. والجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد: ٢/٦٥٤-٦٥٩.

٢) **الاستحداد**: وهو حلق العانة بالحديد، والعانة: الشعر الذي فوق فرج الرجل والمرأة.

٣) **نتف الإبط**: والحكمة في نتفه أنَّه محلّ للرائحة الكريهة وإنّما ينشأ ذلك من الوسخ الذي يجتمع بالعَرَق فيه فيتلبّد ويهيج، فشرع فيه النتف الذي يُضعفُه فتخفّ الرائحة به، بخلاف الحلق فإنَّه يقوّي الشّعر ويُهَيِّجه، فتكثر الرائحة لذلك.

٤) **قصّ الشارب**: أن يأخذ ما طال على الشفة العليا، والحكمة في مشروعيته هي مخالفة المجوس والأمن على التشويش على الآكل ولا يجتمع فيه الوسخ.

٥) **تقليم الأظفار**: هو إزالة ما يزيد من الأظفار على ما يلابس رؤوس الأصابع؛ لأن الوسَخ يجتمع فيه فيتقذر، وقد ينتهي إلى حدّ يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة، ويستحبّ الاستيفاء في إزالتها بحيث لا يحصل الضرر على الإصبع.

ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية عُرفَتْ بالتتبع، منها: تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكفّ ما يتأذّى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفّار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان وغيرهم، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[1] لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنّه قيل قد حسنت صوركم فلا تشوّهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمرّ به حسنها،

---

(١) سورة التغابن الآية: (٣).

وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، وعلى التآلف والتكيّف الاجتماعي المطلوب؛ لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه، والعكس بالعكس[(١)].

هذه هي آداب اللباس والزينة الاجتماعية كما وردت في كتاب "الأدب المفرد"، وينبغي أن يحرص المربّون في تنشئة الأطفال عليها، لما للمظهر من أثر كبير في التكيف الاجتماعي للفرد واندماجه في المجتمع.

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٤١٧/١٠.

المطلب الخامس: آداب النوم.

إن النوم ضروري لجسم الإنسان وعقله، وهو من آيات الله ﷻ التي امتن بها على عباده، لما فيه من فوائد جمّة صحية وعقلية... قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[1].

وللنوم آداب ينبغي مراعاتها وتأديب الناشئة عليها ومن هذه الآداب:

١. إطفاء المصابيح والنيران وإغلاق الأبواب وتغطية الأواني قبل النوم:

ولحرص الإسلام على تحقيق الأمن للفرد والمجتمع فقد وضع هذه الآداب لحماية البيوت من الكوارث أو الجرائم أو الأمراض التي قد تصيب أهل البيت جرّاء إهمال آداب السلامة التي وردت في هذا التوجيه النبوي، فعن جابر بن عبد الله؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أغلقوا الأبوابَ، وأَوْكوا السِّقاء[2]، وأكفئوا الإناء[3]، وخَمِّروا الإناء[4]، وأطفئوا المصباح، فإنّ الشيطان لا يفتح غَلَقاً، ولا يحلّ وِكاءً، ولا يكشف إناءً،**

---

(١) سورة الروم الآية: (٢٣).

(٢) الوِكاءُ الخَيْط الذي تُشَدُّ به الصُّرَّة والكِيسُ وغيرهما... أي: شُدُّوا رُؤوسَها بالوِكاء لِئلا يَدْخُلَها حيوانٌ أويَسْقُطَ فيها شَيء. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٨٨.

(٣) من كَفأتُ القِدْر إذا كَبَبْتَها لِتُفْرِغ ما فيها. يقال: كَفأت الإناء وأكْفأتُه إذا كَبَبْتَه وإذا أمَلْته. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٨٠٥.

(٤) التَّخْمير: التَّغْطِية. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٢٨٤.

وإنّ الفُوَيسِقة[١] **تضرم على النَّاس بيتهم**»[٢].

وعن سالم، عن أبيه، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**لا تتركوا النَّار في بيوتكم حين تنامون**»[٣].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: **احتَرَق بالمدينة بيتٌ على أهله من الليل، فحُدِّث بذلك النَّبيُّ ﷺ فقال:** «**إنَّ هذه النَّارَ عدوٌّ لكم؛ فإذا نِمتُم فأطفئوها عليكم**»[٤].

---

(١) الفويسقة: الفأرة، وهي تصغير فاسِقة لخروجها من جُحْرها على الناس وإفسادِها. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٧٠٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إطفاء المصباح، رقم الحديث: (١٢٢١)، ص: ٤٤٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب بدئ الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وخمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، رقم الحديث: (٣٣١٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب استحباب تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: (٥٢٤٦).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تُترك النار في البيت حين ينامون، رقم الحديث: (١٢٢٤)، ص: ٤٥٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، بابٌ: لا تترك النار في البيت عند النوم، رقم الحديث: (٦٢٩٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب استحباب تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: (٥٢٥٧).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تُترك النار في البيت حين ينامون، رقم الحديث: (١٢٢٧)، ص: ٤٥١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، بابٌ: لا تترك النار في البيت عند النوم، رقم الحديث: (٦٢٩٤)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب استحباب تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: (٥٢٥٨).

والحكمة من إطفاء النيران والمصابيح قبل النوم هي: الخوف من انتشار النار واشتعالها على أهل البيت، ويستنبط من هذه الأحاديث أن الواحد إذا بات ببيت ليس فيه غيره، وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه أو يفعل بها ما يؤمن معه الاحتراق، وكذا إن كان في البيت جماعة فإنّه يتعين على بعضهم وأحقّهم بذلك آخرهم نوما، فمن فرّط في ذلك كان للسنّة مخالفا، ولأدائها تاركا.

ويدخل في الأمر بإطفاء النار قبل النوم في زماننا تعهد الأجهزة الكهربائية والغازية وغيرها من الأجهزة والأدوات التي قد يسبب إهمالُها خطراً على أهل البيت أثناء نومهم.

وإذا أُمِن من نشوب الحريق واتّخذت التدابير اللازمة لمنع حدوثه، فلا بأس بترك النار والمصباح دون إطفاء عند الحاجة؛ وذلك لانتفاء العلة، وإذا انتفت العلة زال المنع[١].

وأما الأمر بإغلاق الأبواب؛ فلما فيه من المصالح الدينية والدنيوية؛ كحراسة الأنفس والأموال من أهل العبث والفساد، ولاسيما الشياطين[٢].

وأما الأمر بتغطية الأواني فقد ذكر العلماء له فوائد منها[٣]:

١) الصيانة من الشيطان؛ فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحلّ سقاء.

٢) الصيانة من الوباء الذي ينزل في ليلة من السَنَة.

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٨٨/١٣.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠٤/١١.

(٣) النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق: ١٨٥/١٣.

٣) الصيانة من النجاسة والمقذرات.

٤) الصيانة من الحشرات والهوام؛ فربّما وقع شيء منها فيه فيشربه وهو غافل، أو في الليل فيتضرر به.

٢. نفض الفراش قبل الاضطجاع عليه:

من آداب النوم في السنة النبوية أن ينفض المسلم فراشه قبل أن ينام عليه اتباعا لهدي النّبيّ ﷺ؛ لما رواه أبو هريرة قال: قال النبيﷺ: ((**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه و ليسم الله، فانه لا يعلم ما خلَّفه بعده على فراشه...**)) الحديث[١].

والحكمة من هذا الأدب واضح في قوله ﷺ: ((فإنه لا يدري ما خلّفه بعده)) يعني: لا يدري ما حصل في فراشه بعد خروجه منه حتى عوده إليه، من قذر وهوام مؤذية...[٢].

٣. النوم على الشق الأيمن. ووضع الخد على اليد اليمنى، وعدم النوم على البطن:

من آداب النوم في السنّة النبوية أن ينام المسلم على شقّه الأيمن؛

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا قام من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه، رقم الحديث: (١٢١٧)، ص: ٤٤٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن يونس، رقم الحديث: (٦٣٢٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعاء عند النوم، رقم الحديث: (٦٨٩٢).

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٣٠٩/١.

لما روى أبو هريرة قال: قال النبي ﷺ: ((**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه و ليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلَّفه بعده على فراشه، وليضطجع على شقه الأيمن...**)) الحديث[(١)].

أما وضع الخد على اليد اليمنى؛ فقد دل عليه حديث البراء بن عازب قال: **كان النَّبيّ ﷺ إذا أراد أن ينام وَضَع يده تحت خدّه الأيمن**... الحديث[(٢)].

أما النوم على البطن فقد نُهي عنه في حديث ابن طِخْفة الغِفاري رضي الله عنه؛ **أنّ أباه أخبره أنّه كان من أصحاب الصّفّة، قال: بينما أنا نائم في المسجد من آخر الليل، أتاني آتٍ وأنا نائم على بطني، فحَرَّكني برِجله فقال: ((قم؛ هذه ضَجْعَة يُبْغضها الله)). فرفعْتُ رَأسي، فإذا النَّبيّ ﷺ قائم على رأسي**))[(٣)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا قام من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه، رقم الحديث: (١٢١٧)، ص: ٤٤٨. سبق تخريجه.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يضع يده تحت خده، رقم الحديث: (١٢١٥)، ص: ٤٤٦. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، بابٌ منه حدثنا ابن أبي عمر، رقم الحديث: (٣٣٩٨)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، رقم الحديث: (٣٨٧٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٧٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الضجعة على وجهه، رقم الحديث: (١١٨٧)، ص: ٤٣٤. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الرجل ينبطح على بطنه، رقم الحديث: (٥٠٤٠)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضطجاع على الوجه (٣٧٢٣). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٦٢.

ويذكر الأطباء أنه إذا نام الإنسان على الجنب أو على الظهر فهو مهيأ لذلك؛ لوجود العمود الفقري والأضلاع والعضلات، أما النوم على البطن؛ فإنه يؤدي إلى مشكلات معويّة ورئوية وقلبية مختلفة، وقد لا تظهر مباشرة ولكن مع طول المدّة، والتعود على هذا الأمر تحصل معه هذه الاضطرابات[١].

٤. النهي عن النوم على سطح ليس عليه حجاب:

ومن آداب النوم في السنّة النبوية أن لا ينام على سطح لا حجاب عليه، فعن عبد الرحمن بن عليّ، عن أبيه ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ بات على ظهر بَيْتٍ ليس عليه حِجاب[٢] فقد برئتْ منه الذِّمّة**»[٣].

وهذا الأدب النبوي يدخل في باب مراعاة الأسباب العادية لجلب ما ينفع ودفع ما يضرّ، فمن بات على سطح لا حجاب عليه فقد قصر في مراعاة الأسباب العادية لاجتناب الضرر، فإنّ النائم قد ينقلب في نومه وقد يقوم ولا يزال أثر النوم عليه فيسعى إلى غير الطريق فيسقط،

---

(١) الشريف، عمر، حق النائم على المستيقظ وأربعون نصيحة قبل النوم، ص: ١٢.

(٢) ما يحجزه من حائط ونحوه. "والأصل في (الحِجَابِ) جسم حائل بين جسدين، وقد استعمل في المعاني فقيل (العَجْزُ حِجَابٌ) بين الإنسان ومراده، و(المَعْصِيَةُ حِجَابٌ) بين العبد وربه وجمع (الحِجَابِ) (حُجُبٌ) مثل كتاب وكتب". الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: (١٠٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من بات على سطح ليس عليه سُترة، رقم الحديث: (١١٩٢)، ص: ٤٣٥. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في النوم على سطح غير محجر، رقم الحديث: (٥٠٤١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٦٤.

و"لكل من الناس عهد من الله تعالى بالحفظ والكلاءة، وإذا نام على تلك الهيئة انقطع العهد فيزيل عصمة نفسه، وصار كالمهدر الذي لا ذمّة له، فربما انقلب في نومه فسقط فمات هدرا، من غير تأهب للموت فلا يؤاخذ أحد بدمه، وإن لم يمت فلا أقل من أن يصطدم فيجرح نفسه فيتأ لم ويجرّ الناس إلى الخدمة"[١].

٥. العناية بالنظافة قبل النوم:

من آداب النوم في الإسلام أن لا ينام و بيده دسم من دهن و غيره: فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: ((**من نام و بيده غَمَر قبل أن يغسله فأصابه شيء فلا يلومَنّ إلا نفسه**))[٢].

٦. النوم مبكرا:

يحث الإسلام على النوم مبكرا، وعلى عدم السهر إلا لحاجة، وما ذلك إلا لحكم جليلة وأهداف نبيلة، منها قيام آخر الليل والصلاة في المسجد جماعة والسعي للرزق بعد صلاة الفجر... فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إيَّاكم والسّمَرُ**[٣] **بعد هدوء الليل**[٤]؛

---

(١) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٦٠١/٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من نام وبيده غَمَر، رقم الحديث: (١٢١٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٧٤.

(٣) السمر بفتح الميم من المسامرة: وهو الحديث بالليل، وأصل السمر: لون ضوء القمر، لأنّهم كانوا يتحدّثون فيه. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤٤٤.

(٤) الهدأة والهدوء: السكون عن الحركات، أي: بعد ما يسكن الناس عن المشي والاختلاف في الطرق. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ١٠٠١.

فإنّ أحدكم لا يدري ما يبث الله من خلقه...» الحديث[1].

٧. قراءة شيء من القرآن قبل النوم:

من هدي المصطفى ﷺ أنه كان يقرأ شيئا من القرآن قبل النوم، فعن جابر قال: «**كان رسولُ الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ:** ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾[2] و: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[3]»[4].

قال أبو الزبير ﷺ: «**فهما يَفْضُلان كلّ سورة في القرآن بسبعين حَسَنَة، وَمَنْ قرأهما كُتِب له بها سبعون حَسَنّة، ورُفِع بهما له سبعون درجة، وحُطّ بهما عنه سبعون خَطيئة**»[5].

٨. قراءة بعض الأدعية والأذكار قبل النوم وبعده:

يهدف الإسلام في تشريعاته إلى تكوين إنسان متوازن في جميع نواحيه النفسية والروحية و المادية، وقد خص جانب طمأنينة النفس الإنسانية بقدر كبير

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب غلق الباب بالليل، رقم الحديث: (١٢٣٠)، ص: ٤٥٢. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٧٧.

(٢) سورة السجدة الآية: (١- ٢).

(٣) سورة الملك الآية: (١)

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أوى إلى فراشه، رقم الحديث: (١٢٠٧)، ص: ٤٤٣. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، رقم الحديث: (٢٨٩٢)، وقال الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح لغيره، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٦٨.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ص: ٤٤٣. وقال الألباني: صحيح من قول أبي الزبير، فهو مقطوع موقوف. صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٦٨.

من التشريعات المتمثلة في الأذكار المتعلقة بجميع أنشطة المسلم و ممارساته اليومية والحياتية، ذلك أن انشغال الفكر بالهموم المادية والمعنوية، وتشتت العقل تحت تأثير القلق من المستقبل ومن مختلف أحداث الحياة، كل هذه الوساوس والأفكار تعصف بالإنسان وتجعله تحت ضغط نفسي كبير يحد من نشاطه و يقلل من فعاليته في مواجهة مشكلاته.

لذا اهتم الإسلام بالإعداد النفسي للإنسان بأن شرع للمسلم جملة من الأذكار التي تربطه بالله تعالى وتحقق دافعا معنويا ونفسيا قويا للملتزم بها، ومنها أذكار النوم والاستيقاظ، فعن جابر قال: «**إذا دخل الرّجلُ بيته أو أوى إلى فراشه ابتَدَره مَلَك وشيطان، فقال المَلَك: اختِم بخير، وقال الشيطان: اخْتم بشرّ؛ فإن حَمِد الله وذَكَره، أطَرَده، وبات يكْلَؤه**[١]**، فإذا استيقظ ابتدره مَلَك وشيطانٌ فقالا: مثله، فإن ذكر الله وقال: الحمد لله الذي** ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٢]، **الحمد لله الذي** ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ﴾ **إلى:** ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، **فإن مات مات شهيدا، وإن قام فصلّى صلّى في فضائل**»[٤].

---

(١) الكِلاءة: الحِفْظُ والحِراسة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨١٠.

(٢) سورة فاطر الآية: (٤١).

(٣) سورة الحج الآية: (٦٥).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء عند النوم، رقم الحديث: (١٢١٤)، ص: ٤٤٥، قال الألباني: ضعيف الإسناد موقوفا، ضعيف الأدب المفرد، ص: ١٠٦.

وعندما يلتزم المتربّي بهذه الأذكار، ويعمل بكل التوجيهات النبوية الواردة فيها؛ فإنه يجد في نفسه لذة الطاعة، وراحة النفس إضافة إلى الثواب الجزيل من الله تعالى، و فوق ذلك كله قوة الارتباط بالله تعالى.

ومن الأدعية الواردة قبل النوم وبعده ما يلي:

أ- ما رواه حذيفة ﷺ قال: **كان النّبيّ ﷺ إذا أراد أن ينام قال:** «**باسمك اللهم أموت وأحيا**». **وإذا استيقظ مِن منامه، قال:** «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[١].

ب- ما رواه أبو هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله، فانه لا يعلم ما خلَّفه بعده على فراشه، وليضطجع على شِقه الأيمن، وليقل: باسمك وضَعْتُ جنبي فإن احتَبستَ نفسي فارْحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين**». **أو قال:** «**عبادك الصالحين**»[٢].

ج- ما رواه البراء بن عازب قال: **كان النَّبيّ ﷺ إذا أراد أن ينام وَضَع يده تحت خدّه الأيمن، ويقول:** «**اللهمّ قِنِي عذابك يوم تبعث عبادك**»[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أوى إلى فراشه، رقم الحديث: (١٢٠٥)، ص: ٤٤٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم الحديث: (٦٣١٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا قام من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه، رقم الحديث: (١٢١٧)، ص: ٤٤٨. سبق تخريجه.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يضع يده تحت خده، رقم الحديث: (١٢١٥)، ص: ٤٤٦. سبق تخريجه.

ومن الأذكار:

أ- ما رواه أنس قال: **كان النَّبيّ ﷺ إذا أوى إلى فراشه، قال:** ((**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، كم من لا كاف له ولا مؤوي!**))[1].

ب- ما رواه البراء بن عازب قال: **كان رسول الله ﷺ، إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن، ثم قال:** ((**اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة و رهبة إليك، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**)). **قال رسول الله ﷺ:** ((**من قالهن ثم مات تحت ليلته مات على الفطرة**))[2].

ج- ما رواه أبو هريرة قال: **كان رسول الله ﷺ يقول: إذا أوى إلى فراشه:** ((**اللّهمّ ربّ السموات والأرض، وربّ كلّ شيء، فالقّ الحبّ والنّوى، مُنزل التّوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك مِن شرّ ذي شرّ أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنتَ الآخِرُ فليس بعدك شيء،**

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أوى إلى فراشه، رقم الحديث: (١٢٠٦)، ص: ٤٤٣ . مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعاء عند النوم، رقم الحديث: (٦٨٩٤).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء عند النوم، رقم الحديث: (١٢١٣)، ص: ٤٤٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، رقم الحديث: (٢٤٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعاء عند النوم، رقم الحديث: (٦٨٨٢).

وأنْتَ الظَّاهر فليس فوقك شيء، وأنتَ الباطن فليس دونك شيء، اقْضِ عَني الدّين، وأغنني من الفقر»[١].

د- ما رواه عبد الله بن عمرو، عن النبيّ ﷺ قال: «**خَلَّتان**[٢] **لا يحصيهما رجلٌ مسلم إلا دخل الجنّة، وهما يسير ومَن يعمل بهما قليل». قيل: وما هما يا رسول الله؟ قال: «يُكبّر أحدُكم في دُبُر كلّ صلاة عشرا، ويَحْمَد عشرا، فتلكَ خَمْسون ومائة على اللسان، وألف وخمسمائة في الميزان». فرأيتُ النبي ﷺ يعدّهنّ بيده. «وإذا أوى إلى فراشه سبَّحَه وحَمِده وكَبَّره، فتلك مائة على اللسان، وألف في الميزان، فأيّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سَيِّئة؟». قيل: يا رسول الله! كيف لا يُحْصيهما؟ قال: «يأتي أحدَكم الشّيطان في صلاته، فيذكرُه حاجة كذا وكذا، فلا يَذكره»**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا أوى إلى فراشه، رقم الحديث: (١٢١٢)، ص: ٤٤٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعاء عند النوم، رقم الحديث: (٦٨٨٩).

(٢) الخَلَّةُ بالفتح: الخصلة وهي أيضا الحاجة. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ١٧٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب...، رقم الحديث: (١٢١٦)، ص: ٤٤٦. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم، رقم الحديث: (٥٠٦٥)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، بابٌ منه حدّثنا أحمد بن منيع، رقم الحديث: (٣٤١٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٧٢.

هذه هي آداب النوم كما وردت في كتاب "الأدب المفرد" ينبغي أن يُعرف ويُدرب عليها المتربون، لاسيما الصغار منهم حتى يتعودوا عليها، وتصبح بعد ذلك سجيّة لهم، لما فيها من الفوائد الصحية والجسمية والاجتماعية...وغيرها.

المطلب السادس: آداب الزيارة.

زيارة المسلم لأخيه المسلم من الواجبات الاجتماعية التي يجب أن يحرص عليها المتربي، والإسلام دين تجمّع وألفة، فالاختلاط بالناس والتعارف بينهم من تعاليمه الأساسية، وقد فضل الرسول ﷺ المسلم الذي يخالط الناس على ذلك الذي يهجرهم وينأى عنهم، فعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبِرُ على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبرُ على أذاهم**»[1]، وكيف يكون الإحسان للجيران والأقارب إلا بمواصلتهم ومعرفة أحوالهم؟ فكم من زيارة دلت على خير في الدنيا والآخرة مسح بها المسلم آلام أخيه المصاب، يقوي عزيمته، يشد أزره ويدفعه إلى الصبر، يحس عنده حسن الظن بالله وقرب الفرج، يشاركه أفراحه، يعلمه ما يجهله من أمور الدنيا والدين، يتناصح وإياه ويتشاور معه لما فيه خيره وخير المسلمين.

أما المخالطة العشوائية التي لا يأبه لها كثير من الناس: فما هي إلا مظهر من مظاهر انهزام المسلم وتخاذله عن القيام بواجباته الدينية والاجتماعية، وهروب من المسؤوليات الملقاة على عاتقه نحو دينه وأمته، وهي حالة مرضية من حيث الهدف والمضمون.

---

(١) البخاري، الأدب المفرد، باب الذي يصبر على أذى الناس، برقم: (٣٨٨)، ص:١٣٥. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، بابٌ حدّثنا أبو موسى، رقم الحديث: (٣٥٠٧)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث: (٤٠٢٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٤.

"فاختيار المخالطة مطلقا خطأ واختيار الانفراد مطلقا خطأ"(١)، "وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الاثم والعدوان فهي منهي عنها"(٢).

والتزاور في الله ظاهرة من ظواهر المجتمع المسلم العامل بتعاليم الإسلام، والحريص على تطبيق وصايا الرسول ﷺ؛ لأن التزاور بين الإخوان في الله من شأنه أن يدعم أواصر الجماعة، ويقوي الروح الجماعية ويوسّع مجالاتها ويمدّ آثارها، ويقوّي المودّات، ويزيد وشائج الصلات(٣).

وللزيارة آداب بينتها السنة النبوية، ومراعاة مثل هذه الآداب مما يعزز بناء العلاقات الاجتماعية، ويحفظ كيانها من عوامل الانهيار، فضلاً عما للزيارة من الدور الفاعل في إشاعة روح المودة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة، ومن خلالها يتعرف المسلم على أحوال إخوانه المسلمين فيقوم بواجبه نحوهم.

ومن هذه الآداب:

١. إخلاص النية لله في الزيارة:

يجب أن يقصد الزائر بزيارته لأخيه المسلم وجه الله تعالى، وذلك كأن يزور أبويه بنية بر الوالدين، ويزور أقاربه بنية صلة الرحم، ويزور جاره بنية الإحسان إلى الجار...ولا تكون الزيارة لوجه الله وفي سبيله إلا إذا كان له غرض صالح دينيا، كأن يكون المزور عالما عاملا، أو أخا صالحا،

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى: ١٠/٤٢٦.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، المرجع السابق: ١٠/٤٢٥.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٢/١٩٩.

أو كأن تزور أخا لتأمره بالمعروف، أو لتنهاه عن المنكر، أو لتقضي حاجته، أو لتسدّ دَينه، أو لتتعرف على أحواله وتقوم بواجبك نحو ما يحتاجه...فكل هذه نوايا صالحة يثاب عليها المسلم، ويظفر بالأجر العظيم، والفضل الجليل الذي ورد في فضل الزيارة لمن ابتغى بذلك وجه الله تعالى[١].

كما جاء عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**زارَ رَجلٌ أخاً له في قرية، فأرصَدَ الله له مَلَكاً على مَدْرَجَته، فقال: أينَ تُريد؟ قال: أخاً لي في هذه القرية. فقال: هل له عليك مِنْ نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا. إنِّي أُحبّه في الله. قال: فإنِّي رسولُ الله إليك؛ أَنَّ الله أَحَبَّك كما أحْبَبْتَه**»[٢].

وعنه - أيضا - عن النَّبي ﷺ قال: «**إذا عادَ الرّجلُ أخاه أو زاره، قال الله له: طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ، وتَبوَّأتَ منزلاً في الجنَّة**»[٣].

٢. التجمل للزيارة:

ومن آداب الزيارة في السنة النبوية أن يتزين الزائر عند زيارته لإخوانه،

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣٨٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الزيارة، رقم الحديث: (٣٥٠)، ص: ١٢٤. مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب فضل الحب في الله تعالى، رقم الحديث: (٦٥٤٩).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الزيارة، رقم الحديث: (٣٤٥)، ص: ١٢٢. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان،رقم الحديث: (٢٠٠٨)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضا، رقم الحديث: (١٤٤٣)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٨.

كما أن على المزور أن يتجمّل لاستقبال الزائر، فعن أبي خلدة قال: **جاء عبد الكريم أبو أميّة إلى أبي العالية، وعليه ثياب صوف، فقال أبو العالية: ((إنَّما هذه ثياب الرهبان، إنْ كان المسلمون إذا تزاوروا تَجَمَّلُوا))**[١].

وعن عبد الله مولى أسماء قال: **أخرَجَتْ إليّ أسماء جُبّة مِنْ طيالسة عليها لِبْنَة**[٢] **شبر مِنْ ديباج، وإنّ فرجيها مكفوفان به، فقالتْ: ((هذه جُبّة رسول الله ﷺ، كان يلبسها للوفود، ويوم الجُمعة))**[٣].

٣. تكريم الزائر بما تيسر من أنواع الإكرام:

من تمام الزيارة أن يكرم المزور الزائر بما تيسر من طعام أو شراب؛ لما في ذلك من توثيق عرى المحبة وأواصر المودة، وعلى الزائر أن يدعو لأهل البيت بالخير والبركة مقابل تكريمهم إياه وإحسانهم إليه، فعن أنس بن مالك؛ **أن رسول الله ﷺ زارَ أهلَ بيتٍ مِنَ الأنصار، فطَعِمَ عِنْدَهم طَعَاماً، فلَمَّا خَرَجَ أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ البَيْتِ، فَنُضِحَ له على بِساط، فصلَّى عليه ودعا لهم**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من زار قوما فطعم عندهم، رقم الحديث: (٣٤٨)، ص: ١٢٣. وقال الألباني: صحيح مقطوع، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٠.

(٢) وهي رُقْعة تُعْمَلُ مَوْضع جَيْب القَمِيص والجُبَّة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨٢٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من زار قوما فطعم عمدهم، رقم الحديث: (٣٤٨)، ص: ١٢٣.مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب اللباس، باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال، رقم الحديث: (٥٤٠٩).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من زار قوما فطعم عمدهم، رقم الحديث: (٣٤٧)، ص: ١٢٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الزيارة، رقم الحديث: (٦٠٨٠).

قال ابن بطال: "من تمام الزيارة إطعام الزائر ما حضر وإتحافه بما تيسر وذلك من كريم الأخلاق، وهو مما يثبت المودة ويؤكد المحبّة. وفيه: أن الزائر إذا أكرمه المزور أنه ينبغي له أن يدعو له ولأهل بيته ويبارك في طعامهم وفي رزقهم"[(١)].

٤. اختيار الوقت المناسب للزيارة:

إن للناس أوقاتا يخلدون فيها إلى الراحة أو يأوون إلى أسرهم، أو يشتغلون بأمور خاصة بهم... فلا يجوز إقلاق راحتهم، أو إزعاجهم بزيارات مفاجئة.

ومن الأوقات التي ينبغي تجنبها عند الزيارة. أوقات العورات الثلاث التي في آية الاستئذان، وهي: من قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، ومن بعد صلاة العشاء، وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي: **أنه قال: ركبَ إلى عبد الله بن سُويد - أخي بني حارثة بن الحارث - يسأله عن العورات الثلاث، وكان يعمل بهنّ، فقال: ما تريد؟ فقلتُ أريد أن أعمل بهنّ، فقال:** «**إذا وضعتُ ثيابي من الظهيرة، لم يدخل عليّ أحدٌ من أهلي بلَغ الحُلم إلا بإذني، إلا أن أدعوه، فذلك إذنه. ولا إذا طلع الفجر وتحرَّك الناس، حتى تُصلّى الصّلاة، ولا إذا صلَّيتُ العشاءَ ووضعْتُ ثيابي حتّى أنام**»[(٢)]. والزيارة في أحد هذه الأوقات الثلاثة تعكر على أهل البيت صفوهم، وتقلق راحتهم، وتسبب لهم الحرج؛ لأن الناس في الغالب لا يكونون مستعدين لاستقبال أحد في هذه الأوقات. ويخرج من ذلك ما لو كان الإنسان مدعواً لوليمة طعام الغداء أو العشاء فهذا ليس من هذا[(٣)].

---

(١) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ٢٧٥/٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العورات الثلاث، رقم الحديث: (١٠٥٢)، ص: ٣٨٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٤.

(٣) الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز، كتاب الآداب، ص: ٨٦.

وضابط هذا الأدب هو أن يراعي الزائر حال أخيه المزور، "فإن رأى أخاه يحب زيارته ويأنس به، أكثر زيارته والجلوس عنده، وإن رآه مشتغلا بعمل، أو رآه يحبّ الخلوة، يقلّل زيارته، حتى لا يشغله عن عمله"(١).

والمتربي بحاجة ماسة إلى التحلي بهذه الآداب حتى تؤتي الزيارات ثمراتها الاجتماعية من توثيق روابط المحبة، وتمتين أواصر العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

(١) البغوي، الحسين بن المسعود الفراء، شرح السنة: ٥٩/١٣.

المطلب السابع: آداب عيادة المريض.

الإسلام دين رحمة وتآلف ومحبة بين الناس قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(١) وهذه الرحمة تشمل جميع نواحي الحياة، وتتجلى أكثر في رحمة الضعفاء من أفراد المجتمع من المرضى وغيرهم.

إن المريض الذي يغالب العلة وتغالبه، ويُصارع السُّقْم ويصارعه، لهو من أكثر الناس حاجة إلى كل ما تستطيعه العلاقات الإنسانية من عون وسلوى، وبثٍّ للعزيمة والأمل والطمأنينة والسرور.

فعيادة المريض "من الآداب الاجتماعية، وهي حق من حقوق المسلم على أخيه؛ لأن المريض بحاجة ماسة إلى من يواسيه ويسليه ويتفقد أحواله، ويساعده إذا احتاج إلى مساعدة، وهذا الأدب يرتبط بخلق العطاء عند المسلم، وهو يعبر تعبيراً صادقاً عن مبلغ التآخي بين المسلمين ويوثق الصلة بينهم، ويزيد من وشائج المحبة، وأواصر المودات لا سيما إذا لاحظنا أن حالة المريض فيها من الانكسار النفسي ما يجعله رقيق الحاشية، فيّاض العواطف مُهيّأً نفسياً للتأثير عليه وامتلاك مشاعر المحبة في قلبه، والمحبة متى وجدت في طرف سرت غالباً إلى الطرف الآخر بقوة نفاذها وقوة عدواها"(٢).

ويجب تدريب النشء على معرفة آدب عيادة المريض منذ نعومة أظفارهم لتتأصل في نفوسهم ظاهرة المشاركة الوجدانية، وظاهرة التحسس بآلام الآخرين؛

---

(١) سورة الأنبياء الآية: (١٠٧).

(٢) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٢١٦/٢.

فهذه الظاهرة إذا نمت وتعمقت في النفوس منذ نشأتها درجت على الحب والإيثار والتعاطف، بل تصبح هذه المعاني في النفوس خلقا وعادة، فلا تقصر في حق، ولا تتقاعس عن واجب(١).

ولقد بلغ من عناية الإسلام بالمريض أن جعل عيادته حقًّا من حقوقه على إخوانه المسلمين، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**حق المسلم على المسلم ستّ**)). **قيل: وما هي؟ قال:** ((**إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبه، وإذا استنصَحَك فانصَح له، وإذا عَطَس فحَمِد الله فشَمِّته، وإذا مَرِض فعُدْه، وإذا مات فاصحَبه**))(٢).

وعنه – أيضا –، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**ثلاث كُلّهنّ حقّ على كلّ مسلم: عيادة المريض، وشُهود الجنازة، وتشميت العاطس إذا حَمِد الله ﷻ**))(٣).

وأمر النبيُّ ﷺ بعيادة المريض، فعن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ قال: ((**عودوا المريض، واتَّبعوا الجنائز؛ تُذَكِّرُكُمُ الآخِرة**))(٤).

---

(١) الجهني، حنان عطية الطوري، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة: ٢٨٦/١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق المسلم على المسلم أن يسلِّم عليه إذا لقيه، رقم الحديث: (٩٩١). ص: ٣٥٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٤٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام، رقم الحديث: (٥٦٥١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المرضى،رقم الحديث: (٥١٩)، ص: ١٧٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٩٧.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المرضى،رقم الحديث: (٥١٨)، ص: ١٧٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٩٦.

وعيادة المريض - على رأي جمهور العلماء - في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض(١).

"وهي من فروض الكفايات، إذا منع المرضُ من التصرف؛ لأن المريض لو لم يُعَد جملة لضاع وهلَك، ولاسيما إن كان غريبا أو ضعيفا"(٢).

كما أن عيادة المريض لها أهداف تربوية واجتماعية وأخلاقية ومنها:

١. إيناس المريض وامتلاك قلبه، وإشعاره بقيمته لدى الآخرين.

٢. التخفيف على المريض وإعادة الأمل إلى نفسه، وإبعاده عن اليأس والقنوط.

٣. إحساس الأسرة بمكانتها بين الناس، ومدى احترامهم لها، وحرصهم على السؤال عن مريضها.

٤. الحصول على الأجر والثواب من الله تعالى.

ولما يتحقق من عيادة المريض من فوائد كثيرة؛ فقد ورد الحث على المبادرة إليها وبيان فضلها في السنة النبوية، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح اليوم منكم صائمًا**» **قال أبو بكر: أنا. قال:** «**مَنْ عاد منكم اليوم مريضًا؟**» **قال أبو بكر: أنا. قال:** «**من شهد منكم اليوم جنازةً؟**» **قال أبو بكر: أنا. قال:** «**من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» **قال أبو بكر: أنا. قال مروان: بلغني أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: ما اجتمع هذه الخصال في رجل في يوم، إلا دخل الجنة**»(٣).

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/١٤٠.

(٢) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٦/٥٥٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المرضى،رقم الحديث: (٥١٥)، ص: ١٧٧. مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦١٨٢).

وعنه - أيضا -، عن رسول الله ﷺ قال: ((**يقول الله: استَطْعَمتُك فلم تُطْعمني. قال: فيقول: يا ربّ! وكيف اسْتَطعمتني، ولم أطعمك، وأنْتَ ربّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً استطْعَمَكَ فلم تُطْعمه؟ أما علمتَ أنَّك لو كنتَ أطعَمْته لوجَدْتَ ذلك عندي؟ ابْنَ آدم! استسقيتُكَ فلم تُسقِني. فقال يارِبّ! وكيف أسقيك وأنتَ ربّ العالمين؟ فيقول: إنَّ عبدي فلاناً استسقاكَ فلم تَسْقِه أما علمتَ أنَّك لو كُنتَ سَقَيته لو جدتَ ذلك عندي؟ يا ابن آدم! مرضتُ فلم تَعُدني. قال: يا ربّ! كيف أعودُك، وأنتَ ربّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِض، فلو كُنْتَ عُدْتَه لوجدتَ ذلك عندي؟ أو وجدتني عنده؟**))[١].

عن أبي أسماء رضي الله عنه قال: ((**مَن عاد أخاه كان في خُرفة الجنة". قلتُ لأبي قلابة: ما خُرفة الجنة؟ قال: جناها.قلتُ لأبي قلابة عن من حدَّثه أبو أسماء؟. قال: عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ**[٢].

ولعيادة المريض آداب ينبغي مراعاتها عند زيارته، وهي كالآتي:

١. تعميم العيادة لجميع المرضى:

إذا كانت عيادة المريض ظاهرة إنسانية وواجباً اجتماعياً، فيجب أن تكون شاملة لجميع فئات المجتمع دون النظر إلى جنس المريض أو سنه أو مركزه الاجتماعي،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المرضى، رقم الحديث: (٥١٧)، ص: ١٧٨. مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب فضل عيادة المريض، رقم الحديث: (٦٥٥٦).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل عيادة المريض،رقم الحديث: (٥٢١)، ص: ١٨٠. مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب فضل عيادة المريض، رقم الحديث: (٦٥٥٢).

أو نوع مرضه أو حتى عن ديانته، فيجوز عيادة المرأة للرجل بشرط التستر والأمن من الفتنة[١]، كما جاء عن عائشة أنها قالت: **لمَّا قدِم رسول الله ﷺ المدينة وُعِك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلتُ عليهما، قلتُ: يا أبتاه! كيف تجدُك؟ ويا بلال! كيف تجدُكَ؟**...الحديث[٢] كما يجوز - أيضا - عيادة الرجل للمرأة، فعن جابر قال: **دَخَلَ النَّبيّ ﷺ على أمّ السائب وهي تُزَفزف، فقال: ((مالكِ؟)) قالت الحُمَّى؛ أخزاها الله، فقال النَّبيُّ ﷺ: ((مَهْ لا تسُبِّيها؛ فإنَّها تُذهب خطايا المؤمن، كما يُذهب الكير خَبَث الحديد))**[٣].

وقد ثبتت مشروعية عيادة الصبيان من حديث أسامة بن زيد: **أنّ صبيّا لابنة رسول الله ﷺ ثَقُل، فبعثَتْ أُمُّه إلى النَّبيّ ﷺ: أنَّ ولدي في الموت. فقال للرّسول: ((اذْهب فقُل لها: إنَّ لله ما أخَذ، وله ما أعطى،**

---

(١) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ٣٧٨/٩. وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٤٦/١٠..

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول للمريض، رقم الحديث: (٥٢٥)، ص: ١٨١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب فضائل المدينة، باب حدّثنا مسدّد، رقم الحديث: (١٨٨٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، والصبر على لأوائها وشدتها، رقم الحديث: (٣٣٤٢).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المرضى، رقم الحديث: (٥١٦)، ص: ١٧٧. مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، رقم الحديث: (٦٥٧٠).

وكلّ شيء عنده إلى أجلٍ مُسَمًّى، فلتصبرْ، ولْتحتسِبْ». فرَجَع الرّسولُ فأخبَرَها، فبَعَثتْ إليه تُقسم عليه لَمَا جاء، فقام النَّبيّ ﷺ في نفر من أصحابه؛ منهم: سعد بن عبادة. فأخَذ النَّبيّ ﷺ الصبيّ فوَضعه بين ثَنْدُوَتَيْه[١]، ولصدره قعقعة كقعقعة الشَّنَّة[٢]، فدَمَعَتْ عينا رسول الله ﷺ. فقال سعد: أتبكي، وأنتَ رسول الله؟! فقال: «إنَّما أبكي رحمةً لها؛ إنَّ الله لا يَرْحم من عباده إلا الرّحماء»[٣].

ويستنفاد من هذا الحديث: "عيادة الرؤساء وأهل الفضل للصبيان المرضى، وفي ذلك صلة لآبائهم، ولا يعدم من ذلك بركة دعائهم وموعظة الآباء وتبصيرهم واحتسابهم لما ينزل بهم من المصائب عند الله تعالى".[٤]

وعيادة الأطفال المرضى تساعد في بناء الروابط الاجتماعية معهم، فعند ما يرى الطفل - وهو ما زال في مرحلة الفطرة والصفاء - أن الناس الكبار يأتون إليه، فإنه يتعود هذه العادة الحسنة، كما أنه تخفف من آلامه وأسقامه، فإذا دعمت هذه الزيارة بتوجيهات تربوية لطيفة للطفل، فإن العيادة تؤتي أكلها كاملة مثمرة بإذن الله تعالى.

---

(١) الثَّنْدُوَتَان للرَّجُل كالثَّدْيَيْن للمرأة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ١٢٨.

(٢) "قعقعة": اضطراب وحكاية الشيء اليابس إذا حرك. والشَّنّة: القربة الخلقة اليابسة. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٤٩٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة الصبيان، رقم الحديث: (٥١٢)، ص: ١٧٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله إذا كان النوح من سنته، رقم الحديث: (١٢٨٤)، و مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم الحديث: (٢١٣٤).

(٤) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ٣٧٩/٩.

وكان النبيّ ﷺ يعود مرضى الفئات الأقل مكانة في المجتمع لما في عيادتهم من تقوية للعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فعن ابن عباس؛ **أنَّ رسول الله ﷺ دخلَ على أعرابيّ يعُودُه. فقال:** ((**لا بأس عليك، طَهُور إن شاء الله**)). **قال: قال الأعرابيُّ: بل هي حُمّى تفورُ، على شيْخ كبير، كيما تُزيره القبورّ. قال:** ((**فنعم إذاً**))[١].

قال المهلب رحمه الله[٢]: "فائدة هذا الحديث: أنه لا نقص على الإمام في عيادة مريض من رعيته ولو كان أعرابيا جافيا، ولا على العالم في عيادة الجاهل ليعلمه ويذكره بما ينفعه، ويأمره بالصبر لئلا يتسخط قدر الله فيسخط عليه، ويسليه عن ألمه، بل يغبطه بسقمه، إلى غير ذلك من جبر خاطره وخاطر أهله".

كما ورد ما يدلّ على جواز عيادة المشرك إذا ترجحت المصلحة ولم يخش الفتنة[٣]، فعن أنس: **أنّ غلاما من اليهود كان يخدم النَّبيّ ﷺ فمَرِض، فأتاه النَّبيّ ﷺ يعوده، فقعَد عند رأسه. فقال:** ((**أسلِم**)). **فنَظَر إلى أبيه – وهو عند رأسه – فقال له: أَطِعْ أبا القاسِم ﷺ، فأسْلَم، فخرَج النَّبيُّ ﷺ، وهو يقول:** ((**الحمد لله الذي أنقذه من النَّار**))[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة الأعراب، رقم الحديث: (٥١٤)، ص: ١٧٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: (٣٦١٦).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/١٤٨.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، نفس المكان.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المشرك، رقم الحديث: (٥٢٤)، ص: ١٨١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ هل يعرض على الصبي الإسلام؟، رقم الحديث: (١٣٥٦).

٢. الاستماع إلى شكوى المريض وترغيبه في التعبير عما في نفسه وما يعاني منه:

وشكوى المريض إذا لم تكن على وجه السخط والضجر أو رد القضاء والقدر فهي ليست مذمومة[١]، و"إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا"[٢]؛ فربما عبر لك عما يعانيه وهو يرجو منك كلمة تخفف مصابه وتهون عليه وقع الألم أو يرجو منك دعوة في ظاهر الغيب وخاصة إذا كنت من المقربين إليه.

فعن هشام عن أبيه قال: **دَخَلتُ أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء - قبل قتل عبد الله بعشر ليال - وأسماءُ وَجِعَة. فقال لها عبد الله: كيف تجِدينَكِ؟ قالت: وَجِعَة. قال: إنِّي في الموت. فقالت: لعلّك تشتهي موتي، فلذلك تتمنّاه؟ فلا تفعل، فو الله ما أشتهي أن أموت حتى يأتي على أحد طرفيك، أو تُقتل فأَحتَسِبك، وإمّا أن تظفرَ فتقَرَّ عيني، فإيّاك أن تُعرض عليك خُطَّة فلا تُوافِقْك، فتقبَلُها كراهية الموت. وإنَّما عنى ابن الزبير ليقتل فيُحزنها ذلك**[٣].

---

(١) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ٣٨٤/٩.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٥٤/١٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هل يكون قول المريض إني وجع شكاية، رقم الحديث: (٥٠٩)، ص: ١٧٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٩١.

ومن حق المريض على الزائر إذا اشتكى له أن يبث روح الأمل في نفسه ويعده بمساعدته حتى ولو كانت الحالة ميئوساً منها؛ فالله لا يعجزه شيء، وعلى الطبيب خاصة أن يراعي التدرج في إخبار المريض عن طبيعة شكواه، وما المرض الذي يعانيه.

وتبلغ أهمية التدرج مبلغها إذا كانت الحالة شديدة أو خطرة وأن لا يتعجل؛ فالصراحة المؤلمة والمستعجلة والخالية من الأمل والثقة بالله تسبب انهيار المريض نفسياً، وليتذكر الطبيب المسلم أن هذا المريض مزيج من أحاسيس ومشاعر يستطيع أن يمتلكها كما يمتلك أغلى شيء عنده(١).

٣. تعليم المريض كيف يجتاز محنة المرض، وإعادة الثقة إلى نفسه:

من آداب عيادة المريض أن يحاول العائد إبعاد التشاؤم عن المريض، وأن يزيل عنه هذا الشبح الحالك من الهموم والأحزان؛ الذي يجعله يعيش منطوياً على نفسه بعيداً عن أنظار الآخرين يتوقع في كل لحظة الموت والمصير المحتوم، وهذه الأوهام والأحزان إذا تُركت تسري إلى قلب المريض وتغطي عقله لتترك مجالاً لوساوس الشيطان وتسبب له أمراضاً أخرى وهمية ناتجة عن ضعفه وتشاؤمه.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله(٢): "ألم تعلموا أن ضعف القلب وكثرة أوهامه هو الداء العضال، وقوة القلب مع التوكل على الله صفة أقوياء الرجال! فكم من أمراض خفيفة صيرتها الأوهام شديدة! وكم من معافى

---

(١) الصويلح، فاتن بنت سعد، وإذا مرضت فهو يشفين، مجلة البيان، ع ١٦٣، ص: ١٢٩.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ص: ٢٥٣ .

لعبت به الأوهام فلازمه المرض مدة مديدة! وكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات! وكم أثَّرت على قلوب كثير من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء في كل الحالات! وكم أدت إلى الحمق والجنون! والمعافى من عافاه من يقول للشيء كن فيكون؛ فصحة القلوب هي الأساس لصحة الأبدان، ومرض القلوب هو المرض الحقيقي".

ومن الوسائل التربوية الناجحة لمساعدة المريض على تجاوز محنته والصبر على ما أصابه ما يلي:

أ- تبشيره بأن مرض المؤمن ليس نقمة عليه وإنما هو كفارة لذنوبه وخطاياه.

فعن أبي سعيد وأبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**ما مِن مسلم يُصاب بمُصيبة - وَجَع أو مَرَض - إلاّ كان كفَّارةَ ذنوبه، حتى الشّوكة يُشاكُها، أو النَّكْبَة**[1]»[2].

وعن سعيد قال: **كنتُ مع سلمان وعاد مريضا في كِندة - فلمّا دخل عليه قال:** «**أبشر، فإن مرض المؤمن يجعله الله كفارة ومُستعتباً، وإنَّ مرض الفاجر كالبعير عَقَله أهلُه، ثمّ أرسلوه، فلا يدري لِمَ عُقل ولم أُرسل**»[3].

---

(١) ما يصيب الإنسان من الحوادث. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٤٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العيادة جوف الليل، رقم الحديث: (٤٩٨)، ص: ١٧٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، وقول الله تعالى: ﴿من يعمل سوء يجز به﴾، رقم الحديث: (٥٦٤٠)، و مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، رقم الحديث: (٦٥٦٥).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كفارة المريض، رقم الحديث: (٤٩٣)، ص: ١٦٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٨٥.

و"في هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين، فإنّه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض، والأسقام، ومصائب الدنيا، وهمومها، وإن قلّت مشقتها، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور، وزيادة الحسنات، وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء"(١).

ب- تعليمه أن المريض يكتب له - وهو على فراش المرض - الأعمال الصالحة التي كان يقوم بها في صحته.

فعن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**ما مِنْ أحد يَمْرَض، إلاّ كُتِب له مثلُ ما كان يعمل، وهو صحيح**))(٢).

ج- ومما يخفف على المريض وطأة المرض - أيضا - أن يدعو العائد له بالرحمة، والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية.

وللنبيّ ﷺ دعوات ينبغي على العائد أن يدعو بها عند عيادة المريض؛ لأنها صدرت عن المعصوم الذي أوتي جوامع الكلم، فمن دعائه للمريض ما رواه ابن عباس؛ **أنَّ رسول الله ﷺ دخلَ على أعرابيّ يعُودُه. فقال:** ((**لا بأس عليك، طَهُور إن شاء الله**)). **قال: قال الأعرابيُّ: بل هي حُمّى تفورُ، على شيْخ كبير، كيما تُزيره القبور. قال:** ((**فنعم إذاً**))(٣).

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٦/٣٤٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يكتب للمريض ما كان يعمل وهو صحيح، رقم الحديث: (٥٠٠)، ص: ١٧١. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٨٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة الأعراب، رقم الحديث: (٥١٤)، ص: ١٧٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: (٣٦١٦).

وعن ثلاثة من بني سَعْد - كلّهم يحدّث عن أبيه: **أنّ رسول الله ﷺ دَخَل على سعد يعوده بمكّة؛ فبكى، فقال: «ما يبكيك؟»، قال: خشيتُ أن أموت بالأرض التي هاجرتُ منها؛ كما مات سعد. قال: «اللهمّ! اشفِ سعداً» (ثلاثا)**... الحديث[١].

وعن ابن عباس قال: **كان النَّبيُ ﷺ إذا عاد المريضَ جلَس عند رأسه، ثم قال: (سبع مرار): «أسأل الله العظيمَ، ربّ العرش العظيم أن يشفِيَك» فإن كان في أجله تأخير عُوفِي من وجَعِه**[٢].

وعن الربيع بن عبد الله قال: **ذهبتُ مع الحسن إلى قتادة نعُودُه، فقعَدَ عند رأسه، فسَأَله ثمّ دعا له. قال: «اللّهمّ اشف قَلْبه، واشفِ سَقَمَه»**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب دعاء العائد للمريض بالشفاء، رقم الحديث: (٥٢٠)، ص: ١٧٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، رقم الحديث: (٥٦٥٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم الحديث: (٤٢٠٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أين يقعد العائد؟ رقم الحديث: (٥٣٦)، ص: ١٨٤.وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، رقم الحديث: (٣١٠٦)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب حدّثنا محمد بن المثنى، رقم الحديث: (٣٠٨٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أين يقعد العائد؟ رقم الحديث: (٥٣٧)، ص: ١٨٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٣.

٤. القعود عند رأس المريض ووضع اليد عليه:

ومن آداب عيادة المريض أن يقعد العائد عند رأس المريض، وأن يضع يده على جسد المريض ويدعو له، اقتداء بنبينا محمد ﷺ، فعن عائشة بنت سعد رضي الله عنها؛ **أنّ أباها قال: اشتكَيْتُ بمكّة شكوى شديدة، فجاء النّبيُّ ﷺ يعُودُني...ثمّ وضع يده على جبهتي، ثم مسح وجْهي وبطني، ثمّ قال: «اللّهمّ! اشف سَعْداً، وأتمّ له هِجْرَتَه». فما زِلْتُ أجِدُ بَرْدَ يده على كَبِدي فيما يَخَالُ إليّ، حتّى السّاعة**[١].

قال ابن بطال رحمه الله[٢]: "في وضع اليد على المريض تأنيس له وتعرف لشدّة مرضه ليدعو له العائد على حسب ما يبدو له منه، وربّما رقاه بيده ومسح على ألمه فانتفع العليل به إذا كان العائد صالحا"[٣]. "وقد يكون العائد عارفا بالعلاج فيعرف العلة فيصف له ما يناسبه".

وعن ابن عباس قال: **كان النّبيُ ﷺ إذا عاد المريضَ جلَس عند رأسه...الحديث**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العيادة جوف الليل، رقم الحديث: (٤٩٩)، ص: ١٧٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، رقم الحديث: (٥٦٥٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم الحديث: (٤٢٠٩).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/١٥٠.

(٣) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ٩/٣٨١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أين يقعد العائد؟ رقم الحديث: (٥٣٦)، ص: ١٨٥ وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، رقم الحديث: (٣١٠٦)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب الطب، باب حدّثنا محمد بن المثنى، رقم الحديث: (٣٠٨٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٣.

٥. غض البصر:

من آداب عيادة المريض أن لا يجول العائد ببصره في أنحاء البيت أو الغرفة، وأن لا يشتغل أو يتدخل فيما لا يعنيه أثناء العيادة، فعن عبد الله بن أبي الهُذَيل ﷺ قال: **دَخَل عبدُ الله بن مسعود على مريض يعوده — ومعه قوم، وفي البيت امرأة — فجَعل رجُل مِن القوم ينظر إلى المرأة، فقال له عبد الله: لو أنفقَأَتْ عينُكَ كان خيراً لكَ**[١].

هذه بعض آداب عيادة المريض كما وردت في كتاب "الأدب المفرد"، وهناك آداب عامة ذُكِرتْ في باب الاستئذان وفي باب الزيارة وغيرهما مما ينبغي مراعاته عند عيادة المريض لما له من ارتباط وثيق بهذا الباب، قال ابن حجر رحمه الله[٢]: "وجملة آداب العيادة عشرة أشياء: - ومنها ما لا يختص بالعيادة - أن لا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدقّ الباب برفق، وأن لا يبهم نفسه كأن يقول: أنا، وأن لا يحضر في وقت يكون غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء، وأن يخفف الجلوس، وأن يغض البصر، ويقلل السؤال، وأن يظهر الرقة، وأن يخلص الدعاء، وأن يوسع للمريض في الأمل، ويشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من كره للعائد أن ينظر إلى الفضول من البيت، رقم الحديث: (٥٣١)، ص: ١٨٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠١.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/١٥٧.

المطلب الثامن: آداب المشي.

للمشي في الطريق آداب وواجبات ما أحوج المسلمين إليها في وقت نجد فيه الكثير من الشباب يتسكعون في الطرقات، ويجتمعون في الشوارع والمنعطفات، وعلى أبواب المدارس وفي الساحات، لا عمل لهم سوى إيذاء الناس بفاحش الكلمات، وتصيّد العثرات والزلات، ومراقبة السقطات والعورات وذلك لعدم تنشئتهم على الآداب الإسلامية السمحة المتعلقة بالمشي في الطرقات.

وهذه قطوف من الآداب الواردة فيما يتعلق بالمشي في الطرقات لعلها تكون واقعا ملموسا وسلوكا مطبّقا:

١. التواضع في المشية والبعد عن التكبر والخيلاء:

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[١].

والمشي الهون: هو الذي "ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال، فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم، وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى، والتخلق بآداب النفس العالية، وزوال بطر أهل الجاهلية، فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا وهو على الضد من مشي أهل الجاهلية"[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[٣].

---

(١) سورة الفرقان الآية: (٦٣).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ١٩/٦٨.

(٣) سورة الإسراء الآية: (٣٧).

عن ابن عمر، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**مَنْ تَعَظَّم في نفسه، أو اختال في مِشْيته، لقيَ الله ﷻ وهو عليه غضبان**))[١].

وقد اقترن الكبر بالمشي في الآيات والأحاديث؛ لأن الكبر أكثر ما يظهر في أثناء المشي بين الناس، فهو يظهر في طريقة المشي، وفي الثوب الذي يمشي فيه، كما يظهر في معاملة الماشي للناس وتخاطبه معهم[٢].

٢. إماطة الأذى عن الطريق:

ومن آداب المشي في الطريق أن يُبْعِد الماشي عن طريق المسلمين كلّ ما يضرهم، أو يؤذيهم أو يعرقل سيرهم، يزيله إذا كان قادرا على إزالته، أو يبلغ الجهة المسؤولة لإزالته، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين سبب لدخول الجنّة، فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ، قال: **قلتُ: يا رسول الله! دُلّني على عمل يُدخلني الجنَّة، قال:** ((**أمِطِ الأذى عن طريق النّاس**))[٣].

وعن أبي هريرة، عن النَّبي ﷺ قال: **مَرّ رجلٌ بشوك في الطريق، فقال: لأمِيطنَّ هذا الشّوك، لا يضرّ رجلاً مسلماً، فغُفِرَ له**))[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٤٩)، ص: ١٨٩. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٧.

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣٨٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إماطة الأذى، رقم الحديث: (٢٢٨)، ص: ٨٦. مسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، رقم الحديث: (٦٦٧٣).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إماطة الأذى، رقم الحديث: (٢٢٩)، ص: ٨٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، رقم الحديث: (٦٥٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، رقم الحديث: (٦٦٦٩).

وعن أبي ذرّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عليّ أعمالُ أمَّتي — حسنُها وسَيِّئها — فوَجَدتُ في محاسن أعمالها أنَّ الأذى يُماط عن الطريق، ووجدتُ في مساوئ أعمالها النخاعة[1] في المسجد لا تُدفن**»[2].

وإذا كان الإسلام يأمر المسلم أن يبعد أذى غيره عن الطريق؛ فإنَّه من باب أولى يحضه على أن يعزل أذى نفسه عنه، فلا يلقي في الطريق بما يضرّ، ولا يوقف سيارته بمكان يمنع المارّين من المرور، ولا يحشر نفسه في مكان مزدحم بالنساء، ولا تزاحم المرأة الرجال في الأسواق والأماكن العامة، ولا يلقي الماشي بفضلات الأطعمة على الطريق، وهكذا ترى من سمو الإسلام، وسمو توجيهاته، وسمو الأمة التي تسير على هدي هذه المبادئ نوعاً لا مثيل له[3].

٣. النهي عن المشي في نعل واحدة:

مما ينبغي أن يجتنبه المتربي في آداب المشي في الطريق، أن يمشي على نعل واحدة؛ لورود النهي عن ذلك عن النبيّ ﷺ فعن أبي رزين، عن أبي هريرة قال: **رأيتُه يضرب جبهتَه بيده، ويقول: يا أهل العراق! أتزعمون أنِّي أكذب على رسول الله ﷺ! أيكونُ لكم المَهْنَأُ وعليّ المَأثَم؟**

---

(١) هي البَزْقَة التي تَخْرُج من أصل الفمَ ممّا يَلي أصْلَ النُّخَاع. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٠٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إماطة الأذى، رقم الحديث: (٢٣٠)، ص: ٨٧. مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، والنهي عن بصاق المصلي بين يديه وعن يمينه، رقم الحديث: (١٢٢٣).

(٣) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣٨٤.

أشهدُ لسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((إذا انقَطَعَ شِسْعُ[١] نعل أحدكم، فلا يمشي في نعله الأخرى حتى يُصلِحَه))[٢].

وكراهة المشي على نعل واحدة هي "للشهرة فتمتدّ الأبصار لمن ترى ذلك منه، وقد ورد النهي عن الشهرة في اللباس. فكلّ شيء صيَّر صاحبه شهرة، فحقّه أن يُجتنب"[٣].

٤. أداء حق الطريق:

من آداب المشي في الطريق أن يلتزم الماشي بحقوق الطريق، وقد بيّن النَّبيُّ ﷺ هذه الحقوق من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنّ النَّبيّ ﷺ قال: **((إيَّاكم والجُلُوسُ في الطّرقات)) قالوا: يا رسول الله! ما لنا بدّ مِنْ مجالسنا؛ نَتَحدّث فيها، فقال رسولُ الله ﷺ: ((أَمَّا إذا أبيتمُ، فأعطوا الطّريق حقّه)). قالوا: وما حقّ الطَّريق يا رسول الله؟ قال: ((غَضّ البَصَر، وكفّ الأذى، والأمر بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكر))[٤].**

---

(١) الشسع: هو أحد سيور النعل، وهو الذي يُدخل بين الأصبعين ويُدخل طرفه في الثُّقب الذي في صدر النَّعل المشدود في الزّمام. والزمام السير الذي يُعقد فيه الشِّسع. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٤٧٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ضرب الرجل يده على فخذه عند التعجب أو الشيء، رقم الحديث: (٩٥٦)، ص: ٣٤١. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب اللباس، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولا، والخلع عن اليسرى أولا، وكراهة المشي في نعل واحدة، رقم الحديث: (٥٤٩٧).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٣٨٢/١٠.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مجالس الصّعُدات، رقم الحديث: (١١٥٠)، ص: ٤١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب أفنية الدور، والجلوس فيها، والجلوس على الصعُدات، رقم الحديث: (٢٤٦٥).

وغض البصر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من الحقوق التي يجب أن يراعيها الجالس على الطريق والماشي عليها؛ لأن الحاجة لهذه الأمور تكثر في الطرقات والأماكن العامة ما لا تكثر في غير ذلك، فالذي يرى المنكر، لا كمن يسمع به.

ويجب عليه - أيضا - كفّ الأذى سواء كان ماديا أو معنويا، قال النووي رحمه الله[١]: "ويدخل في كفّ الأذى اجتناب الغيبة، وظنّ السوء، وإحقار بعض المارّين، وتضييق الطريق، وكذا إذا كان القاعدون ممّن يهابهم المارّون أو يخافون منهم، ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك؛ لكونهم لا يجدون طريقا إلا ذلك الموضع".

٥. كيفية المشي مع الكبراء وأهل الفضل:

من آداب المشي في السنة النبوية إذا مشى مع أهل الفضل والكبراء أن يمشي وراءهم لهم؛ احتراما لفضلهم ومكانتهم، كما كان يفعل الصحابة - رضي الله عنهم - مع النبيّ ﷺ، فعن أنس قال: **بينما النبيُّ ﷺ في نخل لنا - نخلٍ لأبي طلحة - تبرّز لحاجته، وبلال يمشي وراءه يُكرم النَّبيّ ﷺ أن يمشي جنبه...الحديث**[٢].

وهذه الآداب ينبغي على المربين أن يربوا الأولاد عليها، وينشئوهم على التحلي بها كما وردت في السنة النبوية، ويُعوّدوا عليها منذ نعومة أظفارهم؛ حتى تصبح هذه الآداب سلوكا واقعا، وتطبيقا عمليا في حياتهم الاجتماعية.

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٢٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كيف المشي مع الكبراء وأهل الفضل؟، رقم الحديث: (٨٥٣)، ص: ٢٩٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣١٨.

المطلب التاسع: آداب المجالس.

حرص الإسلام على مراعاة الأدب في كل الأحوال، ومن الآداب التي أمرنا بها آداب المجالس، فالمجالس لها آداب يجب على المسلم مراعاتها والعمل بها، والقيام بها على أحسن وجه؛ ليعم المجتمع الإسلامي النظام، ولتسود فيه روابط المحبة، وليظهر بصورة لائقة من الأدب والجمال والذوق والنظام، فالإسلام دين كامل شامل لكل ما هو طيب وجميل.

ومن آداب المجلس التي يجب تعويد المتربي عليها منذ نعومة أظفاره ما يلي:

١. السلام عند دخول المجلس وعند مفارقته:

عن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**إذا جاء الرَّجلُ المجلسَ فليُسَلِّم، فإن جلس ثمَّ بدا له أن يقومَ قبل أن يتفرَّق المجلس فليُسَلِّم؛ فإنَّ الأولى ليستْ بأحقّ من الأخرى**»[١]. ويستحب له - أيضا - التصافح لأنه سنة، كما سبق بيان ذلك في آداب السلام والاستئذان من هذا البحث.

٢. الجلوس حيث انتهى به المجلس أو المكان المحدد له:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «**كنّا إذا أتينا النَّبيّ ﷺ، جلَسَ أحدُنا حيثُ انتهى**»[٢]. "أي: هو إليه من المجلس، أو حيث ينتهي المجلس إليه،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التسليم إذا قام من المجلس، رقم الحديث: (١٠٠٨)، ص: ٣٦٣. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، رقم الحديث: (٢٧٠٦). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٧٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يجلس الرجل حيث انتهى، رقم الحديث: (١١٤١)، ص: ٤١٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في التحلق، رقم الحديث: (٤٨٢٥)، وقال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٤٠.

والحاصل أنّه لا يتقدّم على أحد من حُضّاره تأدّباً وتركاً للتّكلّف، ومخالفةً لحظّ النَّفس مِن طلب العُلُوّ كما هو شأن أرباب الجاه»[١].

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: "وفي الحديث تنبيه على أدب من آداب المجالس في عهد النَّبيّ ﷺ، طالما أهملَه النَّاس اليوم، حتى أهل العلم، وهو أن الرّجل إذا دَخَل المجلس، يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولو عند عتبة الباب، فإذا وجد مثله فعليه أن يجلس فيه، ولا يترقّب أن يقوم له بعض أهل المجلس من مجلسه، كما يفعل بعض المتكبّرين من الرؤساء، والمتعجرفين من المتمشيخين، فإنّ هذا منهي عنه صراحة".

٣. إفساح المكان للقادم، وعدم إقامة أحد من مكانه ليجلس فيه:

عن ابن عمر قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يُقيمنَّ أحدُكم الرّجل مِنْ مَجلسه، ثمّ يجلس فيه، ولكن تفَسَّحوا، وتوسَّعوا**»[٣]. وإذا قام له رجل من مجلسه لا يجلس فيه؛ لما روي عن ابن عمر قال: «**نهى النَّبيُّ ﷺ أن يقيم الرّجلَ من المجلس، ثم يجلسُ فيه**». **وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ مِنْ مَجلسه، لم يَجلس فيه**[٤].

---

(١) القارئ، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٥٨٩/٤.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٦٤٨/١٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التوسع في المجالس، رقم الحديث: (١١٤٠)، ص: ٤١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، بابٌ: لا يقيم الرّجلُ الرجلَ مِنْ مجلسه، رقم الحديث: (٦٢٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان في موضعه المباح الذي سبق إليه، رقم الحديث: (٥٦٨٣).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا قام له رجلٌ من مجلسه لم يقعد فيه، رقم الحديث: (١١٥٣)، ص: ٤٢٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ﴿إذا قيل لكم تفسّحوا في المجلس فافسحوا﴾، رقم الحديث: (٦٢٧٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان في موضعه المباح الذي سبق إليه، رقم الحديث: (٥٦٨٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: "هذا النهى للتحريم، فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها؛ فهو أحق به ويحرم على غيره إقامته لهذا الحديث. إلا أن أصحابنا استثنوا منه ما إذا ألف من المسجد موضع يفتى فيه أو يقرأ قرآنا أو غيره من العلوم الشرعية، فهو أحق به وإذا حضر لم يكن لغيره أن يقعد فيه، وفى معناه من سبق إلى موضع من الشوارع ومقاعد الأسواق لمعاملة".

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: "هذا اللفظ عام في المجالس، ولكنه مخصوص بالمجالس المباحة، إما على العموم كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وإما على الخصوص كمن يدعو قوما بأعيانهم إلى منزله لوليمة ونحوها.

وأما المجالس التي ليس للشخص فيها ملك ولا إذن له فيها، فإنه يقام ويخرج منها، ثم هو في المجالس العامة وليس عاما في الناس، بل هو خاص بغير المجانين، ومن يحصل منه الأذى كأكل الثوم النيئ إذا دخل المسجد، والسفيه إذا دخل مجلس العلم أو الحكم. والحكمة في هذا النهي منع استنقاص حق المسلم المقتضي للضغائن والحث على التواضع المقتضي للموادة. وأيضا فالناس في المباح كلهم سواء، فمن سبق إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئا فأخذ منه بغير حق فهو غصب والغصب حرام".

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٨٤.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١١/١٥. وابن أبي جمرة، عبد الله الأندلسي، بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها: (٤/١٩٤).

وإذا قام أحدٌ من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به؛ لما روى المصنِّف عن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ: «**إذا قامَ أحدُكم مِنْ مَجْلسه، ثمّ رَجَع إليه؛ فهو أحقّ به**»[1].

قال النووي رحمه الله[2]: "قال أصحابنا هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلا ثم فارقه ليعود، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضي شغلا يسيرا ثم يعود لم يبطل اختصاصه بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه لهذا الحديث، هذا هو الصحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته إذا رجع الأول، وقال بعض العلماء: هذا مستحب ولا يجب، وهو مذهب مالك، والصواب الأول".

٤. عدم التفريق بين اثنين في المجلس إلا بإذنهما:

عن عبد الله بن عمرو؛ أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**لا يحلّ لرجل أن يُفرّق بين اثنين، إلا بإذنهما**»[3]. لأنه قد يكون بينهما محبة ومودة، وجريان سر وأمانة، فيشق عليهما التفريق بجلوسه بينهما[4].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا قام ثم رجع إلى مجلسه، رقم الحديث: (١١٣٨)، ص: ٤١٢. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب إذا قام مِنْ مَجْلسه ثمّ عاد، فهو أحقّ به، رقم الحديث: (٥٦٨٩).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٣٨٦/١٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يفرق بين اثنين، رقم الحديث: (١١٤٢)، ص: ٤١٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، بابٌ: الرّجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما، رقم الحديث: (٣٨٤٥)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما، رقم الحديث: (٢٧٥٢)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٤٠.

(٤) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٣٣/١٣.

٥. الاهتمام بذكر الله تعالى في المجلس، والبعد عن الخوض في الكلام الفارغ، أو الوقوع في أعراض الناس، أو النميمة، أو غير ذلك مما يملأ مجالس الناس من الكلام الباطل:

عن معاوية بن قرَّة قال: **قال لي أبي: يا بُنَيّ! إنْ كنتَ في مجلس ترجو خيره، فعَجِلَتْ بك حاجة، فقل سلام عليكم؛ فإنَّك تشركهم فيما أصابوا في ذلك المجلس وما من قوم يجلسون مجلسا، فيتفرَّقوا عنه لم يُذكر الله، إلاّ كأنَّما تفرَّقوا عن جيفة حِمار»**[١]. أي مثلها في النتن والقذارة؛ وذلك لما يخوضون من الكلام في أعراض الناس وغير ذلك[٢].

٦. عدم الاستماع إلى حديث من يكره سماع حديثه:

عن ابن عباس، عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ صَوَّرَ صُورةً كُلِّف أن ينفُخَ فيه وعُذِّبَ، ولن ينفُخَ فيه. ومَنْ تَحَلَّم كُلِّف أن يَعقد شعيرتين وعُذِّب، ولَنْ يعقدَ بينهما. ومَنِ اسْتَمَع إلى حديث قوم يفرّون منه، صُبّ في أُذُنَيْه الآنُك**[٣]»[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق من سلَّم إذا قام، رقم الحديث: (١٠٠٩)، ص: ٣٦٤. وقال الألباني: صحيح موقوفا وجملة الذكر صحيح مرفوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٧.

(٢) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، المرجع السابق: ١٣/٣٩٠.

(٣) هو الَّرصاص الأبيض . وقيل الأسود . وقيل الخالص منه. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٥١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، رقم الحديث: (١١٥٩)، ص: ٤٢٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب التعبير، باب مَن كذب في حُلُمه، رقم الحديث: (٧٠٤٢).

ويستثنى من عموم من يكره استماع حديثه من تحدث مع غيره جهرا، وهناك من يكره أن يسمعه فلا يدخل المستمع في هذا الوعيد؛ لأن قرينة الحال وهي الجهر تقتضي عدم الكراهة فيسوغ الاستماع[١].

٧. أن يحرص المتربّي إذا كان مكمّلا لثلاثة ألا يتناجى مع أحدهما دون الثاني لكي لا يحزنه:

عن عبد الله؛ [هو ابن عمر] **أنّ رسول الله ﷺ قال:** ((**إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث**))[٢].

وعن عبد الله [هو ابن مسعود] ﷛ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث؛ فإنّه يُحزِنُهُ ذلك**))[٣]. إنما يحزنه ذلك لأنه ربما يتوهم أن نجواهما إنما هو لتبييت رأي فيه، أو دسيس غائلة عليه، أو أن ذلك من أجل الاختصاص بالكرامة، وهو محزن صاحبه[٤].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٢/٥٣٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث، رقم الحديث: (١١٦٨)، ص: ٤٢٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، بابٌ: لا يتناجى اثنان دون الثالث، رقم الحديث: (٦٢٨٨). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث، بغير رضاه، رقم الحديث: (٥٦٩٤).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا كانوا أربعة، رقم الحديث: (١١٦٩)، ص: ٤٢٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، رقم الحديث: (٦٢٩٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث، بغير رضاه، رقم الحديث: (٥٦٩٧).

(٤) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ٤/١١٧.

قال النووي رحمه الله[١]: "وفى هذه الأحاديث النهى عن تناجى اثنين بحضرة ثالث، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم، فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم".

ويؤخذ من لفظ الحديث: أنهم إذا كانوا أربعة لم يمتنع تناجي اثنين؛ لإمكان أن يتناجى الاثنان الآخران، وقد ورد ذلك صريحا فيما أخرجه المصنف عن ابن عمر - بعد ذكر لفظ الحديث السابق - ((**قلنا: فإن كانوا أربعة؟ قال: لا يضرّه**))[٢].

وعنه - أيضا - قال: ((**إذا كانوا أربعة فلا بأس**))[٣].

ويستثنى من أصل الحكم ما إذا أذن من يبقى سواء كان واحدا أم أكثر للاثنين في التناجي دونه أو دونهم، فإن المنع يرتفع لكونه حق من يبقى، وأما إذا انتجى اثنان ابتداء وثم ثالث كان بحيث لا يسمع كلامهما لو تكلما جهرا فأتى ليستمع عليهما، فلا يجوز كما لو لم يكن حاضرا معهما أصلا[٤]؛ لما رُوي عن سعيد المقبُري رضي الله عنه، يقول: **مَرَرْتُ على ابن عمر ومعه رجلٌ يتحدّث، فقمتُ إليهما، فلَطَم في صدري فقال:**

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا كانوا أربعة، رقم الحديث: (١١٧٠)، ص: ٤٢٧. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، بابٌ في التناجي، رقم الحديث: (٤٨٥١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٥٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا كانوا أربعة، رقم الحديث: (١١٧٢)، ص: ٤٢٨. سبق تخريجه.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١١/١٠١.

«إذا وجَدْتَ اثنين يتحدَّثان فلا تقُم معهما، ولا تَجْلس مَعَهُما، حتّى تستأذِنَهما». فقلْتُ: أصلَحَك اللهُ يا أبا عبد الرحمن! إنَّما رجَوْتُ أَنْ أَسمَع مِنْكُما خيْراً[١].

٨. أن يهتم المتربي بنظافة المجلس، حرصا على عدم إيذاء المسلمين:

عن الحارث بن عمرو السّهمي ﷺ قال: **أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو بمنى – أو بعرفات – وقد أطاف به النَّاسُ، ويجيء الأعرابُ، فإذا رَأوا وجهه، قالوا: هذا وجهٌ مبارك، قلت: يا رسول الله! استغفِرْ لي، قال: «اللّهمّ اغفِرْ لَنَا». فدُرْتُ، فقلتُ: استغفر لي، قال: «اللهم اغفر لنا». فدُرْتُ، فقلتُ: استغفر لي، فقال: «اللهم اغفر لنا». فذهب يَبْزُقُ فقال بيده فأخَذَ بها بُزاقه، ومسح به نَعله، كَرِهَ أن يصيب أحداً مِنْ حولِه**[٢]. وفي قوله (كَرِهَ أن يصيب أحداً مِنْ حولِه): أدب رفيع من آداب المجالس، وهو أن يحرص المرء على عدم إيذاء غيره[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا رأى قوما يتناجون فلا يدخل معهم، رقم الحديث: (١١٦٦)، ص: ٤٢٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٥٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب البخاري، محمد بن إسماعيل، باب الرجل يكون في القوم فيبزق، رقم الحديث: (١١٤٨)، ص: ٤١٦. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب المناسك، باب في المواقيت، رقم الحديث: (١٧٤٢)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٤٢.

(٣) العوايشة، حسين بن عودة، شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: ٢٦٧/٣.

٩. الحرص على مجالسة الصالحين وأهل الخير:

عن كثير بن مرّة رضي الله عنه قال: **دخَلْتُ المسجد يوم الجمعة، فوَجَدْتُ عوف بن مالك الأشجعي جالسا في حلقة، مَدَّ رجليه بين يديه، فلما رآني قبض رجليه، ثم قال لي: «تدري لأي شيء مَدَدْتُ رِجلي؟ ليجيء رَجُلٌ صالحٌ فيَجْلِسَ»**[١].

١٠. حسن المجالسة ولطف المعاشرة:

من آداب المجالس أن يحسن الجليس مجالسة جليسه، وأن يكون لطيفا في معاشرته ومحادثته، وأن يتجنب التعسير وأسلوب التنفير، والمشاقة في الحديث والجدال فيه، وأن يحرص على البشاشة وطيب الكلمة والانبساط إلى الناس؛ فإن ذلك كلّه مما أمر به الشرع ورغب فيه لتظلّ القلوب متقاربة متآلفة متحابة[٢].

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: **لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: فقال: «أجل والله! إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٣]، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب البخاري، محمد بن إسماعيل، باب هل يُقَدِّم الرّجل رِجْلَه بين يدي جليسه؟ رقم الحديث: (١١٤٧)، ص: ٤١٥. قال الألباني: حسن الإسناد، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٤٢.

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣٧١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: (٤٥).

سمّيتُك المتوكّل، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب[1] في الأسواق، ولا يدفع بالسّيّئة السّيّئة. ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى، حتّى يقيم الملّة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا بها أعينا عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً»[2].

١١. مراعاة آداب العطاس والتثاؤب في المجالس:

ومما ينبغي مراعاته في المجالس وفي غيرها آداب العطاس والتثاؤب، وهذا من محاسن دين الإسلام؛ أن شرع للمسلمين دعاء يقولونه بعد العطاس - الذي هو نعمة من الله عليهم -، فيه يحمدون الله، وبه يتراحمون ويسألون الله الهداية وصلاح البال، فعن البراء بن عازب قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المُقسِم، ونصر المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي. ونهانا عن خواتيم الذّهب، وعن آنية الفضّة...**» الحديث[3].

---

(١) الصخَّب والسَّخَب: الضَّجَّة واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٥١٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث: (٢٤٦)، ص: ٩٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة الفتح، باب ﴿إنا أرسلنك شاهداً ومبشّرا ونذيراً﴾، رقم الحديث: (٤٨٣٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تشميت العاطس، رقم الحديث: (٩٢٤)، ص: ٩٢٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٣٩).

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**حق المسلم على المسلم ستّ**)). **قيل: وما هي؟ قال:** ((**إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبه، وإذا استنصَحَك فانصَح له، وإذا عَطَس فحَمِد الله فشَمِّته، وإذا مَرِض فعُدْه، وإذا مات فاصحَبه**))[1].

ويكون تشميت العاطس على نحو ما ثبت، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: ((**إذا عطس فليقل: الحمد لله فإذا قال، فليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليَقُل: يهديك الله، ويُصلح بالك**)). قال أبو عبد الله: [هو البخاري] أَثْبَتُ ما يروى في هذا الباب هذا الحديث الذي يروى عن أبي صالح السمان[2]، وإذا كان العاطس لم يحمد الله لا يشمت؛ لحديث أنس يقول: **عطس رجلان عند النَّبيّ ﷺ، فشمت أحدَهما، ولم يُشمِّت الآخر، فقال: شمَّتّ هذا ولم تُشَمِّتني؟ قال:** ((**إنَّ هذا حَمِدَ اللهَ، ولم تَحْمَدْهُ**))[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حق المسلم على المسلم أن يسلِّم عليه إذا لقيه، رقم الحديث: (٩٩١). ص: ٣٥٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث: (١٢٤٠). ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام، رقم الحديث: (٥٦٥١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا عطس، رقم الحديث: (٩٢١)، ص: ٣٢٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشَمَّت؟، رقم الحديث: (٦٢٢٤).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا لم يحمد الله لا يشمت، رقم الحديث: (٩٣١)، ص: ٣٢٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحمد للعاطس، رقم الحديث: (٦٢٢١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزهد، باب تشميت العاطس، وكراهة التثاؤب، رقم الحديث: (٧٤٨٦).

ويكون التشميت ثلاثا فما زاد فهو زكام، عن إياس بن سلمة، عن أبيه قال: **كنتُ عند النبيّ ﷺ فعطَسَ رَجُلٌ فقال: «يرحَمُكَ اللهُ»، ثم عطَسَ أخرى، فقال النَّبيُّ: ﷺ «هذا مَزْكُوم»**[١].

وعن أبي هريرة قال: **«شَمِّتْهُ واحدَةً وثِنْتَيْنِ وثلاثاً، فما كانَ بعد هذا فهو زُكام»**[٢].

وإذا كان في المجلس غير مسلم فعطس يقال له: يهديكم الله، ويصلح بالكم، عن أبي موسى قال: **كان اليهود يتعاطَسُون عند النَّبيّ ﷺ رجاء أن يقول لهم: «يرحمكم الله»، فكان يقول: «يهديكم الله، ويصلح بالكم»**[٣].

أما التثاؤب فالمطلوب من المتربي أن يحاول منعه قدر الإمكان؛ لما روى أبو هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: **«إذا تثاءب أحدُكم، فليكظم ما استطاع»**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا عطس مرارا، رقم الحديث: (٩٣٨)، ص: ٣٣٠. مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزهد، باب تشميت العاطس، وكراهة التثاؤب، رقم الحديث: (٧٤٨٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا عطس مرارا، رقم الحديث: (٩٣٩)، ص: ٣٣٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب كم يشمّت العاطس، رقم الحديث: (٥٠٣٤)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٤٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا عطس اليهودي، رقم الحديث: (٩٤٠)، ص: ٣٣٠. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب كيف يشمَّت الذمّي، رقم الحديث: (٥٠٣٨)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٤٨.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التثاؤب، رقم الحديث: (٩٤٢)، ص: ٣٣١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه، رقم الحديث: (٦٢٢٦).

وذلك لأن التثاؤب يصدر عن الامتلاء والكسل وهما مما يحبه الشيطان، كما جاء من حديث أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ قال: ((**إنّ الله يحبّ العطاس، ويكره التّثاؤب، فإذا عَطَس فحَمِد الله فحقّ على كلّ مسلم سَمِعَه أن يُشَمِّتَه، وأمّا التّثاؤب فإنَّما هو من الشيطان، فليَرُدّه ما استطاع، فإذا قال: هَاهَ، ضَحِكَ مِنْه الشّيطانُ**))[1].

قال الخطابي رحمه الله[2]: "معنى حب العطاس وحمده وكراهة التثاؤب وذمّه: أنّ العطاس إنَّما يكون مع انفتاح المسام، وخفة البدن، وتيسير الحركات، وسبب هذه الأمور: تخفيف الغذاء، والإقلال من المطعم، والاجتزاء باليسير منه، والتثاؤب إنّما يكون مع ثقل البدن وامتلائه، وعند استرخائه للنوم، وميله إلى الكسل، فصار العطاس محمودا؛ لأنّه يعين على الطاعات، والتثاؤب مذموم؛ لأنّه يثبطه عن الخيرات وقضاء الواجبات".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العطاس، رقم الحديث: (٩١٩)، ص: ٣٢٣. سبق تخريجه.

(٢) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ١٤١/٤.

المطلب العاشر: آداب الحديث والكلام.

من نعم الله على الإنسان أن فضله على كثير ممن خلق، ومن دلائل التفضيل أن جعل له لسانا يعبر به عن مكنوناته، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[(١)]، ومن مهمات اللسان الكثيرة التعبير عن حاجات النفس،وإيصال المعلومات إلى الغير عن طريق النطق والكلام، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[(٢)].

وتعدّ المحادثة مهارة لغوية تحقق للإنسان التعبير عما يجول في نفسه من أفكار وعواطف، كما تحقق له الاتصال الاجتماعي مع الآخرين.

وللحديث والكلام آداب ينبغي لفت نظر المربّي والمتربّي إليها، ومنها:

١. اختيار أجمل الكلام، وأحسن الألفاظ، أثناء مخاطبة الناس:

عن ابن عباس - أظنه رفعه، شكّ ليث - قال: «**في ابن آدم ستّون وثلاثمائة سُلامى - أو عظم، أو مِفْصل - على كلّ واحد في كلّ يوم صدقة؛ كلّ كلمة طيِّبَة صدقة، وعونُ الرّجل أخاه صدقة؛ والشُّرْبَة من الماء يسقيها صدقة، وإماطة الأذى عن الطّريق صَدَقَة**»[(٣)].

---

(١) سورة البلد الآيات: (٨ - ٩ - ١٠).

(٢) سورة الرحمن الآيات: (١ - ٢- ٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سَقْي الماء، رقم الحديث: (٤٢٢)، ص: ١٤٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٦٤.

والكلمة الطيبة لها تأثيرها الكبير في المجال الاجتماعي، حيث إنها تذهب الشحناء، وتوثق صلات الودّ والمحبّة، قال ابن بطال رحمه الله[١]: "والكلام الطيب مندوب إليه، وهو من جليل أفعال البرّ؛ لأن النَّبيَّ ﷺ جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه - عليه السلام - الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال، هو أن الصدقة بالمال تحيي بها نفس المتصدَّق عليه، ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه، فاشتبها من هذه الجهة، ألا ترى أنّها تذهب الشحناء وتجلي السخيمة..".

وكان النَّبيُّ ﷺ يوصي بطيب الكلمة، وحسن الكلام، فعن شريح بن هانئ قال: حدّثني هانئ بن يزيد: **أنّه لمّا وفد على النبيّ ﷺ مع قومه، فسمعهم النبيّ ﷺ وهم يُكنُّونه بأبي الحَكَم، فدعاه النبيّ ﷺ فقال: ((إنّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم، فلِمَ تكنَّيْتَ بأبي الحَكَم؟)). قال: لا، ولكنّ قومي إذا اختلفوا في شيء أَتَوني فحكمْتُ بينهم، فرضِي كلا الطرفين، قال: ((ما أحسن هذا!)) ثم قال: ((ما لك من الولد؟)). قلتُ: لي شُريح، وعبد الله، ومسلم، بنو هانئ، قال: ((فمَنْ أكبرهم؟)) قلتُ: شُريح، قال: ((فأنتَ أبو شُريح))، ودعا له ولولِده... قال شُرَيْح: وإنْ هانئاً لمّا حضر رُجوعَه إلى بلاده أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: أخبرني بأيِّ شيءٍ يُوجِبُ ليَ الجنَّة؟ قال: ((عليك بحُسْن الكَلام، وَبَذل الطَّعام))**[٢].

---

(١) ابن بطال، علي بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري: ٩/٢٢٥.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب كُنية أبي الحَكَم، برقم: (٨١١)، ص: ٢٨٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، رقم الحديث: (٤٩٥٥)، والنسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب آداب القضاة، باب إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم، رقم الحديث: (٥٣٨٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ٣٠٢.

٢. لزوم الصمت إلا من قول الخير وقلة الكلام إلا إذا كان جوابا، أو نصيحة، أو أمرا بالمعروف، أو نهيا عن المنكر، أو دعوة إلى الله...

عن أبي شُريح الخُزاعي ﷺ، عن النَّبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمُت**»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ[٢]: "معنى الحديث: أن المرء إذا أراد أن يتكلم فليُفكر قبل كلامه فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى محرم ولا مكروه فليتكلم، وإن كان مباحا فالسلامة في السكوت؛ لئلا يجر المباح إلى المحرم والمكروه".

وعن أبي هريرة قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**تدرون ما أكثر ما يُدخل النَّار قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الأجوفان: الفَرْج والفَمُ، وأكثر ما يُدخل الجنَّة؟ تقوى الله وحُسن الخُلُق**»[٣]. فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنّه محلّه، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنّه منفذه[٤].

---

(١) البخاري، الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار، برقم: (١٠٢)، ص: ٤٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث: (٦٠١٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٣).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٦٥٤/١٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حُسن الخُلق إذا فقُهوا، رقم الحديث: (٢٨٩)، ص: ١٠٤. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم الحديث: (٤٢٤٦). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ١٢٣.

(٤) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٩٩/٣.

قال الغزالي رحمه الله[١]: "ويدلّك على فضل لزوم الصمت أمر وهو: أن الكلام على أربعة أقسام:

١) قسم هو ضرر محض.

٢) وقسم هو نفع محض.

٣) وقسم فيه ضرر ومنفعة.

٤) وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه، كذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس، وفضول الكلام امتزاجاً يخفى دَرْكه فيكون الإنسان به مخاطراً".

٣. تجنب الثرثرة، والتقعر في الكلام والتشدق فيه، وتكلّف الفصاحة:

يكره للمتكلم التقعيرُ في الكلام بالتشدّق وتكلّف السجع والفَصاحة والتصنّع بالمقدمات التي يَعتادُها المتفاصحون وزخارف القول، فكلُّ ذلك من التكلُّف المذموم، وكذلك تكلّف السجع، وكذلك التحريّ في دقائق الإعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوامّ، بل ينبغي أن يقصدَ في مخاطبته لفظاً يفهمُه صاحبُه فهماً جليّاً ولا يستثقلُه[٢].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ٣/١٠١.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٧٢ – ٥٧٣.

عن زيد بن أسلم ﷺ قال: سمعتُ ابنَ عمر يقولُ: **قدِمَ رجلان من المشرق خطيبان على عهد رسول الله ﷺ، فقاما فتكلّما ثم قعدا. وقام ثابت بن قيس؛ خطيبُ رسول الله ﷺ فتكلّم، فعجِب الناس من كلامهما. فقام رسولُ الله ﷺ يَخْطُب، فقال: «يا أيّها النّاس! قولوا قولكم، فإنّما تشقيق الكلام من الشيطان». ثم قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من البيان سحرا»**[1].

وقوله ﷺ «**إنَّ من البيان سحرا**» اختلف فيه العلماء هل هو مدح أم ذمّ؟

قال العيني رَحِمَهُ اللهُ[2]: "البيان على نوعين بيان تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان، وبيان بلاغة وهو الذي دخلته الصنعة بحيث يروق السامعين ويستميل به قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر إذا جلب القلوب وغلب على النفوس، وفي الحقيقة هو تصنع في الكلام وتكلف لتحسينه وصرف الشيء عن ظاهره، كالسحر الذي هو تخييل لا حقيقة له، والمذموم من هذا الفصل أن يقصد به الباطل واللبس، فيوهمك المنكر معروفا، وهذا مذموم، وهو أيضا مشبه بالسحر؛ لأن السحر صرف الشيء عن حقيقته".

وعن أنس قال: **خَطَبَ رجلٌ عند عمرَ، فأكثرَ الكلامِ، فقال عمر: «إنّ كثرة الكلام في الخُطَب مِنْ شقائق الشّيطان»**[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كثرة الكلام، رقم الحديث: (٨٧٥)، ص: ٣٠٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب: إن من البيان سحرا، رقم الحديث: (٥٧٦٧).

(٢) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: ٢٠/١٣٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب كثرة الكلام، رقم الحديث: (٨٧٦)، ص: ٣٠٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ٣٢٥.

وعن أبي هريرة، عن النَّبي ﷺ قال: «**شِرَارُ أُمَّتي الثَّرْثارُون، المُتَشَدِّقون**[١]**، المُتَفَيْهِقُون**[٢]**، وخِيارُ أُمَّتي أحاسِنُهم أخلاقاً**»[٣].

ولا يدخلُ في الذمّ تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب؛ لأن المقصودَ منها تهييج القلوب إلى طاعة اللّه ﷻ، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر[٤].

٤ . التزام الهدوء والابتسام أثناء الكلام، وعدم التجهم والعبوس في وجوه المخاطبين:

فعن سُليم بن جابر الهُجيمي ﵁ قال: **أتيتُ النَّبيّ ﷺ وهو مُحْتبٍ في بُردة، وإنَّ هُدَّابها**[٥] **لعلى قدميه. فقلتُ: يا رسول الله! أوصني.**

---

(١) هم المتَوَسِّعون في الكلام من غير احتياطٍ واحترازٍ. وقيل: أرادَ بالمتَشدِّق: المسْتَهزِىءَ بالناس يَلْوى شِدْقَة بهم وعليهم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤٧٠.

(٢) هم الذين يتوسَّعون في الكلام، ويَفْتَحون به أفواههم. مأخوذ من الفَهْق وهو: الامتِلاء والاتِّساع. يقال: أفْهَقْتُ الإناءَ فَفَهِق يَفْهَق فَهْقا. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٧٢٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضول الكلام، رقم الحديث: (١٣٠٨)، ص: ٤٧٦. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث: (٢٠١٨)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ٤٩٧.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٧٤.

(٥) هدب الثوب، وهدبته، وهدابه: طرف الثوب مما يلي طرّته. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ١٠٠٢.

قال: ((عليك باتقاء الله، ولا تحقِرَنّ من المعروف شيئا، ولو أن تُفرِغ للمُستَسْقي من دَلْوك في إنائه، أو تكلّم أخاك ووجهُك مُنبسط. وإيَّاك وإسبال الإزار، فإنَّها من المخيلة، ولا يُحبّها الله. وإنِ امرؤ عيَّرك بشيء يعلمه منك فلا تُعَيِّره بشيء تعلمه منه، دَعْهُ يكون وَبَالُه عليه، وأجرُه لكَ، ولا تَسُبَّنّ شيئا)) قال: فما سَبَبْتُ بعدُ دابّة ولا إنساناً[1].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الاحتباء، رقم الحديث: (١١٨٢)، ص: ٤٣١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم الحديث: (٤٠٨٤). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٦٠.

٥. تجنّب الخبيث من الكلام، والهجين من الألفاظ، لأن المؤمن لا يكون فاحشا ولا بذيئا:

عن عبد الله [هو ابن مسعود]، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**لَيسَ المُؤمن بالطّعّان، ولا اللّعّان، ولا الفاحِش، ولا البذيء**))[١].

وعنه – أيضا – قال: ((**أَلْأَم أخلاق المؤمن الفُحْش**))[٢].

و"حدّ الفُحش: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإنّ لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها، بل يكنون عنها، ويدلّون عليها بالرموز، فيذكرون ما يقاربها ويتعلّق بها"[٣]، "واعلم أن هذا كلّه إذا لم تدعُ حاجةٌ إلى التصريح بصريح اسمه، فإن دعتْ حاجةٌ لغرض البيان والتعليم وخِيفَ أن المخاطَب لا يفهم المجاز، أو يفهمُ غيرَ المراد صرّح حينئذ باسمه الصريح ليحصلَ الإفهامُ في هذا أولى من مراعاة مجرّد الأدب"[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليس المؤمن بالطعان، رقم الحديث: (٣١٢)، ص: ١١٢. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم الحديث: (١٩٧٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ١٣٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليس المؤمن بالطعان، رقم الحديث: (٣١٤)، ص: ١١٣. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار: ٢١١/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ١٣١.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١١٠/١٣.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥*٤.

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**لا يقولنّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكنْ لِيقُل: لَقِسَتْ**[١] **نفسي**»[٢].

قال النووي رحمه الله[٣]: "قال أبو عبيد وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: لَقِسَت وخَبُثَتْ بمعنى واحد، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وعَلَّمهم الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها".

٦. الاهتمام بتوجيه الخطاب لجميع المخاطبين:

من آداب الحديث أن يقبل المتحدّث بنظراته وتوجيهاته على الجلساء جميعا، حيث يشعر كلّ فرد منهم أنه يريده ويخصّه، ويتأكد هذا في حق المدرس في فصله والشيخ في حلقته، حيث إن اهتمام كلّ منهما بتوزيع نظراته على جميع التلاميذ أثناء الحديث يساعد على ضبط النظام في الفصل، وجذب انتباه التلاميذ إلى كلامه، ومما يدل على هذا الأدب ما رواه المِصَنِّفُ عن حبيب بن أبي ثابت س قال: «**كانوا يُحبّون إذا حدّث الرّجُلُ أن لا يُقبِلَ على الرَّجُل الواحد، ولكنْ ليَعُمَّهم**»[٤].

---

(١) أي غَثَت: واللَّقْس: الْغَثَيَان. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨٤٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يقل: خَبثتْ نفسي، رقم الحديث: (٨٠٩)، ص: ٢٨١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب لا يقل خبثت نفسي، رقم الحديث: (٦١٧٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها، باب كراهة قول الإنسان: خبثت نفسي، رقم الحديث: (٥٨٧٨).

(٣) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٥/١٠.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا حدّث الرّجل القوم لا يُقبل على واحد، رقم الحديث: (١٣٠٤)، ص: ٤٧٥. قال الألباني: حسن الإسناد مقطوعا. صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٩٦.

٧. تجنب مواجهة المخاطَب بكلام يكرهه:

وهذا أدب نبوي رفيع في التعامل مع المخطئ، بالتلطف معه في العتاب، والبعد عن التشهير به أمام النّاس، وهذا الأسلوب في الوعظ والإرشاد من أقوى أسباب الألفة، وله انعكاسات وآثار طيبة على نفس المتلقي، إذ يجعله يقبل على المتكلم، ويصغي له، ويستجيب لتوجيهاته، بعكس المتكلم الغليظ البذيء في كلامه، فإنه في أكثر الأمر يغري المتلقي بالتمادي على أمره لجاجا ومغايظة للمتكلم الجافي، فيكون فاشلا في توجيهه وإرشاده، ومخالفا لهدي النّبيّ ﷺ في مثل هذه المواقف التربوية، فعن عائشة قالت: صَنَعَ النَّبيُّ ﷺ شيئاً، فَرَخَّصَ فيه، فتَنَزَّه عنه قومٌ، فبلَغَ ذلك النَّبيّ ﷺ، فخَطَب، فَحَمِد الله، ثمّ قال: ((**ما بال أقوامٍ يتنزّهون عن الشّيء أصنَعه؟ فو الله! إنِّي لأعلمهم بالله، وأشَدّهم له خشية**))[١].

وعن أنس قال: **كان النَّبيُّ ﷺ قلّ ما يواجه الرّجل بشيء يكرَهُه، فدَخَلَ عليه يوماً رَجُلٌ – وعليه أثر صُفرة – فلمّا قامَ، قال لأصحابه:** ((**لو غيَّر – أو نَزَع – هذه الصُّفرة**))[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لم يواجه النّاس بكلامه، رقم الحديث: (٤٣٦)، ص: ١٥٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث: (٦١٠١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله وشدّة خشيته، رقم الحديث: (٦١٠٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لم يواجه النّاس بكلامه، رقم الحديث: (٤٣٧)، ص: ١٥٠. أبو داود، سليمان ابن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الترجل، باب في الخلوق للرجل، رقم الحديث: (٤١٨٢)، وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: ٤٩.

٨. تقديم الأكبر في الكلام:

من آداب الحديث والكلام في السنة النبوية أن يقدّم من هو أعلى مقاما، وأرفع قدرا، وأغزر علما، وأكبر سنا، وأعظم فضلا في الكلام، وأن يصغي له:

عن رافع بن خديج وسهل بن أبي حَثْمَة، **أنّهما حدَّثا – أو حدّثاه– أنّ عبد الله بن سهل ومُحَيِّصَة بن مسعود أَتَيا خيبرَ، فتفرّقا في النَّخل، فقُتل عبد الله بن سهل، فجاء عبد الرحمن بن سهل، وحُويِّصة ومُحَيِّصة ابنا مسعود، إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن – وكان أصغر القوم – فقال له النبي ﷺ: ((كَبِّر الكُبْرَ)). قال يحيى: لِيَلِي الكلامَ الأكبرُ، فتكلّموا في أمر صاحبهم...الحديث**[1].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **((أخبروني بشجرة، مَثَلُها مَثَل المسلم، تؤتي أُكُلُها كلَ حين بإذن ربِّها، لا تحتّ ورقها)). فوقع في نفسي النخلة، فكرهتُ أن أتكلَّم، وثمَّ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلمَّا لم يتكلّما، قال النَّبيّ ﷺ: ((هي النّخلة))، فلمَّا خرجتُ مع أبي قلتُ: يا أبتِ وقع في نفسي النخلة. قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنتَ قُلتَها كان أحبّ إليّ من كذا وكذا. قال: ما منَعَني إلاّ لم أرك، ولا أبا بكر تكلَّمتما، فكرهتُ**[2].

---

(١) البخاري، الأدب المفرد، باب يبدأ الكبير بالكلام والسؤال، برقم: (٣٥٩)، ص: ١٢٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، رقم الحديث: (٦١٤٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب االقسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب القسامة، رقم الحديث: (٤٣٤٢).

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب إذا لم يتكلّم الكبير هل للأصغر أن يتكلّم؟، برقم: (٣٦٠)، ص: ١٢٧ . البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، – سورة إبراهيم –، باب قوله: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت﴾، رقم الحديث: (٤٦٩٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم الحديث: (٧٠٩٨).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: "وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظنَّ أنه الصَّواب".

وتقديم الكبير يكون حيث يقع التساوي، "أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير؛ لأن عمر تأسف حيث لم يتكلم ولده مع أنه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبي بكر ومع ذلك تأسف على كونه لم يتكلّم"[٢].

٩. مراقبة اللسان وحفظه، وحبسه وكفه عن الآفات الكلامية:

ومن آداب الحديث والكلام: أن يراقب الإنسان لسانه؛ حتى لا يقع في مساوئ الكلام التي تؤدي إلى المهلكات، وتوجب الشحناء والتباغض بين أفراد المجتمع، ومن هذه المهلكات:

أ. المراء والجدل العقيم، وقيل وقال، والخوض فيما لا طائل تحته ولا ثمرة بعده:

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **أنّ رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال، وعن مَنْع وهات، وعقوق الأمّهات، وعن وأد البنات**[٣].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٦٥٩/١٠.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المرجع السابق، المكان نفسه.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب البخل، رقم الحديث: (٢٩٧)، ص: ١٠٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، رقم الحديث: (٦٤٧٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة. والنهي عن منع وهات وهو الامتناع عن أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، رقم الحديث: (٤٤٨٣).

و(قيل وقال): هو الخوض في أخبار الناس وحكايات مالا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم.

وحدّ المراء: هو كلّ اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه؛ إمّا في اللفظ وإما في المعنى وإمّا في قصد المتكلم.

وأما المجادلة، فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه[١].

وهذه الآفات لها آثار سلبية على العلاقات الاجتماعية، فالمماراة مثلا لا تنفك عن الإيذاء وتهييج الغضب، وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل، ويقدح في قائله بكل ما يتصور له؛ فيثور الشجار بين المتماريين، كما يثور الهراش بين الكلبين، يقصد كلّ واحد منهما أن يعضّ صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه[٢].

ولهذه الآثار السلبية المترتبة على المماراة ورد النهي عنها، فعن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((**لا تُمارِ أخاك، ولا تُمَازِحْه، ولا تَعِدْه مَوْعدا فتخلِفَه**))[٣].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١٠٦/١٣.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ١٠٧/١٣

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تعدْ أخاك شيئا فتَخْلفه، رقم الحديث: (٣٩٤)، ص: ١٣٧. والترمذ، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراء، رقم الحديث: (١٩٩٥)، وضعفه الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الأدب المفرد، ص: ٤٧.

وعن معاذ بن جبل ﵁، أنَّه قال: «**إذا أحبَبْتَ أخاً فلا تُماره، ولا تشارِّه**[١]**، ولا تسأل عنه، فعسى أن تُوافي له عدوّا فيُخبرُك بما ليس فيه، فيفرّق بينك وبينه**»[٢].

ب. الإفراط في المزاح:

للمزاح فوائد اجتماعية كثيرة، منها: تطييب خاطر المسلم، وإدخال السرور على قلبه، وفيه أنس للأصحاب، وطرد للوحشة، وتأليف للقلوب، وهو مظهر من مظاهر الأخوة والوفاء، وقد يساعد على التخلص من بعض الأمراض النفسية، كالقلق والخوف غير الطبيعي ونحو ذلك،"فالمزح أداة تربوية تهدف إلى تحقيق نشاط نفسي يطرد وراسب التعب والسأم، فهو بمثابة الزيت لصيانة (الهندسة النفسية) وأجهزتها الانفعالية والإدراكية من آفات الصدأ، ورواسب الجفاف والتآكل"[٣].

وإن روح الدعابة سمة رئيسة في الخصائص الاجتماعية والنفسية لشخصية المربّي القدير؛ لأنّها تخفف جدية الحياة، كما أنها تنشر في المناخ النفسي روحا محببة، وليس في ذلك حرج يخدش كمال الشخصية، بل إنّها سمة المنظمة النفسية؛ لأنها تشف عن روح التواضع وتماسك الشخصية[٤]،

---

(١) هو تفاعل من الشَّرِّ: أي لا تَفْعل به شرّاً يُحْوجه إلى أن يَفْعل بك مِثْله. ويروى بالتخفيف. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤٧٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا أحبّ رجلاً فلا يماره ولا يسأل عنه، رقم الحديث: (٥٤٥)، ص: ١٨٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٥.

(٣) الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، ص: ٢٨٠.

(٤) الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، ص: ٢٨٠.

ولذا كان النَّبيُّ ﷺ يمزح و يداعب أصحابه ولا يقول إلا حقا، فعن أبي هريرة، **قالوا: يا رسول الله! إنّك تداعبنا؟ قال: ((إنِّي لا أقول إلا حقا))**[١].

ومن الأمثلة على بعض مزاحه ﷺ ما رواه أنس بن مالك قال: **جاء رجُلٌ إلى النَّبيّ ﷺ يستَحْمِله، فقال: ((أنا حاملك على ولَدِ ناقة!)). قال: يا رسول الله! وما أصنع بولَدِ ناقة؟! فقال رسولُ الله ﷺ: ((وهل تلِدُ الإبلُ إلا النّوق))**[٢].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يمزح مع الصبيان تلطفا بهم، فعن أنس قال: **كان النبي ﷺ يدخُل علينا – ولي أخٌ صغيرٌ يُكنَّى أبا عُمير، وكان له نُغَر**[٣] **يلعب به، فمات – فدخل النّبيّ ﷺ فرآه حزينا، فقال: ((ما شأنه؟))، قيل له: مات نُغره، فقال: ((يا أبا عُمَير، ما فعل النُّغَير))**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المزاح، رقم الحديث: (٢٦٥)، ص: ٩٩. الترمذ، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، رقم الحديث: (١٩٩٠)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٧٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المزاح، رقم الحديث: (٢٦٨)، ص: ٩٩. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، رقم الحديث: (٤٩٩٨)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، رقم الحديث: (١٩٩١). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٧.

(٣) هو تصغير النُّغَر وهو طائر يُشْبِه العُصْفور أحمر المِنْقار ويُجمع على: نِغْرَان. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٢٨.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكُنية للصبيّ، برقم: (٨٤٧)، ص: ٢٩٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث: (٦١٢٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الآداب، باب جواز تكنية من لم يولد له، وكنية الصغير، رقم الحديث: (٥٦٢٢).

ولكن المزاح إذا لم ينضبط بضوابط الشرع يكون مذموماً يجب اجتنابه، قال النووي رحمه الله[١]: "المزاحُ المنهيُّ عنه هو الذي فيه إفراط ويُداوم عليه، فإنه يُورث الضحك وقسوةَ القلب، ويُشغل عن ذكر اللّه تعالى والفكر في مهمات الدين، ويؤولُ في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويُورث الأحقاد، ويُسقطُ المهابةَ والوقارَ. فأما ما سَلِمَ من هذه الأمور، فهو المباحُ الذي كان رسولُ اللّه ﷺ يفعله، فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادر من الأحوال؛ لمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا منعَ قطعاً بل هو سنّةٌ مستحبةٌ إذا كان بهذه الصفة".

فالمزاح الزائد عن حدّه يوجب كثرة الضحك التي ورد النهي عنها، فعن أبي هريرة قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((**أقِلّ الضّحك؛ فإنّ كثرة الضّحك تُميتُ القلبَ**))[٢].

ج. المبالغة في المدح:

يجب أن يعرف المتربّي أنّ للمدح آدابا ينبغي مراعاتها، عند الكلام بالمدح أو الثناء على أحد، ومن خلال استقراء بعض نصوص السنة تتجلى آداب المدح المباح وهي:

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٠٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الضحك، رقم الحديث: (٢٥٢)، ص: ٩٤ - ٩٥. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، رقم الحديث: (٢٣٠٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣١.

▪ الصدق:

وهو أن يكون الممدوح أهلاً لما يُقال فيه، ولا يتجاوز المادح الصفات الحقيقية الصادقة في الممدوح، فعن أبي هريرة؛ **أنّ النّبيّ ﷺ قال:** ((**نِعمَ الرّجل أبو بكر، نعمَ الرّجل عمر، نعم الرّجل أبو عبيدة، نعم الرّجل أسيد بن حُضَير، نعم الرّجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرّجل معاذ بن عمرو بن الجَمُوح، نعم الرّجل معاذ بن جبل**)). **قال:** ((**وبئس الرّجل فلان، وبئس الرّجل فلان**)) **حتى عدّ سبعة**[1].

▪ التوسط في المدح وعدم المبالغة ومجاوزة الحد، والأمن من فتنة الممدوح ومن حدوث الكبر والاستعلاء والفتور عن العمل الصالح:

عن أبي موسى قال: **سَمِع النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً يُثني على رَجُل ويُطريه. فقال النَّبيُّ ﷺ:** ((**أهلكْتُم – أو قَطَعْتم ظَهْرَ – الرّجُل**))[2].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من أثنى على صاحبه إن كان آمناً به، رقم الحديث: (٣٣٧)، ص: ١١٩. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبيّ بم كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، رقم الحديث: (٣٧٩٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما جاء في التمادح، رقم الحديث: (٣٣٤)، ص: ١١٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب ما يكره من التمادح، رقم الحديث: (٦٠٦٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف فيه فتنة على الممدوح، رقم الحديث: (٧٥٠٤).

وهذا الحديث يمنع المدح في الوجه، وهناك أحديث أخرى تبيحه، وقد جمع بينهما العلماء بحمل الأحاديث المانعة على المجازفة والمبالغة في المدح، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: "وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريق الجمع بينها: أن النهى محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كتنشيطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحبا والله أعلم".

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: سِمِعْتُ عمرَ يقولُ: ((**المَدْح ذَبْحٌ**)). قال محمّد: (هو شيخ المصنف) يعني إذا قَبِلَها[٢].

شبّه المدح بالذبح لما فيه من الآفة في دين المادح والممدوح، وسماه ذبحا لأنه يميت القلب فيخرج من دينه.

وفيه ذبح للممدوح فإنه يغرّه بأحواله، ويغريه بالعجب والكبر ويرى نفسه أهلا للمدحة، سيما إذا كان من أبناء الدنيا أصحاب النفوس وعبيد الهوى.

والمذبوح هو الذي يفتر عن العمل، والمدح يوجب الفتور، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهو مهلك كالذبح، فلذلك شُبّه به[٣].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٣٢٦/١٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما جاء في التمادح، رقم الحديث: (٣٣٦)، ص: ١١٩. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٦.

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ١٢٩/٣.

ولخطورة المدح أمر النَّبيُّ ﷺ أن يُحثى في وجوه المدّاحين التراب، فعن أبي معمَر س قال: **قام رجلٌ يثني على أمير مِنَ الأُمَراء، فجَعَلَ المِقْداد يَحثي في وجهه التّراب وقال:** ((**أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نَحْثِيَ في وُجُوه المَدَّاحين التّرابَ**))[1].

وفي قوله "المدّاحين" عبر بصيغة المبالغة إشارة إلى أن الكلام فيمن تكرر منه المدح حتى اتخذه صناعة وبضاعة يتأكَّل بها من الناس، وجازف في الأوصاف وأكثر الكذب، يريد لا تعطوهم على المدح شيئا فالحثي كناية عن الحرمان والرد والتخجيل. وقيل هو على ظاهره فيرمى في وجوههم التراب[2].

- تقييد المدح بقول: (أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً).

إن كان لا بدّ من المدح فليُقيّد بهذا القيد تأدباً مع الله في رد علم السرائر إليه؛ فهو أعلم بمن اتقى. وإنما الأحكام تجرى على الظاهر، والله يتولى السرائر، فعن أبي بكرة؛ **أنّ رجلاً ذُكِرَ عندَ النَّبيّ ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيراً. فقال النَّبيُّ ﷺ:** ((**ويحَكَ قَطَعتَ عُنُق صاحبك، (يقوله مِرَاراً)، إنْ كان أحدُكم مادِحاً لا مَحالة، فَلَيقلْ: أحسِبُ كذا وكذا – إن كان يرى أنَّه كذلك – وحسيبه الله، ولا يُزَكِّي على الله أحداً**))[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يحثى في وجوه المدّاحين التّراب، رقم الحديث: (٣٣٩)، ص: ١٢٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف عنه فتنة على الممدوح، رقم الحديث: (٧٥٠٥).

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ١٨٢/١-١٨٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما جاء في التمادح، رقم الحديث: (٣٣٣)، ص: ١١٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجلٌ رجُلاً كفاه، رقم الحديث: (٢٦٦٢).

ذكر الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: للمدح الممنوع ست آفات، أربع على المادح وهي:

١- قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كاذباً.

٢- وقد يُظهر له من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقاً.

٣- وقد يقول له ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه، فيكون مجازفاً.

٤- وقد يُفرِحُ الممدوح وهو ظالم أو فاسق فيكون مناصراً لظالم.

وآفتان على الممدوح وهي:

١- قد يُحدث فيه كبراً وإعجاباً؛ وهما مهلكان.

٢- قد يفرح؛ فيفسد عمله، أو يغتر.

د. الغناء:

يجب أن يعرف المتربّي أن الغناء حرام إلا ما رخص فيه الشارع الحكيم؛ لأنّه يحسّن الكلام القبيح، ويزخرفه ويزينه في نفوس الناس، فيزداد قبوله، ويكثر الإقبال عليه، وحتى إن المذاهب الهدّامة، والعقائد الفاسدة، والأفكار النتنة، رُوِّج لها عن طريق الغناء، فضلا عمّا يصاحبه من أنواع الفسوق والمعاصي، كوصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمور وغير ذلك مما حرّم الله، وهذه الأغاني من أكثر الوسائل التي تغري الشباب على العشق والغرام، وإضاعة أموالهم في الخسران والهلاك[٢].

عن عبد الله بن دينار قال: **خَرَجْتُ مع عبد الله بن عمر إلى السّوق، فمَرّ على جارية صغيرَة تُغَنِّي فقال: «إنّ الشّيطان لو تَرَك أحداً لَتَرَك هذه»**[٣].

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٣/١٦٠.

(٢) العوايشة، حسين بن عودة، حصائد الألسن، ص: ١٠١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الغناء واللهو، رقم الحديث: (٧٨٤)، ص: ٢٧٣. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٩٢.

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾[١] **قال:** ((**الغناء وأشباهه**))[٢].

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: "والغناء أشد لهوا وأعظم ضررا من أحاديث الملوك وأخبارهم، فإنه رقية الزنا، ومنبت النفاق، وشَرَك الشيطان، وخمرة العقل، وصده عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل؛ لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه.

إذا عرف هذا فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن، وإن لم ينالوا جميعه، فإن الآيات تضمنت ذم من استبدل لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا، وإذا يتلى عليه القرآن ولى مستكبرا كأن لم يسمعه كأن في أذنيه وقرا وهو الثقل والصمم، وإذا علم منه شيئا استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرا، وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم فلهم حصة ونصيب من هذا الذم، يوضحه: أنك لا تجد أحدا عنى بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علما وعملا، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يُسكِت القارئ، ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني، ويستقصر نوبته، وأقل ما في هذا، أن يناله نصيب وافر من هذا الذم إن لم يحظ به جميعه".

---

(١) سورة لقمان الآية (٦).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الغناء واللهو، رقم الحديث: (٧٨٦)، ص: ٢٧٤. والبيهقي، سنن البيهقي الكبرى:١٠/٢٢١، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٩٢.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ١/٢٤٠ - ٢٤٢.

هـ. المذموم من الشعر:

الشعر كلام كسائر الكلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح، فقد سمع النبي ﷺ الشعر واستنشده، وأمر به حسّان في هجاء المشركين، وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء، وأئمة الصحابة، وفضلاء السلف ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه[١]، ومن الأدلة على ذلك ما أورده المصنِّف عن أبيّ بن كعب، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**مِنَ الشِّعْر حِكْمَة**))[٢].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ((**الشِّعر بمنزلة الكلام؛ حسنُه كحسن الكلام، وقبيحُه كقبيح الكلام**))[٣].

وعن عائشة ﵂؛ أنّها كانت تقول: ((**الشِّعْرُ مِنْه حسن ومِنْه قبيح، خذ بالحسن، ودَعِ القبيح، ولقد روَيْتُ من شعر كعب بن مالك أشعاراً، مِنها القصيدة فيها أربعون بيتاً، ودون ذلك**))[٤].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٥/١٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشّعر حسن كحسن الكلام ومنه قبيح، رقم الحديث: (٨٦٤)، ص: ٣٠١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء وما يكره منه، رقم الحديث: (٦١٤٥).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشّعر حسن كحسن الكلام ومنه قبيح، رقم الحديث: (٨٦٥)، ص: ٣٠١. والدارقطني، علي بن عمر البغدادي، سنن الدارقطني: ٤/١٥٦، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشّعر حسن كحسن الكلام ومنه قبيح، رقم الحديث: (٨٦٦)، ص: ٣٠٢. والدارقطني، علي بن عمر البغدادي، سنن الدارقطني: ٤/١٥٦، والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ٣/٣٥٠، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢٢.

وعن شُريح رضي الله عنه قال: **قلْتُ لعائشة رضي الله عنها: أكان رسولُ الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشِّعر؟ فقالتْ: كان يتمثّل بشيء من شِعْر عبد الله بن رواحةَ:** ((**ويأتيك بالأخبار مَنْ لَم تُزَوِّدِ**))[(١)][(٢)].

وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال: **كُنتُ شاعراً، فقلتُ يا رسول الله! امتَدَحْتُ ربِّي. فقال:** ((**أمّا إنّ ربّك يحبّ الحمد**)) **وما استزادني على ذلك**[(٣)].

وعن الشّريد رضي الله عنه قال: **استنشَدَني النَّبيُّ ﷺ شِعْرَ أُمَيّة بن أبي الصّلت، وأنْشَدْتُه، فأخَذَ النَّبيُّ ﷺ يقول:** ((**هِيْهِ**[(٤)]. **هِيْهِ**)) **حتى أنشدْتُه مئةَ قافية، فقال:** ((**إِنْ كادَ لَيُسْلِمَ**))[(٥)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشّعر حسن كحسن الكلام ومنه قبيح، رقم الحديث: (٨٦٧)، ص: ٣٠٢. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، رقم الحديث: (٢٨٤٨)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢٢.

(٢) "تنبيه اعلم أن نسبة عائشة رضي الله عنها الشعر المذكور إلى بن رواحة نسبة مجازية، فإنه ليس له، بل هو لطرفة بن العبد البكري في معلقته المشهورة". المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ٨/١١٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشّعر حسن كحسن الكلام ومنه قبيح، رقم الحديث: (٨٦٨)، ص: ٣٠٢. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢٠.

(٤) هِيهِ بمَعْنَى إيهٍ فأبْدلَ من الهَمْزَة هَاءً وإيه اسْمٌ سُمِّيَ به الفِعْل ومَعْنَاهُ الأمْرُ تَقُول للرَّجُل: إيهِ بغَير تَنْوين إذا اسْتَزَدْتَه من الحديث المعْهُود بَيْنَكُما، فإن نَوَّنْتَ: اسْتَزَدْتَه مِن حَديثٍ مّا غَيْرِ مَعْهُود لأنَّ التَّنْوين للتَّنْكير. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ١٠١٩.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من استنشد الشعر، رقم الحديث: (٨٦٩)، ص: ٣٠٣. ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الشعر، باب في إنشاد الأشعار وبيان أشعر الكلمة وذم الشعر، رقم الحديث: (٥٨٨٥).

وعن هشام عن أبيه [هو عروة بن الزبير] قال: **ذَهَبْتُ أَسُبّ حَسَّان عند عائشةَ، فقالتْ: لا تَسُبّهُ؛ فإنَّه كانَ ينافح[١] عن رسول الله ﷺ**))[٢].

هذا هو الشّعر المباح الذي فيه الثناء على الله وتمجيده، والدفاع عن شعائر الدين ومقدّساته، ومبادئ الإسلام وأركانه.

وهناك من جعلُوا الشّعر طريقاً إلى الشرك والفجور والعصيان، كالغلوّ في الصالحين، هذا - من جهة من يُحسب من أهل التديّن — أو نشر مبادئ الإلحاد والفساد، أو نصرة البدع والمذاهب الهدّامة، وكثيرا ما يكون الشعر في ذكر النساء والحث على الفاحشة، أو مدح المرء بما ليس فيه، أو الهجاء، حتى لربّما بلغ بالشاعر أن يهجو قبيلة بأسرها، وهذا النوع من الشّعر ورد التحذير الشديد من الاشتغال به، فعن ابن عمر، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قَيْحاً[٣] خيرُ له مِنْ أنْ يَمتلئ شِعْراً**))[٤].

---

(١) المنَافَحة والمكافَحة: المدافَعة والمضارَبة. ونَفَحْتُ الرجُل بالسيف: تَناوَلْتُه به. يُريد بِمُنافَحتِه هِجاءَ الُمشْركين ومُجاوَبَتَهم على أشْعارِهِم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٩٣٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من الشّعر حكمة، رقم الحديث: (٨٦٣)، ص: ٣٠١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب من أحب أن لا يسب نسبه، رقم الحديث: (٣٥٣١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦٣٨٩).

(٣) القَيْحُ: الأبيض الخاثر الذي لا يخالطه دم. وقَاحَ الجرح قَيْحاً من باب باع: سال قيحه أو تهيأ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص:٤٢٥.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مَنْ كره الغالب عليه الشعر، رقم الحديث: (٨٧٠)، ص: ٣٠١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشّعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن، رقم الحديث: (٦١٥٤).

قال النووي رحمه الله[١]: و"المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية، وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه، فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا؛ لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا والله أعلم".

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النّبيّ ﷺ قال: **((إنَّ أعظَمَ النَّاسِ جُرْماً إنسانٌ شاعرٌ يَهْجوا القبيلَة مِنْ أسرها، ورَجُل انتفى مِنْ أبيه))**[٢].

وعن ابن عباس: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[٣] **إلى قوله:** ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[٤] **فنسخ مِن ذلك واستثنى، فقال**﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ يَنقَلِبُونَ ﴾[٥][٦].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٧/١٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يكره من الشعر، رقم الحديث: (٨٧٤)، ص: ٣٠٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢٤.

(٣) سورة الشعراء الآية: (٢٢٤).

(٤) سورة الشعراء الآية: (٢٢٦).

(٥) سورة الشعراء الآية: (٢٢٧).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مَنْ كره الغالب عليه الشعر، رقم الحديث: (٨٧١)، ص: ٣٠٣. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشّعر، رقم الحديث: (٥٠١٦)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢٣.

و. التّحديث بكلّ ما سُمِع:

مما ينبغي أن يتجنبه المتربّي من آداب الحديث والكلام: أن يحدّث بكل ما سمع؛ لأن أحاديث النّاس فيها الكذب والصدق، فإذا حدّث الرّجلُ بكلّ ما سِمِع، فإنَّه سيحدّث بالكذب جزما، ولذا كان المحدّث بكلّ ما سمع محدّثا بالكذب، فعن ابن عمر، عن عمر أنّه قال: ((**حَسْبَ امرئ مِنَ الكذب أن يحدّث بكلّ ما سَمِع**))[١].

ز. إفشاء السرّ:

من آفات الحديث والكلام التي تناقض الآداب الإسلامية في هذا المجال، إفشاء السرّ ونشره بين الناس، وهو منهيّ عنه؛ لما فيه مِن الإيذاء والتهاون بحقّ المعارف والأصدقاء[٢]، عن أنس قال: **أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن صبيان، فسلَّم علينا، وأرسَلَني في حاجة، وجَلَس في الطّريق ينتظرني حتى رَجَعْتُ إليه، قال: فأبْطَأْتُ على أمّ سُلَيم. فقالتْ: ما حَبَسَك؟ فقُلْتُ: بَعَثَنِي النَّبيّ ﷺ في حاجة. قالتْ: ما هي؟ قلتُ: إنَّها سرّ. قالتْ:** ((**فاحفظْ سرّ رسول الله ﷺ**))[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المعاريض، رقم الحديث: (٨٨٣)، ص: ٣٠٨. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار: ٢٣٧/٥. قال الألباني: صحيح موقوفا، وصح من حديث أبي هريرة مرفوعا، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٢٩.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١١٩/١٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الجلوس على الطرقات، رقم الحديث: (١١٣٩)، ص: ٤١٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب حفظ السر، رقم الحديث: (٦٢٨٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦٣٧٨).

ح. الكذب والغيبة والنميمة:

من المهلكات الكلامية التي يجب أن يجتنبها المتربّي أثناء حديثه أو كلامه: الكذب والغيبة والنميمة، وسيأتي الحديث عن هذه الأمور الثلاثة بالتفصيل، عند الكلام عن الأمراض الاجتماعية الظاهرة، في الفصل الثالث من هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

١٠. ألفاظ وكلمات يجب أن تُجتنب:

هناك ألفاظ وكلمات تدور على ألسنة الناس، وهي خطيرة من الناحية الشرعية والاجتماعية، وبعض هذه الألفاظ لها تأثير سيئ على النسيج الاجتماعي للمجتمع، فمن آداب الحديث والكلام أن تُجتنب مثل هذه الألفاظ والكلمات، لورود النهي الصريح عنها، ومن هذه الألفاظ والكلمات:

أ- ألفاظ التكفير والتبديع والتفسيق:

عن أبي ذرّ قال: سمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر؛ إلا ارتدّت عليه؛ إن لم يكن صاحبُه كذلك**»[١].

قال ابن حجر رحمه الله[٢]: "وهذا يقتضي أن من قال لآخر: أنت فاسق، أو قال له: أنت كافر، فإن كان ليس كما قال، كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سباب المسلم فسوق، رقم الحديث: (٤٣٢)، ص: ١٤٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم الحديث: (٦٠٤٥).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١٠/٥٧٢.

ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقا ولا كافرا؛ أن لا يكون آثما في صورة قوله له: أنت فاسق بل في هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز. وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز؛ لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف؛ لأنه قد يكون سببا لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل؛ كما في طبع كثير من الناس من الأَنَفة، لاسيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة".

وعن أبي ذَرّ – أيضا –؛ أنَّه سَمِع النَّبيَّ ﷺ يقول: ((**مَنِ ادّعى لغَيْر أبيه وهو يعلم فقد كَفَرَ، ومَنِ ادّعى قوماً لَيس هو مِنْهم فليتبوّأ مقعَدَه مِنَ النّار، ومَنْ دعا رجلاً بالكُفر، أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك إلاّ حارَتْ[1] عليه**))[2].

وعن عبد الله بن عمر؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((**أَيَّما رَجُل قال لأخيه: كافِر، فقد باءَ بها أحدُهُما**))[3].

---

(١) وأصل الحَوْر: الرجوع إلى النَّقْص... أي: رَجع عليه ما نَسَبَ إليه. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٢٤١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سباب المسلم فسوق، رقم الحديث: (٤٣٣)، ص: ١٤٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب حدّثنا أبو معمر، رقم الحديث: (٣٥٠٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم الحديث: (٢١٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من قال لأخيه يا كافر، رقم الحديث: (٤٣٩)، ص: ١٥١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم الحديث: (٦١٠٤)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم الحديث: (٢١٥).

ب- ألفاظ الشّرك بالله:

ومن هذه الألفاظ، قول الرّجل: "ما شاء الله وشِئْتَ": فعن ابن عبّاس، قال: **قال رجلٌ للنّبيّ ﷺ: ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ! قال: ((جَعَلْتَ لله نِدّاً؟! ما شاءَ الله وحْدَه))**[١].

ومنها قول الرجل: "مُطِرنا بنَوء كذا وكذا": عن زيد بن خالد الجُهَني رضي الله عنه؛ أنَّه قال: **صلّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبح بالحُدَيبية؛ على أثر سماء كانتْ مِنَ الليلة، فلما انصرَف النَّبيُّ ﷺ أقْبَلَ على النَّاس، فقال: ((هَلْ تَدْرون ما ذا قال ربُّكم؟)). قالوا: الله ورسولُه أعلم. قال: ((أصبَحَ مِنْ عبادي مُؤمِنٌ بي وكافِرٌ؛ فأمَّا مَنْ قال: مُطِرْنا بفضل الله ورَحْمَته، فذلك مُؤْمِن بي كافر بالكوكب، وأمَّا مَنْ قال: بنَوء[٢] كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي، مؤمِنٌ بالكَوْكَبِ))**[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الرّجل: ما شاء الله وشِئْتَ، رقم الحديث: (٧٨٣)، ص: ٢٧٣. وأحمد بن حنبل الشيباني، المسند: ٢١٤/١، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف: ٣٤٠/٥، والبيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي الكبرى: ٢١٧/٣، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٩٢.

(٢) والأنواء: هي ثمان وعشرون مَنْزلةً ينزل القَمُر كلَّ ليلة في منزلة منها. ومنه قوله تعالى: [والقَمَرَ قدّرناهُ مَنازِلَ] ويَسْقط في الغَرْب كلَّ ثلاثَ عشرة ليلة مَنزلةً مع طلوع الفجر، وتطلُع أخرى مُقابلَها ذلك الوقت في الشرق، فتَنْقضي جميعُها مع انقضاء السَّنة. وكانت العرب تزعُم أن مع سُقوط المنزِلة وطلُوع رَقيبها يكون مَطر ويَنسُبونه إليها فيقولون: مُطِرنا بنَوْء كذا. وإنما سُمِّي نَوْءاً لأنه إذا سَقط الساقِطُ منها بالمغرب ناء الطالع بالمشْرِق. يَنُوء نَوْءاً: أي نَهَض وطَلَع. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٤٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الرّجل: مُطِرْنا بنَوء كذا وكذا، رقم الحديث: (٩٠٧)، ص: ٣١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾، رقم الحديث: (١٠٣٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم الحديث: (٢٣١).

ج- ألفاظ التشاؤم، مثل قول الرجل: "هلك الناس":

عن أبي هريرة؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((**إذا سَمِعتَ الرّجلَ يقول: هَلَك النّاسُ فهو أهلَكُهُم**))[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: "اتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه. قالوا: فأما من قال ذلك تحزّنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين؛ فلا بأس عليه كما قال: لا أعرف من أمة النبي ﷺ إلا أنهم يصلون جميعا، هكذا فسره الإمام مالك وتابعه الناس عليه".

وهذا درس تربوي نبويّ في النقد والإصلاح، حين ما يرى المربّي خللا في المجتمع فليحرص على عدم إحباط النّاس وإعطائهم صورة مظلمة عن أوضاع المجتمع، فحين يقول مثلاً: فسد النّاس، وذهب الخير، وعمّت الفتن، ولم يبق في المجتمع صادق ولا أمين، فإنّ هذا القول يبعث على اليأس والإحباط والقنوط من رحمة الله، وهذا ما يحذّر منه هذا الحديث وأمثاله، فليكن النقد من أجل البناء والإصلاح لا للهدم والتدمير.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الرجل: هلك الناس، رقم الحديث: (٧٥٩)، ص: ٢٦٥. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب النهي عن قول: هلك النّاس، رقم الحديث: (٦٦٨٣).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٣٩١/١٦.

د- قول الرجل للمنافق سيد:

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا للمنافق سَيِّد؛ فإنَّه إنْ يَكُ سَيِّدكم، فقد أسخَطْتُم ربَّكم ﷻ**»[١]. لأنه يكون تعظيما له وهو ممن لا يستحق التعظيم، فكيف إن لم يكن سيدا بأحد من المعاني فإنه يكون مع ذلك كذبا ونفاقا[٢].

هـ- قول الرجل: عبدي وأمتي، وربّي وربتي:

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لا يقل أحدُكم عبدي، أمتي، كلّكم عبيد الله، وكلّ نسائكم إماء الله، وليقل: غلامي، جاريتي، وفتاي، وفتاتي**»[٣].

وعنه - أيضا -، عن النبي ﷺ قال: «**لا يقولنّ أحدُكم: عبدي وأمتي، ولا يقولنَّ المملوك: ربِّي وربَّتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وسيّدي وسيّدتي، كلّكم مملوكون. والرّبّ: الله ﷻ**»[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يقول للمنافق سيّد، رقم الحديث: (٧٦٠)، ص: ٢٦٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي، رقم الحديث: (٤٩٧٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٨٤.

(٢) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٢١٥/١٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يقول: عبدي، برقم: (٢٠٩)، ص: ٨٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العتق، باب كراهة التطاول على الرقيق وقوله: عبدي وأمتي، رقم الحديث: (٢٥٥٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الألفاظ من الآداب، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيّد، رقم الحديث: (٥٨٦٢).

(٤) البخاري، الأدب المفرد، باب هل يقول: سيدي؟ رقم الحديث: : (٢١٠)، ص: ٨٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العتق، باب كراهة التطاول على الرقيق وقوله: عبدي وأمتي، رقم الحديث: (٢٥٥٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الألفاظ من الآداب، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيّد، رقم الحديث: (٥٨٦٢).

قال القرطبي رحمه الله[1]: "فندب ﷺ السادة إلى مكارم الأخلاق وحضهم عليها، وأرشدهم إلى الإحسان وإلى سلك طريق التواضع حتى لا يروا لأنفسهم مزية على عبيدهم، إذ الكلّ عبيد الله والمال مال الله، ولكن سخّر بعضهم لبعض، وملك بعضهم بعضا إتماما للنعمة وتنفيذا للحكمة".

و- قول الرجل: قبح الله وجهه:

عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: ((**لا تقولوا قَبَّح الله وجْهَه**))[2].

ز- قول الرّجل زَعَموا:

عن أبي قلابة رضي الله عنه، **أنَّ أبا عبد الله قال لأبي مسعود - أو أبو مسعود قال لأبي عبد الله -: ما سمعتَ النَّبيَّ ﷺ في: "زعم"، قال: ((بئس مَطيّة الرّجل))**[3].

والمقصود أن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت، ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية على ظن وحسبان[4].

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ١٩٠/٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تقل: قبح الله وجهه، رقم الحديث: (١٧٢)، ص: ٦٩. وأحمد بن حنبل، المسند: ٢٥١/٢. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٨٥.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول الرّجلُ إذا زكي، رقم الحديث: (٧٦٢)، ص: ٢٦٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في قول الرجل: زعموا، رقم الحديث: (٤٩٧٢)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٨٥.

(٤) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٢٢١/١٣.

ح- سبّ الدهر وتسمية العنب كرما:

عن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**لا يقُل أحدُكم: يا خيبة الدّهر. قال الله ﷻ: أنا الدّهر، أُرسِل الليل والنّهارَ، فإذا شِئْتُ قَبَضتهما، ولا يقولنّ للعِنب: الكَرَم؛ فإنّ الكَرْمَ الرّجلُ المسلم**))[١].

وعن علقمة بن وائل رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**لا يقولنّ أحدُكم: الكَرْمُ، وقولوا: الحَبَلَة**)) **يعني: العنب**[٢].

قال الخطابي رحمه الله[٣]: "أشفق ﷺ أن يدعوهم حسن اسمها إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم، وجعله صفة للمسلم".

وكم من أمور خبيثة اختار لها أصحابها أسماء حسنة وتسميات جميلة! توغلا في التمويه وزخرفة للباطل، وهذا يدخل كله في النهي الوارد في هذا الحديث، والله أعلم.

ط- سبّ الريح:

عن ثابت بن قيس، أنّ أبا هريرة قال: **أخذتِ النَّاسَ الرّيحُ في طريق مكّة - وعمر حاجّ - فاشتدّتْ، فقال عمرُ لِمَنْ حَوله:** ((**ما الرّيح؟**))

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تسبّوا الدّهر، رقم الحديث: (٧٦٩)، ص: ٢٦٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب: لا تسبوا الدهر، رقم الحديث: (٦١٨٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سبّ الدهر، رقم الحديث: (٥٨٦٥).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تسمّوا العنب الكَرْم، رقم الحديث: (٧٩٥)، ص: ٢٧٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سبّ الدهر، رقم الحديث: (٥٨٧٢).

(٣) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ٤/١٣١.

فلم يرجعوا بشيء! فاسْتَحَثْتُ راحلتي؛ فأدركْتُه. فقلتُ: بلَغَني أنَّك سألتَ عن الرّيح؟ وإنِّي سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الرّيح مِنْ رَوْح الله؛ تَأتي بالرّحمة، وتأتي بالعذاب فلا تَسُبُّوها، وسلُوا الله خَيْرَها، وعُوذُوا مِنْ شَرِّها»[1].

هذه جملة من آداب الحديث والكلام كما وردت في كتاب "الأدب المفرد"، والعوامل التي تجعل من الحديث مؤثِّراً، فإذا جلس المسلم مع أفراد أسرته، أو أراد أن يلقي كلمة أو يدير حواراً، أو يلقي درساً، أو أن يوجِّه وأن يدعو إلى الله ﷻ فليستخدم هذه الآداب في حديثه.

فالتربية أساسها الكلمة..فإذا أحسن المرَبِّي انتقاء الكلمة ونظمها وإلقائها فقد أثَّر بالمتربين، وأوصل رسالته التربوية بكل أمان ووضوح إلى المتلقي.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تسبّوا الريح، رقم الحديث: (٩٠٦)، ص: ٣١٦. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن،كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، رقم الحديث: (٥٠٩٧)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب النهي عن سبّ الريح، رقم الحديث: (٣٧٢٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٣٧.

المطلب الحادي عشر: آداب المشاورة.

من الأمور المهمة التي لا غنى للناس عنها في حياتهم الاجتماعية التشاور بينهم فيما يمس حياتهم الخاصة والعامة، فالإنسان - مهما كان مركزه الاجتماعي - بحاجة إلى المشاورة، فالحاكم الذي يدير شؤون الدولة بحاجة إليها، وكذلك مدير المدرسة، وربّ الأسرة ونحوهم من الأفراد والجماعات.

والشورى مما جبل الله عليه الإنسان في فطرته السليمة، أي فطره على محبة الصلاح وتطلب النجاح في المساعي؛ ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتشاور في شأنه إذ قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١]، إذ إن الله غني عن معونة المخلوقات في الرأي، ولكنه عرض على الملائكة مراده؛ ليكون التشاور سنة في البشر ضرورة أنه مقترن بتكوينه، فإن مقارنة الشيء للشيء في أصل التكوين يوجب إلفه وتعارفه. ولما كانت الشورى معنى من المعاني لا ذات لها في الوجود جعل الله إلفها للبشر بطريقة المقارنة في وقت التكوين.

ولم تزل الشورى في أطوار التاريخ رائجة بين البشر فقد استشار فرعون في شأن موسى عليه السلام فيما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٢]. واستشارت بلقيس في شأن سليمان عليه السلام فيما حكى الله عنها بقوله: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾[٣]، وإنما يلهي الناسَ عنها حبُّ الاستبداد وكراهية سماع ما يخالف الهوى، وذلك من انحراف الطبائع وليس من أصل الفطرة ولذلك يهرع المستبد إلى الشورى عند المضائق[٤].

---

(١) سورة البقرة الآية: (٣٠).

(٢) سورة الشعراء الآية: (٣٥).

(٣) سورة النمل الآية: (٣٢).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ٤/١٥٠.

وللمشاورة فوائد عدّة منها: "أن المشاوِر إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه. ومنها أنه قد يعزم على أمر فيبين له الصواب في قول غيره فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال علي رضي الله عنه: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه. والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا حصنت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر"[(١)].

ومن الأدلة الدالة على أهمية المشاورة ما رواه المصنف عن عمرو بن دينار قال: قرأ ابن عباس: ((**وشاورهم في بعض الأمر**))[(٢)].

فقوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[(٣)] تُغني عن كلّ شيء، فإنه إذا أمرَ اللّه سبحانه وتعالى في كتابه نصّاً جليّاً نبيّه ﷺ بالمشاورة مع أنه أكمل الخلق فما الظن بغيره؟

وعن الحسن رضي الله عنه قال: ((**والله! ما استشار قومٌ قطّ إلاّ هُدُوا لأفضل ما بحضرَتهم، ثم تلا: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾**[(٤)]))[(٥)].

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير: ٤٨٨/١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المشورة، رقم الحديث: (٢٥٧)، ص: ٩٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٤.

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٥٩).

(٤) سورة الشورى الآية: (٣٨).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المشورة، رقم الحديث: (٢٥٨)، ص: ٩٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٤.

ويتأكّدُ الأمرُ بالمشاورة في حقّ ولاة الأمور العامة كالسلطان والقاضي ونحوهما والآثار الصحيحة في مشاورة عمر بن الخطاب ﷺ أصحابَه ورجوعِه إلى أقوالهم كثيرة مشهورة.

قال ابن خوير منداد رحمه الله[١]: "واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدنيا، ومشاورة وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والعمال والوزراء فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها".

ومن آداب المشاورة في السنة النبوية ما يلي:

١. التحري والدقة في اختيار المستشار:

على طالب المشورة أن يبذل ما بوسعه لاختيار المستشار المناسب الذي يثق بدينه وخبرته وحذقه في المجال الذي يريد أن يشاوره فيه، قال النووي رحمه الله:[٢] "واعلم أنه يُستحبّ لمن همّ بأمر أن يُشاور فيه مَن يَثقُ بدينه، وخبرته، وحذقه، ونصيحته، ووَرَعه، وشفقته. ويُستحبّ أن يُشاور جماعة بالصفة المذكورة، ويستكثر منهم، ويعرّفهم مقصودَه من ذلك الأمر، ويُبيِّن لهم ما فيه من مصلحة ومفسدة إن علم شيئاً من ذلك".

ويجب التحري والدقة في اختيار المستشار؛ لأنّه مؤتمن "أي أمين على ما استشير فيه، فمن أفضى إلى أخيه بسره، وأمَّنَه على نفسه، فقد جعله بمحلها، فيجب عليه أن لا يشير عليه إلا بما يراه صوابا، فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا ثقة، والسر قد يكون في إذاعته تلف النفس أولى بأن لا يجعل إلا عند موثوق به"[٣].

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٣٨٦/١.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٠٤ - ٥٠٥.

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢٦٨/٦.

عن أبي هريرة قال: **قال النَّبيُّ ﷺ لأبي الهيثم:** ((**هل لك خادِمٌ؟**)). **قال: لا. قال:** ((**فإذا أتانا سَبْيٌ، فَأْتِنا**)). **فأُتِيَ النَّبيُّ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم. قال النَّبِيُّ ﷺ:** ((**اخْتَر مِنْهما**)). **قال: يا رسول الله! اخْتَرْ لي. فقال النَّبيُّ ﷺ:** ((**إنَّ المستشارَ مُؤتَمَن، خُذ هذا؛ فإنِّي رأيتُه يُصلِّي، واستَوْص به خيراً**)). **فقالتِ امرأتُه: ما أنتَ ببالغ ما قال فيه النَّبيُّ ﷺ إلا أن تُعْتِقَه. قال: فهُو عتيق. فقال النَّبيُّ ﷺ:** ((**إنّ الله لم يبعث نَبِيّاً ولا خليفة، إلا وله بطانتان[1]: بطانةٌ تأمره بالمعروف وتَنْهاه عن المُنْكر، وبطانةٌ لا تَألُوه خبَالاً[2]، ومَنْ يوقَ بطانة السُّوء فقَدْ وُقِيَ**))[3].

وقوله ﷺ: ((إنّ المستشار مؤتمن)) "معناه: أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور، فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته"[4].

وذكر بعض العلماء أنه يحتاج الناصح والمشير إلى علوم كثيرة؛ "فإنه يحتاج أولا إلى علم الشريعة، وهو العلم العام المتضمن لأحوال الناس،

---

(١) بطانة الرجل: وليجته. وأبْطَنَهُ: جعله من خواصه. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٦٣.

(٢) أي: تُقَصِّر في إفساد أمره. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٢٥٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المستشار مؤتمن، رقم الحديث: (٢٥٦)، ص: ٩٦. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النَّبيّ ﷺ، رقم الحديث: (٢٣٦٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٤.

(٤) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي ببشرح جامع الترمذي: ٢٤٠/٧.

وعلم الزمان، وعلم المكان، وعلم الترجيح، إذا تقابلت هذه الأمور فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال أو المكان وهكذا فينظر في الترجيح فيفعل بحسب الأرجح عنده، مثاله: أن يضيق الزمن عن فعل أمرين اقتضاهما الحال فيشير بأهمهما، وإذا عرف من حال إنسان بالمخالفة، وأنه إذا أرشده لشيء فعل ضده، يشير عليه بما لا ينبغي ليفعل ما ينبغي، وهذا يسمى علم السياسة، فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصالحها، فلذلك قالوا يحتاج المشير والناصح إلى علم وعقل وفكر صحيح ورؤية حسنة واعتدال مزاج وتؤدة وتأن، فإن لم تجمع هذه الخصال فخطأه أسرع من إصابته فلا يشير ولا ينصح، قالوا: وما في مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة"(١).

٢. قبول المشورة:

ومن آداب المشاورة؛ إذا بذل المستشير الوسع في اختيار المستشار المناسب عليه أن يتقبل منه المشورة؛ لأن "فائدة المشاورة القَبول من المستشار إذا كان بالصفة المذكورة، ولم تظهر المفسدة فيما أشار به، وعلى المستشار بذل الوسع في النصيحة وإعمال الفكر في ذلك"(٢)، وإذا لم يؤدّ المستشار الأمانة الملقاة على عاتقه من إعمال الفكر وإسداء النصح للمستشير، فقد خانه، وارتكب إثما، فعن أبي هريرة قال: **قال النَّبيُّ ﷺ**: «**مَنْ تقوّل عليَّ ما لم أقل، فليتبوأ مقعَدَه مِنَ النَّار. ومَن استشارَه أخوه المسلمُ،**

---

(١) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير بشرح الجامع الصغير: ٦/٢٦٨.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٠٥.

فأشارَ عليه بغير رُشد فقد خانه. ومَن أُفتي فُتيا بغير ثَبْت، فإثمه على مَنْ أفتاه»[١].

٣. تقديم المشورة من غير طلب:

إذا رأى المسلم أن أخاه بحاجة إلى منَ يشيره برأي سديد في أمر فيه مصلحته، فعليه أن يبادر بتقديم المشورة وإن لم تبدر من أخيه الاستشارة؛ لما رواه المصنِّف، عن وهب بن كَيسان **أن عبد الله بن عمر رأى راعياً وغَنَماً في مكانٍ قبيح، ورأى مكاناً أمثل منه فقال له: ويحك! يا راعي! حَوِّلْها، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّ رَاعٍ مسؤولٌ عن رعيَّتِه»**[٢].

هذه طائفة من آداب المشاورة في السنة النبوية، فعلى الآباء والتربويين، تنمية روح التشاور والمناصحة في نفوس الأولاد والمتربِّين، وأن يربّوهم على كره نزعة الاستبداد والقهر والاستئثار بالرأي.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إثم من أشار على أخيه بغير رشد، رقم الحديث: (٢٥٩)، ص: ٩٧. الجملة الأولى من الحديث أخرجها ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب السنة، باب في التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، رقم الحديث: (٣٠)، وقد أخرج ابن ما جه - أيضا - الجملة الثالثة في السنن، كتاب السنة، باب اجتناب الرأي والقياس، رقم الحديث: (٥٣)، وصححهما الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٤. أما زيادة «ومن استشاره...» فهي ضعيفة. انظر تعليق الألباني على الحديث رقم (٢٥٩) من كتاب الأدب المفرد.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من أشار على أخيه وإن لم يستشره، رقم الحديث: (٤١٦)، ص: ١٤٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الاستقراض والديون، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، رقم الحديث: (٢٤٠٩). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث: (٤٧٢٤).

المطلب الثاني عشر: آداب الضيافة.

تعدّ الضيافة من الآداب الاجتماعية العظيمة، وهي من شيم الكرام، وعادات الصالحين، وقد اهتم بها الإسلام اهتماما كبيرا، بوضع الأحكام المناسبة لها، وتوضيح آدابها، شأنها في ذلك شأن كل ما يتعلق بالموضوعات الاجتماعية والأخلاقية، حيث يفصل الأمور تفصيلا بيناً، ويبسطها بسطا واضحاً.

والذي يدرك هذا الذوق الإسلامي الرفيع، في اهتمامه بحق الضيف على المضيف، ويقارن بينه وبين حال المجتمعات الأخرى؛ يعلم أن الآداب الإسلامية الاجتماعية هي أسمى الآداب وأرفعها وأنسبها للعقيدة التي وحدت الصفوف والمشاعر والقلوب، وجعلت الأخوة الإسلامية ملازمة للعقيدة السليمة والفهم الصحيح[١].

قال القرطبي رحمه الله[٢]: "والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن آداب الإسلام ومن خلق النبيين والصالحين".

ولم يختلف العلماء في أهمية الضيافة من الناحية الاجتماعية، وأنها من معالي الأخلاق، وكريم الشمائل، قال ابن عبد البرّ رحمه الله[٣]: "لا أعلم خلافا بين العلماء في مدح مضيف الضيف وحمده والثناء بذلك عليه، وكلهم يندب إلى ذلك، ويجعله من مكارم الأخلاق وسنن المرسلين؛ لأنه ثبت أن إبراهيم عليه السلام أول من ضيف الضيف وحض رسول الله ﷺ على الضيافة وندب إليها".

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٣٦٠.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ٦٤/٩.

(٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد: ٤٣/٢١.

وإنَّما الخلاف بينهم يدور حول كونها فرضا واجبا أم لا، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: "وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام، ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى والجمهور: هي سنة ليست بواجبة، وقال الليث وأحمد: هي واجبة يوما وليلة. قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: هي واجبة يوما وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن".

وقد وردت أحاديث صحيحة تحث على الضيافة، وتأكد شأنها وتبين عظيم مكانها من الإسلام؛ لما فيها من عظيم الفوائد كالألفة والاجتماع، وعدم التفرق والانقطاع؛ إذ الناس إذا أكرم بعضهم بعضا ائتلفت قلوبهم، واتفقت كلمتهم، وقويت شوكة الدين، واندحضت جهالات الكفار والملحدين. وغالب الناس إما ضيف أو مضيف، فإذا أكرم بعضهم بعضا حصل الصلاح والائتلاف، وإذا أهان بعضهم بعضا وجد الافتتان والخلاف[2].

ومن الأحاديث التي تحث على الضيافة ما رواه المصنِّفُ عن أبي شُريح الخُزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمُت**))[3].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٢٥٦/١٢.

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢٦١/٤ - ٢٦٢.

(٣) البخاري، الأدب المفرد، باب الوَصَاة بالجار، برقم: (١٠٢)، ص: ٤٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث: (٦٠١٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب االلقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٣).

وعن المقدام؛ أبي كريمة الشامي ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((**لَيلَة الضَّيف حقٌّ واجبٌ على كُلِّ مُسلم، فمَنْ أَصْبح بفنائه فهو دَينٌ عليه إن شاءَ؛ فإن شاء اقتضاه، وإن شاءَ تَرَكَه**))(١).

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: **قُلْتُ: يا رسول الله! إنَّك تبعثنا فننزل بقوم فلا يَقرُونا، فما ترى في ذلك؟ فقال لنا:** ((**إِنْ نزلْتُم بقومٍ فأُمِرَ لكم بما ينبغي للضيف فاقْبَلُوا؛ فإِنْ لَم يفعلوا فخُذُوا مِنْهم حقَّ الضَّيف الذي ينبغي لَهُم**))(٢).

وللضيافة آداب ينبغي مراعاتها من الضيف ومن المضيف، وهي كالتالي:

١. إكرام الضيف بما تيسر من أنواع الإكرام:

عن أبي هريرة: **أنَّ رَجُلاً أتى النَّبيَّ ﷺ، فبَعَثَ إلى نسائه فقُلْنَ: ما معنا إلا الماء، فقال رسولُ الله ﷺ:** ((**مَنْ يَضُمّ – أو يُضِيف – هذا؟**)).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا أصبح بفنائه، رقم الحديث: (٧٤٤)، ص: ٢٥٧. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة، رقم الحديث: (٣٧٥٠)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب حق الضيف، رقم الحديث: (٣٦٧٧). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: (٢٧٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا أصبح الضيف محروما، رقم الحديث: (٧٤٥)، ص: ٢٥٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب في قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، رقم الحديث: (٢٤٦١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٦).

فقال رجلٌ مِنَ الأنصار: أنا، فانطلَقَ به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيفَ رسول الله ﷺ، فقالتْ: ما عندنا إلا قوتٌ للصبيان، فقال: هيِّئي طَعَامك، وأصلحي سراجكِ، ونَوِّمي صبيانكِ إذا أرادوا عَشاءً، فهيَّأت طعامَها، وأصلَحَتْ سِرَاجها، ونَوَّمَتْ صِبْيانَها، ثمّ قامتْ كأنَّها تصلح سِرَاجَها فأَطْفَأتْه، وجعلا يُرِيانه أنَّهما يأكلان، وباتا طَاوِيين، فلمَّا أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «لقَدْ ضَحِكَ الله – أو عَجِبَ – من فعالِكُما؟». وأنزل اللهُ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]،[2].

وفي هذا الحديث درس تربوي نبوي عظيم في الإيثار وحسن الضيافة، ينبغي أن يُغرس في نفوس المتربين منذ الصغر، عن طريق حكاية هذه القصة وأمثالها، لاستخراج الدروس التربوية منها.

٢. خدمة المضيف الضيفَ بنفسه:

من آداب الضيافة أن يتولى أهل البيت خدمة ضيوفهم بأنفسهم،

---

(١) سورة الحشر الآية: (٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم الحديث: (٧٤٠)، ص: ٢٥٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير – سورة الحشر – باب ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾، رقم الحديث: (٤٨٨٩)، ومسلم ابن الحجاج، الصحيح، كتاب الأشربة، باب في إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم الحديث: (٥٣٥٨).

دون ترك ذلك للخدم أو غيرهم، عن سهل بن سعد ﷺ: **أنّ أبا أسيد الساعديّ ﷺ دعا النَّبيَّ ﷺ في عُرْسِه، وكانتْ امرأته خادمَهم يومئذ، وهي العَرُوس. فقالتْ [أو قال]: «أتدرون ما أنقَعَتْ[1] لرسول الله ﷺ أنقعتْ له تَمَراتٍ من الليل في تَور[2]»[3].**

٣. تجنّب إحراج المضيف:

من آداب الضيافة في الإسلام أن يتجنَّب الضيف كل ما من شأنه أن يحرج أهل البيت، أو يكلفهم فوق طاقتهم؛ لأن ذلك قد يؤدّي إلى الشحناء والتباغض، ومن ذلك تجاوز المدة المشروعة لإقامة الضيف، وهي ثلاثة أيام بلياليها، إلا أن يرضى المضيف بأكثر من ذلك فلا بأس بالمكث أكثر من هذه المدة؛ لانتفاء الحرج وزوال المانع، عن أبي شريح العدوي ﷺ قال: سَمِعَتْ أُذُناي، وأبصَرَتْ عيناي، حين تكلَّم النَّبيُّ ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر،**

---

(١) كلُّ ما أُلْقِي في ماء فقد أُنْقِع . يُقال: أنْقَعْتُ الدَّواء وغَيْره في الماء فهو مُنْقَع. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٣٨.

(٢) التور: إناء من صُفر أو حجارة كالإجّانة. وقديتوضأ منه. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ١١٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب خدمة الرجل الضيف بنفسه، رقم الحديث: (٧٤٦)، ص: ٦٥٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف أن لايشرب نبيذا فشرب طلاء أو سكرا أو عصيرا لم يحنث، في قول بعض الناس، وليست هذه بأنبذة عنده، رقم الحديث: (٦٦٨٥)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الأشربة، باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكرا، رقم الحديث: (٥٢٣٣).

فليكرم ضيفه جائزته». **قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال:** «**يومٌ وليلة والضِّيافَة ثلاثة أيَّام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمتْ**»[1].

وعن أبي شريح الكَعْبي رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقُلْ خيراً أو ليصمت. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضَيْفه جائزَتَه؛ يومٌ وليلة. والضِّيافة ثلاثةَ أيَّام، فما بعد ذلك فهو صدقةٌ، ولا يحلُّ له أن يثوي**[2] **عنده حتى يُحرِجَه**»[3]. وفي رواية لمسلم: «**ولا يحل لرجل أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه، قالوا: يا رسول الله! وكيف يؤثمه؟ قال:** «**يقيم عنده ولا شيء له يقريه**[4] **به**».

قال النووي رحمه الله[5]: "ولا يحل له أن يقيم عنده حتى يؤثِّمه، معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم؛ لأنه قد يغتابه

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب جائزة الضيف، رقم الحديث: (٧٤١)، ص: ٢٥٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث: (٦٠١٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٤).

(٢) ثَوَى بالمكان يثوي بالكسر ثَوَاءً و ثُوِيًّا أيضا بوزن مضي أي: أقام به. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٩١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يقيم عنده حتى يحرجه، رقم الحديث: (٧٤٣)، ص: ٢٥٧. انظر حديث رقم: (٧٤١).

(٤) قَرَى الضيف يقريه قِرَى بالكسر وقَراءً بالفتح والمد: أحسن إليه. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٤٦٣.

(٥) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٢/٢٥٦ - ٢٥٧.

لطول مقامه، أو يعرض له بما يؤذيه، أو يظن به ما لا يجوز، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1] وهذا كله محمول على ما إذا أقام بعد الثلاث من غير استدعاء من المضيف، أما إذا استدعاه وطلب زيادة إقامته، أو علم أو ظن أنه لا يكره إقامته، فلا بأس بالزيادة؛ لأن النهي إنما كان لكونه يؤثمه، وقد زال هذا المعنى والحالة هذه، فلو شك في حال المضيف هل تكره الزيادة ويلحقه بها حرج أم لا تحل الزيادة إلا بإذنه لظاهر الحديث؟ والله أعلم".

هذه بعض آداب الضيافة التي وردت في كتاب الأدب المفرد، وينبغي تربية النشء وتنشئتهم على مراعاتها، عن طريق تطبيق المربي تطبيقا عمليا لهذه الآداب في بيته.

تلكم هي الآداب الاجتماعية كما أوردها الإمام البخاري، في كتابه النفيس (الأدب المفرد)، حاول الباحث صياغتها صياغة تربوية ليستفيد منها الآباء والمربّون في تربية أبناء المسلمين تربية اجتماعية سليمة.

وواجب المجتمع المسلم: أن يستزيد من تأصيل هذه الآداب والعادات والتقاليد المبنية على الفضائل والأخلاق، وأن يبثها وينشرها بين أبنائه وبناته، وأن يربيهم عليها، بل ينشّئهم عليها في جميع أوساط التنشئة الاجتماعية، ويحببها إلى الناس بكل وسيلة من وسائل التربية، وبكل فن من فنون الإعلام والكتابة والأدب، بالمقالة والقصة والقصيدة الشّعرية، وبكل المطبوعات، من كتاب وصحيفة ومجلة ونشرة وبيان...

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٢).

فهذه الآداب الاجتماعية مُثُل عليا، ولكنّها قابلة للتطبيق؛ لأنّها تُلبّي نداء الفطرة الإنسانية السليمة، وقد طُبقت في فترات عديدة من تاريخ الإسلام والمسلمين، وأنتجت مجتمعا إسلاميا فاضلا راقيا، لم تعرف له المجتمعات الإنسانية شبيها، ولم يبلغ شأوه في تاريخ البشرية مجتمع.

وغني عن القول إن هذه الآداب الاجتماعية ينبغي أن تكون نابعة – حين بثها ونشرها– من منبع الإسلام الصافي العذب النمير، مستمدة من عقيدة الإسلام ومفاهيمه وقيمه وأحكامه، وألا تشذّ وسيلة من وسائل الإعلام أو مؤسسة من مؤسسات التربية عن هذه القاعدة المهمة الخطيرة، كي لا تقع في الازدواج البشع الذي وقع فيه بعض المجتمعات، فإذا بالمسجد والمنبر والمدرسة في واد، والتلفاز والمسرح والسينما في واد آخر، وهذا من أخطر ما تبتلى به الشعوب والمجتمعات، وهو مما يصدق عليه قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامَه   إذا كنتَ تبنيه وغيرُك

الفصل الثالث: وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي من خلال كتاب الأدب المفرد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الترابط الاجتماعي وأهميته.

المبحث الثاني: وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي من خلال كتاب الأدب المفرد.

المبحث الأول: مفهوم الترابط الاجتماعي وأهميته.

مفهوم الترابط الاجتماعي:

تختلف المجتمعات في مدى ترابطها وتماسكها، فهناك مجتمعات يُقْبِل أفرادها على أوجه النشاط التي تقوم به، ويتضح من سلوكهم حسن استعدادهم للتضحية من أجل بقائها وانتظام نشاطها، وتربط بينهم أواصر المودّة والمحبّة والصداقة. وهناك مجتمعات أخرى تنتشر المنافسة والمشاحنة بين أفرادها، وتفتقر علاقاتها فيما بينهم إلى آصرة الودّ والصداقة، ولا يتضح من سلوكهم حرص على بقاء الجماعة ولا اهتمام بتحقيق أهدافها. وعند ما تتعرض لما يهدد بقاءها أو لما يتدخل في نشاطها، فسرعان ما تنفض الأفراد بعضهم عن بعض، ولا يبدون اهتماما ببقاء الجماعة[١]، فسلوك الأفراد في النموذج الأول تعبير عن الترابط الاجتماعي والتآزر والتعاون، بعكس النموذج الأخير الذي يمثل التفكك الاجتماعي، وعدم التماسك وغياب الترابط بين أفراد المجتمع.

فالترابط الاجتماعي هو: "العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقليا ودافعيا، وفي الحاجات والرغبات، والوسائل والغايات والمعارف وما شابه ذلك"[٢].

ويتضمن الترابطُ الاجتماعي استمرارَ التفاعل الاجتماعي، والتآزر السلوكي بين أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض، وبين الجماعة والجماعات الأخرى، ويتضمن أيضا التضامن الاجتماعي والمرونة والتنظيم والسلطة والائتمار والاتصال والابتكار، وهو بذلك عنصر أساسي من عناصر البقاء[٣].

---

(١) مختار حمزة، أسس علم النفس الاجتماعي، ص: ١١١.

(٢) زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، ص: ٢٠٣.

(٣) زهران، حامد عبد السلام، المرجع السابق، ص: ٢١٣.

وفي المنهج التربوي الإسلامي، فإن الترابط الاجتماعي يعني: التعاون والتآزر والتكافل والتناصح بين أفراد المجتمع الإسلامي، "ومما لا شكّ فيه أن المجتمع الذي يتكون أفراده وأسره ممن رُبّوا على الإسلام تربية سليمة يكون مجتمع خير وصلاح وتعاون؛ لأنّ كلّ فرد فيه قد علم ماله وما عليه، وزكّى نفسه بطاعة ربّه حتى أصبحت تؤدّي ما عليها من واجبات عن رضى واطمئنان، وأصبح كلّ فرد آمناً على نفسه وماله وعرضه، وبذلك يكون المجتمع كلّه مجتمعَ أمنٍ واستقرار"[١].

وكان اهتمام المنهج التربوي في الإسلام - ولا يزال - منصبا على أهمية نشر فكرة الترابط الاجتماعي في إطار العقيدة الواحدة، متجاوزة بذلك روابط الأسرة والقبيلة والقومية واللغة، لكي يجعل الصلة الروحية والاعتقادية مولدة عواطف رابطة دينية لا تقل من حيث الأهمية عن الرابطة النسبية، بل تتجاوزها في كثير من المواطن...

فمجتمع الدولة الإسلامية يضم جميع المؤمنين بالإسلام الخاضعين لحكمه، مهما تكن أصولهم العرقية وانتماءاتهم القومية، فالرابطة بينهم رابطة عقيدة وفكر ومبدأ، وليست رابطة دم ولا نسب ولا أرض. ومن مجموع هؤلاء تتكون الأمة المسلمة، دون حاجة إلى إلغاء انتماءاتهم القومية أو العرقية، فقد حلّ الإسلام مشكلة القوميات بالجمع بينهما على صعيد إنساني، والربط بينها في تصور واحد، ومفاهيم مشتركة عن الكون والحياة والإنسان، وبذلك ينسق بينها ويوجهها نحو الترابط والتعارف والتعاون الإنساني[٢]،

---

(١) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص: ٢١١.

(٢) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ٢١٨.

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١].

والترابط الاجتماعي لا يتحقق في المجتمع الإسلامي إلا في ظل العقيدة الصحيحة؛ لأن "العقيدة الإسلامية تحقق التآخي بين أفراد المجتمع، وكلما كان المجتمع صحيحا قويا في اعتقاده حصل بين سلوك أفراده انسجام؛ لأن المصدر واحد والباعث واحد والهدف واحد، وكلّما ضعف الجانب الإيماني تسلطت الأهواء والنزعات وظهرت العنصريات.."[٢].

وكلما قوي إيمان المسلمين ذابت الفوارق العرقية والمكانية...بينهم، وكلما ضعف إيمانهم كلما ضعف الترابط الاجتماعي بينهم، وساد التفكك والفرقة بينهم، ويوضح ذلك قوله ﷺ: ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى**))[٣].

هنا يصف النَّبي ﷺ وحدة الجماعة المؤمنة، وتماسك بنائها، وترابط أفرادها في "صورة رجل واحد، فالرجل الواحد جسد ذو أعضاء مترابطة يجمعها عصب واحد، ويديرها فكر واحد، وتحركها عواطف واحدة،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

(٢) الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص: ١١١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح،كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٥٨٧٤) واللفظ له. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، برقم (٦٥٣٨)

ويغذيها دم واحد، وتسير جميعا إلى غاية واحدة، فإذا نزل الألم بالبعض فقد نزل بالكل على سبيل المشاركة، وإذا تمتّع البعض بلذّة من اللذات اشترك معه فيها الجميع بحكم الصلة الوثيقة التي تؤلف وحدة الأحاسيس والمشاعر"[١].

ومهمة المنهج التربوي أن يقوم بتربية النفوس وتربية المجتمعات على هذا المفهوم الإسلامي للترابط الاجتماعي؛ ليتكون داخل الدولة الإسلامية مجتمع متآلف متحاب غير متنافر ولا متباغض، ويقوم بتربية ضمير الفرد ليكون مؤتلفا مع الجماعة ملتقيا معها يؤثرها على نفسه ولو كانت به خصاصة، ويحبّ الناس لله، حرصا منه على نيل الفضل الوارد في ذلك عن المصطفى ﷺ قال: «**زارَ رَجلٌ أخاً له في قرية، فأرصَدَ الله له مَلَكاً على مَدْرَجَته، فقال: أينَ تُريد؟ قال: أخاً لي في هذه القرية. فقال: هل له عليك مِنْ نعمة تَرُبُّها؟**[٢] **قال: لا. إنِّي أُحبّه في الله. قال: فإنِّي رسولُ الله إليك؛ أَنَّ الله أَحَبَّك كما أَحْبَبْتَه**»[٣].

أهمية الترابط الاجتماعي:

الترابط الاجتماعي مقصد من مقاصد الإسلام العامة، فلا مجال لتعاون أو تآزر أو تفاهم بين أفراد المجتمع، ما لم يتحقق الترابط الاجتماعي بينهم،

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ١٧٥/٢.

(٢) أي تَحْفَظُها وتُراعيها وتُرَبِّيها كما يُرَبِّي الرجل ولده. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣٣٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل الزيارة، رقم الحديث: (٣٥٠)، ص: ١٢٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب فضل الحب في الله تعالى، رقم الحديث: (٦٥٤٩).

ولا قوة ولا نهوض ولا رقي ولا تقدم لمجتمع تنتظم أفراده وجماعاته روح العداء والتربص والحقد والبغضاء والخصام، لذلك أكد الرسول الكريم ﷺ في تربيته على حب المسلم لأخيه المسلم، وتفعيل العون المتبادل، والحرص على المصلحة المشتركة، وعدم تعريض المسلم إلى أي نوع من أنواع الأذى أو الظلم أو التحقير...أو غير ذلك[١].

ومما يدلّ على أهمية الترابط الاجتماعي ما يلي:

١. أساس بقاء المجتمع وقوته:

يجب على المتربين التعرف على القواعد التي قام عليها المجتمع الإسلامي في العصور الفاضلة للإسلام، حيث كان مجتمعاً يسوده التعاون والتضامن والترابط، ويشيع الاستقرار في جوانبه، وقد سعد أفراده بظلال الأمن الوارفة، وبروح المحبة الصادقة، فكان كل فرد فيه يشعر بمحبة أخيه المسلم له، مما جعلهم مثالاً طيباً، وقدوة حسنة لمن أتى بعدهم.

والفرد مدين في حياته للجماعة التي يعيش بين ظهرانيها، فلولا رعاية الأبوين للطفل الوليد، ولولا عناية الأستاذ بالفتى التلميذ، ولولا وجود هذه المهن التي تقوم بكل ما يحتاج إليه الإنسان من شؤون معيشته، لولا هذا كله ما استطاع الإنسان أن يعيش آمناً على نفسه، مستفيداً من ثروته وجهوده، وبذلك كان كل فرد في المجتمع، مهما علا شأنه، مديناً للآخرين بجهودهم وصنعتهم وأعمالهم[٢].

---

(١) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص: ٢٧٥.

(٢) حمزة، عمر يوسف، عناصر الترابط في المجتمع الإسلامي، ص٧، وما بعدها.

ولذا كان من أبرز مظاهر الوعي والرقي في الأفراد شعورهم بحق الجماعة عليهم، وتصرفهم في حدود التعاون الاجتماعي؛ حتى يكون المجتمع متراصاً لا تجد فيه ثغرة ولا خللاً، وبهذا الميزان يقاس رقي الأمم وخلود الحضارات وعظمة الديانات.

فالدين الحق هو الذي ينمي في الفرد روح الجماعة والشعور بحقها في الحياة الكريمة، والحضارة الخالدة هي التي تحمل أبناءها على أن يشعروا بالجماعة، والأمم الراقية هي التي تُغلِّب الروح الجماعية على كل نزعة فردية وانعزالية في أبنائها.

والحقُّ أن الإسلام يحتل مكان الصدارة بين الديانات التي تدعو إلى التعاون والترابط الاجتماعي، وتحارب العزلة وأسباب الشقاق بين المسلمين، ومن الأمور الهامة التي ينبغي التركيز عليها: أن الترابط الاجتماعي في الإسلام يقوم على عناصر لها صلة قوية بأركان هذا الدين وقواعده، وهذا هو السر في بقاء الإسلام قوياً بذاته، وإن تخلى عنه كثير من أبنائه، فقد مضى عليه أكثر من أربعة عشر قرناً ولا يزال جديداً يحمل للناس كل ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم، ومرَّت به أزماتٌ لو نزلت بالجبال لصدَّعتها، وواجه عقبات لو صادفها الفولاذ لأذابته، ونزلت به ضربات لو نزلت بغير الإسلام لأصبح ذكرى يتحدث عنها التاريخ.

ولكن هيهات.. فقد خرج من كل ذلك قوياً بذاته، ولا يزال صامداً في الميدان، بفضل الله ثم بفضل الترابط الاجتماعي بين أفراده، والتعاون القائم فيما بينهم، واضعين نصب أعينهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة الآية: (٢).

٢. التكامل والتعاون:

التعاون على البر والتقوى هو عماد الترابط الاجتماعي، وهو أمر لا يُتصور حصوله من الفرد؛ وذلك أن الترابط الاجتماعي قوة إيمانية تورث الشعور بالمحبة والثقة والارتباط، الذي بدوره يولد أصدق العواطف في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار والرحمة والعفو والتكافل، وفي اتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فالترابط والتماسك الاجتماعي يقوي الضعفاء ويزيد الأقوياء قوة على قوتهم؛ لأنّ اللبنة وحدها ضعيفة مهما تكن متانتها، بل آلاف اللبنات المتفرقة والمتناثرة ضعيفة بتناثرها وإن بلغت الملايين، ولكنها في الجدار قوة لا يسهل تحطيمها؛ لأنها باتحادها مع اللبنات الأخرى في تماسك ونظام، تصبح قوة وأي قوة، وهكذا فإن الإنسان بمفرده وبقواه المنفردة لا يستطيع إحراز مطالبه كما يجب، ولا يستطيع أن يعيش حياة سعيدة في حالة انفراده وانفصاله عن المجتمع، وإنّما لا بدّ له من الاستعانة بغيره من بني جنسه، ولن يتحقق ذلك إلا في وضع الترابط والتماسك الاجتماعي، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف بقوله ﷺ: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه**»[1].

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم: (٤٧٥) واللفظ له. ومسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم: (٦٥٣٧).

٣. تقوية الفرد وحماية المجتمع:

الترابط الاجتماعي يمنح الفرد قوة خارقة وطاقة هائلة، فالأعمال التي تعجز الأفراد عن القيام بها منفردين تحققها الحياة الاجتماعية بسهولة ويسر، إن الترابط الاجتماعي قوة لا تدانيها الجهود الفردية المتفرّقة، كذلك الدفاع والذياد عن البلاد لن يقوم به الأفراد مثل ما تقوم به الوحدة الاجتماعية.

إن استمرار رحلة الحياة بكفاية وقدرة موضوعية تتطلب تعاونَ وتفاعلَ وتآزرَ المكونات المجتمعية في معظم - إن لم يكن جميع - نشاطات الحياة وفعالياتها، فلا غنى لفرد عن فرد، ولا لأسرة عن أسرة، ولا لمجتمع عن مجتمع، ولا لأمة عن أمة، وإذا لم يتم هذا التعاون هبطت فعاليات الحياة إلى أدنى مستوياتها إن لم تخمد نهائيا[١].

٤. حماية للفرد من الضياع والهلاك:

الفرد وحده يمكن أن يضيع، ويمكن أن يسقط بحيث يفترسه شياطين الإنس والجن، ولكنه في الجماعة محميٌّ به؛ كالشاة في وسط القطيع لا يجترئ الذئب على أن يهجم عليها؛ فهي محمية بالقطيع كله، **عن معاذ بن جبل؛ أن نبي الله ﷺ قال:** «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**»[٢].

---

(١) الأسمر، أحمد رجب، النبي المربي، ص: ٢٤٩.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند: ٥/٢٣٢، واللفظ له، وأبو داود، سليمان بن الأشعث =

٥. تحديد مكانة الفرد الاجتماعية:

الترابط الاجتماعي يحدد مكانة الفرد ووظيفته، فإنّ كل فرد يعمل في نطاق ضيق محدّد حسب قدرته وكفايته، ولكنّه يجني أعمال المجتمع، فكل شخص وإن كانت وظيفته ومكانته تتحدد وتتعيّن، إلا أنه يشارك غيره في الانتفاع بالنتائج التي تسفر عنها الحياة الاجتماعية، وذلك يرجع إلى توزيع الأعمال والطبيعة التضامنية للترابط الاجتماعي[١].

= السجستاني، السنن، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم الحديث: (٥٤٧)، و النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، رقم الحديث: (٨٤٨). وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود: ١/١٦٢.

(١) الندوي،محمد الرابع الحسني، التربية والمجتمع، ص:٢١.

المبحث الثاني: وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي من خلال كتاب الأدب المفرد

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق المسؤولية الاجتماعية.

المطلب الثاني: الحث على التكافل الاجتماعي:

المطلب الثالث: إرساء العدل الاجتماعي.

المطلب الرابع: غرس القيم الاجتماعية لبناء المجتمع السليم.

المطلب الخامس: الحرص على سلامة المجتمع.

المطلب الأول: تحقيق المسؤولية الاجتماعية.

ثمة أمور قد نغفل عنها كثيرا في مجتمعاتنا على الرغم من أنها في غاية الحساسية، وهي تؤثر بشكل قوي في نمو المجتمع وارتقاء عناصره، وهذه الأمور تتعلق غالبا بفكرة تطوير المجتمع والارتقاء به من مجتمع عائم في مشكلاته اليومية إلى مجتمع قادر على صنع الإنجازات، و يأتي على رأس هذه الأمور التي تسهم في رقي المجتمعات: الشّعورُ بالمسؤولية الاجتماعية، "وكلما عظم الشعور بالمسؤولية لدى الأفراد، وعظم إدراكها في النفس، صلح أمر الفرد، وصلح المجتمع بصلاحه؛ ولذلك كان رقي الأمم مرتبطا بدقة هذا الشعور، وسمو الإدراك به عند أبنائها، ولاسيما عند الذين يتصدرون مراكز التوجيه، ويملكون أزِمّة الحكم، ويتولون مقاليد الأمور"(١)، والمسؤولية الاجتماعية لا تنحصر في مساعدة الضعفاء أو تقديم التبرعات بل تمتد لتشمل الاستشعار بالأمانة في أداء العمل والالتزام بنظام المجتمع وقوانينه، متضمنة كل ما يمكن أن يقوم به الفرد كخدمة لمجتمعه مستشعرا أن ذلك واجب عليه نحو مجتمعه لا تطوع منه. ولا يتأتى ذلك إلا بتحقيق المسؤولية الاجتماعية ونشرها بين أفراد المجتمع وتربيتهم على الالتزام بها.

والمسؤولية تعني: "المقدرة على أن يلزم المرء نفسه أولا على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة"(٢).

---

(١) أحمد محمد أحمد، من المسؤول عن تربية النشء، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (١٦٨)، السنة الرابعة عشرة، ذو الحجة (١٣٩٨هـ)، (ص: ١٠٣).

(٢) دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ص: ١٣٧.

ومعناها: هو "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"[١].

مستويات المسؤولية:

المسؤولية الاجتماعية تعدّ إحدى مستويات المسؤولية، فالمسؤولية لها مستويات ثلاث مترابطة متكاملة، وهي:

١. **المسؤولية الفردية الذاتية:** وهي مسؤولية الفرد عن نفسه وعن عمله، وهذا المستوى أساسي يسبق المسؤولية الاجتماعية.

٢. **المسؤولية الجماعية:** وهي مسؤولية الجماعة جماعيا، وبكاملها وككل من أعضائها وعن سلوكها، وهذا المستوى يدعم المسؤولية الاجتماعية، ويعززها.

٣. **المسئولية الاجتماعية:** وهي تعني: المسؤولية الفردية عن الجماعة، أي هي مسؤولية الفرد أمام ذاته عن الجماعة التي ينتمي إليها.[٢]

عناصر المسؤولية الاجتماعية في الإسلام:

تتكون المسؤولية الاجتماعية من ثلاثة عناصر[٣]:

١. **الاهتمام:**

والمقصود بالاهتمام: الارتباط العاطفي بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد، صغيرة كانت أم كبيرة، ذلك الارتباط الذي يخالطه الحرص على استمرار تقدمها وتماسكها وبلوغ أهدافها، والخوف من أن تصاب بأي عامل أو ظرف يؤدي إلى إضعافها أو تفككها.

---

(١) يالجن، مقداد، علم الأخلاق الإسلامية، ص :٢٥٢.

(٢) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، دراسة نفسية تربوية، ص: ٤٣.

(٣) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية، دراسة نفسية اجتماعية، مجلة الكاتب، القاهرة، مارس ١٩٧١م. ص: ١٢٩ - ١٤٤.

ولتكوين عنصر الاهتمام لدى المتربي ينبغي على المربي أن يحاول غرس الرحمة والرأفة بالآخرين في وجدان المتربّي، والتألم لألمهم، والعطف عليهم، فبالرحمة يسود الحب والودّ بين الناس فيتعاطفون ويتكافلون، وتتضافر جهودهم، وهي رقة في القلب، وحساسية في الضمير، وإرهاف في الشعور، تستهدف الرأفة بالآخرين، والتألم لهم، والعطف عليهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبرّ وسلام[1].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ارحموا تُرْحموا، واغْفِروا يغْفِرُ الله لكم، ويلٌ لأقماع القول، ويل للمصرِّين الذين يصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون**»[2].

والارتباط العاطفي بالجماعة يتم عن طريق التحاب والتوادّ بين أعضائها، وقد ثبت فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تدخلوا الجنَّة حتى تُؤمِنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدُلّكم على ما تحابُّون به؟**»، **قالوا: بلى يا رسول الله، قال:** «**أفشوا السلام بينكم**»[3].

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: ٣٦٥/١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة البهائم، برقم: (٣٨٠)، ص: ١٣٣. وأحمد بن حنبل، المسند: ١٦٥/٢. والبيهقي، شعب الإيمان: ٤٤٩/٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إفشاء السلام، رقم الحديث: (٩٨٠)، ص: ٣٥٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، برقم: (١٩٤).

والاهتمام بالجماعة والارتباط العاطفي بها يصل إلى ذروته، عند ما يستشعر المسلم بأن الكيان الاجتماعي الإسلامي كالجسد الواحد له أعضاء متعددة مترابطة في الأحاسيس والمشاعر، لا يمكن إهمال أي عضو منها، وكذلك ينبغي أن يكون الارتباط العاطفي والاهتمام بأمر المسلمين أينما كانوا بغض النظر عن الجنس أو العرق أو الحدود الجغرافية... ويوضح ذلك قوله ﷺ: ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى**))(١).

٢. الفهم: ينقسم الفهم إلى شقين:

أ. فهم الفرد للجماعة.

ب. فهم الفرد للمغزى الاجتماعي لأفعاله.

أما الشق الأول، أي فهم الفرد للجماعة، فالمقصود به فهمه للجماعة من حالتها الحاضرة من ناحية ومؤسساتها ومنظماتها ونظمها وعاداتها وقيمها وأفكارها ووضعها الثقافي، وفهم العوامل والظروف والقوى التي تؤثر في حاضر هذه الجماعة، كذلك فهم تاريخها الذي بدونه لا يتمّ فهم حاضرها ولا تصور مستقبلها، وليس المطلوب أن يكون كل عضو في جماعة على فهم دقيق وعميق وشامل لهذه الجوانب كلّها، وإنما المقصود هو درجة مناسبة من العلم بهذه الجوانب.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح ،كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (٥٨٧٤). ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، برقم (٦٥٣٨).

أما الشق الثاني من الفهم، وهو فهم الفرد للمغزى الاجتماعي لأفعاله، فالمقصود به أن يدرك الفرد آثار أفعاله وتصرفاته وقراراته على الجماعة، أي: يفهم القيم الاجتماعية لأي فعل أو تصرف اجتماعي يصدر عنه.

ولعل ممّا يمكن أن يستدل به على ضرورة فهم الفرد للجماعة من السنة النبوية ما رواه المصنِّف بسنده عن جبير بن مطعم أنه سمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- يقول على المنبر: «**تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنَّه ليكونُ بين الرجل وبين أخيه الشيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرَّحِم، لأوزعه ذلك عن انتهاكه**»[١].

وفي هذا الأثر توجيه إلى تعلم الأنساب ومعرفة الأقارب؛ لأنّه يترتب عليها صلة الرّحم، وهذا داخل في فهم الفرد للجماعة التي ينتمي إليها، وهذا الفهم سبب في توثيق عرى المحبّة وأواصر المودّة، والعفو والصفح، وعدم انتهاك محارم الشّرع أو اختراق حقوق العباد.

قال ابن حزم رحمه الله[٢]: "مِنْ عِلْم النسب ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه مستحب، فمن ذلك أن يعلم أن محمدا رسول الله هو ابن عبد الله الهاشمي، فمن ادعى أنه غير هاشمي كفر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرّمة ليجتنب تزويج

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، برقم: (٧٢). ص: ٣٨. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٥.

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٣/٢٥٢.

ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه أو يجب بره من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام، وأن يعرف الصحابة وأن حبهم مطلوب، ويعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك، ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق".

ومما ينبغي التنبه له أنه يجمل بالمربي أن يوجه ولده إلى تفهم مشاكل المجتمع التي تعترضهم سواء كانت أخلاقية أم سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها، مع البحث عن الحلول المناسبة لها حتى يكون عضواً عاملا يهمّه ما يهمّ مجتمعه، ولا يقف متفرّجا على ما يحدث من المشاكل، فإنّ الذي يقف من مشاكل أمته هذا الموقف يعتبر بمنزلة العضو المقطوع من الجسد(١).

٣. المشاركة:

والمقصود بالمشاركة - بصفة عامة -: اشتراك الفرد مع الآخرين في عمل ما يمليه الاهتمام، وما يتطلبه الفهم من أعمال تساعد الجماعة على إشباع حاجاتها، وحل مشكلاتها والوصول إلى أهدافها، وتحقيق رفاهيتها، والمحافظة على استمرارها.

ونتلمس في السنة النبوية دعوة إلى المشاركة الاجتماعية، عند ما نجد المصطفى ﷺ يهتم حتى بأمور بيته، ويحرص على أن يشارك أهله ما يستطيع من أعمالهم، عن الأسود قال: **سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان يصنع النَّبيُّ في أهله؟ فقالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج**(٢).

---

(١) عبد الله أحمد قادري، المسؤولية في الإسلام، ص: ٨٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يعمل الرجل في بيته، برقم: (٥٣٨). ص: ١٨٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، رقم الحديث: (٦٠٣٩).

وهكذا يكون الاهتمام والمشاركة في شؤون الجماعة الصغيرة القريبة، وهكذا ينبغي أن تكون مشاركة المسلم في عمل جماعته.

وكما كان الرسول ﷺ يشارك أهله أعمالهم ويشارك المسلمين عباداتهم ومعاملاتهم، فإنّه كان يشاركهم فيما هو أخطر، حيث كان ﷺ يشاركهم في الغزوات وفي دفع الخطر عنهم، عن أنس قال: **كانَ النَّبيُّ ﷺ أحسن الناس، وأجود النّاس، وأشجعَ النّاس، ولقد فَزِع أهلُ المدينة ذاتَ ليلة، فانطلَقَ النَّاس قِبل الصّوت، فاستَقبلهم النَّبيُّ ﷺ قد سبق النَّاس إلى الصّوت وهو يقول: «لَنْ تُراعوا. لن تراعوا»[١] وهو على فرس لأبي طلحة عُري، ما عليه سَرْج، وفي عُنُقه السَّيف، فقال: «لقد وجَدْتُه بحراً، أو إنَّه لبحرٌ»**[٢].

وكان ﷺ يحث أصحابه على المشاركة، عن نافع بن عاصم س أنّه **سمع عبد الله بن عمرو قال لابن أخ له خرج من الوهط[٣]: أيعمل عمّالُك؟**

---

(١) أي: لن تخافوا ولن تفزعوا.راعَني الشيءُ روْعاَ، من باب قال: أفزَعَني، وروَّعَني مثلُه. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: (٣٠٤).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب طيب النَّفس، رقم الحديث: (٣٠٣)، ص: ١٠٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح،كتاب الجهاد، باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم الحديث: (٢٨٢٠)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب شجاعته ﷺ، رقم الحديث: (٦٠٠٦).

(٣) الوِهَاطُ : المواضعُ المطْمَئنَّة واحِدُها: وَهْط وبه سُمِّيَ الوَهْطُ وهُو مالٌ كان لعَمْرو بنْ العاص بالطائف. وقيل: الوَهْطُ: قَرْيةٌ بالطَّائف. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٩٢.

قال: لا أدري! قال: أمَّا لو كُنْتَ ثقفيّاً لعلِمتَ ما يعمل عمَّالُك، ثمّ التفتَ إلينا، فقال: «إنَّ الرّجل إذا عَمِل مع عُمّاله في داره – وقال أبو عاصم مرة: في ماله – كانَ عاملاً مِنْ عمّال الله ﷻ»[١].

ومن مظاهر المشاركة في المجتمع المسلم - أيضا - العمل بمبدأ الشورى الذي أقره الإسلام كمبدأ أساسي للعمل الجماعي، عن الحسن قال: «**والله! ما استشار قومٌ قطّ إلاّ هُدُوا لأفضل ما بحضرَتهم، ثم تلا: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾**[٢]»[٣].

فالأخذ بالشورى من جانب القائد مع جماعته، وسير الجماعة نفسها بالشورى، دعوة وتأكيد وتدريب للجماعة كلها على المشاركة في كل أمورها[٤].

وهذه العناصر الثلاثة للمسؤولية الاجتماعية مترابطة ومتكاملة، مترابطة؛ لأنّ كلا منها ينمي الآخر ويدعمه ويقويه، فنجد أن الاهتمام يحرك الفرد إلى فهم الجماعة، وكلما زاد فهمه زاد اهتمامه، كما نجد أن الاهتمام والفهم معا ضروريان للمشاركة، كما أن المشاركة نفسها تزيد الاهتمام كما تعمق الفهم، وهكذا تترابط المسؤولية الاجتماعية، وهي متكاملة أيضا،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عمل الرجل مع عماله، رقم الحديث: (٤٤٨)، ص: ١٥٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٧٣.

(٢) سورة الشورى الآية: (٣٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المشورة، رقم الحديث: (٢٥٨)، ص: ٩٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٤.

(٤) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية في الإسلام دراسة نفسية، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، ص: ٢- ٢٦.

إذ لا يمكن أن تحقق صورة المسؤولية الاجتماعية عند الفرد إلا بتوفر عناصرها الثلاثة، فلن تكتمل مسؤولية اجتماعية دون فهم للجماعة، حاضرها المعقد المتشابك، وماضيها الفعال الممتد والمؤثر في صميم كيانها الاجتماعي الحالي، ومستقبلها المصاغ من أحلامها وآمالها، والمعلق تحققه بحاضرها، ولن تكون مسؤولية اجتماعية دون اهتمام وحرص وحماس وارتباط عاطفي وعقلي بالجماعة، وكذلك لا يكفي الفهم وحده لتحقيق المسؤولية الاجتماعية، فالفهم دون اهتمام كالعدسة الباردة، أما الفهم مع الاهتمام فهو الشعلة المتوهجة، تنير الطريق وتوضح النهج، وتبعث الحرارة التي تحرك للعمل، أما المشاركة وحدها، دون فهم ودون اهتمام قائم على التفكر، فهي ليست سوى خبط العشواء وامتطاء العمياء، ضررها على الجماعة أكبر من عدم وجودها كلية؛ لأنها قائمة على التخبط بغير فهم ولا نهج واضح مستقيم مخطط، وهذا يوضح بجلاء مدى الترابط والتكامل بين عناصر المسؤولية الاجتماعية الثلاثة(١).

أركان المسؤولية الاجتماعية في الإسلام:

كما أن للمسؤولية الاجتماعية عناصر تعدّ بمثابة الدم الذي يمدها بالطاقة والقوة والتجدد، فإنّ لها أركانا تمثل البنية المتحرّكة الفاعلة المؤثرة.

وتتكون المسؤولية الاجتماعية من ثلاثة أركان(٢):

---

(١) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية، دراسة نفسية اجتماعية، مجلة الكاتب، القاهرة، مارس ١٩٧١م. ص: ١٢٩ - ١٤٤.

(٢) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية في الإسلام دراسة نفسية، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، ص: ٢- ٢٦.

١ . مسؤولية الرعاية:

الرعاية هي نابعة من الاهتمام بالجماعة المسلمة، ومسؤولية الرعاية في الإسلام موزعة في الجماعة كلّها بلا استثناء، كلّ من في الجماعة راع، وكلّ من فيها مسؤول عن رعيته، لكل عضو في الجماعة نصيبه من مسؤولية الرعاية، في كلّ عمل يعمله وفي كل منشط من مناشط الحياة يؤدّي دوراً أو يحمل فيه تبعة.

والأصل في الرعاية الاجتماعية ما رواه المصنِّف بسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأميرُ الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته. وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه. ألا كلكم راع وكُلُّكم مسؤول عن رعيته**))[١].

وعنه – أيضا –، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: ((**كلُّكُم راعٍ وكُلُّكم مسؤول عن رعيَّته، الإمام رَاعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرَّجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، والخادمُ في مال سيِّده**)) سمعتُ هؤلاء عن النبيِّ ﷺ وأحسبُ النبي ﷺ قال: ((**والرجل في مال أبيه**))[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العبد راع، برقم: (٢٠٦)، ص: ٧٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم الحديث: (٨٩٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث: (٤٧٢٤).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المرأة راعية، برقم: (٢١٤). ص: ٨٢. وانظر الحديث السابق.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ[١]: "الراعي: هو الحافظ المؤتمن، الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، فكل من كان تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته، فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كل أحد من رعيته بحقه".

وهذا الحديث النبوي جاء ليبين المنهج التربوي للمسؤولية عن كلّ فرد مهما كان دوره بسيطا، ومهما كان حجم هذه المسؤولية، فوضح الحديث أنّ كلّ إنسان راع فيما استُرْعِى عليه، ومسؤول عما تحت يده من شؤون رعيته، وبذلك نصل إلى أصل من أصول التربية الإسلامية يتمثل في أنّ حياة المسلم قائمة على الشعور بالمسؤولية، ومن ثم أداء الحقوق والقيام بالواجبات، والحديث مليء بدروس تربوية في ما يتعلق بالمسؤولية الاجتماعية، ومن هذه الدروس التربوية النبوية في هذا الحديث:[٢]

- أنه ليس هناك إنسان مسلم بالغ عاقل راشد إلا وهو مسؤول عن أمر من الأمور يديره ويتولاه، ولا بدّ له من رعية يرعاها ويُسأل عنها في الدنيا والآخرة.

وهنا درس تربوي نبوي، يربي المسلم على الشعور بالمسؤولية، وعلى الاهتمام بشؤون من هم تحت مسؤوليته، وضرورة القيام بواجباتهم وحقوقهم، وفي ذلك تقرير للمسؤولية وتربية على الاهتمام بالأمور الشخصية والجماعية للرعية وحقوقهم.

---

(١) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: ١٩٠/١٦.

(٢) الشهري، صالح أبو عراد، دروس تربوية نبوية، ص: ٧٩ — ٨٤. وقادري، عبد الله أحمد، المسؤولية في الإسلام.

■ أنّ كلّ مسلم راعٍ ومسؤول مهما صغر شأنه أو قلّت مسؤوليته، فإنّ من لم تكن له رعية يرعاها ويهتم بها؛ كان راعيا على نفسه وأعضائه وجوارحه وقواه وحواسه وكل ما وهبه الله، فلا يظُنَنَّ أحد من الناس أنه خال من المسؤولية أو خارج عن نطاقها.

وهنا درس نبوي يربي المسلم على ما يسمى بالرقابة الذاتية التي تجعل من الإنسان المسلم رقيبا على نفسه في جميع حركاته وسكناته، وأفعاله وأقواله، فإذا كان ذلك كذلك تحققت التربية الإسلامية المثالية التي تدعو إلى القول الجميل والفعل الحسن، والأداء المتقن، وكان المسلم بذلك أرعى النّاس على ما يؤتمن عليه ويناط به من مهام ومسؤوليات.

■ أن الإمام مسؤول اجتماعيا عن كل من تحت إمرته، ولذلك فعليه مسؤولية الاهتمام بهم ورعاية مصالحهم، والدفاع عن حقوقهم، والحفاظ على أمنهم بما شرعه الله من ضوابط لحماية المجتمع، كتطبيق الشريعة، وإقامة الحدود واتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الأمن والأمان في المجتمع المسلم.

■ أنّ الرجل وهو ربّ الأسرة وراعيها مسؤول عن أفراد أسرته ومن تحت ولايته، فعليه أن يحسن رعايتهم، وأن يهتم بشؤونهم وتربيتهم التربية الصالحة، ويلزمه الإنفاق عليهم والحرص على تعليمهم وتأديبهم وتوفير ما يحتاجون إليه من مسكن ومطعم ومشرب وملبس، وأن يعدل بينهم في المعاملة وأن يتقي الله في كلّ شأنهم فيكون عينا ساهرة تحرسهم من أيّ شيء قد يؤثر على دينهم أو دنياهم أو يفسد أخلاقهم.

■ أن للمرأة مسؤولية اجتماعية عظيمة تتمثل في رعاية الأسرة والحفاظ على بنائها وكيانها فهي مؤتمنة على تربية النشء وتوجيههم، والمحافظة على المال والممتلكات والعرض، وأن تؤدّي الحقوق الزوجية،

وأن تكون عوناً له على أمر دينه ودنياه، وأن تحسن تدبير شؤون منزلها، ولذلك فإنّ مسؤوليتها عظيمة ومهمّتها جليلة فكان الواجب أن تتربّى على احترام هذه المسؤولية، وأن تعدّ لها إعداداً جيّداً.

▪ أن الولد مسؤول عن أموال أبيه وأملاكه، ولذلك وجب عليه حفظها وتنميتها واستثمارها فيما أحلّ الله، وعدم صرف المال إلا فيما أمر الله به، وهذا درس نبوي يربّي الولد على حسن رعاية مال والده وعدم العبث به.

▪ أن مسؤولية الرعاية قد تكون مسؤولية رعاية سياسية، ويمثلها الأمير الذي على النّاس، أومسؤولية رعاية اجتماعية، ويمثلها الرجل الذي يرعى أهل بيته، كما تمثّلها المرأة التي ترعى بيت زوجها وولده، كما قد تكون مسؤولية رعاية اقتصادية، ويمثلها العبد الذي يرعى مال سيده أو المال الذي يرعى مال والده[1].

▪ أن السنّة النبوية وهي تنشئ الفرد على الأخلاق القويمة، وتغرس في نفسه الفضائل والصفات الحميدة، وتقوي فيه الوازع الديني، تحمّله المسؤولية تجاه ربّه تعالى، ونفسه وأهله وأقاربه، وجيرانه والنّاس أجمعين، وكلّ ما يشاركه الحياة في هذه الأرض من حيوان ونبات وجماد؛ لأن الله تعالى جعل الإنسان خليفةً في الأرض، وحمله "أمانة" لم يحملها غيره[2].

▪ أن ما ورد في الحديث من أمثلة لا يراد بها الحصر بطبيعة الحال، وإنّما هي إشارة إلى شمول مسؤولية الرعاية أنشطة المجتمع ومستوياته وأفراده، فإذا كانت مسؤولية الرعاية موزعة على كل عضو من الجماعة بحيث يكونُ كُلُّ مَنْ فيه راعياً ومسؤولاً عن رعيته، فإنّها شاملة لكل جوانب المجتمع بلا استثناء.

---

(١) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية دراسة نفسية اجتماعية، ص: ١٢٩ — ١٤٤.

(٢) الزنتاني، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص: ٦٧٠.

٢. مسؤولية الهداية:

الركن الثاني من أركان المسؤولية الاجتماعية هو مسؤولية الهداية، وهي نابعة من الفهم للجماعة ولدور الفرد المسلم فيها، وهذا الفهم يبعث في المسلم حركة نحو هداية جماعته هداية إرشاد ودلالة، فالجماعة في حاجة دائمة إلى هداية، ما دامت تتحرك في شوق إلى مثل أعلى، وهذا الشوق إلى المثل الأعلى، في الجماعة كما في الفرد، هو أصل طلب الهداية.

وتتضح مسؤولية الهداية في الإسلام من خلال تقريره لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو شعيرة من شعائر الدين، "وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضا من النصيحة التي هي من الدين"(١).

وصلاح العباد يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ "صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُو﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٤)،

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ٢١٢/١.

(٢) سورة آل عمران الآية: (١١٠).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٠٤).

(٤) سورة التوبة الآية: (٧١).

وقال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[2]، فأخبر الله تعالى أن العذاب لما نزل نجّى الذين ينهون عن السوء، وأخذ الظالمين بالعذاب الشديد"[3].

ومبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يظل - من حيث فاعليته الاجتماعية - أهم مبدأ اجتماعي فرضه الإسلام على مجتمعه، من حيث إنماؤه لحس (المسؤولية الاجتماعية) التي يمكن من خلالها حلّ المشكلة الملحّة التي يعرضها علماء الاجتماع، ونعني بها مشكلة (اللامبالاة) و (الاغتراب) الذي يطبع المجتمعات الصناعية الحديثة.

وقد تضافرت الأدلة من السنة النبوية للدلالة على هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام:

عن البراء رضي الله عنه قال **جاء أعرابى فقال: يا نبي الله علمني عملا يدخلنى الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة» قال: أو ليستا واحدا؟ قال: «لا عتق النسمة أن تعتق النسمة وفك الرقبة أن تعين على الرقبة، والمنيحة الرغوب،**

---

(١) سورة المائدة الآية: (٧٩).

(٢) سورة الأعراف الآية: (١٦٥).

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، السياسة الشرعية، ص: ٥٨ - ٥٩.

والفيء على ذي الرحم، فإن لم تطق ذلك فأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**إِيَّاكم والجُلُوسُ في الطّرقات» قالوا: يا رسول الله! ما لنا بدّ مِنْ مجالسنا؛ نَتَحدّث فيها، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمَّا إذا أبيتمُ، فأعطوا الطّريق حقّه». قالوا: وما حقّ الطَّريق يا رسول الله؟ قال: «غَضّ البَصَر، وكفّ الأذى، والأمر بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكر»**[٢].

وعن أبي هريرة، أن النَّبيُّ ﷺ قال:... «إنّ الله لم يبعث نَبِيّاً ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانةٌ تأمره بالمعروف وتَنْهاه عن المُنْكر، وبطانةٌ لا تَألُوه خَبَالاً، ومَنْ يوقَ بطانة السُّوء فقَدْ وُقِيَ»[٣].

هذه الأحاديث تدلّ دلالة واضحة على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق المسؤولية الاجتماعية؛ لأن "الكيان الاجتماعي وحدة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يصل ذا الرحم الظّالم، رقم الحديث: (٦٩)، ص: ٣٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مجالس الصّعُدات، رقم الحديث: (١١٥٠)، ص: ٤١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب أفنية الدور، والجلوس فيها، والجلوس على الصعُدات، رقم الحديث: (٢٤٦٥).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المستشار مؤتمن، رقم الحديث: (٢٥٦)، ص: ٩٦. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النّبيّ ﷺ، رقم الحديث: (٢٣٦٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٤.

مهما تعددت مستوياتها وتعقدت تركيباتها فهي مترابطة متكاملة، تتأثر كلها بتأثر أي مستوى أو جانب منها، ويمثل الفعل الاجتماعي الذي يصدر من الأفراد إفرازاً اجتماعيا في داخل هذه الوحدة يربط ويوصل ويحرّك أجهزتها وأجزائها، وعند ما يتراكم إفراز غير سليم من أفعال غير سليمة من الأفراد، وعند ما يترك يتزايد حول أجهزة المجتمع وفي قنوات تواصله واتصاله، وعند ما يصاب المجتمع بالتهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تصحيح الفعل الاجتماعي الضار، ولا يأخذ على يد من يريد أن يصيب المجتمع بخرق في نصيبه، وعند ما يحدث هذا يوشك أن يصاب المجتمع بالشلل والارتباك والفوضى"(١).

وقد حذّر النبيّ ﷺ من خطورة التهاون بمسؤولية الهداية الاجتماعية، وبين آثار ذلك على الفرد والمجتمع، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا**(٢) **على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**))(٣).

---

(١) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية، دراسة نفسية اجتماعية، مجلة الكاتب، القاهرة، مارس ١٩٧١م. ص: ١٢٩ - ١٤٤.

(٢) أي: اقترعوا. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٢٤١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث: (٢٣٦١).

٣. مسؤولية الإتقان:

مسؤولية الإتقان تتصل بالمشاركة تقبلا وتنفيذا وتوجيها، والإتقان آية الشخصية المسلمة في جانبها المتلقي بالحياة المتفاعل معها، الإتقان معيار قوة الشخصية المسلمة وعلامة صحتها؛ ذلك لأن الإتقان ليس مهارات أداء ظاهرة بقدر ما هو تعبير عن قوة نفسية، قوة توازن وطمأنينة وثقة.

الشخصية المسلمة هي الشخصية المتقنة؛ لأنَّها مدعوة إلى الإتقان في كافة أنشطتها في الحياة، عبادة أو عملا، تعلّما أو تعليما، تجارة أو ببعاً، تعاملا اجتماعيا أو تأمّلا فرديا، عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عَزَّ وجلَّ يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**»[١].

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: "فعلى الصانع الذي استعمله الله في الصور والآلات والعدد مثلا، أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة. كما ذكر أن صانعا عمل عملا تجاوز فيه ودفعه لصاحبه فلم ينم ليلته كراهة أن يظهر من عمله عمل غير متقن، فشرع في عمل بدله حتى أتقن ما تعطيه الصنعة، ثم غدا به لصاحبه فأخذ الأول وأعطاه الثاني فشكره،

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ٢٧٥/١. واللفظ له، وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى: ٣٤٩/٧. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٣٣٤/٤، وصححيه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٣٨٣/١.

(٢) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٢٨٦/٢.

فقال: لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق الصنعة كراهة أن يظهر من عملي عمل غير متقن. فمتى قصر الصانع في العمل لنقص الأجرة فقد كفر ما علمه الله وربما سلب الإتقان".

التربية على المسؤولية:

إن تنمية المسؤولية الاجتماعية هي تنمية للجانب الخلقي الاجتماعي في شخصية المسلم، لا تنفصل عنه بل تتكامل معه، كما أنّ تنمية هذا الجانب الخلقي الاجتماعي ليس منفصلا عن تنمية الشّخصية المسلمة كلها بل متكامل معها.

أي أن تنمية المسؤولية الاجتماعية جزء من التربية العامة للشخصية المسلمة، وتربيتها من جوانبها كافة: انفعالية، ومعرفية، وذوقية، واجتماعية[(١)].

و إنّ تربية الإحساس والشعور بالمسؤولية من الأمور التي بنت التربية الإسلامية ركائزها عليها، وذلك لما للإحساس بالمسؤولية وغرسها في النفوس وممارستها في الواقع من أثر كبير في تربية الأفراد والمجتمعات[(٢)].

العوامل التربوية الميسرة لنمو المسؤولية الاجتماعية[(٣)]:

١. **المقررات الدراسية**: والمقصود بها موادّ الدراسة وكل ما يتعلمه التلميذ نظريّا من القراءة أو الاستماع أو المشاهدة أو المناقشة، مما يتصل بشؤون جماعته أو مجتمعه، هذه الدراسة النظرية، اجتماعية واقتصادية

---

(١) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، دراسة نفسية تربوية، ص: ٦٢.

(٢) محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص: ١٢٨.

(٣) عثمان، سيد أحمد، المسؤولية الاجتماعية، دراسة نفسية اجتماعية، مجلة الكاتب، القاهرة، مارس ١٩٧١م. ص: ١٢٩ - ١٤٤.

وسياسية وتاريخية، تساعد التلميذ -كما تساعد أيّ دارس - على الارتقاء في اهتمامه بجماعته أيّاً كان حجمها، وتنمي الاهتمام والفهم ومن ثمّ المشاركة عند أبناء المجتمع.

٢. **المدَرِّس:** لأنه في الحقيقة قدوة نفسية وقدوة اجتماعية للتلميذ، وهنا يتركز دوره في تنمية المسؤولية الاجتماعية عند التلاميذ، فالمدرِّس ذو البصيرة والشجاعة الاجتماعية عامل مهم من عوامل نمو المسؤولية الاجتماعية عند التلاميذ.

٣. **الجماعة التربوية الفعالة:** يتم معظم النشاط التربوي في جماعات، لهذا كانت الجماعة التي يقوم فيها التلميذ بنشاط تربوي ذات أثر كبير في تنمية المسؤولية الاجتماعية عنده، كما تؤثر في نواحي نموه الأخرى، هذه الجماعة التربوية قد تكون جماعة رسمية، أي تنظمها وتشرف عليها السلطة المدرسية أو أية سلطة تربوية أخرى، أو جماعة غير رسمية تلقائية، تسير نفسها وتوجهها وفق أهدافها وبنيتها ووظيفتها.

ويجب التنبيه على أن العوامل والظروف التربوية المناسبة لا تؤدي إلى اكتمال نمو المسؤولية عند أبناء المجتمع الصغار، إلا بتأييد ظروف اجتماعية مواتية، وذلك عند ما يخرج كل عضو من أعضاء الجماعة عن لا مبالاته، ويدرك كل فرد عمق قول المصطفى ﷺ: ((**كلكم راع**)) ويفهم مغزى أن ((**كلّ راع مسؤول عن رعيته**)).

المطلب الثاني: الحث على التكافل الاجتماعي.

إن من رسالة الإسلام إيجاد المجتمع المؤمن الذي يرعى أغنياؤه فقراءه، وتربية للفئة المؤمنة بأن عقيدة الإسلام لا تفصل واقع الحياة عن العقيدة، وأن التكافل الاجتماعي أحد المقومات الأساس للمجتمع الذي يريده الإسلام.

وإنّ من أبرز ما يميّز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات أنه مجتمع متكافل متآخ متضامن، لا يعرف ظلم الغني للفقير، ولا حقد الفقير على الغني؛ لأن الغني فيه كريم جواد يعرف حق الفقير في ماله، فلا يبخسه حقه، ولا يتقاعس عن إسعافه ورفده ومعونته وإنصافه؛ ولأن الفقير لا ينظر إلى الغني بعين الحقد والحسد والضغينة والكراهية لأنه أكثر منه مالا...[1].

ويتأكد التكافل الاجتماعي بين فئات المجتمع المسلم في وقت الشدائد والأزمات، كأيام الجدب والقحط والمجاعة، فعن عبد الله بن عمر؛ **أن عمر بن الخطاب ﷺ قال عام الرمادة - وكانت سنة شديدة ملمة، بعد ما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها، حتى بَلَحَت الأرياف كُلُّها؛ مما جهدها ذلك - فقام عمر يدعو - فقال: «اللّهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال» فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيثُ: «الحمد لله فوالله لو أن الله لم يفرجها ما تركتُ أهل بيتٍ من المسلمين لهم سعة إلا أدخلتُ معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا»**[2].

---

(١) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ١٤٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المواساة في السنة والمجاعة، رقم الحديث: (٥٦٢)، ص: ١٩٢. وأحمد بن حنبل، المسند: ٣٧٥/٤، والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ٣٤٢/١، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢١٢.

وعن سلمة بن الأكوع ﵁ قال: قال النبيّ ﷺ: ((**ضحاياكم، لا يصبح أحدُكم بعد ثالثةٍ وفي بيته منه شيء**)). **فلما كان العام المقبِل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلْنا العامَ الماضي؟ قال:** ((**كلوا وادّخروا؛ فإنّ ذلك العامَ كانوا في جَهد، فأردتُ أن تعينوا**))[١].

مفهوم التكافل الاجتماعي:

اختلفت وجهات نظر العلماء والباحثين حول مفهوم التكافل الاجتماعي بين مضيق يقصره على تلبية الجانب المادي فقط، وموَسِّع يجعله يشمل الجانب المادي والمعنوي، ومن هذه التعريفات:

التكافل الاجتماعي هو: "أن يكون آحاد الشعب في كفاية جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطة كفيلا في مجتمعه يمدّه بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم في المحافظة على دفع الأضرار على البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة"[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المواساة في السّنة والمجاعَة، برقم: (٥٦٣)، ص: ١٩٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها، رقم الحديث: (٥٥٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء، رقم الحديث: (٥١٠٩).

(٢) أبو زهرة، محمد، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص: ٥. والصالح، محمد أحمد، التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦.

وقيل التكافل الاجتماعي يعني: "تضامن أبناء المجتمع فيما بينهم، سواء أكانوا أفراداً أم جماعات حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم، أو سلبية كتحريم الاحتكار، بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده"(١).

ويخلص الباحث مما سبق أن مفهوم التكافل الاجتماعي في منهج التربية الإسلامية يعني: **التزام الأفراد والدولة والمجتمع بإشباع الحاجات المادية والمعنوية لكافة أفراد المجتمع.**

وتتمثل الحاجات المادية في الغذاء الملائم، والملبس والمسكن والتعليم، والرعاية الصحية ووسيلة التنقل والزواج، وتوفير أدوات الحرفة ومؤونة الخادم لمن يحتاج إليها، وهذا الجانب المادي هو الذي يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن التكافل الاجتماعي، وهو الذي سيتناوله الباحث بالتحليل والتفصيل في هذا المطلب.

والإسلام ينظر إلى التكافل الاجتماعي نظرة شمولية لا تقتصر على النواحي المادية في المجتمع فقط، بل تشمل سائر النواحي الأدبية والروحية من حب وتعاطف وتعاون على البر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وعيادة المريض، وإفشاء السلام، وإصلاح ذات البين...(٢) إلا أن هذا الجانب قد تطرق إليه الباحث في مباحث متفرقة من هذا البحث بما أغنى عن إعادته هنا.

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص: ١٥.

(٢) الصالح، محمد أحمد، المرجع السابق، ص: ١٦.

مظاهر التكافل الاجتماعي:

١. كفالة الأسرة:

لقد أكد الإسلام على التكافل بين أفراد الأسرة، وجعله الرباطَ المحكم الذي يحفظ الأسرة من التفكك والانهيار.

ولقد وضع الإسلام اللبنة الأولى في بناء التكافل الاجتماعي داخل النطاق الأسري حين ما أمر بالإنفاق على الأقارب، ويسهم نظام نفقات الأقارب في تحقيق التكافل الاجتماعي، وإشباع الحاجات الأساسية للأفراد المحتاجين داخل الأسرة الواحدة، إذ إنه يعطي صورة صادقة لتآلف الأسرة وتعاونها ومدى كفالة أفرادها بعضهم لبعضٍ، كما يسهم هذا النظام في تخفيف العبء على الموارد المالية الأخرى للتكافل الاجتماعي؛ حيث إن مسئولية الدولة عن إشباع الحاجات الأساسية للأفراد المحتاجين لا يتم إلاّ بعد التأكد من عدم وجود أقارب موسرين لهذا المحتاج، ولذلك فإنه بمقدار تنفيذ كل فرد لما يجب عليه من نفقة على أقاربه بمقدار ما يتحقق مثله من التضامن والشعور بالأخوة والإحسان والكرامة وتلك أهداف تعمل على تحقيقها التربية الإسلامية من خلال نظام التكافل الاجتماعي.

ومما يدلّ على وجوب النفقة للأقارب ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الصدقة ما بقّى غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول. تقول امرأتك: أنْفقْ عليَّ أو طلِّقني، ويقُول مملوكُكَ: أنْفِقْ عليَّ أو بعْني، ويقول وَلَدُكَ: إلى مَنْ تَكِلُنا**»[1].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقة، برقم: (١٩٦)، ص: ٧٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال، رقم الحديث: (٥٣٥٦).

(وابدأ بمن تعول): أي: بمن يجب عليك نفقته، يقال: عال الرجل أهله إذا مَانَهُم، أي: قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة، وهو أمرٌ بتقديم ما يجب على ما لا يجب[(١)].

وعن ثوبان، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنّ من أفضل دينار أنفقه الرجل على عياله، ودينار أَنْفَقَه على أصحابه في سبيل الله، ودينار أنفَقَه على دابَّته في سبيل الله.

قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، وأيُّ رجل أعظم أجراً مِنْ رجل يُنفِق على عيال صغار؛ حتّى يُغْنيهم الله ﷻ؟»[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: أمرَ النَّبيُّ ﷺ **بصدقة، فقال رجلٌ: عندي دينار؟ قال: «أنفقه على نفسك». قال: عندي آخر؟ قال: «أنفقه على زوجتك». قال عندي آخر؟ قال: «أنفقه على خادمك، ثم أنت أبصر»**[(٣)].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٩/٦٣٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على أهله، برقم: (٧٤٨)، ص: ٢٦٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، رقم الحديث: (٢٣١٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب نفقة الرجل على عبده وخادمه صدقة، رقم الحديث: (١٩٧)، ص: ٧٦. والنسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الزكاة، باب الصدقة عن ظهر غنى، رقم الحديث: (٢٥٣٦)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٩٢.

وعن المقدام بن معدي كَرِب رضي الله عنه أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله يوصيكم بأمَّهاتكم، ثمَّ يوصيكم بأمَّهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»[١].

هذه الأدلة تدل دلالة صريحة على وجوب الإنفاق على الأقارب.

وهكذا نجد التكافل الاجتماعي داخل نطاق الأسرة يحقق التعاون والألفة والترابط الأسري، ولا يجوز أن يوجد في المجتمع فقراء يموتون جوعاً وعندهم أقرباء موسرون يتقلبون في رغد من العيش، ثم لا يأبهون بأقاربهم الفقراء، فهذا خلل في النظام الاجتماعي، وبعد عن تعاليم ديننا الحنيف.

قال ابن القيم رحمه الله[٢]: "وإذا عرف هذا؛ فليس من بر الوالدين أن يدع الرجل أباه يكنس الكنف، ويكاري على الحمر، ويوقد في أتون الحمام، ويحمل للناس على رأسه ما يتقوت بأجرته، وهو في غاية الغنى واليسار وسعة ذات اليد، وليس من بر أمه أن يدعها تخدم الناس، وتغسل ثيابهم وتسقي لهم الماء ونحو ذلك، ولا يصونها بما ينفقه عليها، ويقول: الأبوان مكتسبان صحيحان وليسا بزمنين ولا أعميين فيالله العجب: أين شرط الله ورسوله في بر الوالدين وصلة الرحم أن يكون أحدهم زمنا أو أعمى؟! وليست صلة الرحم ولا بر الوالدين موقوفة على ذلك شرعا ولا لغة ولا عرفا".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الأقرب فالأقرب، برقم: (٦٠). ص: ٣٤. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب بر الوالدين، رقم الحديث: (٣٦٦١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥١.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد: ٥/٤٩٠.

٢. كفالة الأيتام:

سبق الحديث عن التكافل الاجتماعي داخل الأسرة، وتبين من خلال ذلك أن الإسلام يلزم الآباء برعاية الأبناء وتربيتهم والنفقة عليهم، وإذا فقد هؤلاء الأبناء آباءهم فإن المسؤولية تنتقل بشكل متدرج إلى الأقارب القادرين، فإذا انعدموا وجبت على المجتمع بأسره.

ومنهج التربية في الإسلام "منذ بزوغ فجره شرّع كل ما يحفظ حياة اليتيم وكرامته وحقوقه، واعتبر المجتمع الإسلامي ككل مسؤولا بتكافله الاجتماعي الأصيل عن اليتامى حياة وتربية وتعليما وحقوقا"[١].

قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[٤].

وعن سَهل بن سعد عن النبيّ ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا**» وقال بأصبعيه السبّابة والوسطى[٥].

---

(١) الهاشمي، عبد الحميد الرسول العربي المربي، ص: ١١٩.

(٢) سورة البلد، الآية: (١١-١٦).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢٢٠).

(٤) سورة النساء الآية: (١٠).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب فضل من يعول يتيماً من أبويه، برقم: (١٣٥)، ص: ٥٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، رقم الحديث: (٦٠٠٥).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: "حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك".

وكفالة اليتيم شاملة لتربيته والقيام بتعليمه وإصلاحه، وإصلاح أمواله وحفظها وعدم الاعتداء عليها أو التفريط فيها، وشاملة كذلك للإنفاق عليه إذا لم يكن له مال، ولطف معاملته والرفق به...[٢].

٣. كفالة الجار:

من مظاهر التكافل في الإسلام: الحرص على إشباع حاجات الجار المادية والمعنوية ورعاية حقوقه، والبعد عن كل ما يؤذيه، وهكذا يتدرج التكافل الاجتماعي من داخل نطاق الأسرة ليشمل أهل الحي الواحد حتى يعم المجتمع بكامله، والتكافل الاجتماعي بين الجيران يؤدي إلى التآلف والترابط والتحابّ بينهم، وإلى تحقيق الأمن الاجتماعي، ولذلك حث المصطفى ﷺ على تحقيق التكافل بين الجيران، فعن عبد الله بن المساوِر قال: سمعتُ ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يشبعُ وجارُه جائع**»[٣].

وعن أبي ذرّ قال: **أوصاني خليلي ﷺ بثلاث**: «**أسمَعُ وأُطيعُ**

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٥٣٦/١٠.

(٢) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص:٢٢١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يشبع دون جاره، برقم: (١١٢)، ص: ٥٠. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ١٥٤/١٢. والبيهقي، شعب الإيمان: ٣١/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٦٧.

ولو لعبد مجدَّع[١] الأطراف. وإذا صنعتَ مرَقَةً فأكثِر ماءَها ثم انظر أهلَ بيتٍ من جيرانك فأصِبْهم منه بمعروف[٢]. وصَلِّ الصلاة لوقتها؛ فإن وجدتَ الإمام قد صلَّى، فقد أحرزْتَ صلاتك، وإلا فهي نافلة))[٣].

قال القرطبي رحمه الله[٤]: "فحضّ عليه السلام على مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة؛ فإن الجار قد يتأذى بقُتار[٥] قِدر جاره، وربما تكون له ذريَّة فتهيج من ضعفائهم الشهوة، ويعظم على القائم الألم والكلفة، لاسيما إن كان القائم ضعيفا أو أرملة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة...وكل هذا يندفع بتشريكهم في شيء من الطبيخ يُدفع إليهم".

وعن عمرو بن مُعاذ الأشهلي رضي الله عنه، عن جدته رضي الله عنها أنَّها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يا نساءَ المؤمنات لا تحقرنّ امرأةٌ منكن لجارتها؛ ولو كُراع[٦] شاة محرَّق**))[٧].

---

(١) جَدَعْتُ الأنف جدعا، من باب نفع: قطعتُه، وكذا الأذنُ واليدُ والشّفةُ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٨٦.

(٢) أي: أعطهم منه شيئا. الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٢٠٢/١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يكثر ماء المرق فيقسم في الجيران، برقم: (١١٣)، ص: ٥٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم الحديث: (٦٦٨٨) (٦٦٨٩).

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ١٩٠/٥.

(٥) هو ريح القدر والشواء ونحوهما. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٧٣١.

(٦) الكُراع: مادون الركبة من الساق. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص:٧٩٨.

(٧) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تحقِرنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسن شاة، برقم: (١٢٢)، ومالك بن أنس الأصبحي، الموطأ: ٩٣١/٢. وأحمد بن حنبل، المسند: ٦٤/٤. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ٢١/٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٧٠.

وعن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: ((**يا نساءَ المسلمات يا نساءَ المسلمات لا تحقرنّ جارة لجارتها ولو فِرْسِن**[١] **شاة**))[٢].

٤. كفالة الضيف والغريب:

من مظاهر التكافل الاجتماعي في منهج التربية الإسلامية كفالة الضيف وإكرامه، وإحسان ضيافته، فالضيف أو الغريب الذي ينزل البلد ولا يعرف فيه أحد يؤويه؛ قد جعل الإسلام له حق الضيافة على إخوانه المسلمين، ويأثمون إن لم يقوموا بهذا الواجب الاجتماعي العظيم، ولذلك فإن المسلم لا يشعر بالغربة في المجتمع الذي يطبق فيه تعاليم الإسلام السمحة، التي تدعو إلى التكافل والتعاضد والتآزر بين أفراد المجتمع المسلم.

وقد وردت أحاديث صحيحة تحث على الضيافة، وترفع من شأنها وتبين عظيم مكانتها من الإسلام؛ لما فيها من جليل الفوائد كالألفة والاجتماع، وعدم التفرق والانقطاع؛ إذ الناس إذا أكرم بعضهم بعضا ائتلفت قلوبهم، واتفقت كلمتهم، وقويت شوكة الدين، واندحضت جهالات الكفار والملحدين.

---

(١) الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيُقال: فرسن شاة، والذي للشاة هو الظّلف. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص:٦٩٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا تحقِرنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسن شاة، برقم: (١٢٣)، ص: ٥٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، بابٌ: لا تحقرنّ جارة لجارتها، رقم الحديث: (٦٠١٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، رقم الحديث: (٢٣٧٩).

وغالب الناس إما ضيف أو مضيف، فإذا أكرم بعضهم بعضا حصل الصلاح والائتلاف، وإذا أهان بعضهم بعضا وجد الافتتان والخلاف[١].

ومن الأحاديث التي تحث على الضيافة ما رواه المصنِّفُ بسنده عن أبي شُريح الخُزاعي، عن النَّبي ﷺ قال: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمُت**))[٢].

وعن المقدام؛ أبي كريمة الشامي قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((**لَيلَة الضَّيف حقٌّ واجبٌ على كُلِّ مُسلم، فمَنْ أَصْبح بفنائه فهو دَينٌ عليه إن شاءَ؛ فإن شاء اقتضاه، وإن شاءَ تَرَكَه**))[٣].

وعن عقبة بن عامر قال: **قُلْتُ: يا رسول الله! إنَّك تبعثنا فننزل بقوم فلا يَقرُونا، فما ترى في ذلك؟ فقال لنا:** ((**إنْ نزلْتُم بقومٍ فأُمِرَ لكم بما ينبغي للضيف فاقْبَلُوا؛ فإنْ لَم يفعلوا فخُذُوا مِنهم حقَّ الضَّيف الذي ينبغي لَهُم**))[٤].

---

(١) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤/٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار، برقم: (١٠٢)، ص: ٤٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث: (٦٠١٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا أصبح بفنائه، رقم الحديث: (٧٤٤)، ص: ٢٥٧. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة، رقم الحديث: (٣٧٥٠)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب حق الضيف، رقم الحديث: (٣٦٧٧).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا أصبح الضيف محروما، رقم الحديث: (٧٤٥)، ص: ٢٥٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب في قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، رقم الحديث: (٢٤٦١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم الحديث: (٤٥١٦).

وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي:

لقد شرع الإسلام من الوسائل والنظم ما يحقق التكافل الاجتماعي، وجعل بعضها إلزاميا، وترك البعض الآخر للتطوع.

ومن الوسائل التي شرعها الإسلام لتحقيق التكافل ما يلي:

١. فريضة الزكاة:

وهي من أهم هذه الوسائل، وهي فريضة إلزامية فرضها الله على المسلم، وجعلها ركنا من أركان الإسلام، وجعل للدولة الحق في أخذها من المسلم قهرا إذا هو امتنع عن أدائها.

وتمثل الزكاة نسبة كبيرة من المال كفيلة - لو نظمت - بأن تحل كثيرا من المشاكل الاجتماعية الناجمة عن الفقر، وأن تسهم في الحد منه، ومن ثم كان لها تأثيرها الحيوي في إشاعة التكافل. هذا فضلا عن آثارها المعنوية حيث تنفي من المجتمع الأحقاد والبغضاء الناتجة عن انقسام الناس إلى مالكين لا يعبأون بغيرهم ومحرومين لا يُعبأ بهم.

عن أبي أيُّوب الأنصاري، **أن أعرابيا عرض للنبيّ ﷺ في مسيره، فقال: أخبرني ما يقرِّبني من الجنَّة ويباعِدُني من النار، قال: «تعبُدُ الله ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاة، وتُؤتي الزكاة، وتَصلُ الرَّحِم»**[1].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب صلة الرّحم، برقم: (٤٩). ص: ٣٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث: (١٣٩٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنّة وأن من تمسّك بما أمر به دخل الجنّة، رقم الحديث: (١٠٤).

وعن رِبْعِي بن حِرَاش قال: **حدَّثني رجلٌ من بني عامر جاءَ إلى النَّبيّ ﷺ، فقال: ((أألِجُ؟)) فقال النَّبيُّ ﷺ للجارية: ((اخرُجي فقولي له: قل السلام عليكم، أأدخُل؟ فإنَّه لم يُحسن الاستئذان))، قال: فسمعتُها قبل أن تخرج إليّ الجارية، فقلت: السلام عليكم أأدخل؟، فقال: ((وعليك أدْخُلْ))، قال: فدخَلتُ، فقلتُ: بأيّ شيء جئتَ؟ فقال: ((لم آتكم إلا بخير؛ أتيتُكم لتعبدوا الله وحده لا شريك له، وتَدَعوا عبادة اللات والعزّى، وتُصلُّوا في الليل والنَّهار خمسَ صلوات، وتصوموا في السنة شهراً، وتَحُجّوا هذا البيت، وتأخذوا من مال أغنيائكم فتردّوها على فقرائكم))...الحديث**[1].

وإن الزكاة لتعدّ أول تشريع منظم يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، تقوم على تنفيذه الدولة المسلمة، لتحقيق الكفاية العزيزة لكل محتاج ومن يعول، في غير إسراف ولا تقتير،ويشمل هذا التكافل الاجتماعي كلَّ مُوَاطِن يعيش في الدولة المسلمة.

والزكاة قد تكون – أيضا – إحدى المصادر المهمة لتمويل عملية التربية والتعليم، حيث إن "من أهم مصارف الزكاة للفقراء في المجتمع المسلم أن تعطى لطلاب العلم الفقراء النابغين الموهوبين، ليستعينوا بها على نفقاتهم الخاصة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إذا قال: أدخل؟ ولم يسلّم، رقم الحديث: (١٠٨٤)، ص: ٣٩٣. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الاستئذان، رقم الحديث: (٥١٧٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤١٩.

ونفقات التعليم، وإعطاء هؤلاء ضروري؛ لأنّهم يقومون بفرض كفاية، وفائدة علمهم في المستقبل ليست لهم فحسب، بل للأمة جميعا، وبخاصّة إذا كانت تخصّصاتهم في بحوث علمية نادرة، تحتاجها الأمّة في إعدادها المتشعّب الطويل، لتحتل مكانتها اللائقة تحت الشمس، وتبلغ رسالتها إلى النّاس جميعا في أنحاء الأرض"(١).

هذا، وإنّ للزكاة أحكاماً فقهية كثيرة، تتعلق بمشروعيتها، والأموال الخاضعة لها، ومستحقيها، وغير ذلك من أحكام تجدها مفصلة في كتب الفقهاء ودواوينهم.

٢. الوقف الخيري:

معنى الوقف هو: "حبس عين يمكن الانتفاع بها، وذلك بمنع التصرف في رقبتها بأي تصرف ناقل للملكية، وتسبيل منفعتها بجعلها لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء أو انتهاء"(٢).

وقد شرع الإسلام الوقف وجعله من أفضل الأعمال، وذلك فيما رواه المصنِّف بسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا مات العبدُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولد صالحٍ يدعو له**))(٣).

---

(١) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم، ص: ١٦٦.

(٢) الصالح، محمد بن أحمد، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ص :٢٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، برقم: (٣٨)، ص: ٢٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم: (١٦٣١).

وللوقف دور كبير في تحقيق التكافل الاجتماعي، وتأتى إيرادات الوقف بعد الزكاة في تمويل التكافل الاجتماعي في منهج التربية الإسلامية، حيث دعا رسول الله ﷺ إليه براً بالفقراء وعطفاً على المحتاجين، ويعتبر الوقف الخيري وسيلة فعالة لعلاج مشكلة الفقر؛ لأن المسلمين كانوا يتتبعون مواطن الحاجات مهما دقت وخفيت ويقفون لها الأموال، حتى إنهم خصصوا أوقافاً لعلاج الحيوانات المريضة(١).

وللوقف وظيفة اجتماعية، وهي تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ورعاية الأغنياء والقادرين الفقراءَ والمحتاجين، بهدف تحقيق المستوى المعيشي والاجتماعي والإنساني اللائق بهم، ولاسيما أن أغراض الوقف ليست قاصرة على تقديم العون المادي للفقراء والمساكين فحسب، وإنّما تتعدى إلى أهداف اجتماعية واسعة، وأغراض خيرية شاملة، حيث تتناول دور العلم والمعاهد والملاجئ والمشافي، وغير ذلك من المرافق العامة(٢).

ومما يدل على الدور الهام للوقف في التكافل الاجتماعي، "ما يحفظه التاريخ الإسلامي من الأموال التي كانت توقف لرعاية الأيتام، والفقراء، وابن السبيل، وإطعام الجائع، وعلاج المرضى، والإنفاق على اللقطاء والمقعدين والعميان والعجزة، والقرض الحسن للتجار، وأوقاف تزويج الشباب، ورعاية الأرامل، والمعسرين، والأوقاف المخصصة للرعاية الطبية للمرضى وإنشاء المستشفيات،

---

(١) القرضاوي، يوسف، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، ص: ١١٨.

(٢) الصالح، محمد بن أحمد، المرجع السابق، ص :٥١.

والأوقاف المخصصة لإنشاء المدارس وتغطية نفقات معيشة الطلاب والمعلمين، بالإضافة لوقف أدوات الزراعة ودواب الزراعة..."(١).

٣. الوصية:

هي: "أن يوصي الشخص عند موته بنسبة من ماله لشخص معين، أو جهة معينة، أو جماعة من الناس بأعيانهم أو بأوصافهم، أو أي جهة من جهات الخير، بشرط ألا يضر الورثة"(٢).

عن عائشة بنت سعد؛ **أنّ أباها قال: اشتكَيْتُ بمكّة شكوى شديدة، فجاء النَّبيُّ ﷺ يعُودُني. فقلتُ يا رسول الله! إنّي أترك مالا، وإنّي لم أترك إلاّ ابنة واحدةً، أفأوصي بثلثَيْ مالي، وأترك الثّلث؟ قال: ((لا)). فقال: أوصي النّصف، وأترك لها النّصف؟ قال: ((لا)). قال: فأوصي بالثّلث، وأترك لها الثلثين؟ قال: ((الثلث، والثلث كثير))، ثمّ وضع يده على جبهتي، ثم مسح وجْهي وبطني، ثمّ قال: ((اللّهمّ! اشف سَعْداً، وأتمّ له هِجْرَتَه)). فما زِلْتُ أجِدُ بَرْدَ يده على كَبِدي فيما يَخَالُ إليّ، حتّى السّاعة**(٣).

---

(١) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ١٩٩. والصالح، محمد بن أحمد، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ص: ١٦٨ - ٢٠٣. ومحمد عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي.

(٢) تركي الدين شعبان، أحكام الوقف والميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العيادة جوف الليل، رقم الحديث: (٤٩٩)، ص: ١٧٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، رقم الحديث: (٥٦٥٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم الحديث: (٤٢٠٩).

والحكمة في تشريع الوصية: هي أن يتدارك الإنسان بها ما قصر في أدائه من الواجبات، وما فاته من أعمال البرّ والخير، ويستطيع عن طريقها أن يصل أقاربه الذين لا يكون لهم نصيب في ميراثه، وأن يكافئ من يكون قد أسدى إليه معروفا في حياته، ولم يتمكن من مكافأته قبل وفاته[١].

٤. الهدية والهبة:

حث الإسلام على تبادل الهدايا ذاكرا دورها في تقوية النسيج الاجتماعي، وإشاعة روح الألفة والمودة بين أفراد المجتمع، قال رسول الله ﷺ: «**أجيبوا الداعي، ولا تردّوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين**»[٢].

وعن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**تهادوا تحابّوا**»[٣].

وعن ثابت رضي الله عنه قال: كان أنس يقول: «**يا بَنِيّ! تباذلوا بينكم؛ فإنَّه أوَدُّ لِما بينكم**»[٤].

---

(١) تركي الدين شعبان، أحكام الوقف والميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، ص: ١٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الملكة، رقم الحديث: (١٥٧)، ص: ٦٤. وأحمد بن حنبل، المسند: ٤٠٤/١. وابن حبان، محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ٤١٨/١٢. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ٢٤٢/١٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٨١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبول الهدية، رقم الحديث: (٥٩٤)، ص: ٢٠٣. وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى: ٩/١١. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٤٧٩/٦، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٢١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبول الهدية، رقم الحديث: (٥٩٥)، ص: ٢٠٣. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٢٢.

وعن ابن عباس، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**ليس لنا مثل السوء؛ العائدُ في هبته، كالكلب يرجع في قيئه**))(١).

٥. الصدقات التطوعية:

وهي تمثل كل إنفاق غير مفروض ينفقه المسلم تقرباً لله وابتغاء مرضاته وهى عمل تطوعي يقوم به المسلم بدافع من حبه للخير، وقد دعت السنة النبوية في كثير من الأحاديث إلى التصدق، عن ابن عباس، **أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمّي توفيت ولم توص، أفينفعها أن أتصدّق عنها؟ قال:** ((**نعم**))(٢).

وعن حكيم بن حزام؛ **أنه قال للنَّبيّ ﷺ: أريتَ أموراً كنتُ أتحنَّث بها في الجاهلية؛ من صلة، وعتاقة، وصدقة، فهل لي فيها أجر؟ قال حكيم: قال رسول الله ﷺ:** ((**أسلمْتَ على ما سَلَف مِنْ خير**))(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من كره أمثال السوء، رقم الحديث: (٤١٧)، ص: ١٤٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الهبة، باب لا يحلّ لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، رقم الحديث: (٢٦٢٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل، رقم الحديث: (٤١٧٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب برّ الوالدين بعد موتهما، برقم: (٣٩)، ص: ٢٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الوصايا، بابٌ: ما يستحبّ لمن توفى فجاءة أن يتصدقوا عنه، وقضاء النّذور عن الميت، رقم الحديث: (٢٧٦٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من وصل رحمه في الجاهلية ثم أسلم، رقم الحديث: (٧٠)، ص: ٣٧. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، رقم الحديث: (١٤٣٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكبائر إذا أسلم بعده، رقم الحديث: (٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥).

وعن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، عن جدّه ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**على كلّ مسلم صدقة**». **قالوا: فإن لم يجدْ؟ قال:** «**فيعتمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدّق**». **قالوا: فإنْ لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال:** «**فيعين ذا الحاجة الملهوفَ**». **قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:** «**فيأمر بالخير، أو يأمر بالمعروف**». **قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:** «**فيُمسِك عن الشر، فإنه له صدقة**»(١).

وعن أبي ذرّ قال: **قيل يا رسول الله!ذهب أهل الدثور**(٢) **بالأجور، يُصلّون كما نصلّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون بفضول أموالهم؟ قال:** «**أليسَ قد جَعَل الله لكم ما تصَدَّقون؟ إنَّ بكلّ تسبيحة وتحميدة صدقة، وبُضْع أحدكم صَدَقَة**». **قيل: في شهوته صدقة؟ قال:** «**لو وُضِع في الحرام، أليس كان عليه وِزْر؟ ذلك إن وضعها في الحلال كان له أجر**»(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إن كل معروف صدقة رقم الحديث: (٢٢٥)، ص: ٨٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، رقم الحديث: (٦٠٢٢)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث: (٢٣٣٣).

(٢) الدُّثور: جمع دَثْرٍ وهو المالُ الكثيرُ ويقعُ على الواحدِ والاثنين والجمع. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٢٩٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إن كل معروف صدقة رقم الحديث: (٢٢٧)، ص: ٨٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث: (٢٣٢٩).

وتسهم الصدقات التطوعية في تحقيق التكافل الاجتماعي؛ لأنها غالباً ما توجه لإشباع حاجات الفقراء والمحتاجين، ويلاحظ أنه قد تتم في صورة نقدية أو عينية، أو في صورة تقديم منافع مثل قيام الأطباء بالكشف على بعض المرضى بدون مقابل.

وهناك وسائل أخرى غير ما ذكرنا يتحقق بها التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، منها: صدقة الفطر والكفارات والنذور، والأضاحي، والعمرَى[١]، ومنها العَرِيّة[٢]، ومنها الإسكان، ومنها الإخدام، ومنها المنيحة،[٣] ومنها الإرفاق[٤] وأوكد ما كان في الجوار[٥]، وغير ذلك من وسائل التكافل الاجتماعي.

وهكذا يتبين أن الإسلام وضع جميع الوسائل الكفيلة لإيجاد مجتمع مترابط متعاون، عن طريق الحث على تحقيق التكافل الاجتماعي.

وتقع على عاتق المربّي تربية النشء وتنشئتهم على التكافل الاجتماعي، وحثهم على التعاون ومدّ يد العون والمساعدة قدر استطاعتهم لذوي الحاجات، وحثهم على السخاء، والعطاء، والكرم والجود، والأخذ بيد الضعفاء،

---

(١) وهي: هبة منفعة أصل مدّة عمر الموهوب له. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٣٤٩.

(٢) وهي: إعطاء ثمر شجرات معيّنة من جنان معينة. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٣٣١.

(٣) وهي: إعطاء منفعة حلب الحيوان. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٤٧٥.

(٤) ارتفقت بالشيء: انتفعتُ به. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ١٩٤.

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص: ١٤٢.

وإذا لم يجد المتربي في ذات يده ما ينفقه سعى بالمشاركة في جمع التبرعات من القادرين والقيام بالأعمال التطوعية، فالتكافل عملية اجتماعية يرجع الفضل في ترويض الأفراد عليها إلى الأسرة أولا، ثم إلى المؤسسات التربوية الأخرى(١).

ومن الوسائل التي يمكن أن يستخدمها المربّي في تنمية روح التكافل الاجتماعي لدى المتربّي ما يلي:

١. تنمية رابطة الأخوة التي تورث الشعور العميق بالعاطفة، والمحبّة، والاحترام لكل من تربطها وإياه أواصر العقيدة الإسلامية، وذلك بذكر الآيات والأحاديث التي حث فيها الإسلام على الأخوة في الله، وبيّن مقتضياتها وملتزماتها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾(٢).

ومن الأحاديث الدالة على رابطة الأخوة ما رواه المصنِّف عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**»(٣).

---

(١) الجهني، حنان عطية الطوري، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة المراهقة: ٣٠٢/٢.

(٢) سورة الحجرات الآية: (١٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المسلم مرآة أخيه، برقم: (٢٣٩)، ص: ٩٠. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة، رقم الحديث: (٤٩١٨)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٠٧.

٢. أن يحاول المربّي أن يغرس في وجدان المتربّي الرحمة والرأفة بالآخرين، والتألم لألمهم، والعطف عليهم، لقوله ﷺ «**من لا يَرحم لا يُرحم**»(١)، وبالرحمة يسود الحبّ والودّ بين الناس، فيتعاطفون ويتكافلون، وتتضافر جهودهم.

٣. تدريب المتربّي على الإيثار، وتعويده تفضيل غيره على نفسه في الخيرات والمصالح الشخصية ابتغاء وجه الله تعالى، ويحسن بالمربي أن يقص على مسمع المتربّي القصص الرائعة التي وردت في الإيثار، ومن ذلك قصص الأنصار مع المهاجرين، وقد ضربت الأنصار في ذلك أروع الأمثلة في مؤاساة إخوانهم من المهاجرين الذين قدِموا من مكة وليس بأيديهم شيء، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن يُعطوهم ثمار أموالهم كلّ عام، ويكفوهم العمل والمؤونة.

عن أبي هريرة: **أنّ الأنصار قالت للنبيّ ﷺ: اقْسِمْ بيننا وبين إخواننا النَّخيل. قال: «لا»، فقالوا: تكفونا المؤونة ونُشرِكْكم في الثّمرة؟ قالوا: سمِعْنا وأطعْنا**(٢).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قبلة الصبيان، برقم (٩١). ص: ٤٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث)٥٩٩٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك، رقم الحديث: (٦٠٢٨).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المواساة في السّنة والمجاعَة، برقم: (٥٦١)، ص: ١٩٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في المعاملة، رقم الحديث: (٢٧١٩).

٤. ولتشجيع المتربين على أعمال الخير والإنفاق يمكن للمربي في بعض الأحيان عند ما يجلس للمتربين ويحدّثهم أن يسألهم: "من تصدق منكم اليوم على مسكين"؟ ربما في المرة الأولى لن يجيبه أحد منهم، ولكن عند ما يعلمون أن المربّي سوف يسألهم ثانية فإنّهم عند ذلك يسارعون للإنفاق والبذل والعطاء[1].

والرسول ﷺ قد ثبت عنه انتهاج هذا الأسلوب مع أصحابه الكرام، فقد سألهم يوما فقال: ((**من أصبح اليوم منكم صائمًا**)) **قال أبو بكر: أنا. قال: ((مَنْ عاد منكم اليوم مريضًا؟)) قال أبو بكر: أنا. قال: ((من شهد منكم اليوم جنازةً؟)) قال أبو بكر: أنا. قال: ((من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟)) قال أبو بكر: أنا. قال مروان: بلغني أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: ما اجتمع هذه الخصال في رجل في يوم، إلا دخل الجنة))**[2].

وإذا تحقق في المجتمع مبدأ التكافل الاجتماعي كما جاء به الإسلام؛ أدى ذلك إلى تماسك المجتمع وترابطه.

---

(١) باحارث، عدنان حسن، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ص: ١٦٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عيادة المرضى، رقم الحديث: (٥١٥)، ص: ١٧٧. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، بابٌ من فضائل أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٦١٨٢).

المطلب الثالث: إرساء العدل الاجتماعي.

أقام الإسلام المجتمع على دعائم قوية ثابتة، ومنها: العدل بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم.

وقد تعددت مفاهيم العدل بتعدد صوره وأنواعه، ولكن ما يهم البحث هو مفهوم العدل الاجتماعي الذي عرفه بعضهم بأنّه: "أن يصرف الإنسان أمور نفسه وأمور النّاس على قانون لا عوج فيه ولا زيغ ولا استثناء ولا ظلم ولا محاباة، وأن يسيّر أعماله على قانون إلهي لا تبديل فيه ولا تحويل"(١).

ويقوم العدل الاجتماعي على أساس تعاون أفراد المجتمع، وعلى تكافؤ الفرص أمام الجميع، بغض النظر عما بينهم من فروق في الجنس، أو العرق، أو المستوى الاقتصادي، أو المستوى الاجتماعي...بحيث يتاح لكل عضو الفرص المناسبة تبعا لاستعداداته وقدراته، ثم عطائه بعد ذلك(٢).

والعدل ينقسم إلى ثلاثة أنواع(٣):

١ - العدل مع الله: وذلك بإيثار حقه تعالى على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والاجتناب للزواجر، والامتثال للأوامر؛ إذ إن تقديم الهوى وطاعة غير الله في معصيته والإشراك به ﷻ من أعظم الظلم. قال ﷻ على لسان عبده لقمان ﵁: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾(٤).

---

(١) البغدادي، أحمد بن عيسى، كتاب الصدق، ص: ٣١.

(٢) ناصر، إبراهيم، علم الاجتماع التربوي، ص: ١١٢.

(٣) ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، أحكام القرآن: (١١٧٢/٣).

(٤) سورة لقمان الآية: (١٣).

٢ - العدل مع النفس: وذلك بمنعها مما فيه هلاكها. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[1]. أما من أتبع نفسه هواها وتعدّى حدود الله، فقد ظلم نفسه ولم يعدل معها. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[2] والظلم نقيض العدل.

٣ - العدل مع الخلق: وذلك ببذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قلّ أو كثر، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا بفعل، لا في سرّ ولا في علن، والعزم والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى. وأقلّ ذلك الإنصاف من نفسك وترك الأذى، والعدل الاجتماعي الذي نحن بصدد دراسته يدخل في هذا النوع من العدل.

فالعدل الاجتماعي في المجتمع المسلم له صورتان[3]:

صورة سلبية: وتكون بمنع الظلم وإزالته عن المظلوم، وذلك بالأخذ على يد الظالم، ومنعه من انتهاك حقوق النّاس في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وإزالة آثار التعدي إن وقع عليهم اعتداء، وإعادة حقوقهم إليهم، ومعاقبة المعتدي.

وصورة إيجابية: تكون بحفظ كرامة الناس في توزيع الثروة توزيعا عادلا، ويتيح لهم الفرص المتكافئة ليعمل كل واحد حسب طاقته وإمكاناته، ويجني ثمار عمله وجهده، دون أن يصطدم بالفوارق الطبقية أو الممارسات العنصرية.

---

(١) سورة النازعات الآية: (٤٠).

(٢) سورة الطلاق الآية: (١).

(٣) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ١١٦.

أهمية العدل الاجتماعي وأثره في تحقيق الترابط الاجتماعي:

جاءت نصوص السنة النبوية مستفيضة بالأمر بإرساء العدل الاجتماعي، ومرغبة فيه، وحاثّة عليه، ومبينة ما للقائم به من المكانة والأجر العظيم عند الله، تارة بأقواله ﷺ، وتارة بأفعاله، وقد استعملت السنة النبوية أساليب عدّة لبيان عظم مكانة العدل وأهميته في الإسلام، ومنها:

١ - أمرُ المسلمين وترغيبهم في إقامة العدل وإرساءِ قواعده في المجتمع المسلم:

فعن أبي الضحى س قال: **اجتمع مسروق وشُتَير بن شَكَل في المسجد، فتقوّض إليهما حِلَق المسجد**[1]**، فقال مسروق: لا أرى هؤلاء يجتمعون إلينا، إلاّ ليستمعوا منا خيراً، فإمّا أن تحدّث عن عبد الله فأصدِّقك أنا، وإمَّا أن أحدّث عن عبد الله فتصدّقني؟ فقال: حدِّث يا أبا عائشة!... قال: هلْ سمِعتَ عبد الله يقول:** ((**ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي، من هذه الآية:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]**؟ قال: نعم، وأنا قد سمعته...**[3].

---

(١) أي: تفرقت الحِلَق واجتمعت عندهما. السلفي، محمد لقمان، رش البرد شرح الأدب المفرد، ص: ٢٥٦.

(٢) سورة النحل الآية: (٩٠).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم الحديث: (٤٨٩)، ص: ١٦٦. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٨٢.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: "فالعدل الذي أمر الله به، يشمل العدل في حقه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية، والمركبة منهما، في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء، ونواب الخليفة ونواب القاضي".

٢- ذمّ الظلم والتشنيع بالظالمين:

بقدر ما نوه الإسلام بالعدل وأشاد بالعادلين، ذمّ الظلم وشنّع على الظالمين ظلمهم، وتوعدهم بأشدّ العقاب، أيّا كان نوع هذا الظلم.

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ((**يكون في آخر أمَّتي مَسْخ**[٢] **وقذْف**[٣]**، وخَسْف**[٤]**، ويُبدأ بأهل المظالم**))[٥].

وعن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: ((**الظُّلم ظُلُماتٌ يوم القيامة**))[٦].

---

(١)السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: ٤٤٧.

(٢) مَسَخَهُ الله مسخا: حول صورته التي كان عليها إلى غيرها. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٤٦٨.

(٣) القَذْفُ بالحجارة: الرمي بها. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٤٥٧.

(٤) خسف الله به الأرض من باب ضرب، أي: غاب به فيها. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ١٦٥.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظلمات، رقم الحديث: (٤٨٤)، ص: ١٦٤. وضعفه الألباني- سوى الجملة الأولى - ضعيف الأدب المفرد، ص: ٥٤.

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظلمات، رقم الحديث: (٤٨٥)، ص: ١٦٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم الحديث: (٢٣١٥)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: (٦٥٧٢).

وعن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خَلَص المؤمنون من النَّار حُبِسوا بقنطرة**[١] **بين الجنَّة والنَّار، فيتقاصّون مظالم بينهم في الدّنيا، حتّى إذا نُقُّوا وهذِّبوا، أُذِن لهم بدخول الجنَّة، فو الذي نفس محمّد بيده! لأحدهم بمنزله أدلّ منه في الدّنيا**»[٢].

وعن أبي ذرّ، عن النَّبيّ ﷺ، عن الله تبارك وتعالى قال: «**يا عبادي! إنِّي قد حرَّمتُ الظُّلم على نفسي، وجَعَلْتُه مُحَرَّما بينكم فلا تظالموا...**» الحديث[٣].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ[٤]: "وهذا الحديث قد تضمن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال والأصول والفروع، فإن تلك الجملة الأولى وهى قوله: «**حرمت الظلم على نفسي**» يتضمن جل مسائل الصفات والقدر إذا أعطيت حقها من التفسير... وأما هذه الجملة الثانية وهى قوله: «**وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**»، فإنها تجمع الدين كله، فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم، وكل ما أمر به راجع إلى العدل".

---

(١) القَنْطَرَةُ: الجسر. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٤٧٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظلمات، رقم الحديث: (٤٨٦)، ص: ١٦٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، رقم الحديث: (٢٣٠٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظلمات، رقم الحديث: (٤٩٠)، ص: ١٦٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧).

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى: ١٥٧/١٨.

وكلما كان المظلوم ضعيفا كان ظلمه أشدّ وأشنع، ومن هنا كانت دعوة المظلوم مستجابة، ليس بينها وبين الله حجاب، فعن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٍ: دعوةُ المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[1].

وهذا كله يدل على اعتناء الإسلام بالعدل؛ لأنّه من أعظم أسباب السعادة الإنسانية، به تطمئن النفوس، وتزول الأحقاد والضغائن، وبه تحصل الثقة بين الراعي ورعيته، وبين الرئيس ومرؤوسه، وبين الأخ وأخيه، وبه تطهر النفوس، وتخلص النيات، وتعلو الهمم، وتتضافر الجهود، ويزيد العطاء.[2]

وإذا ساد العدل المجتمع تجد كل فرد من أفراد المجتمع يبتعد كل البعد عن كل ما يناقض هذا المبدأ الإسلامي العظيم، فلا يظلم، ولا يعتدي، بل يقسط وينصف من نفسه، يرحم الصغير ويعطف على الكبير، يحب للغير ما يحب لنفسه، لا يبطش جورا، وتجده سمحا متعاونا في سبيل مصلحة الأمة والمجتمع، بعيدا عن الجفاء والقسوة، رحيما، قائما بما عليه من حقوق،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب دعوة المظلوم، رقم الحديث: (٤٨١)، ص: ١٦٣. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب سجود القرآن، باب الدعاء بظهر الغيب، رقم الحديث: (١٥٣٦)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب دعوة الوالدين، رقم الحديث: (١٩٠٥)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، رقم الحديث: (٣٨٦٢)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٨١.

(٢) الحارثي، عائد بن محمد، المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البرّ والصلة والآداب من كتاب الإمام مسلم يرحمه الله، ص: ٢٠٨.

وحين تسود تلك العلاقات السوية تزداد أواصر المحبّة، وتقوي ما بينهم من روابط رسخ مفهومها ودعا إليها الإيمان بالله فهم في ظله أخوة متساوون في الحقوق والواجبات(١).

والعدل عموما يعدّ من "أهم دعائم السعادة التي يسعى إليها البشر؛ بأن يَطْمَئِنَّ النّاسُ على حقوقهم، وأن يستقر العدل بينهم. فإنا لا نكاد نعرف شيئا أبعث للشقاء والفتن، وأنفى للهدوء والاطمئنان بين الأفراد والجماعات، من سلب الحقوق واغتيال الأقوياء حقوق الضعفاء، وتسلط الجبارين على الآمنين المسالمين، وليس من ريب في أن هذه الظواهر - التي ينحرف بها أهلها من سنن الله ونظامه في كونه - أشدّ ما يقطع الصّلات، ويغرس الأحقاد، ويثير أعاصير الكيد والانتقام، ويهدد المجتمع بالأخطار التي تُحَمِّل النّاسَ ما لا طاقة لهم باحتماله من آثار الخصومات والضغائن والأحقاد"(٢).

مجالات العدل الاجتماعي:

للعدل الاجتماعي مجالات كثيرة منها:

١. العدل في نطاق الأسرة:

تعدّ الأسرة النواة الأولى للمجتمع، ولبنة بنائه التي إن صلحت صلح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع كله، لذلك أولاها الإسلام عناية كبيرة، فاهتم ببنائها وأمر بإقامتها على مبدأ العدل والمساواة بين أفرادها، فأوجب العدل بين الزوجات في كل ما هو مقدور عليه من مسكن ونفقة ومبيت وغير ذلك...

---

(١) العجلاني، يوسف بن أحمد، العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ص: ٥٨.

(٢) شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ص: ٤٤٥.

كما اهتم الإسلام بالعدل بين الأولاد؛ لأن المفاضلة بينهم "من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي، سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة. وهذه الظاهرة لها أسوء النتائج في انحراف الولد السلوكية والنفسية؛ لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسبب الخوف، والحياء، والانطواء، والبكاء..وتورث حبّ الاعتداء والمشاجرة والعصيان..وتؤدّي إلى المخاوف الليلية والإصابات العصبية ومركبات الشعور بالنقص"[(١)].

ولذا حرص النبي ﷺ على تعليم الآباء والمربين وحثهم على العدل والمساواة بين الأولاد، والبعد عن الظلم والجور، فعن النعمان بن بشير، **أنَّ أباه انطلق به إلى رسول الله ﷺ يحمله فقال: يا رسول الله إنِّي أُشهِدُكَ أنِّي قد نَحَلتُ النّعمان كذا وكذا، فقال: ((أكلَّ ولدِك نَحَلتَ؟)) قال: لا، قال: ((فأشهِدْ غيري)) ثم قال: ((أليس يسرُّك أن يكونوا في البرِّ سواء؟))، قال بلى. قال: ((فلا إذاً))**[(٢)].

وهذا توجيه تربوي نبوي في التعامل مع الأولاد بالعدل؛ لما يترتب على الجور بينهم من آثار نفسية وتربوية واجتماعية سيئة على الفرد والمجتمع.

---

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: ٢٥٢/١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أدب الوالد وبرّه لولده، برقم: (٩٣). ص: ٤٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم الحديث: (٢٥٨٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل، رقم الحديث: (٤١٨٥).

٢. العدل في الحكم:

لقد أنزل الله شريعة واحدة تطبق على الجميع لا فرق في تطبيقها بين إنسان وآخر، حاكما كان أورعية، قويا أو ضعيفا، غنيا أو فقيرا. فالقانون إذا لم يكن للناس جميعا، تطبق عليهم أحكامه على السواء، فلا خير فيه للمجتمع، بل يكون ظلما. وإذا ارتفع العدل بين الناس، صار النّاس أصنافاً وطبقات، ونبت الحقد في صدورهم ونمت الكراهية في نفوسهم، فأدّى ذلك إلى التفكك الاجتماعي وهلاك المجتمع[١].

وإرساء العدل في الحكم يقع على عاتق كل من له مسؤولية على غيره، ولاسيما الحاكم الذي يرعى شؤون المسلمين عليه أن يطبق العدل في أحكامه بعيدا عن الجور والظلم.

ومن أبرز صور العدل في الحكم ما يلي[٢]:

- المساواة بين جميع أفراد المجتمع في تطبيق شرع الله دون تمييز لنسب أو جاه أو سلطان أو نحو ذلك. عن عائشة رضي الله عنها **أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله»! ثم قام فاختطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه،**

---

(١) المنجد، صلاح الدين، المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، ص:١٨.

(٢) الحارثي،عائد بن محمد، المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البر والصلة والآداب من صحيح الإمام مسلم يرحمه الله، ص: ٢١٠.

وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١].

• العدل في إعطاء المستحقين ومنع غير المستحقين من العطايا والمعونات وغيرهما، فعن جابر قال: **كان رسول الله ﷺ يوم حنين بالجِعِرّانة، والتِّبْر**[٢] **في حجر بلال، وهو يقسم، فجاءه رجل فقال: اعدل؛ فإنك لا تعدل! فقال: «ويلك، فمن يعدل إذا لم أعدل!؟» قال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إن هذا مع أصحاب له - أو في أصحاب له - يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم**[٣]**، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة**[٤]»[٥].

---

(١) والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الحدود، باب كراهة الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم الحديث: (٦٤٠٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الحدود، باب قتل السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم الحديث: (١٦٨٨)، واللفظ له.

(٢) التِّبْرُ مَا كَانَ مِنْ الذَّهَبِ غَيْرَ مَضْرُوبٍ، فَإِنْ ضُرِبَ دَنَانِيرَ فَهُوَ عَيْنٌ. وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: التِّبْرُ مَا كَانَ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ غَيْرَ مَصُوغٍ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: التِّبْرُ كُلُّ جَوْهَرٍ قَبْلَ اسْتِعْمَالِهِ كَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهِمَا. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٦٩.

(٣) التَّرْقُوَةُ وزنها فعلوة بفتح الفاء وضمّ اللام، وهي: العظم الذي بين ثُغْرة النحر والعاتق من الجانبين، والجمع: التَّرَاقِي. الفيومي، أحمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٧١.

(٤) مَرَقَ السهم من الرمية مُرُوقًا، من باب قعد: خرج منه من غير مدخله، و منه قيل: مَرَقَ من الدين مُرُوقًا أيضا: إذا خرج منه. الفيومي، أحمد بن علي المقرئ، المرجع السابق، ص: ٤٦٥.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب قول الرجل للرجل: ويلك، رقم الحديث: (٧٧٤)، ص: ٢٦٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، رقم الحديث: (٦٥٣٤)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث: (١٠٦٣).

- العدل في توزيع الأعمال والمهام على المرؤوسين، دون محاباة ولا مجاملة ولا مصلحة شخصية.
- العدل في توزيع الثروات على الرعايا كل حسب جهده وطبيعة عمله.
- العدل في المعاملة بين المرؤوسين والمساواة بينهم في الأقوال والأفعال، وعدم المفاضلة بينهم إلا بسبب أو هدف محمود يدعو إلى ذلك التفضيل.

وإذا تتبعنا جميع تنظيمات الإسلام المالية والاجتماعية وغيرهما وجدنا العدل أساسا لها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة".

٣. العدل في التربية والتعليم:

من أهم مجالات العدل الاجتماعي العدل في التربية والتعليم، والتربية الإسلامية تتميز باهتمامها المتفرد بالعلم والمتعلمين، ومن خلال اهتمامها بالعلم والتعليم أكدت على أهمية الوسائل المعينة على إيجاد بيئة تربوية مناسبة لتحصيل العلم، والمبادئ التي تنظم العمليات التربوية، ومن أهم تلك المبادئ مبدأ العدل، فالتربية الإسلامية تستمدّ جذورها من تعاليم الإسلام السمحة التي تدعو إلى نبذ النظم الطبقية التي تفرق بين البشر دون مسوغ شرعي، والتربية الإسلامية منذ بزوغ فجر الإسلام لم تعرف نظام الطبقات في التعليم، "ولقد ساوى الإسلام بين أبناء الأغنياء والفقراء في التعليم، ومنحهم جميعا الفرص في أن يتعلموا من غير تفرقة بينهم"[(٢)].

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين: ٣/٣.

(٢) الأبراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص: ٢٧.

ولقد دعا الإسلام إلى تحقيق هذا المبدأ في التربية والتعليم؛ لما يترتب على تطبيقه من آثار تربوية إيجابية كثيرة، تعود بالنفع للفرد والمجتمع بأكمله، وتتنوع ملامح وصور هذا المبدأ في التربية الإسلامية، ومن أبرز هذه الملامح والصور ما يلي:

أولا – العدل بين المتعلمين في المعاملة:

ويقصد بالعدل في المعاملة: أن تعامل المؤسسة التربوية جميع المتعلمين معاملة قائمة على الحق والعدل لا على المكانة الاجتماعية أو الحالة المادية، بمعنى أن يعامل الأغنياء والفقراء وذوو النفوذ والمكانة معاملة أفراد المجتمع من حيث إتاحة الفرص للتعلم، وتوزيع النظر والاهتمام بهم، والشفقة عليهم والجلوس في مكان بارز ليروا المعلم جميعا، وأن يكون التفاضل بينهم قائما على أساس مستوى المتعلم وما يحققه من تقدم في تحصيله دون النظر لأي اعتبارات أخرى[١].

فالتربية الإسلامية تنظر إلى البشر كلهم على اختلاف شعوبهم وألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، وعلى اختلاف منازلهم الاجتماعية، والأعمال التي يقومون بها، والمال الذي يملكونه، على أنّهم كلهم عباد لله، أصلهم واحد، وخالقهم واحد، فلا تفاوت بينهم في الكرامة الإنسانية، وفيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات[٢].

---

(١) العجلاني، يوسف بن أحمد، العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ص: ٧٠.

(٢) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ١٢٧.

وبناء على هذه النظرة سوَّت التربية الإسلامية في الحقوق بين الناس جميعا، بين الرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، وأصحاب المراتب وعامة الناس، فكلهم أمام الحق والحقوق والكرامة الإنسانية سواء، أما التفاضل بينهم عند الله فهو بالتقوى والعمل الصالح: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١). وأما تفاضلهم في الحياة الاجتماعية فيكون بقدر تفاوتهم في العمل والجهد والخبرة والمواهب والعلم والإنتاج النافع، وغير ذلك مما يتفاوت فيه الناس، ويكون سببا في التفاضل وتقدير الجهد المبذول لمنفعة الناس(٢).

عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه؛ **أن النبي ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: «اجمع لي قومك»، فجمعهم، فلما حضروا باب النبي ﷺ دخل عليه عمر فقال: قد جمعتُ لك قومي، فسمع ذلك الأنصار، فقالوا: قد نزل في قريش الوحي، فجاء المستمع والناظر ما يقال لهم، فخرج النبي ﷺ، فقام بين أظهرهم. فقال: «هل فيكم من غيركم؟» قالوا: نعم؛ فينا حليفنا وابن اختنا وموالينا. قال النبي ﷺ: «حليفنا منا، وابن اختنا منا، وموالينا منا، وأنتم تسمعون: إن أوليائي منكم المتقون؛ فإن كنتم أولئك فذاك، وإلا فانظروا، لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالأثقال فيعرض عنكم»...الحديث**(٣).

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٣).

(٢) الهاشمي، محمد علي، المرجع السابق، ص: ١٣١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب مولى القوم من أنفسهم، رقم الحديث: (٧٥)، ص:٣٩. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ٣٧/٥. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٧.

وعن ابن عباس قال: «**لا أرى أحدا يعمل بهذه الآية:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[١] **فيقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك! فليس أحدٌ أكرمَ من أحد إلا بتقوى الله**»[٢].

وعن يزيد بن الأصم ﷺ قال: قال ابن عباس: «**ما تعدُّون الكَرَم؟ وقد بَيَّن الله الكَرَم، فأكرمُكم عند الله أتقاكم، ما تعدون الحَسَب؟ أفضلكم حَسَباً أحسنكم خُلُقا**»[٣].

وبناء على هذه النصوص وغيرها التي تدعو إلى المساواة الإنسانية وعدم التفاضل بين البشر إلا بالتقوى، نادى عدد من المربين المسلمين بإنصاف المتعلمين والعدل بينهم في المعاملة كحق من حقوقهم في التعلم، فهذا الآجري رحمه الله يقول:[٤] "ويعتقد الإنصاف إن كان يريد الله بتلقينه القرآن، فلا ينبغي أن يقرب الغني ويبعد الفقير، ولا ينبغي له أن يرفق بالغني، ويخرق بالفقير، فإن فعل هذا فقد جار في فعله فحكمه أن يعدل بينهما".

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٣)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحسب، رقم الحديث :(٨٩٨)، ص:٣١٣. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٣٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحسب، رقم الحديث :(٨٩٩)، ص:٣١٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٣٤.

(٤) الآجري، أحمد بن الحسين، أخلاق حملة القرآن، (ص: ٤٧).

كما نادى ابن جماعة رَحِمَهُ اللهُ بهذا المبدأ مطالبا المعلم "ألا يظهر للطلبة تفضيلَ بعضهم على بعض عنده في مودّة أو اعتناء، مع تساويهم في الصفات من سن أو فضيلة أو تحصيل أو ديانة، فإنّ ذلك ربما يوحش منه الصدر وينفر منه القلب"(١). وهذا إشارة منه إلى الآثار التربوية والنفسية السلبية المترتبة على عدم المساواة بين المتعلمين، وتفضيل بعضهم على بعض دون مبرر مقبول.

ثانيا – العدل في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص:

ومن مجالات العدل في التربية والتعليم تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، وهو"يعني: حق كل فرد في النمو في مجالاته المتعددة الأوجه، وحسب ما تسمح به قدراته وإمكاناته واستعداداته، مع توفير مستقبل آمن له"(٢). ويعني في مجال التربية والتعليم: "توفر جميع الأطفال المتعلمين والتلاميذ على نفس الإمكانيات والمؤهلات المادية والاجتماعية والثقافية وغيرها بدون تفاوت بينهم، ولا تمييز لا في اللون، ولا في الجنس، ولا في الدين"(٣).

وأشار بعض الباحثين إلى أن مصطلح تكافؤ الفرص يعني: أن "يتاح لكل فرد فرصة التعليم على أساس متكافئ، دون قيد أو تمييز بسبب الوضع الاجتماعي أو الغنى والفقر أو الدين أو العرق والسلالة، وهذا يعني أن يكون التعليم متاحا للجميع"(٤).

---

(١) ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (ص: ١٠٠).

(٢) أحمد، لطفي بركات، المعجم التربوي في الأصول الفكرية والثقافية للتربية، ص: ٥١.

(٣) شقرون، محمد، معجم التربية والتعليم، ص: ١٤٢.

(٤) مرسي، محمد منير، أصول التربية، ص: ٧٤.

وفي منهج التربية الإسلامية نجد أن تكافؤ الفرص ركيزة من ركائز الفكر التربوي الإسلامي، وهو نتيجة حتمية لمبدأ العدل والمساواة في الإسلام وثمرة من ثمراته، فالمسلمون متساوون في الحقوق والواجبات، لا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين أبيض ولا أسود، بل كل بمقدار عمله، وما يميز المسلم عن غيره هو ما يتحلى به من تقوى الله جل وجلاله، وما يبذله من جهد، وما ينتجه من أعمال.

فتهيئة الفرص التعليمية في الإسلام تتناول كل الطبقات والأفراد حتى ذوي العاهات، فالكل له الحق في التعلم على الدولة وعلى المجتمع[1].

ومن حق كل طفل في المجتمع المسلم الراشد العادل أن يجد العلم والصحة ويجد بعد ذلك الفرصة للعمل، بحسب طاقته وموهبته وإمكاناته، ولا ضير بعد ذلك إن حصل التفاوت؛ لأنه تفاوت طبيعي لا بد منه؛ لأن الله تعالى لم يخلق الناس نسخا مكررة.[2]وهذا يعني أن تكافؤ الفرص في منهج التربية الإسلامية لا يعني التساوي في كل الأمور؛ فالإسلام يقر التفاوت والاختلاف في المواهب والاستعدادات، فلا بد من التنوع والاختلاف الذي يسمح بالتكامل والتعاون.

عن أبي هريرة قال: **سئل رسول الله ﷺ أيّ النّاس أكرم؟ قال: «أكرمُهم عند الله أتقاهم». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فأكرم الناس يوسف نبيّ الله بن نبيّ الله ابنُ خليلِ الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك.**

---

(١) فرحان، اسحق أحمد، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة،، ص: ٨٠ – ٨١.

(٢) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ١٣٩.

قال: ((فعَنْ معادن العَرَب تسألوني؟)). قالوا: نعم. قال: ((فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فَقِهوا))(١).

وكان مبدأ تكافؤ الفرص أمراً مقرّراً في المجتمع الإسلامي، وقد اتسعت دائرته "في حياة الأمة الإسلامية، فشملت كل مواطن يعيش في الدولة الإسلامية، ومن هنا تضافر على إنشاء الحضارة الإسلامية كنوز الفكر الإنساني من جميع الأجناس والألوان واللغات وانصبت في حياضها ثمرات قرائحه على مدى العصور والأزمان، فكانت حضارة إنسانية عامة، لا تختصّ بجنس دون جنس، ولا بلغة دون لغة، ولولا هذه النظرة الإنسانية الشاملة للمواهب البشرية لما وصلت الحضارة الإسلامية إلى الشأو الرفيع الذي وصلت إليه"(٢).

العوامل التربوية الميسرة لتحقيق العدل الاجتماعي:

من العوامل التربوية الميسرة لتحقيق العدل ما يلي(٣):

١. الإيمان بالله تعالى وتقواه، ومراقبته في السر والعلن في كل قول أو عمل، وهذا ما يدفع المرء إلى مقابلة السيئة بالحسنة، والعدل مع القريب والبعيد، والصديق والعدو في حالتي الرضا والغضب.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكرم، رقم الحديث: (١٢٩)، ص: ٥٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾، رقم الحديث: (٣١٧٥)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، رقم الحديث: (٢٣٧٨).

(٢) الهاشمي، محمد علي، المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص: ١٤٠.

(٣) الحارثي، عائد بن محمد، المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البر والصلة والآداب من صحيح الإمام مسلم يرحمه الله، ص: ٢١٠-٢١١.

٢. تحكيم شرع الله في كل صغيرة وكبيرة من أمور الحياة.

٣. ترغيب النفس بما أعدّ الله لعباده العادلين من خير عظيم في الدنيا والآخرة.

٤. التأمّل في عواقب الظلم وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع، واستشعار أحوال الظلمة يوم القيامة، وندمهم على ظلمهم الخلائق.

٥. مجاهدةِ النفس لتطهيرها وتزكيتها من الرذائل والتخلص من الحسد الذي يعدّ من أعظم أسباب الظلم والعدوان.

٦. التحلي بالأخلاق الفاضلة التي تعين على معاملة الناس بالعدل.

٧. الابتعاد عن العصبية والهوى وعدم التحيز.

ويجب أن يعلم أنّ في توطيد العدل ومحاربة الظلم والحيلولة دون وقوعه إقراراً للأمن وتحقيقاً للمساواة بين أفراد المجتمع، الأمر الذي يُمَكِّن كُلَّ فردٍ من الوصول إلى حقه دون مشقة وعناء، وإذا فقد العدل أكل الناس بعضهم حق بعض، وسادت الفتن، وكثرت الجرائم والمنكرات، وأصبح كل فرد من أفراد المجتمع عرضة لاعتداء الأشرار، وضعاف النفوس، فتفقد الحياة بهجتها وجمالها.

المطلب الرابع: غرس القيم الاجتماعية لبناء المجتمع السليم

تعدّ القيم الاجتماعية عاملا أساسيا من عوامل تحقيق الترابط الاجتماعي؛ لأن تعاون الناس وتفاعلهم وتوافقهم وتواصلهم لا يتم عشوائيا، بحيث يركب كل هواه، وإنما لا بدّ من وجود قيم مقننة تحكم ذلك، ولعل عدم الاصطلاح على هذه القيم هو السبب الرئيس في استشراء الخلافات والمنازعات، ونشوب الحروب بين الأمم والمجتمعات، والصدامات المستمرة بين الأسر والأفراد، فكل يرى أن موقفه هو الحق، وموقف غيره هو الباطل.

وسرّ نجاح التربية الإسلامية في تكوين المجتمع المثالي يكمن في احتوائها للقيم الاجتماعية الثابتة التي نقلت الرعيل الأول من مجتمع البداوة الذي سيطر على أفراده الجهل والفساد، إلى مجتمع متحضر حمل أفراده مشاعل النور والهداية إلى جميع أنحاء المعمورة، فملؤوها عدلا ونورا بعد أن كانت تقبع في غياهيب الظلم والجور.

وغرس القيم الاجتماعية السليمة في نفوس المتربين ضرورة تربوية واجتماعية لتفادي الوقوع في اضطراب القيم في النفس، الأمر الذي يؤدي إلى حالة توتر وحالة امتلاء، واضطراب القيم دليل على اضطراب النظم التربوية وعدم انسجامها، وأهم ركن من أركان التربية السليمة أن يكون النظام التربوي منسجما ويدور حول محور أخلاقي ثابت، بحيث تتضح الرؤية لدى المربي، وينعكس أثر ذلك على الآخرين.

ومن المؤسف أن الأنظمة التربوية في عالمنا الإسلامي ما زالت غير مستقرة، وذلك بسبب تناقض الفلسفة التربوية وتعدد المناهج وتنافرها، بحيث يصبح الطفل أو الشاب في مرحلة ضياع وتيه، يبحث عن مجهول لا يعرفه، فهو بين قيم متنافرة، ونظريات متناقضة، وليس بينها ما يجعلها في موطن القبول...

ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على علاقات الفرد بأسرته ومجتمعه بطريقة سلبية، ولا بد في هذه الحالة من تصحيح الأوضاع التربوية بطريقة علمية وواقعية، تنطلق من منطلق الوضوح في الوسائل والغايات، وتهدف إلى تكوين شخصية إنسانية سوية مسلمة، من خلال توفير أسباب الاستقرار النفسي..."[١].

مفهوم القيم:

يُعَرِّف المعجم التربوي القيم بأنها: "مجموعة من القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما ويتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال ويكون لها قوة الإلزام والضرورة والعمومية، ويعتبر أي خروج عليها بمثابة انحراف عن قيم الجماعة ومثلها العليا"[٢].

ومن منظور التربية الإسلامية عرَّفها أحد الباحثين بأنها: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة"[٣].

ويرى باحث آخر أن القيم هي: "أحد المحددات للسلوك، وهي ضوابط اجتماعية تضبط التفاعلات والعلاقات بين الأفراد، وهي التي تحدد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب...والدين الإسلامي هو المصدر الأساسي للقيم والأفكار المختلفة التي تحتويها التربية الإسلامية والتي تضبط سلوك الأفراد.

---

(١) النبهان، محمد فاروق، أثر التربية الإسلامية في السلوك الاجتماعي، ص: ١٣.

(٢) بركات، أحمد لطفي، المعجم التربوي، ص:١٧٣.

(٣) قميحة، جابر، المدخل إلى القيم، ص:٤١.

والنفس البشرية بفطرتها التي فطر الله الناس عليها تقبل هذه القيم التي جاء بها الدين الإسلامي، وهذه القيم تساير تلك الفطرة وتقويها وتنميها وتزكيها وتهذبها وتنظمها وتسخرها لإصلاح الفرد والمجتمع، ولا ينكر الدين الإسلامي القيم التي تتكون نتيجة للتفاعل الاجتماعي، بشرط أن لا تكون هذه القيم متنافية مع شرع الله"(١).

أما القيم الاجتماعية: فهي مجموعة القيم التي تميز الفرد باهتماماته الاجتماعية، وبقدرته على عمل علاقات اجتماعية، والتطوع لخدمة الآخرين، ويتميز الفرد بقدرته على العطاء من وقته وجهده وماله لخدمة المجتمع، ويغلب على سلوكه الود والشفقة والإيثار.

العلاقة بين القيم والتربية:

العلاقة بين القيم والتربية علاقة عضوية تعني أن كل واحد منهما يدخل في تكوين الآخر فلا يمكن أن تكون تربية بدون قيم، كما لا يمكن أن تكون هناك قيم بدون تربية، "القيم هي موضوع التربية وهي في الوقت نفسه موضوع كل إنسان، كما أن التربية موضوعها الإنسان"(٢)، ولإيضاح تلك العلاقة يذكر بعض الباحثين ما يلي:

١. تشتق الأهداف التربوية عادة من القيم التربوية السائدة في المجتمع.

٢. عملية التقويم سواء للمعلم أم التلاميذ تأخذ في اعتبارها مدى تمسكهم بالقيم.

---

(١) مطر، سيف الإسلام علي، التغير الاجتماعي. ص:٧٩ – ٨٠.

(٢) خياط، محمد جميل بن علي، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، ص: ٤٤.

٣. البرامج التي تقدمها المؤسسات التربوية للمجتمع لا بد وأن يراعى فيها القيم التي يؤمن بها المجتمع.

٤. التربية عملية غرس للقيم والاتجاهات التي يؤمن بها المجتمع ونقلها من جيل إلى آخر.

٥. تستهدف التربية تشجيع الإبداع والإنتاج والتطوير والتغيير، إلا أنها في كل ذلك تراعي القيم السائدة في المجتمع.

ويمكن القول بأن مدى مراعاة التربية للقيم هي الضابط الأساسي لكل ما تقدمه التربية[١].

ويضاف إلى ذلك أن التربية تعمل على تنمية علاقات الفرد مع غيره، والقيم هي الإطار المرجعي لتحديد نوعية تلك العلاقات[٢].

مكانة القيم وأهميتها في التربية الإسلامية:

تحتل القيم الاجتماعية مكانة عالية في التربية الإسلامية، باعتبارها أهم دعائم رقي الأمم ونهضتها وبناء حضارتها؛ لأن القيم الفاضلة الجليلة هي سبيل الثقة والألفة والمحبة والتوافق والتواؤم والتفاهم والتعاون بين الناس، ومن ثم فهي سبيل الإنجاز والإنتاج والإبداع والابتكار والإتقان في كل عمل. ولذلك دعت السنة النبوية إلى الالتزام بالقيم والأخلاق الحسنة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إنّ الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل**))[٣].

---

(١) بركات، أحمد لطفي، القيم والتربية، ص: ٣٥.

(٢) خياط، محمد جميل بن علي، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، ص: ٤٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق إذا فقهوا، رقم الحديث: (٢٨٤). ص: ١٠٣. وأبو داود - من حديث عائشة - السنن، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم الحديث: (٤٧٩٨). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٢٢.

وعن أبي الدرداء، عن النَّبيّ ﷺ قال: «**ما مِنْ شيء في الميزان أثقلُ مِنْ حُسْن الخُلُق**»[1].

وعن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن النَّبيُّ ﷺ فاحشاً ولا متفحِّشاً[2]، وكان يقول: «**خياركم أحاسنكم أخلاقاً**»[3].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه؛ **أنَّه سَمِع النَّبيَّ ﷺ يقول: «أخبِرُكم بأحبّكم إليّ، وأقربكم مِنّي مَجلساً يوم القيامة؟»، فسكتَ القومُ، فأعادها مرَّتين أو ثلاثا. قال القومُ: نَعَمْ يا رسول الله! قال: «أحسنُكمْ خُلُقاً»**[4].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧٠)، ص: ١٠٠. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٠٠٣). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٨.

(٢) الفاحش: الآتي بكلمات وعبارات سيئة. والمتفحش: الذييتكلف الفحش ويتعمده لفساد حاله. السلفي، محمد لقمان، رش البرد شرح الأدب المفرد، ص: ١٤٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧١)، ص: ١٠٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح،كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث: (٥٦٨٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم الحديث: (٢٣٢١).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧٢)، ص: ١٠٠. وأحمد بن حنبل، المسند: ١٨٥/٢. والبيهقي، أحمدبن الحسين، شعب الإيمان: ٢٢٣/٦، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٨.

وعن أبي هريرة؛ **أنّ رسول الله ﷺ قال:** ((**إنَّما بُعِثتُ لأتمّم صالح الأخلاق**))[١].

وتتجلى أهمية القيم من خلال الوظائف التي تقوم بها ويمكن تلخيص تلك الوظائف فيما يتعلق بتحقيق الترابط الاجتماعي، في النقاط التالية:

١. للقيم تأثير واضح كأداة للتضامن الاجتماعي، فوحدة الجماعات تستند إلى وجود القيم المشتركة، مما يجعل الناس ينجذبون بعضُهم لبعضٍ عندما يشعرون بتماثل الأخلاق والعقائد التي يعتنقونها[٢].

٢. الالتزام بالقيم التربوية الإسلامية الاجتماعية يؤدي فعلا إلى صهر المجتمع الإسلامي في بوتقة واحدة أي إعادته ليكون أمة واحدة، وبالتالي تسوده المحبّة والإخاء والتعاون والالتزام بالأخلاق الفاضلة، وترك الأخلاق الذميمة[٣].

نماذج من القيم الاجتماعية في السنة النبوية (من خلال كتاب "الأدب المفرد" للإمام البخاري):

١. الألفة والمحبة:

من القيم الاجتماعية التي ينبغي أن يحرص المربي على غرسها في نفوس المتربين الألفة والمحبة، و"هذه الألفة الجامعة بين الأفراد من خواص الجانب

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧٣)، ص: ١٠٠. وأحمد بن حنبل، المسند: ٢/٣٨١. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنّف: ٦/٣٢٤. والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ٢/٦١٣. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٦/٢٣٠، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٨.

(٢) النوري، قيس، الحضارة والشخصية، ص: ٦٩-٧٠.

(٣) خياط، محمد جميل بن علي، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، ص: ٥٠.

الاجتماعي في الشخصية المسلمة باعتبارها يشدّ الفعل الاجتماعي المختار، والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بعضها إلى بعض، وهي تؤدي إلى القوة في الترابط والصحة في التوافق، والمتعة في التضام، وهي التي تشدّ بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض، ووظيفتها الاجتماعية مهمة؛ لأنها داعية إلى التماسك الاجتماعي، واستقرار بنائه، ولها أهميتها الخاصة لكل من الفرد والجماعة؛ لما فيها من داع إلى التناصر والسلامة الاجتماعية، ولما توفره من جو اجتماعي سليم صحيح لنمو الشخصية الاجتماعية"(١).

ولذلك دعت السنة النبوية إلى التحابّ بين الناس، وتآلف القلوب لتحقيق السعادة الاجتماعية في الحياة الدنيا، والفوز برضا الله في الآخرة، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تُسْلموا، ولا تُسْلموا حتى تحابّوا، وأفشوا السلام تحابّوا، وإيَّاكم والبُغْضة؛ فإنها هي الحالقة، لا أقول لكم: تحلق الشَّعْرَ، ولكن تحلق الدّين**))(٢).

عن ابن عباس قال: ((**النِّعَمُ تُكْفَرُ، والرَّحِم تُقْطَع، ولَمْ نَرَ مثل تقارب القلوب**))(٣).

---

(١) أبو العينين، علي خليل مصطفى، قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، ص: ٢٩٦ – ٢٩٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التحاب بين الناس، رقم الحديث: (٢٦٠)، ص: ٩٧. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أنّه لا يدخل الجنّة إلا المؤمنون، رقم الحديث: (٥٤)، إلى قوله: أفشوا السلام بينكم.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الألفة، رقم الحديث: (٢٦٢)، ص: ٩٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١١٥.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجَنَّدة؛ فما تعارف منها ائتلَف، وما تناكَر منها اختلف**»[١].

٢. الرحمة والشفقة:

على المربين أن يغرسوا في نفوس المتربين الرحمة والشفقة بالآخرين، والتألم لألمهم، فالرحمة من الصفات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وبها يسود الحبّ والودّ بين الناس، فيتعاطفون ويتكافلون، وتتضافر جهودهم، وهي رقة في القلب، وحساسية في الضمير، وإرهاف في الشعور، تستهدف الرأفة بالآخرين والتألم لهم، والعطف عليهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبر وسلام[٢].

وقد حثت السنة النبوية على التحلي بهذه الصفة الاجتماعية الجليلة، فعن عمر قال: «**لا يُرحم مَنْ لا يَرْحَم، ولا يُغْفَر لمن لا يَغْفِر، ولا يُتَاب على مَنْ لا يتوب ولا يُوَقَّ مَنْ لا يَتَوَقَّ**[٣]»[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأرواح جنود مجنّدة، رقم الحديث: (٩٠٠)، ص:٣١٤. والبخاري معلقا، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، رقم الحديث: (٣١٥٨)

(٢) علوان، عبد الله بن ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: ٣٦٥/١.

(٣) وقَاهَ الله السوء يَقِيهِ وِقَايَةً بالكسر: حفظه، والوِقَاءُ: مثل كتاب: كلّ ما وقيت به شيئا. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٥٤٩.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض، رقم الحديث: (٣٧٢)، ص: ١٣١. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٩.

وعن جرير، عن النبي ﷺ قال: ((**مَنْ لا يرحم النّاس، لا يَرْحَمُه الله**))[(١)].

وعن أبي هريرة يقول: سمعت النبي ﷺ الصادق المصدوق أبا القاسم ﷺ يقول: ((**لا تُنزع الرحمة إلا من شقيّ**))[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: "ومما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك.

فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده، كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم".

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض، رقم الحديث: (٣٧٥)، ص: ١٣٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾، رقم الحديث: (٦٩٤١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم الحديث: (٢٣١٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض، رقم الحديث: (٣٧٤)، ص: ١٣٢. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم الحديث: (٤٩٤٢)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب رحمة المسلمين، رقم الحديث: (١٩٢٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٤٩.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ١٧٤/٢.

والأحاديث الواردة في الرحمة تدلّ على أنها لا تقتصر على المسلمين فقط، بل تعمّ الناس جميعا، وهي رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فعن أبي هريرة، **أن رسول الله ﷺ قال:** ((**بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ به العطش، فَوَجد بئرا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث**[١]**، يأكل الثرى**[٢] **من العَطَش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ مِنَ العطش مثلُ الذي كان بَلَغني، فنزل البئر فملأ خُفَّاه، ثم أمسكها بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغَفَرَ له**)). **قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال:** ((**في كل ذات كَبِدٍ رطبة أجر**))[٣].

وعن عبد الله بن عمر **أن رسول الله ﷺ قال:** ((**عُذِّبَتْ امرَأَةٌ في هِرَّة حَبَسَتْها حتىّ ماتَتْ جُوعاً، فدخلَتْ فيها النار، يُقَال - والله أعلم - لا أنتِ أطعمتيها، ولا سقيتيها حين حبَسْتيها، ولا أنتِ أرسلتيها، فأَكَلَتْ مِنْ خَشاش**[٤] **الأرض**))[٥].

---

(١) لَهَثَ الكلب: أخرج لسانه من العطش أو التعب. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٨٦.

(٢) الثَّرَى: التراب النديّ. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٤٢٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة البهائم، رقم الحديث: (٣٧٨)، ص: ١٣٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: (٥٦٦٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم الحديث: (٢٢٤٤).

(٤) الخِشَاشُ بالكسر: الحشرات، وقد يُفتح. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ١٦٦.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة البهائم، رقم الحديث: (٣٧٩)، ص: ١٣٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم الحديث: (٢٢٣٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة، رقم الحديث: (٢٢٤٢).

وعن أبي أمامة قال: **قال رسول الله ﷺ: ((من رحم ولو ذبيحة، رحمه الله يوم القيامة))**[١].

وعن عبد الله: **أن النبي ﷺ نزل منزلا فأخذ رجلٌ بَيْضَ حُمَّرة**[٢]، **فجاءت تَرِفُّ**[٣] **على رأسِ رسول الله ﷺ فقال: ((أيّكم فَجَع**[٤] **هذه بيضتها؟)). فقال رجل: يا رسول الله! أنا أخذت بيضتها. فقال النَّبِيُّ ﷺ: ((اردد، رحمة لها))**[٥].

٣. العفو والتسامح:

ينبغي أن يُعَوَّد المتربي العفو والتسامح، والتنازل عن الحق ولو كان قادرا على الانتقام، إذا لم يكن الاعتداء على شعيرة من شعائر الدين أو مقدساته،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب رحمة البهائم، رقم الحديث: (٣٨١)، ص: ١٣٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥١.

(٢) الحُمَرُ بضم الحاء وفتح الميم وتشديدها أكثر من التخفيف: ضرب من العصافير الواحدة: حُمَّرَةٌ. وأهل المدينة يسمون البلبل النغرة و الحُمَّرَةُ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ١٣١.

(٣) رَفْرَفَ الطائر: إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٢٢٩.

(٤) أي: أوجع. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٤٢٩.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب أخذ البيض من الحمرة، رقم الحديث: (٣٨٢)، ص: ١٣٤. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار، رقم الحديث: (٢٦٧٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٢.

ويوضح له أن هذه الصفة الاجتماعية من الصفات التي كان النبيُّ ﷺ يتحلى بها ويحث على التزامها، فعن عائشة ب؛ أنها قالت: «**ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسَرَهما؛ ما لم يكن إثما، فإذا كان إثما كان أبعَدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلاّ أن تُنْتَهك حُرْمَة الله تعالى، فينتقم لله ﷻ بها**»[(١)].

وعن أنس: **أن يهودية أتت النَّبيّ ﷺ بشاة مسمومة، فأَكَل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقْتُلُها؟ قال:** «**لا**». **قال: فما زِلْتُ أعرفها في لَهَوَات رسول الله ﷺ**[(٢)].

وعن وهب بن كَيسَان ﷺ قال: **سمعتُ عبد الله بن الزبير يقول على المنبر:** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(٣)] **قال:** «**والله ما أمر بها أن تُؤْخَذ إلا من أخلاق الناس، والله! لآخذنّها منهم ما صحبْتُهم**»[(٤)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم الحديث: (٢٧٤)، ص: ١٠١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: (٣٣٦٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، رقم الحديث: (٢٣٢٧).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العفو والصفح عن الناس، رقم الحديث: (٢٤٣)، ص: ٩١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث: (٢٦١٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب السمّ، رقم الحديث: (٥٧٠٥).

(٣) سورة الأعراف الآية: (١٩٩).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العفو والصفح عن الناس، رقم الحديث: (٢٤٤)، ص: ٩١. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة الأعراف، رقم الحديث: (٤٣٦٧).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((**عَلّموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت**))(١).

والالتزام بصفة العفو والتسامح يؤدي إلى تقوية الروابط الاجتماعية؛ لأن في العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين(٢).

ومن التسامح التيسير على الناس كإنظار المعسر إلى ميسرة، ذلك أن إنظار المعسر خلق كريم حض عليه الإسلام؛ وورد فيه فضل عظيم، فعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: ((**حوسب رجلٌ مِمَّن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير، إلا أنه كان رجلا يخالط الناس وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله ﷻ: فنحن أحق بذلك منه؛ فتجاوز عنه**))(٣).

٤. الصبر:

الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز(٤).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العفو والصفح عن الناس، رقم الحديث: (٢٤٥)، ص: ٩٢. وأحمد بن حنبل، المسند: ٢٣٩/١. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٠٩.

(٢) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٣٤١/١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق إذا فقهوا، رقم الحديث: (٢٩٣)، ص: ١٠٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، رقم الحديث: (١٥٦١).

(٤) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٣٠٥/٢.

والصبر من القيم الاجتماعية الضرورية التي تدخل في جميع مجالات الحياة، فإنّ "كسب الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات الدينية يحتاج إلى صبر، والكف عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر، ومقارعة شدائد الحياة ومقاومة مكارهها وتحمل تكاليفها يحتاج إلى صبر، وهكذا إلى سائر الأعمال التي يمارسها الإنسان في حياته، سلبية كانت أو إيجابية، فهي تحتاج إلى صبر"[١].

والمعلم أو الداعية إذا لم يكن متحليا بهذه الصفة فقد كثيرا من مؤهلاته التي يتمكن عن طريقها احتواء انفعالات الناس، وهو شرط ضروري ليؤثر في الناس ويتأثرون به.

ولذا حث النَّبيُّ ﷺ أمته على التحلي بهذا الخلق الاجتماعي، وفضّل المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، فعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: ((**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبِرُ على أذاهم، خيرٌ من الذي لا يخالط الناسَ، ولا يصبر على أذاهم**))[٢].

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، المرجع السابق: ٣١٩/٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الذي يصبر على أذى النَّاس، رقم الحديث: (٣٨٨)، ص: ١٣٥. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب حدّثنا أبو موسى، رقم الحديث: (٢٥٠٥)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث: (٤٠٣٢). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٨٨.

ولا أحد أصبر على أذى الناس من الله ﷻ القادر على كل شيء، ذي الملك والجبروت فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ((**ليس أحدٌ – أو ليس شيءٌ – أصبَرَ على أذى يسمعه؛ من الله ﷻ؛ وإِنّهم ليدَّعُون له ولدا، وَإِنَّه ليعافيهم ويَرْزُقُهم**))(١).

وقد ضرب الأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه – المثل الأعلى في الصبر والتحمل، فعن الأعمش رضي الله عنه قال: سمعت شقيقا رضي الله عنه يقول: قال عبد الله: ((**قَسَم النّبيّ ﷺ قِسْمة – كبعض ما كان يَقْسِم – فقال رجُلٌ مِنَ الأنصار: والله! إنّها لقسمة ما أريد بها وجهُ الله ﷻ! قُلْتُ: أنا: لأقولنّ للنّبيّ ﷺ فأتيته – وهو في أصحابه – فسارَرْتُه**(٢)، **فَشَقّ ذلك عليه ﷺ وتغيّر وجهُه، وغَضِبَ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنّي لم أكن أخبرتُه، ثم قال:** ((**قَدْ أُوذِيَ موسى بأكثر من ذلك فَصَبَرَ**))(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الصبر على الأذى، رقم الحديث: (٣٨٩)، ص :١٣٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، رقم الحديث: (٥٧٤٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، رقم الحديث: (٢٨٠٤).

(٢) سارَّهُ في أذنه مَسَارَّةً و سِراراً بالكسر و تَسارُّوا: تناجوا. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٢٦٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الصبر على الأذى، رقم الحديث: (٣٩٠)، ص :١٣٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، رقم الحديث: (٥٧٤٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، رقم الحديث: (١٠٦٢).

ومن فروع الصبر الاتصاف بصفة الحلم والأناة،، فالحلم هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب،[1] أما الأناة فهو التأني والتثبت وعدم التعجل في الأمور، وهما من مكارم الأخلاق، والمتصف بهما يكون محببا إلى الناس، وثيق الصلة بهم، وقد حثت السنة النبوية على الالتزام بهذين الخلقين الاجتماعيين، فقد روى المصنّف عن أبي سعيد الخدري قال: **قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس:** ((**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**))[2].

وإن الحلم لفضيلة حيوية للمسلم، فهو يصون علاقاته مع أهله، وجيرانه، وزملائه، وشركائه، وكل من يتعامل معه، وكلما زادت سلطاته وقدراته ونفوذه، كان حلمه أنفع له ولمن يحكم.

وكما رغبت السنة النبوية بالحلم وحث عليه ومجده، حذر من الأخلاق المنافية له وعمل على تربية المسلمين تربية عملية تأخذ بأيديهم حتى يكونوا حلماء، ومن الأخلاق التي حذرت منها السنة النبوية لمنافاتها خلق الحلم: الاستجابة لانفعال الغضب، بل حثت على ضبط الانفعال وكظم الغيظ، والغضب طبعٌ بشريٌ فطريٌ يؤدي بصاحبه إلى الثوران والانفعال، وعدم القدرة على التحكم في أقواله وأفعاله غالباً.

---

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: ١٢٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التؤدة في الأمور، رقم الحديث: (٥٨٥)، ص: ٢٠٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، رقم الحديث: (١١٧).

وللغضب كثيرٌ من المضار العظيمة التي تمتد لتشمل جميع جوانب الحياة الفردية، والاجتماعية، والجسمية، والنفسية، والفكرية والتي يؤكد جميعُها أن الغضب مفتاح الشرور؛ لأنه يجمع الشر كله، ومن مضاره الاجتماعية أنه "يوَّلد الحقد في القلوب، وإضمار السوء للناس، وهذا ربما أدى إلى إيذاء المسلمين وهجرهم، ومزيد الشماتة بهم عند المصيبة، وهكذا تثور العداوة والبغضاء بين الأصدقاء، وتنقطع الصلة بين الأقرباء، فتفسد الحياة وتنهار المجتمعات"(١).

وقد حثت السنة النبوية على ضبط النفس وكظم الغيظ عند ثوران الغضب فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((**ليس الشّديد بالصُّرعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغَضَب**))(٢).

وعن ابن عمر قال: ((**ما من جُرْعة أعظَمُ عند الله أجرا مِنْ جُرْعة غيظ كظمها عبد؛ ابتغاء وجه الله**))(٣).

---

(١) البغا، مصطفى و آخر، الوافي في شرح الأربعين النووية، ص: ١١٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الغضب، رقم الحديث: (١٣١٧)، ص: ٤٧٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث: (٥٧٦٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، رقم الحديث: (٢٦٠٩).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الغضب، رقم الحديث: (١٣١٨)، ص: ٤٧٩. وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب الحلم، رقم الحديث: (٤١٨٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٠٠.

كما ذكرت السنة النبوية العلاج المناسب لضبط الانفعالات عند ثوران الغضب فعن سليمان بن صُرَد ﷺ قال: **استبّ رَجُلان عند النبي ﷺ فجعل أحَدُهما يَغْضَب، ويَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظر إليه النّبيُّ ﷺ فقال:** ((**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب هذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**)). **فقام رجلٌ إلى ذاك الرجل. فقال تدري ما قال؟ قال:** ((**قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**)). **فقال الرجلُ: أَمَجْنُونٌ تَرَاني؟**[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((**علموا ويسروا، علموا ويسروا – ثلاث مرات – وإذا غَضِبْتَ فاسْكُت [مرتين]**))[2].

وقد يكون من فروع خلق الصبر: الرفق؛ لأن الرفق في معاملة الناس لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل حب العنف والقسوة، وهذا وجه من وجوه الصبر.

وخلق الرفق له أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية، حيث إن الرفق بالأحياء من ذوي الإرادة المدركة من شأنه أن يصلح نفوسها ويؤثر عليها أثرا حسنا،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما يقول إذا غضب، رقم الحديث: (١٣١٩)، ص: ٤٨٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم الحديث: (٥٧٠١)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، رقم الحديث: (٢٦١٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب يسكت إذا غضب، رقم الحديث: (١٣٢٠)، ص: ٤٨٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٥٠١.

ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية، بخلاف معاملتها بالعنف، فإنه يولد لديها صلابة التحدي والعناد، وعدم الاستجابة للمطلوب منها، وإن كان حقا خيراً، وإن كانت لينة العريكة في فطرتها.

كما أن "العنف في معاملة الناس يورث العداوات والأحقاد ورغبات الانتقام، متى سنحت لهم الفرصة لتنفيذه. أما الرفق في معاملة الناس فهو يؤلف قلوبهم، ويمتلك موداتهم، ويأسر قلوبهم"[(١)].

ولذلك كله حثّ النبي ﷺ ورغب في التحلي بخلق الرفق والبعد عن العنف في المعاملة وفي الأمور كلها، فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: **دَخَل رَهْطٌ مِنَ اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّام[(٢)] عليكم، قالت عائشة: فَفَهِمْتُها فقلت: عليكم السّام واللّعنة. قالتْ: فقال رسولُ الله ﷺ: ((مَهْلا يَا عائشةَ! إن الله يحب الرفق في الأمر كُلِّه)). فقلتُ: يا رسولَ الله! أَوَ لم تسمع ما قالوا؟ قال رسولُ الله ﷺ قد قلتُ: وعليكم))**[(٣)].

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٢/٣٥١ - ٣٥٢.

(٢) السَّامُ: الموت. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٢٨٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الرفق، رقم الحديث: (٤٦٢)، ص: ١٥٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ،كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم الحديث: (٥٦٧٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، رقم الحديث: (٢١٦٥).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مَنْ يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير**))[١].

وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: ((**مَنْ أُعْطِيَ حَظّه مِنَ الرِّفْق؛ فقد أُعْطِي حظه مِنَ الخير، ومَن حُرِمَ حظّه من الرفق؛ فقد حُرِم حظه من الخير. أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حُسْنُ الخُلُق، وإنَّ الله ليُبْغض الفاحش البذيّ**))[٢].

وعن أنس، عن النّبيّ ﷺ قال: ((**لا يَكُون الخُرْقُ**[٣] **في شيء إلا شانه، وإنَّ الله رفيق يحبّ الرّفق**))[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الرفق، رقم الحديث: (٤٦٣)، ص: ١٥٩. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: (٢٥٩٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الرفق، رقم الحديث: (٤٦٤)، ص: ١٥٩. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في الرفق، رقم الحديث: (٢٠١٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٧٨.

(٣) الخَرَقُ بفتحتين مصدر الأخْرَقُ وهو: ضد الرفيق، وبابه طرِب، والاسم: الخُرْقُ بالضم. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ١٦٤.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الرفق، رقم الحديث: (٤٦٦)، ص: ١٥٩. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفاحش، رقم الحديث: (١٩٧٤)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب الحياء، رقم الحديث: (٤١٨٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٧٨.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**كُنْتُ على بعير فيه صعوبة، فقال النَّبِيُّ ﷺ: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ؛ فإنه لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع مِنْ شيء إلا شانَهُ**))(١).

وإذا كان الرفق مطلوبا في كل أمر من الأمور، وفي كل أحد من الناس، فإن أولى الناس بالتخلق بخلق الرفق الدعاة إلى الله والمعلمون، فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرفق في دعوة الخلق إلى الحق، وتعليم الناس وتربيتهم لا يؤتي ثمراته الطيبات ما لم يقترن بخلق الرفق الذي يملك القلوب بالمحبة، وعندئذ تنفتح للمعلم أو الداعية القلوب، ومتى انفتحت له القلوب انفتحت إليه الأفكار، وتأثرت به وتفاعلت معه، وآتت دعوته وتعليمه ثمراتها طيبة يانعة(٢).

ومن فروع خلق الصبر: حفظ السر فهو مظهر من مظاهر الأمانة، ومظهر من مظاهر الصبر معا؛ لأن حفظ السر هو ضبط النفس ضد دوافع التعبير عما يختلج فيها، وذلك لا يتم إلا بالصبر(٣).

و"كل ما يؤتمن عليه المسلم من أموال وحُرَم وأسرار فهو أمانة"(٤).

ويجب تنشئة المتربي على خُلُق كتم الأسرار؛ لأنّه يمثل صلاحه في حاله ومستقبله، والمحافظة على المجتمع وبنائه، فالمتربي الذي يتعود كتم الأسرار ينشأ قوي الإرادة، رابط الجأش، ضابط اللسان، فتنشأ عن ذلك

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الرفق، رقم الحديث: (٤٦٩)، ص: ١٦٠. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: (٢٥٩٤).

(٢) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٣٥٥/٢.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٣٥٨/٢.

(٤) الكفوي، أبو البقاء، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص: ١٧٦ - ١٨٦.

الثقة الاجتماعية بين الناس بحفظ أسرار بعضهم لبعض[(١)]. وإذا كان التعامل بين أفراد المجتمع مبنيا على الثقة الكاملة، فإن ذلك يؤدي إلى تقوية الروابط بينهم، ومن ثم التآزر والتعاون على البرّ والتقوى.

وقد ربّى النَّبيُّ ﷺ أصحابه على هذا الخلق الاجتماعي النبيل، فعن أنس: «**أتانا رسول الله ﷺ ونحن صبيان فسلم علينا، وأرسلني في حاجة، وجلس في الطريق ينتظرني حتى رجعت إليه. قال: فأبطَأْتُ على أُمِّ سُلَيْم فقالتْ: ما حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بعثني النَّبِيُّ ﷺ في حاجة، قَالَتْ مَا هي؟ قُلْتُ: إنها سِرّ. قالتْ فاحْفَظْ سِرَّ رسول الله ﷺ**»[(٢)].

٥. إصلاح ذات البين:

ومعنى ذات البين: صاحبة البين، والبين في كلام العرب يأتي على وجهين متضادين: فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل، وإصلاح ذات البين على المعنى الأول: يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحه يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتسامح والعفو، أو بالتراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقدة الفرقة. أما إصلاح ذات البين على المعنى الثاني فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتحابب والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدع منها، وإزالة الفساد الذي دبّ إليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدنيا[(٣)].

---

(١) سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ، منهج التربية النبوية للطفل، ص: ١٧٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الجلوس على الطريق، رقم الحديث: (١١٣٩)، ص: ٤١٢. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك، رضي الله عنه، رقم الحديث: (٢٤٨٢).

(٣) ابن الأنباري، الأضداد، ص: ٧٥.

وإصلاح ذات البين من القيم الاجتماعية الأساسية التي لابد منها لتستقيم حياة المجتمع، ويتجه نحو العمل المثمر، وبه تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية، وغيابه يؤدي إلى استشراء الفساد، وقسوة القلوب، وضياع القيم الإنسانية الرفيعة.

ولذلك دعت السنة النبوية إلى إصلاح ذات البين، وإزالة أسباب الخصام والتنازع، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ((**ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟**)) **قالوا: بلى قال.** ((**صلاح ذات البَيْن، وفساد ذات البين هي الحالقة**))[1].

وعن مجاهد عن ابن عباس: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[2] **قال:** ((**هذا تحريج من الله**[3] **على المؤمنين أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم**))[4].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إصلاح ذات البين، رقم الحديث: (٣٩١)، ص: ١٣٦. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم الحديث: (٤٩١٩)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب في فضل صلاح ذات البين، رقم الحديث: (٢٥٠٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الدب المفرد، ص: ١٥٥.

(٢) سورة الأنفال الآية: (١).

(٣) أي: لا مساغ للناس سوى التقوى والإصلاح. السلفي، محمد لقمان، رش البرد شرح الأدب المفرد، ص: ٢٠٦.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إصلاح ذات البين، رقم الحديث: (٣٩٢)، ص: ١٣٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٥.

ولأهمية إصلاح ذات البين جاز الكذب فيه، فعن أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذّاب الذي يُصْلح بين الناس، فيقول خيرا، أو ينمي خيرا**». **قالت: ولم أَسْمَعْه يرخص في شيء مِمَّا يقول النَّاس من الكَذِبِ إلا في ثلاث: الإصلاح بين النّاس، وحديثِ الرّجل امرأَتَه، وحديثِ المرأة زوجها**[1].

ومبدأ الإصلاح بين الناس أحد المبادئ التي تميزت بها التربية الإسلامية، وهذا المبدأ لا يوجد في قواميس التعامل الاجتماعي عند كثير من الشعوب غير الإسلامية، وقد لا يدرك أهمية هذا المبدأ أو القيمة إلا من عاش في دول غير إسلامية، أو بين أناس لا يلتزمون بمبادئ وقيم الإسلام، حيث يرى تفكك المجتمع، إلى درجة أن الولد يتنكر لأبيه وأمه ولا يجد من يردعه أو يوجهه، فمن باب أولى أن تجد الفرقة والتباعد بين عامة الناس، ولا يوجد من يقوم بإصلاح ذات البين[2].

٦. الكرم والجود:

المجتمع الإسلامي مجتمع متعاون متكاتف، يجود فيه الغني بماله من أجل إسعاد الفقراء، فينظر الفقير إلى الغني نظرة الأخ لأخيه فلا يحسده ولا يحقده ولا يفكر في ارتكاب الجريمة من أجل الحصول على لقمة العيش،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ينمي خيرا بين الناس، رقم الحديث: (٣٨٥)، ص: ١٣٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، رقم الحديث: (٢٥٤٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، رقم الحديث: (٢٦٠٥).

(٢) خياط، محمد جميل بن علي، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، ص: ٢٧٧.

لأن أفراد المجتمع من حوله يتصفون بصفة الجود والكرم، وينفقون من مال الله الذي جعلهم مستخلفين فيه، وهكذا يؤدّي هذا الخلق النبيل إلى ترابط المجتمع وتماسكه وتعاون أفراده على البر والتقوى.

وقد حثت السنة النبوية القولية والفعلية على التحلي بصفة الكرم والجود، والجواد - كما ذكر الزبيدي[1] رضي الله عنها - "هو الذي يعطي بلا مسألة صيانة للآخذ من ذلّ السؤال"، وكان النَّبيّ ﷺ مثلا يحتذى في الجود والكرم، فعن ابن عباس قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل ﷺ وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان؛ يعرض عليه رسولُ الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**»[2].

وعن جابر قال: «**ما سُئِل النبيّ ﷺ شيئا فقال: لا**»[3].

---

(١) الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ٤/٤٠٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب حسن الخلق إذا فقهوا، رقم الحديث: (٢٩٢)، ص: ١٠٦. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث: (٣٠٤٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم الحديث: (٢٣٠٨).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سخاوة النفس، رقم الحديث: (٢٧٩)، ص: ١٠٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث: (٥٦٨٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه، رقم الحديث: (٢٣١١).

وقد ربّى النّبيُّ ﷺ أصحابه على هذا الخلق الاجتماعي، فكانوا من أجود النّاس، فعن عبد الله بن الزبير قال: **ما رأيت امرأتين أجودَ من عائشة وأسماءَ، وَجُودُهُما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا كان اجتمع عندها قَسَمَتْ، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئا لغدٍ**[1].

وقد وردت أحاديث في ذم خلق البخل والشح وفي تشنيعه؛ لأنه يتنافى مع الإيمان، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يجتمع غُبَار في سبيل الله ودُخَان جهنّم في جَوْف عَبْدٍ أَبَداً، ولا يجتمع الشحّ والإيمانُ في قلبِ عَبْدٍ أبداً**))[2].

والبخل داء خطير بل هو من أخطر الأدواء التي تصيب المجتمعات، وقد يؤدي تفشيه في مجتمع ما إلى هلاك ذلك المجتمع وتفككه وانهياره، وضياع قيمه وأخلاقه، ولذا حذر النَّبيّ ﷺ أمَّته منه، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سخاوة النفس، رقم الحديث: (٢٨٠)، ص: ١٠٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٢١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحّ، رقم الحديث: (٢٨١)، ص: ١٠٣. والنسائي، أحمد بن شعيب، السنن، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، رقم الحديث: (٣١٠٧)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الجهاد، باب الخروج في النفير، رقم الحديث: (٢٧٧٤).

واتقوا الشُّح؛ فإنَّ الشُّح أهلك من كان قبلكم، وحَمَلَهُم على أن سَفَكُوا دماءهم، واستحَلُّوا مَحَارمهم»[١].

وينبغي أن لا يتبوأ البخلاء المراكز المهمّة في المجتمع؛ لئلا يكونوا قدوة سيئة لغيرهم، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَيِّدكم يا بني سَلَمَة؟». قلنا: جُدُّ بن قَيْس، على أنّا نُبَخِّله. قال: «وأيّ دَاءٍ أدوى من البُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدكم عمرو بنُ الجَمُوح». وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية، وكان يُولِم عن رسول الله ﷺ إذا تزوج**[٢].

٧. الاعتراف بالفضل وشكر صاحبه:

الاعتراف بالفضل هو: أن يقرّ المتفضَّل عليه من الناس بفضل من يصدر عنه الفضل، ولا يجحده أو يتناساه، فالاعتراف بالفضل من القيم الاجتماعية النبيلة، وله منزلة جليلة؛ لما يعود منه من نفع على المجتمع بأسره حيث يؤدي ذلك إلى استقرار هذا المجتمع وتآلف أفراده، وتشجيع ذوي الفضل أن يستمروا في تفضلهم الذي يلقى الاعتراف من الآخرين، ولما كان من طبع الإنسان أن يهش إذا نسب إليه الخير، وتوجه إليه بالشّكر، كان الاعتراف بالفضل باعثا على مزيد من البذل والعطاء.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم الحديث: (٤٨٣)، ص: ١٦٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: (٢٥٧٨).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب البخل، رقم الحديث: (٢٩٦)، ص: ١٠٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٢٥.

ويكون الاعتراف بالفضل إما بمكافأة المتفضل، وإما بالثناء عليه وشكره، أو الدعاء له، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: **قال النبي** ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إليه معروفٌ فَلْيُجْزِئْه، فإن لم يجد ما يجزئه فَلْيُثْن عليه، فإنه إذا أثنى عليه فقد شَكَرَه، وان كتَمَه فقد كَفَرَه، ومن تحلَّى بما لم يُعْط فكأنما لَبِسَ ثَوْبَيْ زُورٍ**»[١].

عن ابن عمر قال: **قال رسول الله** ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فان لم تجدوا، فادعوا له، حتى يعلم أن قد كافأتموه**»[٢].

عن أبي هريرة عن النبي ﷺقال: «**لا يَشْكُرُ الله مَنْ لا يشكر النَّاسَ**»[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من صنع إليه معروف فليكافئه، رقم الحديث: (٢١٥)، ص:٨٢. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، رقم الحديث: (٢٠٣٤). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٩٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من صنع إليه معروف فليكافئه، رقم الحديث: (٢١٦)، ص:٨٢. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، رقم الحديث: (١٦٧٢)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٩٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لم يشكر الناس، رقم الحديث: (٢١٨)، ص: ٨٣. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم الحديث: (٤٨١١)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث: (١٩٥٤).

٨. الحياء:

الحياء من القيم الاجتماعية التي ينبغي أن يغرس في وجدان المتربين منذ نعومة أظفارهم، وهو خلق فاضل يمنع صاحبه من ارتكاب النقائص والقبائح والمنكرات، ويدفع المرء إلى التحلي بكل جميل محبوب، "وهو في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه. وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق"[(١)].

والحياء الحقيقي: "هو انقباض النفس عن القبائح، وإنما يكون حقيقيا حيث يكون القبح حقيقيا، فلا يدخل في الحياء الانقباض عما يستقبحه الناس وهو في الحقيقة حسن، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيح، ولكن الانقباض عنه يؤدّي إلى أقبح منه؛ لأنه في هذه الصورة يرتفع حكم القبح الأصلي للمعارضة"[(٢)].

ولذلك فإن ترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو الإخلال ببعض الحقوق ليس من الحياء الحقيقي، بل هو عجز وخور ومهانة.[(٣)]

وقد وردت في فضل الحياء والحث على التحلي به أحاديث كثيرة، منها ما رواه المصنِّف بسنده عن أبي مسعود؛ عقبة قال: قال النبي ﷺ: ((**إنَّ مِمَّا أدرك الناس من كلام النبوّة إذا لم تستح فاصْنَع ما شئت**))[(٤)].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٧٣/١.

(٢) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٦٩١/٢.

(٣) الجيلاني، فضل الله، المرجع السابق: ٥٤/٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (٥٩٧)، ص: ٢٠٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، رقم الحديث: (٥٧٦٩).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون – أو بضع وسبعون – شعبة؛ أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعْبَة مِنَ الإيمان**»[١].

وعن عبد الله بن عبيد الله بن أبي عتبة مولى أنس قال: سمعتُ أبا سعيد قال: «**كان النَّبيُّ ﷺ أشدّ حياءً من العذراء**[٢] **في خِدْرِها**[٣]**، وكان إذا كَرِهَ [شيئا] عرفناه في وجهه**»[٤].

وعن سعيد بن العاص؛ أن عثمان وعائشة حدثاه: **أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ – وهو مضطجع على فراش عائشة، لابسا مِرْطَ**[٥] **عائشة – فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (٥٩٨)، ص: ٢٠٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم الحديث: (٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم الحديث: (٣٥).

(٢) العَذْرَاءُ بالمد: البكر، والجمع العَذَارَى بفتح الراء وكسرها، والعَذْرَاواتُ أيضا. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٣٧٠.

(٣) الخِدْرُ: هو الستر، والجمع: خُدُورٌ. ويطلق الخِدْرُ على البيت إن كان فيه امرأة وإلا فلا. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ١٤١.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (٥٩٩)، ص: ٢٠٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب المناقب، باب صفة النَّبيّ ﷺ، رقم الحديث: (٣٣٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم الحديث: (٢٣٢٠).

(٥) المرط: الكساء ويكون من صوف ورُبما كان من خَزٍّ أو غَيْرِهِ، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨٦٦.

ثم انصرف، ثم استأذن عمر ﷺ، فأذن له وهو كذلك، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس. وقال لعائشة: «اجمعي إليكِ ثيابكِ». قال: فقضيتُ إليه حاجتي، ثم انصرفت. قال: فقالت عائشة: يا رسول الله! لم أرك فَزِعْتَ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فَزِعْتَ لعثمان؟ قال رسول الله: ﷺ «إن عثمان رجل حَيِي، وإني خشيتُ إنْ أَذِنْتُ له – وأنا على تلك الحال – أن لا يبلغ إليّ في حاجته»[1].

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**ما كان الحياء في شيء إلا زانه، ولا كان الفُحْش في شيء إلا شانه**»[2].

وعن ابن عمر قال: **مَرَّ النّبيُّ ﷺ على رجل يُعاتِب أخاه في الحياء، حتى كأنه يقول: أضَرَّ بك! فقال: «دَعْهُ؛ فإن الحياء من الإيمان»**[3].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (٦٠٠)، ص: ٢٠٤. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم الحديث: (٢٤٠١).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (٦٠١)، ص: ٢٠٥.والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، رقم الحديث: (١٩٧٤)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الزهد، باب الحياء، رقم الحديث: (٤١٨٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٢٤.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (٦٠٢)، ص: ٢٠٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم الحديث: (٥٧٦٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم الحديث: (١٥٤).

وعن عمران بن حصين ﵁ قال: قال النّبيّ ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**». **فقال بشير بن كعب:** «**مكتوب في الحكمة: إنَّ مِنَ الحياء وقارا، إنَّ مِنَ الحياء سكينة**». **فقال له عمران: أُحَدِّثُك عن رسول الله، وتُحَدّثني عن صحيفتك؟!**[(١)].

وعن ابن عمر قال: «**إن الحياء والإيمان قُرِنَا جميعا، فإذا رُفِع أحدُهما رُفِع الآخَر**»[(٢)].

٩. حسن العشرة:

ومن القيم الاجتماعية في السنة النبوية الانبساط إلى الناس، وطلاقة الوجه، والبشاشة في وجوه الناس، وغير ذلك مما يدخل في حسن العشرة، وهذا كان خلق رسول الله ﷺ، عن عطاء بن يسار قال: **لَقِيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: فقال:** «**أجل والله! إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن:** ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا**﴾[(٣)] **وحِرْزاً للأميّين،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (١٣١٢)، ص: ٤٧٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم الحديث: (٥٧٦٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم الحديث: (١٥٦).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الحياء، رقم الحديث: (١٣١٣)، ص: ٤٧٨. والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ٢٢/١، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف: ٢١٣/٥. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٩٩.

(٣) سورة الأحزاب الآية:٤٥

أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتُك: المتوكل، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسّيئة السيئة. ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى، حتّى يُقيم به الملة العوجاءَ؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا بها أعيُناً عُمْياً، وآذانا صُمّاً، وقُلُوبا غُلْفاً»(١).

وعن قيس ﵁ قال سمعت جريرا يقول: **ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ إلا تَبَسَّم في وجهي**(٢).

فهذه نماذج من القيم الاجتماعية السليمة التي يجب أن يغرس في نفوس المتربين، وقائمة القيم الاجتماعية في السنة النبوية طويلة جدا لا يمكن حصرها في هذا المبحث، وكثير منها قد سبق التطرق إليها في مباحث متفرقة من هذا البحث، كقيمة بر الوالدين، والإحسان إلى اليتامى، ومراعاة الآداب الاجتماعية...ونحو ذلك، ولكن يمكن القول إجمالا: إن السنة النبوية قد أمرت بكل خير وبكل معروف، ومنعت عن كل ضرر ومفسدة، وقاوم كل منكر وكل ما يجلب على الإنسان ضررا في دينه ودنياه، فإذا ما نشَّأ المربي المتربيَ على هذه القيم/ وعلى حبها والتعلق بها منذ صغره؛ فسوف تنمو لديه بذلك النزعة الاجتماعية، وروح التكافل والإخاء والترابط الاجتماعي.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث: (٢٤٦)، ص: ٩٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة الفتح، باب ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨﴾[الفتح:٨]، رقم الحديث: (٤٨٣٨).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب التبسم، رقم الحديث: (٢٥٠)، ص: ٩٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم الحديث: (٥٧٣٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، رقم الحديث: (٢٤٧٥).

وسائل اكتساب وتنمية القيم الاجتماعية:

يتم اكتساب القيم الاجتماعية عن طريق التنشئة الاجتماعية، إذ يشترك عدد من العوامل الرئيسة في تكوينها مثل: الدين، والأسرة، والثقافة، والتعليم، والبيئة، والجماعات المختلفة التي ينتمي إليها الفرد في حياته. أي أن القيم الاجتماعية للأفراد تؤثر وتتأثر بثقافة المنظمات التي يعملون بها، كما أن ثقافة هذه المنظمات تستمد من ثقافة المجتمع الذي تعمل فيه ومن قيمه وعاداته، إذ يتشرب الفرد القيم والمعايير الاجتماعية من الأشخاص المهمِّين في حياته، مثل: الوالدين، والمعلمين، والقادة في العمل، والمقرّبين من الزملاء، والأقران، ويتم ذلك في إطار ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه[١].

وتُعدّ الأسرة هي المصدرَ الأول في تكوين قيم الفرد واتجاهاته، وعاداته الاجتماعية، فهي التي تمده بالرصيد الأول من القيم والعادات الاجتماعية، وهي بذلك تمده بالضوء الذي يرشده في سلوكه وتصرفاته، ففي الأسرة يتلقى الطفل أول درس عن الحق والواجب، والسلوكيات الصائبة والخاطئة، والحسنة والقبيحة، وما يجوز عمله وما لا يجوز، والمرغوب فيه وغير المرغوب فيه، وماذا يجب عمله، وماذا يجب تجنبه، ولماذا، وكيف يكسب رضا الجماعة، وكيف يتجنب سخطها، فالأسرة هي التي تمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية، وتحدد له منذ البداية اتجاهات سلوكه وخياراته...

ويشترك عدد من الجماعات الأخرى مع الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، مثل: المدرسة، وثلة الأقران والأصدقاء، والأندية الرياضية، والهيئات الدينية، والجماعات المهنية، والهيئات السياسية... إلخ. وبالرغم من أهمية دور هذه الجماعات في التنشئة الاجتماعية، إلا أن وظيفتها تُعدّ امتداداً لوظيفة الأسرة، وليست بديلة عنها[٢].

---

(١) وحيد، أحمد عبداللطيف، علم النفس الاجتماعي، ص: ٦٨.

(٢) ذياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، ص: ٣٤٤ — ٣٤٥.

وفيما يلي توضيح الطريقة التي يتم بموجبها تكوين القيم الاجتماعية وتنميتها لدى المتربي، في المؤسسات التربوية؛ إذ تتم على مرحلتين وهما[١]:

أولاً: مرحلة تكوين (غرس القيم): ويتم في هذه المرحلة غرس أو تكوين العديد من القيم الاجتماعية المرغوبة بالأساليب التالية:

١. الحديث عن أهمية هذه القيم لفظاً، وإعادة التأكيد عليها بشكل متكرر ضمن الدروس المنهجية في كثير من المقررات الدراسية.

٢. تكوين القيم عن طريق الأنشطة المدرسية المتنوعة التي تمارس داخل المدرسة وخارجها لتنمية القيم لدى المتربين.

وكان الرسول ﷺ يغتنم فرصة التصرفات العملية التي تقتضي توجيها تربويا أو عمليا ليأخذ منه المسلمون درسا إيجابيا، فكان يدعو إلى قيمة أو يصحح سلوكا، أو ينفي هذا السلوك الخاطئ، وهي طريقة فعالة لأنها ترتبط بالوقائع المشاهدة وتتصل بما يعيشه الناس، ولذا ترسُخ في الذهن، وتثبت في القلوب، وبهذا ترتبط القيم بواقع الحياة، وهذا يعني أن غرس القيم لا يقتصر على مجرد التعليم والحفظ والتسميع، وإنما يعتمد على واقع الحياة والخبرة المعاشة، وبالتالي يكون تأثيرها قويا[٢].

٣. غرس هذه القيم بطرق غير مباشرة، مثل القدوة، بمعنى أن يمثل المعلم أو المرشد القدوة الحسنة لطلابه في تجسيد هذه القيم على ذاته، فلا يأمرهم بشيء ما ويتصرف هو بخلاف ذلك؛ لأن "القدوة السلوكية أمر لازم لتنمية القيم وصبغها بالفعالية لتكون موجها حقيقيا، وما امتازت التربية الإسلامية

---

(١) أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، ص: ١٣٢ - ١٥٤. والعمري، عوض بن سعيد، تكوين القيم الشخصية وتنميتها لدى طلاب الكليات العسكرية، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع ٨٢، بتاريخ: ١- ٩ - ٢٠٠٥م.

(٢) أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، ص: ١٤٥.

عبر عهودها التي عاشتها إلا بتلك القدوة، ويوم أن فقدت القدوة فقدت فعاليتها في حياة الناس، ولذا فإن واجب التربية الإسلامية توفير هذه القدوة حتى تعاود التأثير والإبداع، ولها في هدي رسول الله ﷺ زاد كبير ومدد تستمد منه في إعداد المربين القدوة، وكذا الآباء والأمهات وسائر أفراد المجتمع الإسلامي في أمس الحاجة إلى القيم الإسلامية مجسدة في أفراده"[(١)].

٤. تكوين القيم الاجتماعية المرغوب فيها من خلال صنع النماذج كأمثلة يحتذى بها، فيذكر أمثلة من التاريخ اتصفت بهذه القيم وكانت سبباً في نجاحها، كأمثال القادة العظام والعلماء الكبار في التاريخ الإسلامي، وأفضلهم على الإطلاق وإمامهم الرسول الكريم محمد ﷺ، فهو القدوة الحسنة في جميع القيم النبيلة كالصدق، والأمانة، والرحمة، والعدل، والشجاعة،... إلخ. ثم الخلفاء الراشدون، والعلماء الربانيون، فذكر هذه النماذج باستمرار، وبإلقاء ممتع ومشوق، يجعل الطالب يتشوق لسماع سيرتهم وأعمالهم، ومن ثم التأسي بهم في قيمهم وأخلاقهم، فتتشكل عنده قيم اجتماعية وتنمو على نمط القيم التي اتصفت بها تلك النماذج.

ثانياً: مرحلة التعزيز: في هذه المرحلة يتم تعزيز هذه القيم، سواء كان ذلك بصيغة سلبية أو إيجابية، وقد تكون بصورة لفظية أو غير لفظية. فمثلاً عند غرس قيمة حفظ الأسرار يتم تعزيزها سلباً من خلال توقيع العقوبات على من يخل بالأمانة من المتربين، وتعزيزها إيجاباً عن طريق بعض الحوافز المعنوية لمن يتحلى بهذه القيم. ويمكن أن يكون التعزيز بصورة غير لفظية، ففي حالة التعزيز السلبي يظهر المعلم أو المربي امتعاضه وعدم رضاه عند مخالفة أي من مقتضيات الأمانة، وفي حالة التعزيز الإيجابي يبدي ابتسامته ورضاه.

---

(١) أبو العينين، علي خليل مصطفى، المرجع السابق، ص: ١٤٢.

المطلب الخامس: الحرص على سلامة المجتمع:

إن للقيم والأخلاق دورا مهما في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث تحمي المجتمعات من الجرائم والرذائل كما تُؤَمِّن للفرد السعادة النفسية، والفوز في آخرته. ومن هنا فإن الإقرار بوجود الأمراض الاجتماعية والأخلاقية داخل المجتمعات يعدّ خطوة أولى على طريق الشفاء من هذه الأمراض التي تشكل خطراً أكبر بكثير مما تشكله الأمراض العضوية؛ لأنها تصيب عقول الناس فتعطلها، وعواطفهم فتبلدها، بالإضافة إلى آثارها المدمرة في تفكيك أواصر المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع، حيث إن كل رذيلة سلوكية تسهم بقدر كبير في إيجاد التقاطع الاجتماعي بين أفراد الأمة، فالنميمة — مثلا — وسيلة خطيرة وأداة قوية لانفصام الروابط الاجتماعية في الأمة، ولقطع صلة الأرحام بين الأسر والأصدقاء، ووسيلة لنشر العداوة والبغضاء[1].

وقس على ذلك الأمراض الاجتماعية الأخرى كالحسد والكذب والغيبة...وغير ذلك من الأمراض التي تنخر في جسم المجتمع فتسهم في تفكيك روابطه، وفصم أواصره، وهدم بنيانه، ولذا يعدّ من وسائل تحقيق الترابط الاجتماعي الحرص على سلامة المجتمع ونظافته، وذلك بالبحث عن الوسائل التربوية الناجحة للتخلص من الأمراض الاجتماعية الباطنة والظاهرة، وفي ما يلي بيان ذلك مفصلا:

أولا: التخلص من الأمراض الاجتماعية الباطنة.

المقصود بالأمراض الاجتماعية الباطنة: هو الأمراض والانحرافات السلوكية التي تصيب القلب، وقد يخرج أثرها على الجوارح، مثل: الحسد والكبر وسوء الظن،

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١٩٤.

فهذه الأمراض مركزها القلب، وقد تظهر آثارها في السلوك - وهو الغالب - فيكون مرضا اجتماعيا، وقد تظل حبيسة القلب، فلا يدخل ضمن الأمراض الاجتماعية؛ لأن ضررها لا يتعدى الفرد المصاب. ومن أمثلة تلك الأمراض الاجتماعية ما يلي:

١. الحسد:

الحسد: هو "تمني زوال النعمة من المنعم عليه"[1]، وهو من الأمراض الاجتماعية الفتاكة، فساده على النفس كبير، وشره على المجتمع مستطير، ووباله خسران مبين، فهو باب لتمزيق العلاقات الاجتماعية، وتفتيت الصداقات وأواصر المحبّة والصلات بين الناس، ودافع للشحناء والبغضاء.

أقسام الحسد:

ينقسم الحسد من حيث الجواز وعدمه إلى قسمين:

١. أن تكره نعمة الغير وتحب زوالها مطلقا، وهذا هو الحسد الممنوع، الذي ورد النّهي عنه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا**))[2].

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٢١٩/١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤٠٨)، ص: ١٤٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم الحديث: (٤٨٤٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم الحديث: (٢٥٦٣). ح٣٠

٢. أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها. وهذه تسمى غبطة، وقد تختص باسم المنافسة[١]، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٢] وإن كان في المعصية فهو مذموم، ومنه ((**ولا تنافسوا**))[٣]، وإن كان في الجائزات فهو مباح[٤].

دوافع الحسد[٥]:

للحسد دوافع كثيرة، ومن أهمها:

١. العداوة والبغضاء، وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد والحسد. ذكر الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من دواعي الحسد "بغض المحسود أن يأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسدا قد خامر بغضا، وهذا النوع لا يكون عاما، وإن كان أضرها، لأنه لا يبغض كل الناس"[٦].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٣/١٧١.

(٢) سورة المطففين الآية: (٢٦).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤١٠)، ص: ١٤٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، رقم الحديث: (٥٧١٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم الحديث: (٦٥٣٦).

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ١/٢١٩.

(٥) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ٢/١٩٢.

(٦) الماوردي، أبو الحسن البصري، أدب الدنيا والدين، ص: ٢٦١.

٢. التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه، وهو لا يطيق تكبره، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه. وليس من غرضه أن يتكبر، بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلا، ولكن لا يرضي بالترفع عليه.

٣. الخوف من فوت المقاصد: وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كلّ واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه...

٤. حب التميز والرياسة، وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر، وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك، وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه المنزلة، من شجاعة أو علم أو عبادة، أو صناعة أو جمال أو ثروة، أو غير ذلك مما يتفرد هو به، ويفرح بسبب تفرده.

٥. خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى: فإنك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال، إذا وُصِف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به،

فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده...هذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس، ورذالة في الطبع، عليه وقعت الجبلة، ومعالجته شديدة؛ لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها، فيطمع في إزالتها، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته؛ إذ يستحيل في العادة إزالته.

٦. عدم العدالة بين الأبناء أو المتربين: كتفضيل بعضهم على بعض لأسباب عاطفية بعيدة عن الإنصاف، فيؤدي ذلك إلى التحاسد بينهم، أو كتفضيل بعض الرؤساء في العمل لبعض الأفراد دون بقية زملائهم، لعلاقات خاصة أو مصالح شخصية لا تصلح معيارا للتفضيل، فيحصل الحسد والبغضاء والشحناء[١].

أثر الحسد على الترابط الاجتماعي:

للحسد آثاره الاجتماعية الخطيرة؛ لأنه يشعل نار البغضاء، ويرفع راية العداوة بين الأقرباء والأصدقاء، ويمنع المساعدة والمعاونة بين الحاسد والمحسود، ويأكل قلب الحاسد حتى يحيله إلى إنسان قاسي القلب، شرس الطبع، يبغى لغيره السوء ويكره له الخير[٢].

ويعدّ الحسد من أسباب التمزق الاجتماعي؛ إذ قد يدفع الحاسدَ قوةُ حسده وفورانُ غضبه إلى محاولة إزالة النعمة عن المحسود، فيرتكب في سبيلها الجرائم بالقول أو الفعل أو بهما معا، كما أنه أحد دوافع النميمة والغيبة في المحسود؛

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١٠٩.

(٢) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٨٤.

إذ الحاسد يغتاب المحسود حتى يقلل من شأنه، كما أنه يؤدي إلى التباغض والشحناء نتيجة ما يكنه الحاسد للمحسود من حقد دفين[١].

٢. سوء الظن:

الظن هو: "التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله"[٢]، وهو من الأدواء الاجتماعية الخطيرة التي تشتت شمل الجماعات، وتفصم عرى الصلات، وقد ورد النهي عنها من النّبيّ ﷺ كما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إياكم والظنّ فإنّ الظن أكذب الحديث، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولاتباغضوا، ولا تنافسوا، وكونوا عباد الله إخواناً**))[٣].

وعن أنس قال: **بينما النبي ﷺ مع امرأة من نسائه، إذ مَرّ به رجل، فدعاه النبي ﷺ فقال: ((يا فلان هذه زوجتي فُلانة))! قال: مَنْ كُنْتُ أظنّ به فَلَمْ أَكُنْ أَظُنّ بك، قال: ((إِنَّ الشَّيطان يجري مِنِ ابن آدم مجرى الدم))**[٤].

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١١١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم: ٣٧٧/٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤١٠)، ص: ١٤٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح،كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب البرّ والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم الحديث: (٢٥٠٩).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظن، رقم الحديث: (١٢٨٨)، ص :٤٧١. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، رقم الحديث: (٢١٧٤).

والمراد بالظن هنا "التهمة التي لا سبب لها؛ كمن يتهم رجلاً بالفاحشة؛ من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها"(١).

وقال الخطابي: "ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبا، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنون إنَّما هو خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلّف به"(٢).

دوافع سوء الظن(٣):

لسوء الظن دوافع كثيرة، ومن أهمها:

١. التصور السابق عن الشخص من خلال ما يسمع عنه من حكايات وكلام قد لا يكون صحيحا، فيحمل تصرفاته الاعتيادية على أنها شرّ.

٢. التنشئة الاجتماعية السيئة، من خلال تربي الفرد في بيئة يُحمل فيها تصرفات الناس على مراد سيئ، فيتشرب الناشئ أثناء معايشته لأسرته أو جماعة الرفاق تلك الظنون السيئة، فتنتقل إليه عدوى هذا المرض.

٣. امتلاء القلب بالحقد والكراهية للآخرين، مما يجعل الإنسان يسيء الظن فيمن يحيطون به من الأهل والأقارب والأصدقاء.

٤. الظهور في مواطن الريبة والتهمة وإن كان عن غير قصد، فهذا يجعل الآخرين يسيئون الظن في صاحبه؛ لأنهم لا يعلمون الأسباب والملابسات.

---

(١) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: ١٣٦/٢٢.

(٢) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ١٢٣/٤.

(٣) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١١٩ - ١٢٠.

٥. الجهل أو الغفلة عن الآثار المترتبة على سوء الظن؛ من الإثم والتقاطع والتفكك الاجتماعي.

أثر سوء الظن على الترابط الاجتماعي:

إن سوء الظن بالمسلم من غير داع أو مبرر هو مركب وعر، وسلوك شائن، وآفة ضارة بالمجتمع الإسلامي ضررا بليغا؛ لأنه يقطع حبال الأقربين، ويزرع الشكوك بين أفراد المجتمع، ويدفع المرء إلى أن يغتاب من ظن به السوء أو يحتقره، أو يقصر في حقه، وقد يجره ذلك إلى أن يتمادى في سوء الظن فيتهم أخاه بأمور لا صلة له بها، ويلصق به مفاسد هو بريء منها، وذلك كله وبال وفساد وضرر اجتماعي خطير، وتفكيك للعلاقات الاجتماعية(١).

٣. البغضاء والهجر والشحناء:

إن أكبر آفة تصيب المجتمعات البشرية أن تبتلى بالتطاحن الحزبي، أو التشاحن الطبقي، أو الصراع الفكري، أو التناحر السياسي، أو التباغض والتهاجر من أجل مصالح دنيوية، وغير ذلك من ألوان التنافر والتجافي والصراع والحقد والكراهية والعداوة، ذلك أن هذه الآفات تمزق المجتمع الواحد، وتجعل بعض فئاته أعداء لبعض، وتكثر بينهم عوامل التفرق والتشرذم، وتنعدم أسباب التماسك والترابط والتعاون والتآزر، وهذا ما ابتليت به كثير من المجتمعات الإسلامية حينما ابتعدوا عن تعاليم دينهم الحنيف الذي يدعو إلى الوصل والرحمة والتزاور والمودّة، وإنّ الهجر والقطيعة يناقضان ذلك، فلا يجوز للمسلم أن يقطع وصل أخيه المسلم أو يهجره،

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ٨٥.

والأصل عدم جواز ذلك مطلقا، ولكن الشارع راعى الفطرة البشرية، فأجاز للمتغاضبين أن يتهاجرا ثلاثة أيام – مع كراهة ذلك – ونهى عما زاد، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يَحِلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال**))[١].

وعن أبي أيوب صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يحِلُّ لأحد أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيصُدُّ هذا ويصُدُّ هذا، وخَيْرُهما الذي يبدأ بالسّلام**))[٢].

وعن هشام بن عامر الأنصاري – ﷺ – ابن عمّ أنس بن مالك، وكان قُتِل أبوه يوم أحد، أنه سمع رسول الله ﷺ قال: ((**لا يحِلُّ لمسلم أن يصارم مسلما فوق ثلاث، فإنّهما ناكبان[٣] عن الحق ما داما على صرامهما وإِنَّ أَوَّلَهما فَيْئاً**[٤]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هجرة المسلم، رقم الحديث: (٣٩٨)، ص: ١٣٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابر، رقم الحديث: (٦٠٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، رقم الحديث: (٢٥٠٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هجرة المسلم، رقم الحديث: (٣٩٩)، ص: ١٤٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول النبي ﷺ: ((لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث))، رقم الحديث: (٥٧٢٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم الحديث: (٢٥٦٠).

(٣) نَكَبَ عن الطريق: عدل. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٥٨٣.

(٤) الرجل يفيء فيئا من باب باع: رجع. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٣٩٦.

يكون كَفَّارة عنه سَبْقُه بالفيء، وإن ماتا على صِرَامهما لم يدخُلا الجَنّة جميعا أَبَداً، وَإِنْ سَلَّم عليه فأبى أن يقبل تَسْلِيمه وسلامَه، رَدَّ عليه المَلَكُ، ورَدَّ على الآخر الشَّيْطَانُ»[١].

"وإنما جاز الهجر في ثلاث وما دونه لما جبل عليه الآدمي من الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع فيها، ويزول ذلك العرض، ولا يجوز فوقها، وهذا فيما يكون بين المسلمين من عَتَب ومَوْجِدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة، دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فَإِنَّ هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة على مرّ الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق"[٢].

وهجر أهل البدع والمعاصي "يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فَإِنَّ المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورُجُوع العامة عن مثل حاله، فإن كان المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر"[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هجرة المسلم، رقم الحديث: (٤٠٢)، ص: ١٤٠. وأحمد بن حنبل، المسند:٢٠/٤. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ١٧٥/٢٢. وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى: ١٣٦/٢. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٢٦٩/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٨.

(٢) آبادي، محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٧٤/١٣.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى: ٢٠٦/٢٨.

وهجر المسلم بدون مبرر شرعي جرم عظيم، وذنب كبير يستوجب العقوبة من الله، فعن أبي خُرَاش الأسلمي س أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ**))[١].

يعني مهاجرة الأخ المسلم سَنَة توجب العقوبة، كما أن سفْك دمه يوجبها؛ فهي شبيهة بالسفْك من حيث حصول العقوبة بسببها، لأنها مثله في العقوبة، لأن القتل كبيرة عظيمة لا يكون بعد الشّرك أعظم منه، فشبَّه الهجران به تأكيداً في المنع عنه[٢].

وورد في المتهاجرين وعيد شديد جعلهما شاذِّين بين أهل القبلة، حيث يغفر الله لكل من لا يشرك به شيئا يومين في كل أسبوع، إلا من كان منهم بينه وبين أخيه شحناء وهجر، كما ورد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّة يَوْمَ الاثنين ويَوْمَ الخميس، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً إلاّ رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أخيه شَحْنَاءُ. فيُقَالُ: أَنْظِرُواْ هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**))[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هن هجر أخاه سنة، رقم الحديث: (٤٠٤)، ص: ١٤١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، رقم الحديث: (٤٩١٥)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٩.

(٢) القاري، علي بن سلطان، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٧٦٨/٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤١١)، ص: ١٤٣. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم الحديث: (٢٥٦٥).

ولقد وعى صحابة رسول الله ﷺ خطورة هذا المرض الاجتماعي، "فكان يشق على أحدهم أن يهجره أخوه، ويبذل قصارى جهده في إرضائه حتى يعود إلى صلته، ويبعث إليه الشفعاء، وكان الذي تغلبه منهم بشريته فيهجر أخاه أكثر من ثلاث يندم على ذلك وتذرف عيناه الدموع إذا ذكر حسرة على ما بدر منه"(١)، وقد بدا ذلك جليا في قصة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها مع ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فقد حدّثَتْ: **أنَّ عبد الله بن الزبير قال في بيع – أو عطاء – أعطتْه عائشة: ((والله لتنتهيَنَّ عائشة، أو لأحْجُرَنَّ عليها)). فقالت: أهُو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت عائشة: ((فهو لله نَذْر أن لا أكلّم ابن الزبير كَلِمَةً أبداً)) فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين حين طالت هجرتها إيَّاه. فقالت: والله! لا أشفع فيه أحدا أبداً، ولا أُحَنِّثُ نَذْرِي الذي نَذَرْتُ أبداً. فلما طال ذلك على ابن الزبير، كَلَّم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن يغوث وهما من بنى زُهْرَة. فقال لهما: أَنْشُدُ كما الله إلاَّ أَدْخَلْتُمَاني على عائشةَ؛ فإنها لا يحل لها أن تَنْذُرَ قطيعتي، فأقبل به المِسْوَر وعبد الرحمن، مُشْتَمِلَيْن عليه بأَرْدِيَتِهِما حتى استأذنا على عائشة. فقالا: السَّلام عليك ورحمة الله وبركاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ فقالتْ عائشةُ: ادْخُلوا. قالا: كلنا يا أمَّ المؤمنين؟ قالت: نعم. ادخلوا كلُّكُم. ولا تعلم عائشة أنّ معهما ابْنَ الزُّبير، فلمّا دخلوا، دَخَلَ ابْنُ الزبير في الحجاب، واعْتَنَقَ عائشةُ وطَفِقَ يُنَاشِدُها يَبْكي، وطَفِقَ المِسْوَرُ وعبد الرحمن يناشدان عائشة إلاَّ كَلَّمَتْهُ وقَبِلَتْ منه، ويقولان: قد علمتِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ ((نهى عمَّا قد علمتِ مِنَ الهجرة،**

---

(١) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، ص: ٢٩٦.

وأنه لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال». قال: فلما أكثروا التَّذكير والتحريج طفقَتْ تُذَكِّرُهم وتَبْكى. وتقول: إنِّي قَدْ نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شديد، فلم يزالا بها حتىَّ كَلَّمَت ابْنَ الزبير، ثُمَّ أَعْتَقَتْ بِنَذْرِهَا أربعين رَقَبَةً، ثم كانَتْ تَذْكُر نَذْرَها بعد ما أعتقت أربعين رقبة فتبكى حتى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا»[١].

أثر البغضاء والشحناء والهجر على الترابط الاجتماعي:

هذه الأمراض منافية لمقتضى الأخوة الإسلامية، لما فيها من الصدود والضغينة، ولما يحدثها في نفوس المتباغضين والمتهاجرين من النفرة والظنون السيئة التي يوسوس بها الشّيطان لكل منهما في الآخر بأنّه يبغضه ويغتابه ويدبر له المكايد، فيفقد كل واحد منهما الثقة في أخيه ولا يأمن كل منهما الآخر، وقد يوسع دائرةَ سوء الظن أعداءُ الأخوة الإسلامية فيورون نار العداوة ويزيدون اشتعالها، وهذا يقع كثيرا في نفوس المتهاجرين، فإذا وصل كل منهما صاحبه عرف كل منهما أن ما كان يظنه في أخيه غير موجود، وأن الشيطان وأتباعه كانوا يوسوسون لكل منهما بالباطل، فتعود ثقة كل واحد منهما بصاحبه وائتمان كل منهما للآخر، مما يقوي الروابط الاجتماعية، ويزيد في التماسك الاجتماعي[٢].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب هجرة الرجل، رقم الحديث: (٣٩٧)، ص: ١٣٨ - ١٣٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول النبي ﷺ: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث»، رقم الحديث:(٥٧٢٥).

(٢) قادري، عبد الله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، ص: ٢٩٦- ٢٩٧.

٤. الكبر:

وهو من الأمراض الاجتماعية الأكثر خطورة على الفرد والمجتمع، ومرض الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح. وإذا أطلق اسم الكبر فالمقصود به الخلق الباطن، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق.

وخلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال: تكبّر وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذي في النفس، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه[(١)].

وقد عرف النَّبيُّ ﷺ الكبر بأنه: بطر الحق، وغمط الناس، فعن أبي هريرة؛ **أنّ رجلاً أتى النَّبيّ ﷺ وكان جميلا فقال: حُبِّب إليّ الجمال، وأُعطيتُ ما ترى! حتّى ما أحبّ أن يفوقني أحدٌ، إمّا قال: بشراك نعل. وإمّا قال: بشِسع أحمر. الكِبر ذاك؟ قال: ((لا؛ ولكن الكِبْر مَنْ بَطَر الحقّ[(٢)]، وغَمِط النَّاس[(٣)]))**[(٤)].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٣/٣٠٣.

(٢) بطر الحق أي: التكبر عن الحق وعدم قبوله. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٨١.

(٣) غمط الناس أي: احتقارهم، والطعن فيهم، والاستخفاف بهم. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المرجع السابق، ص: ٦٧٩.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٦)، ص: ١٩١. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: (٤٠٩٢). والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح،كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث: (١٩٩٩). وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٩.

والكبر خلق ذميم، تضافرت الأدلة من السنة النبوية على التحذير منه، فعن عبد الله بن عمرو قال: **كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان**[١]**، حتى قام على رأس النبي ﷺ فقال: إن صاحبكم قد وضع كلّ فارس – أو قال: يريد أن يضع كل فارس – ويرفع كل راع! فأخذ النبي ﷺ بمجامع جبته فقال: ((ألا أرى عليك لباس مَنْ لا يعقل)). ثم قال: ((إن نبي الله نوحا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصّ عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهنّ، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء، وأنهاك عن الشرك والكبر)). فقلت: أو قيل يا رسول الله! هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: ((لا)). قال: فهو أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: ((لا)). قال: فهو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: ((لا)). قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: ((لا)). قال يا رسول الله! فما الكِبْر؟ قال: ((سَفَه الحق، وغمص الناس))**[٢].

---

(١) السّيجان جمع ساجٍ وهو الطَّيْلَسَان الأخضَرُ . وقيل هو الطيلسان المقوَّر يُنسَج كذلك كأنّ القَلانِس كانت تُعْمل منها أو من نوعِها. ومنهم من يَجعَل ألِفَه مُنْقَلِبة عن الواو ومنهم من يجعَلها عن الياء. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٤٥٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٤٨)، ص: ١٨٨. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٧.

وهذه الأحاديث تدل على أن الكبر ليس في المظاهر فقط ولا في الظهور بالمظهر الحسن في الملبس ونحوه، ولكنها خُلُق في الباطن قد تظهر آثاره على السلوك، ومع ذلك فهناك بعض المظاهر والسلوكيات تدلّ على الكبر الممقوت، وينبغي أن يتجنبها المتربي، مثل التبختر في المشي ونحوه، فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تعظم في نفسه، أو اختال في مشيته، لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان**»[(١)].

كما أن هناك مظاهر أخرى قد يستدلّ بها على عدم تكبر صاحبها، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما استكبر مَنْ أكل معه خادِمُه، وَرَكِبَ الحِمار بالأسواق، واعتقل الشاة فَحَلَبَها**»[(٢)].

والكبرياء صفة من صفات الله لا يشاركه فيها أحد، فمن تكبر على الناس أو استصغرهم أو قلل من شأنهم، فكأنه ينازع الله في أعز صفة من صفاته، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «**العِزّ إزاري، والكبرياء رداءي، فمن نازعني بشيء منهما، عذّبتُه**»[(٣)].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٤٩)، ص: ١٨٩. وأحمد بن حنبل، المسند: ١١٨/٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٠)، ص: ١٨٩. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٧.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٢)، ص: ١٨٩. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، رقم الحديث: (٦٦٨٠).

والكبرياء على عباد الله فخ من فخوخ الشيطان، كما جاء عن الهيثم بن مالك الطائي ﷺ، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر قال: «**إن للشيطان مصاليا وفخوخا، وإن مصالي الشيطان وفخوخه: البطر بأنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبرياء على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله**»(١).

والمتكبر مصيره إلى الذل والهوان، فقد تُوُعِّد بالحرمان من الجنة ودخول النار، كما جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **احتجت الجنة والنار – وقال سفيانُ أيضا: اختصمت الجنة والنار – قالت النار: يَلِجُني الجَبّارون، وَيلجني المتكبرون. وقالت الجنة: يلجني الضعفاء ويلجني الفقراء. قال الله تبارك وتعالى للجنة: «أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء. ثم قال للنار: أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»**(٢).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذّرّ في صورة الرجال، يغشاهم الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مكان، يساقون إلى سجن مِنْ جَهَنَّم يُسَمَّى: بُوْلَس**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٣)، ص: ١٩٠. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٢٨٧/٦، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٠٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٤)، ص: ١٩٠. : والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب التفسير، سورة ق، رقم الحديث: (٤٥٦٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث: (٢٨٤٦).

تعلوهم نَارُ الأنيار[(١)]، وَيُسْقَوْن مِنْ عُصَارة أهل النَّار طينَةَ الخَبَال))[(٢)].

وكما حذرت السنة النبوية من الكبر، فقد دعت إلى التحلي بضده وهو التواضع، كما جاء في الحديث أن النَّبيّ ﷺ قال: ((**إن الله ﷻ أوحى إليّ أن تواضعوا، ولاَ يَبْغ بعضُكم على بعض**))[(٣)].

وقد ضرب المصطفى ﷺ المثل الأعلى في التواضع، والبعد عن البغي والتكبر، فعن أنس بن مالك قال: **دخلتُ على النبي ﷺ وهو على سرير مرمول[(٤)] بشريط، تحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، ما بين جلده وبين السرير ثوب، فدخل عليه عمر فبكى، فقال له النبي ﷺ**: ((**ما يبكيك يا عمر؟**)).

---

(١) قال ابن الأثير: "يحتَمِل أن يكون معناه نار النِّيران فجمع النارَ على أنيار وأصلُها: أنوار لأنها من الواو كما جاء في ريح وعِيد: أرياحٌ وأعيادٌ من الواو، واللَّه أعلم". ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٤٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الكبر، رقم الحديث: (٥٥٧)، ص: ١٩١. والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حدّثنا هناد، رقم الحديث: (٢٤٩٢)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢١٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، رقم الحديث: (٤٢٦)، ص: ١٤٧. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث:(٢٨٦٥).

(٤) والمراد أنه كان السريرُ قد نُسِج وجْهُه بالسَّعَف ولم يكن على السَّرير وِطاء سوى الحَصِير. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٣٧٧.

قال: أما والله ما أبكي يا رسول الله أَلاَّ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّكَ أَكْرَمُ على الله مِنْ كِسْرَى وقَيْصَر، فهما يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت يا رسول الله بالمكان الذي أرى! فقال النبي:ﷺ ((أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟)). قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((فإنه كذلك))(١).

ومن مظاهر الكبر والاستعلاء: الاستهزاء والسخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، والطعن في الأنساب، وما يلحق بهذه الخصال القبيحة من مظاهر في السلوك تنم عن خلق الكبر المستكن في النفوس.

إن "الإنسان حينما ينفخ في نفسه الغرور، فيرى أنه كبير عظيم، ويرى غيره من الناس أصغر منه وأقل شأنا، فإنه يشعر نحوه بنوع من الاستعلاء، فإذا أحوجته الظروف الاجتماعية إلى الاحتكاك بهم، فإنه يجد نفسه مدفوعا إلى إبراز استعلائه عليهم، بأنانية مستكبرة، فيحاول أن يتصيد أي شيء لتحقيرهم وتصغيرهم في المجتمع الذي أحوجه إلى الاحتكاك معهم، أو المشاركة لهم في مجال من المجالات، فإذا ظفر بعيب في الجسم، أو بعيب في القول، أو بنقص في الرأي، أو بمخالفة للمعتاد في الحركة أو المشي أو اللباس، أسرع إلى لفت الأنظار إليه والاستهزاء به والسخرية منه،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الجلوس على السرير، رقم الحديث: (١١٦٣)، ص: ٤٢٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة الطلاق، رقم الحديث: (٤٦٢٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾، رقم الحديث: (١٤٧٩). كلاهما عن طريق ابن عباس.

وإذا لم يظفر بشيء من ذلك، حاول أن يتصيد من أسمائهم أو ألقابهم ما يكون مثاراً للهزء والسخرية، فإذا لم يظفر بشيء من ذلك، تصنع مثيرات الهزء والسخرية تصنعا دون أساس له من الواقع، كل ذلك يفعله ظلما وعدوانا إرضاء لا ستكباره واستعلائه"(١).

ولما تثيره هذه الأخلاق الذميمة من البغضاء والشحناء بين أفراد المجتمع، ورد النهي الشديد عنها، عن أبي جبيرة بن الضحاك ﷺ قال: **فينا نزلت في بني سَلَمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾(٢) قال: قَدِمَ علينا رسول الله ﷺ وليس منّا رجلٌ إلاّ له اسمان، فجعل النبيّ ﷺ يقول: «يا فلان!» فيقولون: يا رسول الله! إنّه يغضب منه**(٣).

وعن أم موسى ﵂ قالت: **سَمِعْتُ عَلِيّاً** ﷺ **يقول: أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابُه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة**(٤) **ساقيه! فقال رسول الله ﷺ:**

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٧٤١/١.

(٢) سورة الحجرات الآية: (١١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب العياب، رقم الحديث: (٣٣٠)، ص :١١٧. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في الألقاب، رقم الحديث: (٤٩٦٢)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، كتاب الأدب، باب الألقاب، رقم الحديث: (٣٧٤١)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٤.

(٤) يقال: رجل حَمْش السَّاقين وأحْمَش السَّاقين: أي دقيقُها. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٢٣٢.

«**ما تضحكون؟ لَرِجْل عبدِ الله أثقل في الميزان من أُحُد**»[١].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**شُعْبَتان لا تَتْرُكُهُما أُمَّتي: النِّياحَة، والطَّعْن في الأنسَاب**»[٢].

دوافع الكبر:

من أهم دوافع الكبر ما يلي:

١. استعظام النفس: ولا يستعظم الإنسان نفسه، إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني: هو العلم والعمل. والدنيوي: هو النسب والجمال، والقوة والمال، وكثرة الأنصار...ونحو ذلك، "وبالجملة فكل ما هو نعمة، وأمكن أن يعتقد كمالا، وإن لم يكن في نفسه كمالا، أمكن أن يتكبر به، حتى إن المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين؛ لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به، وإن لم يكن فعله إلا نكالا، وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب، وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به، لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئا فيه"[٣].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الخروج إلى الضيعة، رقم الحديث: (٢٣٧)، ص :٨٩. وأحمد بن حنبل، المسند:١/١١٤. والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ٩/٩٥. وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى: ١/٤٠٩. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف: ٦/٣٨٤، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٠٦.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الطعن في الأنساب، رقم الحديث: (٣٩٥)، ص: ١٣٧. ومسلم بن الحجاج، الصحيح ، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، رقم الحديث: (٢٢٧).

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٣/٣١١.

٢. العجب بالنفس: فإن الإنسان إذا أعجب بنفسه، أو بعلمه أو بعمله أو بشيء من أسباب العجب، استعظم وتكبر واستعلى على الناس، نتيجة الشعور بالاستعلاء الذاتي على الأقران والنظراء، وعلى المكانة التي يجد المستكبر نفسه فيها داخل مجتمعه[١].

٣. رغبة المستكبر في إخفاء ما يشعر به من نقص في ذاته أو في عمله، وهو حريص على أن يكون في أعين الناس كبيرا، وأن لا يكتشفوا نقصه[٢].

أثر الكبر على الترابط الاجتماعي:

الفرد المصاب بمرض الكبر يصعب عليه أن يندمج اجتماعيا، وأن يقيم علاقات اجتماعية سليمة قائمة على التعاون والتناصح مع أفراد مجتمعه؛ لأنه إذا "عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره، حَقَر مَن دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده، وترفع عن مجالسته ومؤاكلته، ورأى أن حقه أن يقوم ماثلا بين يديه... وانتظر أن يبدأه بالسلام، واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه... وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه، وإن وُعِظ استنكف من القبول، وإن وَعَظ عنَّف في النصح، وإن رُدَّ عليه شيء من قوله غضب، وإن عَلَّم لم يرفق بالمتعلمين، واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالا لهم واستحقارا"[٣].

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٧١٩/١.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، المرجع السابق: ٧٢٠/١.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ٣٠٣/٣.

والكبر حين يستشري في النفس، ويتمكن من قلب الإنسان، ويملك عليه حسه وفكره، يكون أسوء ما يصيب الإنسان من أمراض القلب، فما من خلق من الأخلاق المذمومة إلا وتجد صاحب الكبر متصفاً به.

فهو لا يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع، ولا يتخلص من الحقد، ولا يتغلب على الغضب والغيظ، ولا يستطيع دفع الحسد عن نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح، ولا تعليم عالم، ولا يعامل الناس إلا بالازدراء والاحتقار، وإذا مشى اختال، وإذا تكلم افتخر، وإذا نصح سخر من الناس وحقرهم، فإذا تحدّث تقعر في الكلام وتشدّق، وإذا جالس الناس غضب إذا لم يكن له صدر المجلس، وأول الكلام، وغاية التعظيم والاحترام(١).

ثانيا: التخلص من الأمراض الاجتماعية الظاهرة:

يقصد بالأمراض الاجتماعية الظاهرة: تلك الأمراض التي محلها الجوارح والأعضاء، وتكون محسوسة في حياة الإنسان، والتي تعتبر بالنسبة للمسلم أمراضا يجب عليه التخلص منها، حيث إن آثارها الضارة مزدوجة، بمعنى أنها تضر المريض بها، وتضر غيره من أفراد المجتمع، فهي أمراض متعدية، وهي أشبه بالميكروب الذي يُعدي وينتقل من إنسان إلى آخر ليفتك به؛ لذلك يحتاج عنايةً أكبر، ومجهودا مضاعفا للقضاء عليه(٢). ومن أمثلة هذه الأمراض ما يلي:

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام. ص: ٥٤.

(٢) حسن أيوب، المرجع السابق، ص: ٩٧.

١. الكذب:

الكذب: "هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به"[(١)].

ولما كان الكذب عنصرَ إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية، وسببَ هدم لأبنيتها الحضارية، وتقطيعاً لروابطها وصلاتها، ومرضاً من الأمراض الاجتماعية ذات الضرر البالغ؛ أمرت السنة النبوية بالصدق، ونهت عن الكذب، وأعلنت أن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي، ووضع قواعد تربية هذا المجتمع على الصدق، واتخذ كل الوسائل الكفيلة بغرس هذا الخلق العظيم في نفوس أفراده جميعا، صغاره وكباره، ورجاله ونسائه، فعن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**عليكم بالصّدْق؛ فَإِنَّ الصِّدق يهدى إلى البرّ، وَإِنَّ البرّ يهدى إلى الجنة، وإن الرجل يَصْدُق حتى يُكْتَب عند الله صِدِّيقاً، وإيَّاكم والكَذِب؛ فان الكذب يهدى إلى الفجور، والفُجُور يهدى إلى النّار، وَإِنَّ الرّجل ليكذِبُ حتى يُكْتَب عند الله كَذَّاباً**»[(٢)].

وعن عبد الله [هو ابن مسعود]، قال: «**لا يصلح الكذب في جِدّ ولا هَزْل، ولا أن يَعِدَ أحَدُكم وَلَده شيئا ثُمّ لا يُنجِزُ له**»[(٣)].

---

(١) الجاحظ، غمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، ص: ٣٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يصلح الكذب، رقم الحديث: (٣٨٦)، ص: ١٣٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، رقم الحديث:(٥٧٤٣)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، بابباب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث: (٢٦٠٧).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لا يصلح الكذب، رقم الحديث: (٣٨٧)، ص: ١٣٥. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف: ٢٣٦/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٥٣.

الرخصة في الكذب:

قال النووي رحمه الله[١]: "اعلم أن الكذب وإن كان أصله محرما فيجوز في بعض الأحوال بشروط... ومختصر ذلك أن الكلام وسيلة إلى المقاصد. فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب، جاز الكذب. ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا، كان الكذب مباحا، وإن كان واجبا كان الكذب واجبا؛ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله، وأخفى ماله، وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه... والأحوط في هذا كله أن يوري، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الحال".

واستدل العلماء على جواز الكذب في هذه الحالات بحديث أمّ كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ليس الكذّاب الذي يُصْلح بين الناس، فيقول خيرا، أو ينمي خيرا**)). **قالت: ولم أَسْمَعْه يرخص في شيء مِمَّا يقول النَّاس من الكَذِبِ إلا في ثلاث: الإصلاح بين النّاس، وحديثِ الرّجل امرأتَه، وحديثِ المرأة زوجها**[٢].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، رياض الصالحين، ص: ٥٥٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ينمي خيرا بين الناس، رقم الحديث: (٣٨٥)، ص: ١٣٤. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، رقم الحديث: (٢٥٤٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، رقم الحديث: (٢٦٠٥).

دواعي الكذب[(١)]:

١. اجتلاب النفع واستدفاع الضر: فيرى الكذّاب أن الكذب أسلم وأغنم، فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخُدع، واستشفافا للطمع.

٢. أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبا، وكلامه مستظرفا: فلا يجد صدقا يعذُب، ولا حديثا يستظرف، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائزه معوزة، ولا طرائفه معجزة.

٣. أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه: فيسمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.

٤. أن يكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها: فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة.

أثر الكذب على الترابط الاجتماعي:

الكذب من الأمراض التي إذا استشرى في جسم المجتمع أحدث تصدعا في بنيانه، وتفككا في تماسكه، وفجوة في ترابطه، وتبدو لنا خطورة هذا المرض على الترابط الاجتماعي، حينما نلاحظ أن شطرا كبيرا من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، تعتمد على صدق الكلمة المعبرة تعبيرا صادقا عما في نفس قائلها، وليست هناك وسيلة أخرى لمعرفة إرادات الناس ونواياهم إلا بالكلمة، ولولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعا قائما على الكذب، لندرك مبلغ تفككه وانعدام صور التعاون بين أفراده. وعلينا أن نتساءل"ما مصير مجتمع قائم على الكذب؟ أليس مصيره الانحلال والتفكك، ثم التخلف الحضاري الشنيع، ثم الخراب والدمار؟"[(٢)].

---

(١) الماوردي، أبو الحسن البصري، أدب الدنيا والدين، ص: ٢٥٦.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٥٣٣/١.

فروع الكذب:

ومن فروع الكذب: شهادة الزور، وهي: "الشهادة بالكذب والباطل، وإنما كانت من أكبر الكبائر؛ لأنها يتوصل بها إلى إتلاف النفوس والأموال، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلل الله. فلا شيء من الكبائر أعظم ضررا، ولا أكثر فسادا منها بعد الشرك"[(١)].

وقد ذكر الذهبي رَحِمَهُ اللهُ بعد أن عدّ شهادة الزور من الكبائر: أن شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

"أحدها: الكذب والافتراء.

وثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه، حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

وثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته فوجبت له النار.

ورابعها: أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال و الدم و العرض"[(٢)].

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر؟» (ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين — وجلس وكان متكئا — ألا وقول الزُّور»، مازال يكرّرها حتى قلتُ: ليته سكت**[(٣)].

---

(١) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٢٨٢/١.

(٢) الذهبي، محمد بن عثمان، الكبائر، ص: ٧٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب عقوق الوالدين، برقم: (١٥)، ص: ١٨. البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، برقم: (٥٩٧٦). ومسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (٨٧).

وعن عبد الله بن مسعود، عن النَّبيّ ﷺ قال: «بين يديّ السَّاعة: تسليم الخاصَّة، وفُشُوّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفُشُوّ القلم، وظهور الشَّهادة بالزور، وكتمان شهادة الحقّ»[1].

قال الميداني رحمه الله[2]: "وفي حياة الناس نوع خطير من الكذب، شديد القبح، سيئ الأثر ألا وهو شهادة الزور. إن الأصل في الشهادة أن تكوون سندا لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون، أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة من وظيفتها، فكانت سندا للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق، استنادا إلى ما تضمنته من إثبات، فإنَّها تحمل حينئذ إثم جريمتين في آن واحد. الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى. الجريمة الثانية: قيامها بجريمة تهضم فيها الحقوق، ويظلم فيها البرآء، ويستعان بها على الإثم والعدوان".

ومن فروع الكذب ومن أقبحه: اتهام البرآء بالفاحشة، وبما لم يرتكبوه من آثام، ففيه ظلم للناس، وعدوان على أعراضهم، وإشاعة لأخبار الفاحشة والإثم، "ولشيوع أخبار الفاحشة بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية، فإن مما يزع النّاس من المفاسد تهيبهم وقوعها، وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من كره تسليم الخاصة، رقم الحديث: (١٠٤٩). وأحمد بن حنبل، المسند:١/٤٠٧. والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك: ١١٠/٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٠٢.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٥٤٦/١.

وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها، بله الإقدام عليها رويدا حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر، وخف وقع خبرها على الأسماع، فدبّ بذلك إلى النفوس التهاون لوقوعها، وخفة وقعها على الأسماع، فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها، وبمقدار تكرر وقوعها، وتكرر الحديث عنها تصير متداولة"[١].

هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضرر بالناس، وتفتيت أواصر المحبة بينهم، حيث إنه ما شاعت الفاحشة في مجتمع، وكثر فيه الخوض في الأعراض، وكثرت الشائعات والأقاويل والظنون إلا دبّ فيه داء الانحلال، وتقطعت وشائج الأخوة، وسرت بين أفراده العداوة والبغضاء، والكيد والشحناء، وعم الفساد أرجاءه، ولذلك ورد النهي الشديد عن قذف المحصنات، وعن إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم، فعن طيْسَلة بن مَيَّاس ﷺ، قال: **كنت مع النجدات، فأصبتُ ذنوبا لا أراها من الكبائر، فذكرتُ ذلك لابن عمر قال: ما هي؟ قلت كذا وكذا. قال: ليست هذه من الكبائر هنّ تسع: الإشراك بالله، وقتل نَسَمَة، والفِرارُ من الزَّحفِ، وقذفُ المُحصَنة، وأكل الرّبا، وأكْلُ مال اليتيم، وإلحادٌ في المسجد، والذي يسْتَسْخِر، وبكاء الوالدين من العقوق**[٢].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ١٨/١٨٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لين الكلام لوالديه، برقم: (٨)، ص: ١٥. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٦/٢٠٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٥.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ((**القَائِلُ الفَاحِشَةَ، والذي يُشِيع بها في الإِثْم سَوَاء**))[١].

وعن شبيل بن عوف ﷺ قال: كان يقال: ((**مَنْ سمعَ بفاحشة فأفشاها، فهو فيها كالذي أَبْدَاها**))[٢].

وعن ابن جريج، عن عطاء رضي الله عنهما؛ ((**أنه كان يرى النّكَالَ على مَنْ أَشَاعَ الزِّنا، يقول: أَشَاعَ الفَاحِشَةَ**))[٣].

ومن فنون الكذب الممقوت - أيضا - ما يمارسه ذو الوجهين من الناس، وهو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب، وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة،[٤] وذو الوجهين من شرّ الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((**تجد من شَرّ النّاس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**))[٥].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من سمع بفاحشة فأفشاها، رقم الحديث: (٣٢٤)، ص: ١١٦. وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من سمع بفاحشة فأفشاها، رقم الحديث: (٣٢٥)، ص: ١١٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٣.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من سمع بفاحشة فأفشاها، رقم الحديث: (٣٢٦)، ص: ١١٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٣.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١٥/٢٩٦.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الشحناء، رقم الحديث: (٤٠٩)، ص: ١٤٢. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك، رقم الحديث: (٦٧٥٧)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، رقم الحديث: (٢٥٢٦).

قال القرطبي رحمه الله[1]: "إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافقين إذ هو متملق بالباطل والكذب يدخل للفساد بين الناس، والشرور، والتقاطع، والعداوة، والبغضاء".

وقال النووي رحمه الله[2]: "فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود. وقيل: إن المذموم من يزين لكل طائفة عملها ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى، والمحمود أن يأتي لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل إليه ما أمكنه من الجميل، ويستر القبيح".

٢. التجسس:

التَّجَسُّسُ بالجِيم: "التَّفْتيش عن بوَاطِن الأمور وأكْثَر ما يُقال في الشَّرّ"[3].

والتجسس على الناس هو تتبع عوراتهم وهم في خلواتهم، إما بالنظر إليهم وهم لا يشعرون، وإما باستراق السمع وهم لا يعلمون، وإما بالاطلاع على مكتوباتهم ووثائقهم وأسرارهم وما يخفونه عن أعين الناس دون إذن منهم.

فلا يجوز "تتبع الأخبار الخاصة والأمور المستورة لأي فرد أو جماعة من المسلمين للبحث عن العيوب والوقوف عليها، سواء لتكون معلومات خاصة بمن يتتبعها ويجري وراءها حتى يستغلها متى شاء، أو لتكون معلومات عامة تنشر بين الناس ويفضح بها أصحابها، كما تفعل الصحافة

---

(١) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم: ٤٧٨/٥.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٥٨٣/١٠.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ١٥٣.

الساقطة اللا أخلاقية، والكتّاب المفتونون، أو لتكون هذه المعلومات سلاحاً في يد الحاكم يستغله ضد أفراد الأمة المسلمة أو ضد جماعاتها ليفسد أمرها، ويشهر برجالها ونسائها، ويزداد بذلك طغيانا وجبروتا وكبتا للناس، وقتلا لروحهم المعنوية وحريتهم الإنسانية"(١).

ولذلك نهى النَّبيّ ﷺ عن التجسس بين الناس، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((**إيّاكم والظّنّ فإن الظّنّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا**))(٢).

أثر التجسس على الترابط الاجتماعي:

يجب أن يدرك جميع أفراد المجتمع أن للمسلم ولكل إنسان مسالمٍ حرمتَه، وأن حرمة المسلم في مسكنه، وفي أقواله وأفعاله وآرائه وأفكاره، يجب أن تصان وتحترم، ما لم يكن فيها مساس بالعقيدة والثوابت الإسلامية في المجتمع، ولا يجوز الاعتداء على المسلم بالنظر إلى ما في بيته، أو التلصص والتجسس على ما يقوله من كلام في خلوته ومناجاته، ويضم إلى ذلك التجسس عن طريق آلآت التسجيل والأقمار الصناعية، والآلات الحساسة وغيرها.

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ١١٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الظن، رقم الحديث: (١٢٨٧)، ص: ٤٧٠. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب، باب ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا﴾، رقم الحديث: (٥٧١٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم الحديث: (٢٥٦٣).

فالمسلم في ذاته وخاصة أمره له حرية لا يجوز لأحد من الناس أن ينتهكها، وله كرامة يجب على الجميع احترامها،[١] وانتهاك هذه الحرمة أو المساس بهذه الكرامة بالتجسس والتلصص يعدّ من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تثير الشحناء والبغضاء بين أفراد المجتمع، وتقطع أواصر المودة والصلة بينهم.

٣. الغيبة:

حد الغيبة: "أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرتَه بنقص في بدنه أو نسبه أم في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته"[٢].

والذكر باللسان إنما حرم؛ لأن فيه تفهيمَ الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه، فالتعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة، وهو حرام[٣].

ومرض الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس، حتى ما يسلمُ منها إلا القليل من الناس، فلعموم الحاجة إلى التحذير منه، وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين خطورته، وآفاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وتصور الغيبة بأبشع الصور وتصف المغتاب بأشنع الصفات، فمن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله قال: **هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله ﷺ**

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ١١٤.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١٢٩/٣.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١٣٠/٣. والنووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص:٥٢٢.

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ ناساً مِنَ المنافقين اغتابوا أُناساً من المسلمين، فَبُعِثَتْ هذه الرِيحُ لذلك»[١].

وعنه – أيضا – قال: **كنا مع رسول الله ﷺ فَأَتَى على قبرين يُعَذَّب صاحباهما فقال: «إنهما لا يعذّبان في كبير؛ وبلى، أمّا أحَدُهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يتأذّى من البول». فدعا بجريدة**[٢] **رطبة، أو بجريدتين، فكَسَرَهما، ثم أَمَرَ بكل كسرة فَغُرِسَتْ على قبر، فقال رسول الله ﷺ: «أَما إنّه سَيُهَوِّنُ من عذابهما ما كانتا رَطْبَتَيْن، أو لم تَيْبَساَ»**[٣].

وعن قيس قال: **كان عمرو بن العاص يسير مع نفر من أصحابه، فَمَرَّ على بَغْلٍ مَيِّتٍ قد انتَفَخَ، فقال: «والله! لأنْ يَأْكُلَ أَحَدُكم هذا حتى يملأ بطنَه، خير من أن يأكل لحم مسلم»**[٤].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب...، رقم الحديث: (٧٣٢)، ص: ٢٥٢. وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى: ٢٠٢/٤، والبيهقي، شعب الإيمان: ٣٠٣/٥، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٧٢.

(٢) الجَرِيدُ: سعف النخل، الواحدة: جَرِيدَةٌ فعيلة بمعنى مفعولة، وإنما تسمى جَرِيدَةٌ إذا جرد عنها خوصها. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٨٨.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الغيبة وقول الله عز وجل ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۝١٢﴾ [الحُجُرات:١٢]، رقم الحديث: (٧٣٥)، وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي، مسند أبي يعلى: ٤٢/٤. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٧٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الغيبة وقول الله عز وجل ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۝١٢﴾ [الحُجُرات:١٢]، رقم الحديث: (٧٣٦)، ص: ٢٥٣. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف: ٢٣٠/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٧٣.

دواعي الغيبة:

هناك دواعٍ كثيرة قد تجر الإنسان إلى الوقوع في أعراض الناس، ومن أهمها ما يلي(١):

١. الحقد والغضب: حيث يحاول الإنسان أن يشفي غضبه من أخيه بالنيل منه، وذكر مساويه، إذا لم يكن هناك وازع ديني.

٢. الرفقة السيئة: حيث يحاول الإنسان موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض، فيرى أنه لو أنكر عليهم، أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة، ويظن أنه مجاملة في الصحبة...فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي.

٣. التكبر وإرادة التقليل من شأن الآخرين، وإرادة التصنع والمباهاة: وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل، وفهمه ركيك، وكلامه ضعيف، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه، ويريهم أنه أعلم منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه، فيقدح فيه لذلك.

٤. الحسد: وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس، حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه.

٥. اللعب والهزل والمداعبة وتزجية الوقت بالضحك: فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة، ولعل هذا من أشهر دواعي الغيبة لاسيما في زماننا هذا.

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ١٣١/٣.

ما يباح من الغيبة[١]:

قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعا، حيث يتعين طريقا إلى الوصول إليه بها، كالتظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والمحاكمة، والتحذير من الشر، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود، وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده، وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود، وكذا من رأى متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به، وممن تجوز غيبتهم من يتجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة.

حكم سماع الغيبة:

قال النووي[٢]: "اعلم أنه ينبغي لمن سمع غِيبةَ مسلم أن يردّها ويزجرَ قائلَها، فإن لم ينزجرْ بالكلام زجرَه بيده، فإن لم يستطع باليدِ ولا باللسان فارقَ ذلكَ المجلس، فإن سمعَ غِيبَةَ شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ أو كانَ من أهل الفضل والصَّلاح، كان الاعتناءُ بما ذكرناه أكثر"، ويجب عليه أن يعاتب المغتاب، وأن يدفع عن عرض أخيه وينتصر له، فعن عبد الله بن مسعود قال: «**مَنِ اغْتِيبَ عنده مُؤْمِنٌ فَنَصَرَه، جزاه الله بها خيرا في الدنيا والآخرة، ومَنِ اغْتِيبَ عنده مُؤْمِنٌ، فلم يَنْصُرْه، جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شَرّاً، وما الْتَقَم أحدٌ لُقْمَة شَرّاً مِنِ اغْتِيَاب مؤمن؛**

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١٣٦/٣، والنووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٢٩، وابن حجر، أحمد ابن علي العسقلاني، فتح الباري: ٥٧٩/١٠.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، المرجع السابق، ص: ٥٣٢.

إِنْ قال فيه ما يعلم، فقد اغتابه، وإِنْ قال فيه بما لا يعلم، فَقَدْ بَهَتَه[١]»[٢].

أثر الغيبة على الترابط الاجتماعي:

الغيبة من الأمراض الاجتماعية التي يجب أن يطهر منها المجتمع، ويحذر منها الناس فلا يغتاب بعضهم بعضاً، وقد حرمها الله ونهى عنها، لما فيها من تقطيع أواصر الأخوة الإيمانية، وإفساد المودات، وبذر بذور العداوات، وذلك لأن الغيبة في الغالب لا تَبْقَى سرّاً، بل يصل العلم بها إلى من اغتيب - فقَلَّ في الناس من يكتم حديثاً - وعندئذٍ يغضب ممن اغتابه، ويحقد عليه، وينتقم منه بمثل عمله أو بأقبح منه، بالإضافة إلى أن في نشر معايب الناس في المجتمع تشجيعاً على الاستهانة بها، وعلى ارتكاب مثلها أو أقبح منها، لاسيما إذا كان المتحدث عنه من المعروفين بالاستقامة، أو من مستوري الحال، أو ممن يشار إليه بالبنان في العلم والصلاح، أو من الدعاة إلى الخير.

٤. النميمة:

النميمة هي: "نَقْل الحديث من قَوم إلى قَوم، على جهة الإفسادِ والشَّرّ"[٣]. وهي السعي بين الناس بالإفساد، لتحريض الناس بعضهم على بعض، والإيقاع بهم، وشحن قلوبهم بالعداء والضغينة[٤].

---

(١) بَهَتَهُ يَبْهَتُهُ بفتحتين فَبُهِتَ بالبناء للمفعول وبَهَتَهَا بَهْتًا من باب نفع: قذفها بالباطل وافترى عليها الكذب، والاسم: البُهْتَانُ. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، ص: ٦٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب...رقم الحديث: (٧٣٤)، ص: ٢٥٢. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٧٢.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ٩٤٣.

(٤) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٢/٢٤٦.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون ما العَضْهُ؟**» **قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:** «**نقل الحديث مِنْ بعض الناس إلى بعض؛ ليفسدوا بينهم**»[١].

قال ابن حجر رحمه الله[٢]: "واختلف في الغيبة والنميمة هل هما متغايرتان أو متحدتان، والراجح التغاير وأن بينهما عموما وخصوصا وجهيا، وذلك لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه، سواء كان بعلمه أم بغير علمه، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركتا فيما عدا ذلك".

والنميمة من الآفات الاجتماعية الكبيرة، وجرمها عظيم، وقد وردت الأحاديث في التحذير منها، وبيان خطورتها على الفرد والمجتمع، فعن حذيفة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قَتَّات**[٣]»[٤].

وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بخياركم؟**». **قالوا: بلى. قال:** «**الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله، أَفَلا أُخْبِرُكم بِشِرَارِكم؟**».

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، رقم الحديث: (٤٢٥)، ص: ١٤٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٦٥.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري: ٥٨١/١٠.

(٣) القَتُّ نَمُّ الحديث وبَابُه رَدّ. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص:٤٥٣.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب النمام، رقم الحديث: (٣٢٢)، ص: ١١٥. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح،كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، رقم الحديث: (٥٧٠٩)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم الحديث: (٢٩٠).

قالوا: بَلَى. قال: ((المَشَّاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبّة الباغون البُرَآء العَنَتَ[(١)]))[(٢)].

دواعي النميمة:

"الباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه، وإما إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل"[(٣)].

حكم سماع النميمة[(٤)]:

وكلُّ مَنْ حُمِلت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان كذا لزمه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النَّمامَ فاسقٌ، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبّح فعله.

الثالث: أن يبغضَه في اللّه تعالى، فإنه بغيض عند اللّه تعالى، والبغضُ في اللّه تعالى واجب.

---

(١) العَنَت بفتحتين الإثم وبابُه طَرِب. الرازي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ٤٠٠. أي: الذين يطلبون نشر الفساد بين البرآء منه. السلفي، محمد لقمان، رَشُّ البَرَد شرح الأدب المفرد، ص: ١٧١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب النمام، رقم الحديث: (٣٢٣)، ص: ١١٥. وأحمد بن حنبل، المسند: ٢٢٧/٤، والطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ١٦٧/٢٤، والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٤٩٤/٧، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٣.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١٣٩/٣.

(٤) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المرجع السابق: ١٤٠/٣، والنووي، يحيى بن شرف، الأذكار، ص: ٥٣٩.

الرابع: أن لا يظنّ بالمنقول عنه السوء لقول اللّه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[١].

الخامس: أن لا يحملَه ما حُكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال اللّه تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[٢].

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمّامَ عنه فلا يحكي نميمته.

أثر النميمة على الترابط الاجتماعي:

النميمة لها مضار كثيرة، وآثار اجتماعية شنيعة، حيث إن نقل كلمة على جهة الإفساد قد يتسبب في الفصل بين زوجين أو تشتيت أسرة مستقرة، أو إيجاد البغضاء بين الوالد وأولاده، أو بين الأخ وأخيه، أو بين الجار وجاره، أو بين الرئيس ومرؤوسه، أو بين الشيخ وتلميذه...الخ، وهي من الأمراض الاجتماعية التي تعدّ مصدر الفرقة بعد الألفة، والبغضاء بعد المحبة، والعداوة بعد المسالمة، فبها تقطع العلاقات وتمزق أواصر الصلة، وتجلب لصاحبها العناء وكره الناس له[٣].

٥. الغش والمكر والخديعة:

الغش والخداع والتزييف والتغرير والتمويه كلها ألفاظ تفيد معاني متقاربة، تصلح أن تصب في قالب واحد، وهو أخذ حقوق الناس بالباطل.

---

(١) سورة الحجرات الآية: (١٢).

(٢) سورة الحجرات الآية: (١٢).

(٣) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ٢٨.

فالغش له أنواع وصور كثيرة، فعلى سبيل المثال هناك "غش سياسي: أي غش الراعي لرعيته، وغش اجتماعي: وهو النفاق في التعاملات والعلاقات الاجتماعية، وغش مالي: وبه يقع المسلم في أكل الحرام، ويدنس ماله ولقمة عيشه، وما من غش تتصوره بعد ذلك إلا وهو داخل تحت واحد من هذه الثلاثة، مثل غش العلماء بكتم الحق...ومثل غش الأغنياء أصحاب الشركات والمؤسسات المالية في امتصاص دم الشعب عامة والعمال خاصة وحرمانهم حقوقهم وما يجب لهم، ومثل غش المدرس، والطبيب، والمهندس فيما وُكل إليهم من أعمال"(١).

وهذه الأمراض الاجتماعية غريبة في المجتمع المسلم، فقد وصف النَّبيُ ﷺ المؤمن بأنه غِرّ أي: يغره كل أحد، ويغرّه كلّ شيء، ولا يعرف الشرّ وليس بذي مكر ولا فطنة للشرّ، فهو ينخدع لسلامة صدره وحسن ظنّه وينخدع لانقياده ولينه، وكريم أي: شريف الأخلاق، ووصف الفاجر بالمكر والخديعة والخبث والدهاء، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**المؤمنُ غِرٌّ كريم، والفاجر خَبٌّ لئيم**))(٢).

---

(١) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ١١٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ما ذكر في المكر والخديعة، رقم الحديث: (٤١٨)، ص: ١٤٥. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، رقم الحديث: (٤٧٩٠)، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البرّ والصة، باب ما جاء في البخيل، رقم الحديث: (١٩٦٤)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٦٢.

والخَبُّ بفتح الخاء المعجمة: الخداع والساعي بين الناس بالفساد والشر. ومعنى «خب لئيم» "أي: جريء فيسعى في الأرض بالفساد، فالمؤمن المحمود من كان طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلا، والفاجر من عادته الخبث والدهاء والتوغل في معرفة الشر، وليس ذا منه عقلا"[١].

ومن أنواع الغش والخداع التعامل بالربا؛ لأنه أكل لأموال الناس بالباطل والتزييف والمكر، وهو من كبائر الذنوب، فعن طيْسَلة بن مَيَّاس، قال: **كنت مع النجدات، فأصبتُ ذنوبا لا أراها من الكبائر، فذكرتُ ذلك لابن عمر قال: ما هي؟ قلت كذا وكذا. قال: ليست هذه من الكبائر هنّ تسع: الإشراك بالله، وقتل نَسَمَة، والفِرارُ من الزَّحفِ، وقذفُ المُحصَنة، وأكل الرّبا، وأكْلُ مال اليتيم، وإلحادٌ في المسجد، والذي يسْتَسْخِر، وبكاء الوالدين من العقوق**[٢].

ومن صور الغش والخداع - أيضا - الميسر والقمار، وقد ذكر الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] أن "الميسر: كلّ شيء فيه خطر"، والمعنى كل لعب يؤدي إلى المخاطرة بفقد المال نتيجة لذلك اللعب، وقد أكد الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المعنى عند ما قال[٤]: "والميسر هو القمار بأي نوع كان: نرد، أو شطرنج،

---

(١) المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير: ٦/٢٥٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب لين الكلام لوالديه، برقم: (٨)، ص: ١٥. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٦/٢٠٦. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٣٥.

(٣) الكفوي، أبو البقاء، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ص: ٨٠٣.

(٤) الذهبي، محمد بن عثمان، الكبائر، ص: ٨٨.

أو فصوص، أو كِعاب، أو جوز، أو بَيْض، أو حصى، أو غير، و هو من أكل أموال الناس بالباطل".

وقال الجيلاني رحمه الله[(١)]: "القمار: كل معاملة فيها الخطر للمتعاملين بها، وكل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئا سواء كان كالورق أو غيره".

وقد وردت أحاديث وآثار كثيرة تمنع منعا باتا القمار والميسر بأي شكل كان، فعن ابن عمر قال: ((**الميسر القمار**))[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من حلف منكم فقال في حلفه: باللات والعزّى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصَدَّق**))[(٣)]. أي "بالمال الذي يقامر به، وهذه التسمية بما يئول إليه، لا المال الذي حصل بالقمار، لأن الله لا يقبل الصدقة من حرام، أي ما أرادا أن يخرجاه للمعصية فليخرجاه في الطاعة ليكون ذلك كفارة لما حاول أن يصرفه فيه"[(٤)].

---

(١) الجيلاني، فضل الله، فضل الله الصمد : ٦٦١/٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب القمار، رقم الحديث: (١٢٦٠)، ص: ٤٦٣. والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: (٢٠٧٣٣)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من قال لصاحبه تعال: أقامرك، رقم الحديث: (١٢٦٢)، ص: ٤٦٣. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا، رقم الحديث: (٥٧٥٦)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، رقم الحديث: (١٦٤٧).

(٤) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ٤٥/٤.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: "الصواب الذي عليه المحققون، وهو ظاهر الحديث: أنه لا يختص بذلك المقدار، بل يتصدق بما تيسر مما ينطلق عليه اسم الصدقة، ويؤيده رواية معمر التي ذكرها مسلم: ((فليتصدق بشيء))".

وعن أبي موسى الأشعري، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ[2] فقد عصى الله ورسولَه**))[3].

وعن عبد الله بن مسعود قال: ((**إياكم وهاتين الكعبتين[4] الموسومتين اللتين تُزْجَران زجرا؛ فَإِنَّهما من الميسِر**))[5].

عن بُريدة (ابن الحُصَيب) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشير فكأنما صَبَغَ يده في لحم خنزير ودمه**))[6].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ١١/١١٠.

(٢) لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين، تعتمد على الحظ، وتنتقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفص [الزهر]، وتعرف عند العامة ب[الطاولة]، المعجم الوسيط، ص: ٩١٢، وهو النردشير الآتي في الحديث (١٢٧١).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إثم من لعب بالنرد، رقم الحديث: (١٢٦٩)، ص: ٤٦٥. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الأدب، باب النهي عن اللعب بالنرد، رقم الحديث: (٤٩٣٨)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن،كتاب الأدب، باب اللعب بالنرد، رقم الحديث: (٣٧٦٢)، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٨.

(٤) يعني: فصي النرد، الموسومتين: المعلّمتين بنقط.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إثم من لعب بالنرد، رقم الحديث: (١٢٧٠)، ص: ٤٦٦. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٥/٢٣٨، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٨.

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب إثم من لعب بالنرد، رقم الحديث: (١٢٧١)، ص: ٤٦٦. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير، رقم الحديث: (٢٢٦٠).

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص قال: ((**اللاّعب بالفصّين قِماراً، كآكل لحم الخنزير، واللاّعب بهما غير قمار، كالغامس يده في دم خنزير**))(١).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يشددون في منع تعاطي القمار والميسر سواء في داخل أسرهم أم في المجتمع، وذلك لما يترتب عليهما من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، فعن نافع: ((**أن عبد الله بن عمر كان إذا وجد أحدا من أهله يلعب بالنرد ضربه وكَسَرها**))(٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها -: **أنّه بلغها أنّ أهل بيت في دارها كانوا سُكّانا فيها عندهم نَرد، فأرسلَتْ إليهم: ((لئن لم تخرجوها لأخرجنّكم من داري))، وأنْكَرَتْ ذلك عليهم**))(٣).

وعن كلثوم بن جبر رضي الله عنه قال: **خطبنا ابن الزبير فقال: ((يا أهل مكة،**

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأدب وإخراج الذين يلعبون بالنرد وأهل الباطل، رقم الحديث: (١٢٧٧)، ص: ٤٦٧. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأدب وإخراج الذين يلعبون بالنرد وأهل الباطل، رقم الحديث: (١٢٧٣)، ص: ٤٦٦. ومالك بن أنس الأصبحي، الموطأ: ٩٥٨/٢، والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ٢١٦/١٠،، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٩.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأدب وإخراج الذين يلعبون بالنرد وأهل الباطل، رقم الحديث: (١٢٧٤)، ص:٤٦٦. ومالك بن أنس الأصبحي، الموطأ: ٩٥٨/٢، والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ٢١٦/١٠، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٩.

بَلَغَني عن رجال من قريش يلعبون بلُعْبَة يقال لها النردشير – وكان أعسر – قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾[1] وإنّي أحلف بالله لا أُوتَى برجل لَعِبَ بها إلاّ عاقبتُه في شَعره وبَشَره، وَأَعْطَيْتُ سَلَبَه لمن أتاني به»[2].

أثر الغش والخداع والمكر على الترابط الاجتماعي:

الغش بجميع أنواعه وصوره وأشكاله له آثار سلبية على التماسك والترابط الاجتماعي، والمجتمع الذي تتفشى فيه هذه الأمراض على وجه تصير مألوفة لا تبغض، معروفة لا تنكر، مرضية لا يسخط عليها، هو مجتمع يسير إلى فناء مادي أو أدبي أو إليهما معا. وهو مجتمع سخط الفضيلة وحاربها، ورضي الرذيلة وناصرها، وانصدع فيه برج الأخلاق فلم يعد يراه الناس إلا كما يرون ركاما تخللته الحشرات، واتخذت فيه الثعالب والذئاب مئاوي لها ومنازل،[3] وعندئذ تتمزق العلاقات الاجتماعات، وتتقطع أواصر الصلة والمحبة، ويصبح المجتمع مجتمع وحوش مخادعة ثعلبية، يبيت كل منها على نية غدر لجاره وقريبه وبني جنسه.

٦. الفحش واللعن والسب وبذاءة اللسان:

هذه الأمور من الأخلاق السيئة التي حرمتها السنة النبوية، وينبغي تنشئة المتربين على تجنبها، وقد ورد في التحذير منها أحاديث كثيرة،

---

(١) سورة المائدة الآية: (٩٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب الأدب وإخراج الذين يلعبون بالنرد وأهل الباطل، رقم الحديث: (١٢٧٥)، ص:٤٦٧. والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ٢١٦/١٠، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٨٩.

(٣) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص: ١١٥.

منها ما رواه المصنِّف عن عبد الله [هو ابن مسعود]، عن النَّبيّ ﷺ قال: ((**لَيسَ المُؤمن بالطّعّان، ولا اللّعّان، ولا الفاحِش، ولا البذيء**))(١).

وعنه - أيضا - قال: ((**أَلْأَم أخلاق المؤمن الفُحْش**))(٢).

وعن أبي الدرداء قال: قال النبي ﷺ: ((**إن اللّعانين لا يكونون يوم القيامة شهدَاءَ ولا شفعاء**))(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ((**لا ينبغي للصّدّيق أنْ يَكُون لَعَّاناً**))(٤).

وعن حذيفة قال: ((**ما تلاعَنَ قَوْمٌ قَطُّ إلا حُقّ عليهم اللَّعنة**))(٥).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليس المؤمن بالطعان، رقم الحديث: (٣١٢)، ص: ١١٢. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم الحديث: (١٩٧٧)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ١٣٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب ليس المؤمن بالطعان، رقم الحديث: (٣١٤)، ص: ١١٣. وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار: ٢١١/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفر، ص: ١٣١.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب اللعان، رقم الحديث: (٣١٦)، ص: ١١٣. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث: (٢٥٩٨).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب اللعان، رقم الحديث: (٣١٧)، ص: ١١٣. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث: (٢٥٩٧).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب اللعان، رقم الحديث: (٣١٨)، ص: ١١٣. والصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، الكتاب المصنف: ٤١٣/١٠، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار: ٤٧٤/٧، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣١.

وعن عائشة: أَنَّ أبا بكر لَعَن بعض رقيقه، فقال النبي ﷺ: ((**يَا أبا بَكرٍ! اللّعانون والصّدّيقين؟! كَلاّ وربّ الكعبة**)) (**مرّتين أو ثلاثا**). **فأعتقَ أبو بكر يومئذٍ بعضَ رَقِيقه، ثُمّ جاءَ النَّبيَّ ﷺ فقال: لا أعود**[١].

وعن أبي هريرة قال: **قيل: يا رسول الله أُدعُ الله على المشركين. قال:** ((**إنّي لم أُبْعَثْ لعَّاناً، ولكنْ بُعِثْتُ رحمة**))[٢].

وعن أنس قال: **لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا، ولا لعانا، ولا سبّابا كان يقول عند المَعْتَبَة:** ((**مَالَه تَرِبَ جَبِينُه**[٣]))[٤].

وعن سعد بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**))[٥].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من لعن عبده فأعتقه، رقم الحديث: (٣١٩)، ص: ١١٤. والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٢٩٤/٤، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٣٢.

(٢) البخاريو الأدب المفرد، باب لعن الكافر، برقم (٣٢١)، ص: ١١٥. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدوابّ وغيرها، رقم الحديث: (٦٦١٣).

(٣) قيل: أراد به دُعاء له بكثرة السُّجود. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص: ١٠٦.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سباب المسلم فسوق، رقم الحديث: (٤٣٠)، ص: ١٤٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم الحديث: (٥٦٩٩).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب سباب المسلم فسوق، رقم الحديث: (٤٣١)، ص: ١٤٨. والبخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم الحديث: (٤٨)، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، رقم الحديث: (٢٢١)

وعن عياض بن حمار س قال: **قلت: يا رسول الله! الرَّجُل يَسُبُّني؟. قال النَّبيُّ** ﷺ «**المُستَبّان شيطانان يتهاتران**[١] **ويتكاذبان**»[٢].

دواعي الفحش وبذاءة اللسان:

فالسب والشتم واللعن والفحش وبذاءة اللسان من الظواهر المتفشية في محيط بعض المتربين، والسبب في ذلك يعود إلى أمرين أساسيين:

١. البيئة الفاسدة:

فالمتربي الذي يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب، وألفاظ الشتم واللعن، فإنه يتعود ترداد هذه الألفاظ، وكذلك المتربي الذي يُترك لقرناء السوء من البدهي أن يتلقن منهم لغة اللعن والسباب، وكلمات الفحش، ومن الطبيعي أن يكتسب منهم الألفاظ والعادات والأخلاق السيئة[٣].

قال الغزالي رحمه الله[٤]: "والباعث على الفحش، إما قصد الإيذاء، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومَنْ عَادتُهم السبّ".

---

(١) تَهَاتَر الرجلان: إذا ادَّعى كل واحد منهما على صاحِبه باطلا. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص: ٥٩٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان، رقم الحديث: (٤٢٧)، ص: ١٤٨. وأحمد بن حنبل، المسند: ١٦٢/٤، والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٢٨٢/٥، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الأدب المفرد، ص: ١٦٥.

(٣) الجهني، حنان عطية الطوري، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة المراهقة: ٢١٣/١.

(٤) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ١١٠/٣.

٢. الحقد والكراهية:

قد يكون سببُ اللعن والسب التشفيَّ النابعَ من الحقد والكره وفوران الغضب، فيتكلم الإنسان بحقد وكراهية، ويطلق ألفاظا بذيئة، دون أن يدرك عواقب ما يقول(١).

أثر الفحش واللعن والسب وبذاءة اللسان على الترابط الاجتماعي:

يجب على المربين أن يعطوا المتربي القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير، ومما لا بد أن يبصروه به مغبة آفات اللسان، ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع، وقد يؤدي بالمتسابين إلى التلاحم بالأيدي، وهو سلوك فاحش بذيء يمقته أصحاب الذوق السليم، فضلا عن حرمته(٢). هذا بعض من الأمراض الاجتماعية التي يجب التخلص منها، لسلامة المجتمع وأمنه وتماسكه وترابطه.

الأسباب العامة لتلك الأمراض الاجتماعية:

إن الخطوة الأولى نحو علاج أي مرض يبدأ بتشخيص الداء ومعرفة سببه، ومن ثم وصف العلاج المناسب، وإن كل مرض من الأمراض الاجتماعية له أسبابه الخاصة به، غير أن هناك أسبابا عامة لجميع هذه الأمراض، ويمكن إيجاز أهم العوامل والأسباب التي تؤدي إلى الأمراض الاجتماعية فيما يلي:

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ٣٦.

(٢) الحازمي، خالد بن حامد، المرجع السابق، ص: ٣٦.

١. ضعف التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية تبدأ من الأسرة، فهي المسؤولة بالدرجة الأولى عن تربية أبنائها تربية إسلامية صحيحة، ولذا فإن تقصيرها أو إهمالها لتربيتهم، أو استعمالها الأساليب التربوية الخاطئة، مثل التدليل المفرط، أو القسوة والتشديد في أسلوب التربية... كل ذلك يؤثر سلبا في التنشئة الاجتماعية، ويكون سببا من أسباب انحراف المتربين وتفشي الأمراض الاجتماعية بينهم.

وقد يكون سبب ضعف التنشئة في الأسرة ناجما عن وجود قدوة سيئة من أحد أفراد الأسرة، أو بسبب التفكك الأسري، حيث أثبتت الدراسات وجود العلاقة بين التفكك الأسري والانحراف لدى المتربين، ويتمثل الانفكاك الأسري في الطلاق أو الوفاة أو ظهور خلافات مستمرة بين الأب والأم[١].

وقد يكون سبب ضعف التنشئة الاجتماعية ناجما عن تقصير المؤسسات التربوية في أداء مسؤوليتها التربوية، فهذه المؤسسات بمناهجها ومعلميها وبيئاتها تسهم في إصلاح أو فساد وانحراف الناشئة، فالمناهج غير الجيدة في مضمونها وإخراجها، والمعلم سيئ القدوة، والأنشطة غير الهادفة، جميعها تؤثر تأثيراً سلبيا على سلوك الطلاب في مختلف مراحلهم التعليمية مما يجعلها سببا لانحرافهم، وانتشار الأمراض الاجتماعية بينهم، وقد دلت الدراسات العلمية أن أكثر الأحداث المنحرفين هم ممن رسبوا أو تسربوا أو فصلوا من مدارسهم[٢].

---

(١) الزحيلي، محمد، الإسلام والشباب، ص: ١٢١ – ١٣٠.

(٢) المغامسي، سعيد بن فالح، التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، ص: ٤٥.

٢. القدوة السيئة:

القدوة لها تأثير كبير في مجال التربية والسلوك، فإذا كانت صالحة أثرت في غرس القيم الصالحة، وتنمية الأخلاق الفاضلة، وإذا كانت القدوة فاسدة وسيئة، فإنها تدفع بالمتربين نحو الانحلال الأخلاقي، والانحراف السلوكي، وتأثيرها في تدمير الأخلاق بالغ؛ لأنها تجسد الانحرافات السلوكية عمليا، لاسيما إذا كان المتمثل بالقدوة شخصية محببة لنفسية الفرد، ويجد ميلا إليها، كالأب والمعلم والصديق، أو أن يتصف صاحب القدوة السيئة بملامح فيها نوع من القوة الجسمية أو الذهنية...فيعجب به الآخرون، ويحذون حذوه في انحرافه[١].

٣. الصحبة الفاسدة:

تعدّ الأمراض الاجتماعية من الأمراض المعدية التي يمكن أن ينتقل إلى الإنسان عن طريق الرفقة السيئة وقرناء السوء، فهؤلاء لهم تأثير سيئ على الرفيق في سلوكه وأخلاقه، كما قال ابن القيم رحمه الله[٢]: "توجب له تشتتا وتفرقا، وهما وغما وضعفا، وحملا لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة، هذا وكم جلبت خلطة الناس من نقمة! ودفعت من نعمة! وأنزلت من منحة! وعطلت من محنة! وأحلت من رزية! وأوقعت في بلية!"

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١٤٨.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين: ١/٤٥٥.

وقد بينت السنة النبوية خطورة الرفقة السيئة على سلوك الإنسان، في حديث أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال «**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة**»(١).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢).

٤. التقاعس عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من أسباب انتشار الأمراض الاجتماعية ضعف التناصح الاجتماعي، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو أساس صحة المجتمع وسلامته، عن حذيفة بن اليمان: عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتَأمُرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكَنّ الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يُستجَاب لكم**»(٣).

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم الحديث: (٥٢١٤) واللفظ له، ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث: (٢٦٢٨).

(٢) أحمد بن حنبل، المسند: ٣٠٣/٤، والبيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ٥٥/٧، وحسنه الألباني، محمد ناصر الدين، الجامع الصغير وزيادته: ٥٨٦/١. (٣٥٤٥).

(٣) أحمد بن حنبل، المسند: ٣٨٨/٥، والترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح ، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث: (٢١٦٩)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي: ٤٦٠/٢.

"وإذا ضعف التناصح الاجتماعي، وجد المنحرف المجال مفتوحا أمامه للإفساد، لا ينهاه أحد عن انحرافه ولا ينتقده ناقد، وبالتالي يمتدّ في طغيانه واعوجاجه، وربما تأثر به غيره، فلا تجد المرأة من ينهاها عن الخلق الذميم، ولا يجد الصغير من يؤدبه عن الفعل المشين، ولا يجد الشاب من يحذّره عن السلوك الذميم، ولا يؤمر المسن بالفعل الصحيح والخلق الرفيع، كل مشغول بنفسه، ومن هنا ينهار المجتمع؛ لأن أفراده يجدون مساحة من الحريّة الخالية من النقد والنهي، فلا يجد الفرد غضاضة من اتباع الهوى"[١].

٥. الغزو الثقافي:

وهو مجموعة الجهود التي اتخذها أعداء الإسلام ضد الأمة الإسلامية بقصد التأثير عليها في جميع الميادين التعليمية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية...باستخدام الوسائل والأساليب التي يراها مناسبة من أجل صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم، وأخلاقهم وسير سلف الأمة الصالح[٢].

وهذا الغزو الثقافي أدخل في روح المغلوبين من المسلمين أن الانحلال والفساد من ضروريات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة، وقد ظهر هذا الانحلال في البداية في السلوك الفردي، فانحرف الناس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمور والفجور والقمار والربا ونحو ذلك، فانحرف الشباب، وفسدت الروابط الأسرية،

---

(١) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١٥٣.

(٢) الرحيلي، حمود بن أحمد، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، ص: ١٧.

وانهارت القيم الخلقية والاجتماعية عند ما شهد العالم الإسلامي تغييرا اجتماعيا استجابة لدعوات التغريب على يد المستعمرين ومؤسساتهم التبشيرية والاستشراقية، وعلى يد تلاميذ المستشرقين والمستعمرين من المسلمين[١].

٦. وسائل الاتصال:

وهي مجموعة الوسائل التي يتعامل معها الفرد ليتعرف على ما حوله، ويدخل فيها وسائل التثقيف من الكتب والدوريات والمجلات والصحف والإنترنت... وأثرها يعتمد على محتواها، فإن كان صالحا يدل على الخير ويحث عليه ويقدمه للقراء كان لبنة صالحة في البناء الاجتماعي للأفراد، وإن كان محتواها غير صالح لما يحتويه من انحرافات وضلالات، فإن أثره سيكون سلبيا على البناء الاجتماعي للأفراد، ويكون سببا في انتشار الأمراض الاجتماعية.

ويحتل صدارة وسائل الاتصال التلفاز، تلك الأداة التي جمعت بين أهم الحواس البشرية وهما السمع والبصر، فأخذت بالألباب واجتاحت العالم بأسره، فلا يكاد يوجد منزل يخلو منه، وجل ما يعرض في التلفاز من برامج بعيدة عن الدعوة إلى الاستقامة والصلاح، وعما يجلب السعادة والسلام الاجتماعي للأفراد، بل على النقيض من ذلك يُعرض فيه ما يدعو إلى الوقوع في السلوكيات والأخلاق المنحرفة، وقد يصل الأمر فيه إلى تزيين السلوك السيئ وإغراء الناس به[٢].

---

(١) الرحيلي، حمود بن أحمد، المرجع السابق، ص:٤٣.

(٢) الصنيع، صالح بن إبراهيم ين عبد اللطيف، الصحة النفسية من منظور إسلامي بين علماء الإسلام وعلماء النفس، ص: ٤٠٦ – ٤٠٧.

الوسائل التربوية للتخلص من الأمراض الاجتماعية:

بعد أن بين الباحث أهم الأسباب التي قد تؤدي إلى انتشار الأمراض الاجتماعية بين أفراد المجتمع، آن له أن يوضح أهم الأسس التربوية للتخلص من هذه الأمراض، ووقاية للأفراد من الوقوع فيها، ويمكن بيانها على النحو التالي:

١. تطهير البيئة الاجتماعية من مظاهر الفساد:

إذا أردنا تنشئة المتربي على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، وتجنبه الأمراض الاجتماعية فلا بدّ من العمل على تهيئة بيئة صالحة تساعد على نمو القيم والأخلاق الحسنة؛ لأن تنشئة الطفل الصالح كتنشئة الزرع الصالح، وكما أنّه لا يمكن تنشئة الزرع الصالح قبل تهيئة الأرض وإصلاحها، كذلك لا يمكن أن ننشئ أطفالا ونربيهم تربية اجتماعية وأخلاقية صالحة في مجتمع فاسد...ذلك أن الأمراض الاجتماعية والخلقية كالأمراض البيولوجية تنتقل بالعدوى الاجتماعية وبالمحاكاة والتقليد، إذ لا يمكن أن يبقى شخص سليماً إذا كان يعيش في بيئة اجتماعية موبوءة بالأمراض، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأمراض الاجتماعية إذ لا يمكن وقاية الأطفال الذين نريد تربيتهم تربية اجتماعية مع فساد المجتمع الذي يعيشون فيه(١).

ويتم تطهير البيئة الاجتماعية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أمرت السنة النبوية كل فرد بإزالة ما يراه من مفاسد في المجتمع وتطهير البيئة عن كل فاحشة تقع عيناه عليها، وجعله مسؤولا عن ذلك بقدر استطاعته ونفوذ حدوده وسلطانه، فعن أبي سعيد الخدري قال:

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: ٣١٢.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ رأى منكم منكرا فليُغَيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

ويجب أن تشارك جميع المؤسسات الاجتماعية في عملية تطهير البيئة الاجتماعية من مظاهر الفساد، بدءا من الأسرة والبيت، فالمؤسسات التعليمية والمساجد، ثم وسائل الإعلام التي لها دور كبير في نشر الرذائل الخلقية والأمراض الاجتماعية، "فإن الإعلام من أنجح وأقوى الوسائل المعاصرة تأثيرا على المجتمعات والأفراد، إذا أحسن استغلاله من قبل المجتمعات الإسلامية بإنشاء قنوات فضائية شرعية، تبث للعالم كلمة التوحيد وما تحمله من نور ومنهاج يحقق له سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، ويهدم بها معاقل الشّرّ والفساد الخلقي الذي بات يهدد المجتمعات الإسلامية في عقر دارها"(٢).

٢. اختيار الصحبة الصالحة:

سبق أن بين الباحث أن الرفقة أو الصحبة لها أثر كبير في توجيه النشءِ سلبا أو إيجابا، ولذا فإن من الأسس التربوية الناجحة للتخلص من الأمراض الاجتماعية تكوين صحبة صالحة ذوي أخلاق حميدة وطبائع طيبة، وتكون أهمية اتخاذ الرفقة الصالحة في المراحل الأولى من عمر الإنسان أكثر ضرورة وبخاصة مرحلة المراهقة وما قبلها، لأن التأثر في ذلك الوقت

---

(١) مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث: (١٧٧).

(٢) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١٦٥.

يكون أكثر وأسرع، ولذا يجب على الآباء والمربين أن يساعدوا أبناءهم والمتربين في تكوين هذه الصحبة، وأن يختاروا لهم أصدقاء من الأسر المشتهرة بالصلاح والأخلاق، لأن الصداقة تقتضي التزاور والاختلاط مع باقي أفراد الأسرة، وأن يحذروهم بطريقة غير مباشرة من مرافقة الأشرار وسيئي الأخلاق، ولا يكون ذلك بطريق الأوامر؛ لأن المتربين في هذه المرحلة من حياتهم لا يطيقون كثرة الأوامر، كما أن ذلك يؤدي إلى تقليل الثقة بالنفس لدى الأبناء[١].

٣. تكوين القدوةالحسنة:

إن للقدوة الحسنة بالغ الأهمية في عملية تربية الفرد وتنشئته، ولها أثر كبير في تغيير الاتجاهات وتعديل السلوك، والأخذ بيد المتربين نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

وتمثل شخصية الرسول ﷺ القدوة الحسنة التي تمثلت القرآن الكريم، وحولت مبادئه ومعانيه إلى تصرفات سلوكية ومعاملات ومشاعر... ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((**كان خلقه القرآن**))[٢].

ولقد دعا القرآن الكريم إلى الاقتداء بالرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٣].

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: ٣٣٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، رقم الحديث: (٣٠٨)، ص: ١١١. ومسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، رقم الحديث: (١٧٣٩).

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٢١.

"والقرآن إذ يركز على ضرورة الاقتداء بالرسول باعتباره أسوة حسنة، فإن التربية الإسلامية تتخذ من القدوة طريقا لتحقيق أهدافها، فالمعلم ليكون قدوة لا بد وأن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به، إذ يربي على هديه، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله، وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ويتأسوا به في كل حركاته وسكناته، فضلا عن أخلاقه ومنهجه، وإلا فإن التربية تنقلب إلى تلقين وضغط وتسميع دون أي أثر عملي لها"(١).

والقدوة لها أهمية كبيرة كطريقة من طرق التربية وكأساس من أسس التخلص من الأمراض الاجتماعية أو الوقاية منها، فالطفل بحاجة إلى قدوة في أسرته وخارجها، كما يحتاج كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي إلى قدوة تتمثل فيها الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة.

"ويفضل أن تكون القدوة من المربين والآباء في الدرجة الأولى؛ لأن عيون الأطفال معقودة عليهم، وشخصياتهم ماثلة أمام ناظرهم في حالة المشاهدة، وفي خيالهم في حالة غيابهم، ثم إن تأثيرهم عن طريق القدوة تأثير نفسي عاطفي، يحرك مشاعرهم ويدفعهم إلى السلوك أكثر من تأثير أوامرهم المباشرة"(٢).

ولا يكفي للتخلص من الأمراض الاجتماعية أن يكون المربون والمحيطون بالمتربين قدوة حسنة في الأخلاق فحسب، بل لا بدّ من أن يكون المجتمع كله قدوة حسنة فلا يظهر فيه ما ينافي الأخلاق، وكل ما يقع في هذا المجتمع يجب أن يكون متفقا مع المبادئ الأخلاقية، والقيم الاجتماعية الإسلامية(٣).

---

(١) أبو العينين، علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص: ٢٣٠ — ٢٣١.

(٢) ياجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: ٣٣٤

(٣) ياجن، مقداد، المرجع السابق، ص: ٣٣٧

٤. الإقناع العقلي:

من الوسائل التربوية للتخلص من الأمراض الاجتماعية: محاولة إقناع المتربي بأن الأخلاق بصفة عامة أمر منطقي خاضع للعقل، ذلك أن أي سلوك إذا لم يعتمد على أساس من المنطق المقنع، لن يجد الدافع الذاتي الكافي، ولا الجذب النفسي الذي يشدّ الإنسان إلى النزوع إليه، ومن ثم لن يكون صاحبه عازما ولا حازما في سيره على طريق الفضيلة[١].

ويتم الإقناع عن طريق التربية الفكرية التي تنمي الذكاء، وتزود قدراته الإدراكية، وذلك من عوامل النمو الخلقي، إذ إن هناك علاقة بين مستوى الإدراك وبين السلوك الأخلاقي، فإن أكثر الناس إدراكا وبصيرة أكثرهم احتمالا للاستقامة، وإن أقلهم إدراكا أكثرهم انحلالا، "ومن ثم تتبين علاقة انخفاض مستوى الذكاء بالمشاكل التي تؤدي بالفرد إلى الجنوح أو الجريمة، فالفرد ضعيف العقل لا يستطيع أن يميز بين الطرق السوية وغير السوية في تحقيق أغراضه، وقد ينقاد إلى الإغراء من غير تبصر، ولا يدرك النتائج التي تترتب عليها، وينتهي به الأمر إلى الانحراف وارتكاب الجريمة، وقد ثبتت صحة هذا الفرض نتيجة عدد من الأبحاث التي اتجهت إلى دراسة العلاقة بين الذكاء وبين الانحراف الخلقي"[٢].

ومن وسائل الإقناع العقلي بضرورة تجنب الأمراض الاجتماعية والتخلص منها: استخدام الحقائق العلمية لإبراز الحقائق الأخلاقية وقيمها المختلفة،

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: ٣٥٥.

(٢) محمود، وجيه، الفروق الفردية في القدرات العقلية، ص: ١٧٧.

ذلك أنه لا يستوي إطلاقا من يعرف مضار المحرّمات وفوائد الفضائل المختلفة ومن يجهلها، فالذي يعرف مدى ضرر الخمور على صحة المرء من الناحية البيولوجية والفسيولوجية والعقلية، ومدى خطورة الأمراض التي تنتقل عن طريق ارتكاب الفاحشة في حياة المرء وحياة نسله، وكذلك أضرار الأمراض الاجتماعية بصفة عامة في نفس المرء، ومدى أثرها في انهيار الحياة الاجتماعية، لا يمكن أن يتساوى موقفه مع موقف الجاهل بكل هذه الحقائق(١)، ولذا يجب السعي إلى نشر العلم؛ لأنه "يُعَرِّف الإنسان ما أمر الله به فيتبعه، وما نهى عنه فيجتنبه، وأفضل العلوم وأشرفها علم الشريعة، وما يتفرع عنها من علوم علمية، فهو العلم الذي يقرب العبد من ربه ويزين له الفضيلة والأخذ بها، ويبعده عن المعصية، ويكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، ولذلك فإن أكثر الناس خشية لله وأبعدهم عن مساوئ الأخلاق أهل العلم، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾(٢)"(٣).

بالإضافة إلى العلم الشرعي نحتاج إلى العلوم الأخرى لإقناع المتربي بأضرار الأمراض الاجتماعية حتى يتجنبها، فنحن بحاجة – على سبيل المثال – إلى علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي "لنبصرهم كيف أن الانحلال الخلقي يقلل الروابط الاجتماعية، ويزيل من المجتمع الطمأنينة النفسية والاستقرار النفسي ويحول هذه الحياة إلى جحيم لا يطاق، وكيف أن سيادة الأخلاق الفاضلة

---

(١) يالجن، مقداد، المرجع السابق، ص: ٣٦٧ – ٣٦٨.

(٢) سورة فاطر الآية: (٢٨).

(٣) الحازمي، خالد بن حامد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ص: ١٥٨.

في المجتمع تبني مجتمعا شامخ البنيان وتجعل حياته مستقرة آمنة مطمئنة، ومن ثم تجعلها في سعادة دائمة، ونحن بحاجة إلى التاريخ لنضرب مثلا كيف أن الأمم انهارت بسبب انهيار أخلاقها، وسادت بسموّ أخلاقها، وكيف ساد الخير وعمّ الأفراد عند ما تعاون أفراد تلك الأمم على تحقيق الخيرات، وعند ما تعاونوا على إزالة المفسدات المهلكات"[١].

٥. الوعظ والنصح:

من أهم الوسائل التربوية للتخلص من الأمراض الاجتماعية الوعظ والنصح، ولكي تكون الموعظة مؤثرة لا بد وأن يتوافر لها الأجواء التي تساعدها على شق "طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هزّا وتثير كوامنه لحظة من الوقت"[٢]، وأيضا لا بد من توافر "القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة الصحيحة، فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس وتصبح دافعا من أعظم الدوافع في تربية النفوس"[٣] "مما يسهم في تغيير سلوك الفرد وإكسابه الصفات المرغوب فيها"[٤].

والمتربي في الغالب يقبل النصح والعظة خاصة "من محبيه وناصحيه فالنصح والوعظ يصبح في هذه الحالة ذا تأثير بليغ في نفس المخاطب، ولاسيما فيما يكون صادرا عن محبة ومن القلب إلى القلب، فالنصح والوعظ من والد محبّ أو والدة أو أخ كبير أو صديق أو معلم أو شيخ محترم قد يغيّر

---

(١) يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص: ٣٤٨.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ١، ص: ١٨٧.

(٣) قطب، محمد، المرجع السابق.

(٤) بكر، عبد الجواد سيد، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ص: ٣٤٩.

مجرى حياة الإنسان، وما لم يكن النصح والوعظ صادرا من القلب وإلى القلب فتأثيره يكون ضعيفا أو معدوما تقريبا"(١).

٦. الترغيب والترهيب:

يكون الترغيب بالإثابة، وهي السرور الذي ندخله في نفس المتربي عقب فعله أي فضيلة من الفضائل لتقترن بالسرور باستمرار، سواء كان السرور الذي ندخله في نفسه ماديا أو معنويا، أما الترهيب فيكون بالعقوبة، وهي الألم الذي نوقعه في نفس المتربي بعد كل رذيلة أو خطيئة يرتكبها، وذلك لتقترن الرذيلة بالشرّ في حسه الباطن وفي وعيه الكامن(٢).

وهاتان الوسيلتان لهما أهمية كبيرة لاسيما في المراحل الأولى من نمو الطفل، فمن الناحية السلوكية وجد أن للعقاب آثارا إيجابية في صلاح الشخصية، فالإنسان بطبعه يميل إلى تجنب السلوك الذي يقترن بالخبرات المؤلمة، كما يميل إلى تكرار السلوك الذي يرتبط بخبرة سارة(٣).

والعقوبة عند علماء التربية لها أهداف تربوية كثيرة منها: الحماية والمنع والمجاراة والإصلاح "فالأولى تحمي المجتمع من الأشرار، والثانية تصلح لمنع الشّخص الطاهر القلب الذي يتعظ بحوادث غيره من الإثم، والثالثة تجعل العقاب ملائما للجريمة من غير تفرقة بين شخص أو آخر، والرابعة تجعل العقاب مناسبا للجرم بأن تنظر إلى أحوال المذنب وأخلاقه وبيئته والداعي الذي حمله على اقتراف جريمته، فتعاقب كل مذنب على ما يستحق من عقاب"(٤).

---

(١) الجمالي، محمد فاضل، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، ص: ١١١.

(٢) يالجن، مقداد، المرجع السابق، ص: ٤٢٦.

(٣) السملوطي، نبيل، علم اجتماع العقاب: ١/١١٥.

(٤) الأبراشي، محمد عطية، الاتجاهات الحديثة في التربية، ص: ٣١٣.

ولكي تحقق العقوبة أهدافها المتعلقة بتقويم سلوك المتربين، وإصلاح أمرهم واستمرار نموهم السويّ، يجب أن تكون رادعة على المستويين الحسي والمعنوي، بحيث "تختلف في نوعها وشدّتها باختلاف تصرف الخارج عن النظام وبمدى خطورة هذا التصرف ومستوى المخالفة"[١].

ولقد دعا علماء التربية المسلمون إلى الأخذ بمبدأ الترغيب والترهيب، كوسيلة لتقويم السلوك وتنمية الفضائل، قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: "ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة، فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره ولا يكاشفه، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه، ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا، والأم تخوفه بالأب، وتزجره عن القبائح".

وبعد: هذه هي أهم الوسائل التربوية للتخلص من الأمراض الاجتماعية التي إذا لم تعالج تكون معول هدم للروابط الاجتماعية، وسبباً من أسباب انهيار الأمم والمجتمعات، ولذا يجب أن يتعاون جميع المؤسسات الاجتماعية في ترسيخ المبادئ الأخلاقية الإسلامية، وتنفير الناشئة وتحذيرهم من الرذائل الخلقية بجميع أنواعها وأشكالها.

---

(١) الشيباني، عمر محمد التومي، من أسس التربية الإسلامية، ص: ٤٥٩.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: (٦٦/٣)

الخاتمة:

النتائج والتوصيات والمقترحات:

- **النتائج**.
- **التوصيات والمقترحات**.

الحمد لله أولا وآخرا على ما أنعم به عليّ من نعم عظيمة، ومنها كتابة هذه الأطروحة العلمية، وفي خاتمتها أسأل الله سبحانه أن يتقبلها بقبول حسن، وأن يجعلها خالصَة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها عباده الصالحين من التربويين وغيرهم.

وبعد هذا ما تيسر جمعه مما يتعلق بموضوع مضامين التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتاب الأدب، حاول الباحث صياغة هذه المضامين صياغة تربوية ليستفيد منها الآباء والمربون، وينهلوا من هذه المعين الصافي الذي لا ينضب، أعني السنة النبوية بما تحتوي من كنوز تربوية نحن بأمس الحاجة إلى استجلائها والاستفادة منها في العملية التربوية الحديثة، ويختم الباحث دراسته هذه بذكر أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

أولا: النتائج:

يجدر في نهاية هذه الرسالة بيان أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وهي كالتالي:

١- أظهرت الدراسة اهتمام السنة النبوية بالتكامل والتوازن بين جميع الجوانب التربوية الجسمية والروحية والعقلية والاجتماعية...، التي تهدف إلى تكوين شخصية إسلامية متكاملة، وهذا مما يميز منهج التربية النبوية عن غيره من المناهج التربوية القديمة والحديثة بشموله لمختلف أبعاد حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وعنايته الكاملة بجميع جوانب النفس البشرية التي اختلفت و تباينت الطروحات الفكرية والفلسفية في شأنها.

٢- كشفت هذه أن التربية النبوية في إطار اهتمامها بالتكامل والتوازن التربوي، تولي اهتماما كبيرا بالجانب الاجتماعي لتأثيره الخطير في تنشئة الفرد وبناء شخصيته وتكوين اتجاهه وسلوكه؛ ولذا فإن عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دورًا مهمًّا في تشكيل سلوك الإنسان، ومن ثم شخصيته الإنسانية، التي تتكون من تفاعل الإنسان مع البيئة الاجتماعية في مراحل عمره المختلفة.

٣- أثبتت الدراسة اهتمام التربية الاجتماعية النبوية بالأسرة اهتماما بالغا لكونها الوعاء التربوي، ومن ثَمَّ فهي توجه العناية لها حيث تهتم بإعداد الأفراد ليكونوا آباء وأمهات صالحين مع الاهتمام بالأم خاصة إذ هي التي تحسن تربية أطفالها تربية جسدية وخلقية وعقلية ودينية وصحية، ومن ثَمَّ تستطيع تزويد المجتمع بأفراد يتمتعون بالأخلاق العالية والتربية السليمة.

٤- كشفت الدراسة أن التربية النبوية ربطت المجتمع بشبكة من العلاقات الاجتماعية بحيث تغطي كل مساحة اجتماعية بأكرم العلاقات وأنزهها وأقواها: علاقة قرابة تنتشر على كل مساحة يشغلها المجتمع، وعلاقة رحم تتداخل بين مكونات القرابة، وعلاقة جوار لا تبقى كائنا إنسانيا لا تدخله في شبكة العلاقات، وعلاقات نوعية مع الفئات المصابة أو المحرومة، وذلك لإيجاد مجتمع رفيع كريم نظيف، يتضمن القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها المجتمع الرباني.

٥- أوضحت الدراسة أن السنة النبوية تضمنت من الآداب الاجتماعية الرفيعة ما لو طبقت في المجتمعات الإسلامية لكانت كفيلة بتحقيق الرقي الاجتماعي والحضاري لتلك المجتمعات، ولضمنت لها إلى أقصى حد ممكن إيجاد جيل سوي متكامل الشخصية روحيا وعقليا ووجدانيا وأخلاقيا واجتماعياوجسديا، محصن ضد الانحرافات والمفاسد وأسباب التحلل العقدي والخلقي والاجتماعي.

٦- بيّنت الدراسة أن الالتزام بالآداب الاجتماعية في السنة النبوية من شأنها أن تقوي العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وذلك لما لهذه الآداب من آثار في تصفية القلوب، وتعارف غير المتعارفين، وتوثيق الصلة بين المتصلين، وتبادل الاحترام بين أفراد المجتمع، وغير ذلك من الآثار الإيجابية.

٧- أثبتت الدراسة أن التماسك والترابط الاجتماعي من مقاصد التربية في السنة النبوية، وقد حرصت التربية النبوية على كل ما من شأنه أن يقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويكّون مجتمعا يسوده التعاون والتضامن والتآزر، ويشيع الأمن والاستقرار في جوانبه، حتى يسعد أفراده بظلال الأمن الوارفة، وبروح المحبة الصادقة، ويكون مجتمعا متراصا لا تجد فيه ثغرة ولا خللا.

ثانيا: التوصيات والمقترحات:

أ- التوصيات:

بعد استعراض أهم ما خلصت إليه الدراسة، فإن الباحث يقدم عددا من التوصيات وذلك على النحو التالي:

١) توصي الدراسة بالاهتمام بتوجيه التربية الاجتماعية توجيها إسلاميا، وذلك بالكشف عن قضاياها في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والاستعانة بفهم السلف الصالح، فإن ذلك يتيح للباحث المسلم أن يتعرف على إسهام التربية الإسلامية في هذا المجال.

٢) توصي الدراسة على ضرورة زيادة الاهتمام بالتربية الاجتماعية في المؤسسات التربوية المختلفة، نظرا لما يتعرض له المجتمع في عصر العولمة من غزو مخطط يستهدف تغيير نمط الحياة، وتعديل السلوك، ومحاربة القيم في المجتمعات المسلمة

٣) توصي الدراسة بالحرص على متابعة حث النشء على المحافظة على العبادات المفروضة والنوافل؛ لأن ذلك يسهم بإذن الله تعالى في تحقيق نمو اجتماعي سليم لديهم، ومن الوسائل على تحقيق ذلك: ربط المتربي بالمسجد، وتعويده أداء بعض العبادات كالحج والزكاة والصيام وغيرها لما في ذلك من تحقيق لأهداف التربية الاجتماعية.

٤) توصي الدراسة بالاستفادة من الأنشطة اللامنهجية في تثبيت الآداب، وغرس القيم والفضائل الاجتماعية لدى المتربين ودعمها.

٥) توصي الدراسة بتدعيم الدور الذي يقوم به الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في الحفاظ على القيم الاجتماعية السليمة وتعزيزها، وكذلك تطهير المجتمع من الرذائل السلوكية، والأمراض الاجتماعية.

٦) توصي الدراسة بأهمية توجيه وسائل الإعلام في المجتمع الإسلامي نحو غرس القيم الاجتماعية السليمة، ونحو تثبيت الفضائل والآداب الاجتماعية، والدعوة إلى الترابط والتماسك الاجتماعي، وذلك لما لهذه الوسائل من أهمية كبيرة في تحقيق النمو الاجتماعي لدى المتربي.

ب- المقترحات:

بناء على ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات فإن الباحث يقترح إجراء عدد من الدراسات والأبحاث العلمية في مجال التربية الاجتماعية في السنة النبوية ومنها:

- إجراء دراسة مقارنة بين التربية الاجتماعية في السنة النبوية، والنظريات التربوية الحديثة.

- إجراء دراسة حول منهج السنة النبوية في الإصلاح الاجتماعي.
- إجراء دراسة حول منهج السنة النبوية في تحصين المجتمع ضد الغزو الثقافي.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم على النَّبيّ محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع:

١) القرآن الكريم.

٢) الأبراشي، محمد عطية، **الاتجاهات الحديثة في التربية**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباب الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ /١٩٤٨م.

٣) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٩٨٦م.

٤) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، **مكارم الأخلاق**، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٥) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦) ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد الحنبلي، **طبقات فقهاء الحنابلة**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.

٧) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، دار ابن الجوزي، ط١، جمادى الأولى ١٤٢١هـ.

٨) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم، **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٩) ابن الأنباري، **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.

١٠) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١) ابن الطقطقي، علي بن طباطبا، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، مصر، مطبعة المعارف، سنة ١٩٢٣م.

١٢) ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، **أحكام القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

١٣) **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٤) ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥) ابن بطال، علي بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس الحراني، **السياسة الشرعية**، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨م.

١٧) **العبودية**، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، الإسماعيلية، دار الأصالة، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٩م.

١٨) **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرباط، المغرب، مكتبة المعارف، (د. ت).

١٩) ابن جماعة، بدر الدين، **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**، تحقيق: السيد محمد هاشم الندوي، الدمام، المملكة العربية السعودية، رمادي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٠) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **كتاب الثقات**، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٢هـ/ ١٠٨٢م.

٢١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار الرياض، السلام، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٢) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الرياض، دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٣) ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد، **المقدِّمات المُمَهِّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات**، تحقيق: محمد حجي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٤) ابن عابدين، محمد أمين الشهير بابن عابدين، **ردُّ المحتار إلى الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الشركة التونسية للتوزيع، (د. ت).

٢٦) **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد ابن الحبيب ابن الخوجة، دولة قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٧) **تفسير التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢٨) ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخر، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٢٩) ابن قدامة أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، **المغني**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخر، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٠) **مختصر منهاج القاصدين**، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، الأردن، دار عمان للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، الدمام، رمادى للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، بيروت، دار الجيل - ١٩٧٣م.

٣٣) **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، دار المعرفة، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٣٤) **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري، الدمام، المملكة العربية السعودية، دار ابن قيم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣٥) **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٣هـ.

٣٦) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، بيروت - الكويت، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - ط ١٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٣٧) **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، الدمام، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، محرم، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٨) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٩) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٤٠) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤١) **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٢) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، (د. ت).

٤٣) أبو البقاء الكفوي، **الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م

٤٤) أبو العينين، علي خليل مصطفى، **التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي الركائز والمضامين التربوية**، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلبي، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤٥) **القيم الإسلامية والتربية**، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلبي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٦) **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلبي، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٧) **قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا والدين**، جدة، المملكة العربية السعودية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٤٨) أبو حوسة، موسى، **قراءة في التربية الاجتماعية الإسلامية**، المجلة الثقافية، العدد (٢٥)، ١٩٩٧م.

٤٩) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **السنن**، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، الرياض، دار السلام، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥٠) أبو زهرة، محمد، **التكافل الاجتماعي في الإسلام**، وزارة التربية والتعليم، ١٤٠٥هـ.

٥١) أبو زيد، بكر بن عبد الله، **أدب الهاتف**، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٢) **تسمية المولود آداب وأحكام**، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الراية، ط ١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م،.

٥٣) أبو غدة، عبد الفتّاح، **من أدب الإسلام**، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٤) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٥هـ.

٥٥) الأبيّ، محمد بن خلفة الوشتاني، **إكمال إكمال المعلم**، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.

٥٦) الآجري، أحمد بن الحسين، **أخلاق حملة القرآن**، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٥٧) أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، القاهرة، مؤسسة قرطبة.

٥٨) أحمد، عبد المجيد سيد، **علم نفس الطفولة الأسس النفسية والاجتماعية والهدي الإسلامي**، درا الفكر العربي، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٩) أحمد، لطفي بركات، **المعجم التربوي في الأصول الفكرية والثقافية للتربية**، الرياض، دار الوطن، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٦٠) أحمد، محمد أحمد، **من المسؤول عن تربية النشء**، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (١٦٨)، السنة الرابعة عشرة، ذو الحجة (١٣٩٨هـ).

٦١) الأسمر، أحمد رجب، **النبي المربي**، عمان، الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٦٢) الأشقر، عمر سليمان، **صحيح القصص النبوي**، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط٦، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٦٣) الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٤) **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٩٥هـ، ١٩٩٥م.

٦٥) **صحيح الأدب المفرد**، دار الصديق، ط١، ١٤١٤هـ.

٦٦) **صحيح سنن أبي داود**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م.

٦٧) **صحيح سنن الترمذي**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

٦٨) **صحيح سنن النسائي**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٦٩) **ضعيف الأدب المفرد**، المملكة العربية السعودية، الجبيل الصناعية، مكتبة الدليل، ط٤، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٧٠) أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٧١) أي. جي. هيوز، **التعلم والتعليم مدخل في التربية وعلم النفس**، ترجمة: حسن الدجيلي، الرياض، المملكة العربية السعودية، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ط٣، ١٩٥٩م.

٧٢) باحارث، عدنان حسن، **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**، جدة، المملكة العربية السعودية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط٤٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٧٣) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **الأدب المفرد**، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الجبيل، المملكة العربية السعودية، دار الصديق، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٧٤) **الأدب المفرد**، عنى به ورتب أبوابه حسب موضوعاتها، صالح أحمد الشامي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧٥) **التاريخ الكبير**، دار الكتب العلمية، (د. ت).

٧٦) **الجامع الصحيح المختصر**، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، الرياض، دار السلام، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٧٧) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، **القطوف الجياد من حِكم وأحكام الجهاد**، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، دار المغني، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧٨) بركات، أحمد لطفي، المعجم التربوي، دار الوطن. (د. ت).

٧٩) **القيم والتربية**، الرياض، دار المريخ، ١٤٠٣هـ.

٨٠) البغا، مصطفى ومحيي الدين مستو، **الوافي في شرح الأربعين النووية**، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط ٧، (١٤١٠هـ).

٨١) البغدادي، أحمد بن عيسى، **كتاب الصدق**، صححه وعلق عليه: عبد الوهاب عزام، سورية، دمشق، دار القادري، ط١، ١٤١٨.

٨٢) البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨٣) بكر، عبد الجواد سيد، **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف**، دار الفكر العربي، (د. ت).

٨٤) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٨٥) **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ.

٨٦) التل، سعيد وآخرون، **المرجع في مبادئ التربية**، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، كانون أول ١٩٩٣م.

٨٧) الجاحظ، عمرو بن بحر، **تهذيب الأخلاق**، القاهرة، دار الصحابة للتراث، (د. ت).

٨٨) جان، محمد صالح بن علي، **المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس**، دار الطرفين،الطائف، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م.

٨٩) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، **أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٩٠) الجمالي، محمد فاضل، **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي**، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م.

٩١) الجهني، حنان عطية الطوري، **الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة**، مجلة البيان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٩٢) الجيلاني، فضل الله، **فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد**، القاهرة، المكتبة السلفية، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٩٣) الحازمي، خالد بن حامد، **أصول التربية الإسلامية**، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

٩٤) **مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية**، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩٥) **مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة**، الرياض، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢٥هـ.

٩٦) حافظ، عماد زهير، **منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع**، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٩٧) حافظ، عباس، **علم النفس الاجتماعي بحث في نشأة الاجتماع وتطوره**، المكتبة التجارية الكبرى، (د. ت).

٩٨) حسن أيوب، **السلوك الاجتماعي في الإسلام**، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٩٩) حسين، محمد الخضر، **السعادة العظمى**، (جمع وتحقيق: علي الرضا التونسي)، دمشق، دار ابن كثير، ١٣٩٢هـ.

١٠٠) الحسيني، عبد الحميد هاشم، **الإمام البخاري محدثا وفقيها**، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، (د. ت).

١٠١) حلواني، عبد الواحد، **تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة**، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط١،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٠٢) الحمد، أحمد، **التربية الإسلامية**، دار إشبيليا، ط١، ١٩٩٥م.

١٠٣) الحمداني، نزار بن عبد الكريم بن سليمان، **الإمام البخاري فقيه المحدّثين ومحدّث الفقهاء: سيرته "صحيحه" فقهه**، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ.

١٠٤) حمزة، عمر يوسف، **عناصر الترابط في المجتمع الإسلامي**، قطر الدوحة، دار الثقافة ط١/١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

١٠٥) حمزة، مختار، **أسس علم النفس الاجتماعي**، جدة، دار المجتمع العلمي، ط١، ١٩٧٦م.

١٠٦) الخطابي، حمد بن محمد، **معالم السنن**، بيروت لبنان، المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م.

١٠٧) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، **تاريخ بغداد أومدينة السلام**، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، (د. ت).

١٠٨) خياط، محمد جميل بن علي، **المبادئ والقيم في التربية الإسلامية**، جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٠٩) الدارقطني البغدادي، علي بن عمر أبو الحسن، **السنن**، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١١٠) داغستاني، بلقيس إسماعيل، **التربية الدينية والاجتماعية للأطفال**، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١١١) دخل الله، أيوب، **التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي**، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١٢) دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١١٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله، **الكبائر**، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة، (د. ت)

١١٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله، **تذكرة الحفاظ**، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

١١٥) **حقوق الجار**، تحقيق: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، جمهورية مصر العربية، دار البصيرة، (د. ت).

١١٦) ذياب، فوزية، **القيم والعادات الاجتماعية**، القاهرة: دار الكتاب العربي. (١٩٦٦م).

١١٧) الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر، **تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب**، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١١٨) الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١١٩) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داود، دمشق، دار القلم، بيروت، دار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٢٠) الرحيلي، حمود بن أحمد، **تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري**، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٢١) الرحيلي، عبد الله بن ضيف الله، **الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لا كتسابها**، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٢٢) رشيد رضا، محمد، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

١٢٣) رونيه أونير، **التربية العامة**، ترجمة: عبد الله الدايم، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦م.

١٢٤) الزبيدي، السيد محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، بيروت، دار الفكر، (د. ت).

١٢٥) الزحيلي، محمد، **الإسلام والشباب**، دمشق، دار القلم، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢٦) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**، ليبيا – تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

١٢٧) زهران، حامد عبد السلام، **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، ط٥، (د. ت).

١٢٨) **علم نفس النمو**، القاهرة، عالم الكتب، ط٤، ١٩٧٧م.

١٢٩) الزين، محمد، **واجبات الآباء نحو الأبناء**، القاهرة، المؤسسة السعودية، ١٤٠٦هـ.

١٣٠) سارنوف أمدنبك، **التعلم**، ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل، مراجعة: محمد عثمان نجاتي، بيروت، لبنان، دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٣١) السباعي، مصطفى، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

١٣٢) السبكي، علي بن عبد الكافي الشافعي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

١٣٣) سرحان، منير المرسى، **في اجتماعيات التربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٢م.

١٣٤) السرخسي، شمس الدين، **كتاب المبسوط**، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٣٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **الفواكه الشهية في الخطب المنبرية**، الرياض، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإدارة العامة للطبع والترجمة، ط١، ١٣٧٢هـ.

١٣٦) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٣٧) السلفي، محمد لقمان، **رش البرد شرح الأدب المفرد**، الرياض، دار الداعي للنشر والتوزيع، ط١، جمادى الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٣٨) السملوطي، نبيل، **علم اجتماع العقاب**، جدة، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٣٩) السندي، أبو الحسن الحنفي، **شرح سنن ابن ماجه**، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٤٠) سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ، **منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح**، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٤١) السيد، فؤاد البهي، **الأسس النفسية للنمو**، مصر، دار الفكر العربي، ط ٤، ١٩٧٥م.

١٤٢) شاهين، سيف الدين حسين، **الآفات الثلاث: التدخين – المخدرات – الأمراض الجنسية**، الرياض، دار الأفق، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٤٣) الشربيني، شمس الدين محمد الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، اعتني به: محمد خليل عيتاني، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٤٤) الشريف، عمر، **حق النائم على المستيقظ وأربعون نصيحة قبل النوم**، المدينة المنورة، دار البخاري للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٤٥) شعبان، تركي الدين، **أحكام الوصية والميراث والوقف في الشريعة الإسلامية**، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٤٦) شقرون، محمد، **معجم التربية والتعليم**، الرباط، مطبعة الرسالة، ١٩٨٠م.

١٤٧) شلتوت، محمود، **الإسلام عقيدة وشريعة**، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط ١٣، ١٤١٤هـ.

١٤٨) الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز، **كتاب الآداب**، الرياض، دار القاسم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٤٩) الشنقيطي، أحمد بن أحمد المختار الجكني، **مواهب الجليل من أدلة خليل**، اعتنى بمراجعته: عبد الله إبراهيم الأنصاري، دولة قطر، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٥٠) الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٧٩م.

١٥١) الشهري، صالح أبو عراد، **دروس تربوية نبوية**، كتاب "دعوة الحق" السنة الحادية عشرة، ع ١٢٦، جمادى الثاني: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٥٢) الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٥٣) الشيباني، عمر محمد التومي، **من أسس التربية الإسلامية**، طرابلس الغرب، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٥٤) الصالح، محمد أحمد، **التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية ودوره في حماية المال العام والخاص**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ذو الحجة، ١٤٠٥هـ، سبتمبر ١٩٨٥م.

١٥٥) الصالح، محمد بن أحمد، **الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع**، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٥٦) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، **المصنف**، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

١٥٧) الصنيع، صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف، الصحة **النفسية من منظور إسلامي بين علماء الإسلام وعلماء النفس**، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، مصر – المنصورة، دار الهدى النبوي.

١٥٨) الصويلح، فاتن بنت سعد، **وإذا مرضت فهو يشفين**، مجلة البيان، العدد (١٦٣)، السنة السادسة عشرة، ربيع الأول، ١٤٢٢هـ، يونيو ٢٠٠١م.

١٥٩) صيني، سعيد إسماعيل، **حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين**، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٦٠) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥م.

١٦١) **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

١٦٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، (د. ت)..

١٦٣) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦٤) الطيبي، الحسين بن عبد الله، **الخلاصة في أصول الحديث**، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٦٥) **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى "الكاشف عن حقائق السنن"**، تحقيق: عبد الله هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٦٦) عارف عبد الغني، نظم **التعليم عند المسلمين**، دمشق، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٦٧) عاقل، فاخر، **علم النفس التربوي**، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط٧، نيسان (أبريل)، ١٩٨١م.

١٦٨) العبّادي، عبد الله، **من الآداب والأخلاق الإسلامية**، الدوحة، قطر، دار الثقافة، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٦٩) عبد الله، عبد الرحمن صالح، وحلمي محمد فودة، **المرشد في كتابة البحوث التربوية**، مكة المكرمة، مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ.

١٧٠) عبد الله، محمد عبد العزيز، **الوقف في الفكر الإسلامي**، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٧١) عثمان، سيد أحمد، **المسؤولية الاجتماعية في الإسلام دراسة نفسية**، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢م.

١٧٢) **المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، دراسة نفسية تربوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٧٣) **المسؤولية الاجتماعية**، دراسة نفسية اجتماعية، مجلة الكاتب، القاهرة، مارس ١٩٧١م.

١٧٤) العش، يوسف، **تاريخ عصر الخلافة العباسية**، دمشق، سورية، دار الفكر/ ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٧٥) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، **عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٧٦) العك، خالد عبد الرحمن، **تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة**، بيروت لبنان، دار المعرفة.

١٧٧) علوان، عبد الله ناصح، **التكافل الاجتماعي في الإسلام**، دار السلام، ط٥، ١٤٠٩هـ.

١٧٨) ـ **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٧٩) عمرو، محمد عبد العزيز، **اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨٠) العمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٦، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٨١) العمري، عوض بن سعيد، **تكوين القيم الشخصية وتنميتها لدى طلاب الكليات العسكرية**، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد (٨٢)، بتاريخ: ١- ٩ - ٢٠٠٥م.

١٨٢) العوايشة، حسين بن عودة، **حصائد الألسن**، الخبر، دار ابن عمان للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٨٣) **شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٨٤) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٨٥) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٨٦) فرحان، إسحاق أحمد، **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، عمان، الأردن، دار الفرقان للنشروالتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٨٧) **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، عمان، دار الفرقان، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

١٨٨) الفوزان، عبد الله صالح، **زينة المرأة المسلمة**، الرياض، دار المسلم، ١٤١٤هـ.

١٨٩) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، **المصباح المنير في شرح غريب الشرح الكبير للرافعي**، اعتنى به: عادل مرشد، (د. ت).

١٩٠) قادري، عبد الله بن أحمد، **أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي**، الخبر، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

١٩١) **المسؤولية في الإسلام**، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٩٢) القارئ، علي بن سلطان محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بمبي، الهند، مطبعة أصح المطابع، (د. ت).

١٩٣) القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩١هـ/١٠٧٨م.

١٩٤) القاضي، عياض بن موسى اليحصبي، **إكمال المُعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل، المنصورة، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٩٥) القاضي، سعيد إسماعيل، **أصول التربية الإسلامية**، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٩٦) القاضي، عبد الوهاب المالكي، **الإشراف على مسائل نكت الخلاف**، تحقيق: الحبيب بن طاهر بيروت، لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٩٧) القرافي، أحمد بن إدريس المصري المالكي، **الفروق**، تحقيق: عمر حسن القيام، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٩٨) القرضاوي، يوسف، **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

١٩٩) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٠٠) القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محب الدين ديب مستو وآخرون، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٠١) القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي، **إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٠٢) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، بيروت، لبنان، دار الشروق، ط١٠، ١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.

٢٠٣) قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، القاهرة، دار الشروق، ط١٤، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٢٠٤) قمبر، محمود، **الرحلة العلمية وقيمتها التربوية**، قطر، حولية كلية التربية، العدد السادس، ١٤٠٨هـ

٢٠٥) قميجة، جابر، **المدخل إلى القيم**، القاهرة، دار الكتاب المصرية واللبنانية، ١٤٠٤هـ.

٢٠٦) الكتاني، يوسف، **رباعيات الإمام البخاري**، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٠٧) كوجك، كوثر حسين، **المرجع في التربية الأسرية**، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٠٨) مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٢٠٩) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: مصطفى السقا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

٢١٠) **الحاوي الكبير في فقه المذهب الشافعي**، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢١١) **نصيحة الملوك**، تحقيق: خضر محمد خضر، الصفا، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢١٢) المباركفوري، عبد السلام، **سيرة الإمام البخاري (سيد الفقهاء وإمام المحدّثين)**، تحقيق: عبد العليم بن عبد العظيم البتوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١٣) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢١٤) متولي، مصطفى محمد، **التربية الإسلامية والتنشئة الاجتماعية، من كتاب أصول التربية الإسلامية**، الرياض، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢١هـ.

٢١٥) محجوب، عباس، **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، دمشق، سوريا، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٢١٦) محمود، وجيه، **الفروق الفردية في القدرات العقلية**، طرابلس، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، ١٩٧٣م.

٢١٧) مدكور، إبراهيم وآخرون، **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٥)م.

٢١٨) مرسي، محمد عبد العليم، **التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربية**، دار عالم الكتب، ١٩٨٩م.

٢١٩) مرسي، محمد منير، **أصول التربية**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م.

٢٢٠) مطر، سيف الإسلام علي، **التغير الاجتماعي** - دار الوفاء - ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢١) المغامسي، سعيد بن فالح، **التربية الإيمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف**، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٢٢٢) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط٢، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.

٢٢٣) المنجد، صلاح الدين، **المجتمع الإسلامي في ظل العدالة**، ط ٣، ١٩٧٦م، بيروت لبنان، دار الكتاب الجديد.

٢٢٤) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق، دار القلم، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢٥) الميمان، بدرية صالح عبد الرحمن، **نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها دراسة في التأصيل الإسلامي للمفاهيم**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٢٦) ناصر، إبراهيم، **أسس التربية**، عمان الأردن، دار عمار، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٢٧) **علم الاجتماع التربوي**، بيروت، لبنان، دار الجيل، (د. ت).

٢٢٨) النبهان، محمد فاروق، **أثر التربية في السلوك الاجتماعي**، كتاب "دعوة الحق" ع (٤)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢٩) الندوي، تقي الدين، **الإمام البخاري**، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٣٠) الندوي، محمد الرابع الحسني، **التربية والمجتمع**، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٣١) الندوي، محمد لقمان الأعظمي، **دراسات تربوية في الأحاديث النبوية**، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٣٢) نواب الدين، عبد الرب، **مسؤولية الآباء تُجاه الأولاد**، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٣٣) النوري، قيس، **الحضارة والشخصية**، الجمهورية العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (١٩٨١م).

٢٣٤) النووي، أبو زكرياء محيي الدين يحيى بن شرف، **الأذكار**، تحقيق: محيي الدين مستو، دمشق، سوريا، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٣٥) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط٢،١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٣٦) **تهذيب الأسماء واللغات**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (د. ت).

٢٣٧) **رياض الصالحين**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٧٩م ١٣٩٩هـ.

٢٣٨) الهاشمي، عبد الحميد، **الرسول العربي المربي**، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٣٩) **المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة**، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٤٠) وحيد، أحمد عبداللطيف، **علم النفس الاجتماعي**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع. (٢٠٠١م).

٢٤١) يالجن، مقداد، **التربية الأخلاقية الإسلامية**، الرياض، دار عالم الكتب، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٤٢) **جوانب التربية الإسلامية الأساسية**، ط١، صفر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٤٣) **علم الأخلاق الإسلامية**، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٤٤) اليحيى، طيبة بنت يحيى، **قرة عين السعد بترتيب أطراف الأدب المفرد**، الكويت، مكتبة المعلا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٤٥) يوسف، محمد السيد، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، القاهرة، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٢م.

ثانيا: البحوث العلمية غير المنشورة:

٢٤٦) الحارثي، عائد بن محمد، **المبادئ التربوية المتضمنة في كتاب البرّ والصلة والآداب من كتاب الإمام مسلم يرحمه الله**، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة غير منشور مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٣هـ.

٢٤٧) حكيم، باسم جعفر أحمد، **مبادئ التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتابي الأدب والآداب في صحيحي البخاري ومسلم**، رسالة ماجستير غير منشورة – المدينة المنورة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، عام ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٤٨) الصاعدي، ناجي سالم، **المضامين التربوية لفكر الإمام أبي حنيفة**، "رسالة ماجستير غير منشورة" المدينة المنورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٤٩) العجلاني، يوسف بن أحمد، **العدل وتطبيقاته في التربية الإسلامية**، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢١هـ، ١٤٢٢هـ.

٢٥٠) اللقماني، غالي بن دهيران، **الجوانب التربوية عند السفاريني**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التربية غير منشور، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية، ١٤٢٤هـ، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٣م، ٢٠٠٤م.

٢٥١) لوح، محمد أحمد، **الكتب الستة مناهجها وجهود العلماء في خدمتها**، بحث مقدم لنيل الشهادة العالية "الليسانس" غير منشور، كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العام الجامعي، ١٤٠٧ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧ - ١٩٨٨م.

فهرس الموضوعات